

آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله

محاضرات ومطارحات في العقيدة
والتربية والفقه والسيرة

سلسلة
ندوات
الحوار
الإسبوعية
بدمشق

النكوة

اعداد عادل القاضي

دار الملاك

الجزء السادس عشر

حقوق الطبع محفوظة للناسـر
الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص. ب ٢٥/١٥٨ الغبيـري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

هموم المغتربين وتطلعاتهم

في مرحلة الإعداد للكتاب الحواري (الهجرة والاغتراب)، الذي يمثل حصيلة حواراتي مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله - دام ظلّه - حول شؤون وشجون المهاجرين والمغتربين، كنتُ قد طلبت من الأستاذ (جعفر عبد الرزاق)، أحد العاملين على الساحة الهولندية في حينه، أن يشاركني في محاورة سماحة السيد، باعتبار أنه من (أهل مكة) وهو أدرى بشعابها. حمل السيد عبد الرزاق أسئلته التي استوحاها من معاشته للجالية هناك، وقصدنا مقر إقامة سماحته المؤقت في ضاحية السيدة زينب بدمشق. تتالت الأسئلة، وجاءت الأجوبة فوق ما كان يتصور الأخ المرافق. بعد الانتهاء من المحاورة، علّق زميلي في الحوار مع سماحة السيد قائلاً: سيدنا، أنت تتحدث عن أوضاع المغتربين وكأنك تعيش بيننا!

من أين جاءت هذه القدرة على التعاطي مع الشأن المهجري؟

أولاً: لقد قصد سماحته العديد من المهاجر والمغتربات في فترات متباعدة؛ زار المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية، وفرنسا، والجمهورية

الإسلامية الإيرانية، والمملكة العربية السعودية، وهو دائم التردد على الجمهورية العربية السورية وغيرها... وقد التقى بأبناء الجالية المسلمة هنا وهناك، وحادثته وحادثها، وحاورته وحاورها في الكثير من همومها وقضاياها.

ثانياً: لا يكاد يخلو يوم أو أسبوع أو شهر، وخصوصاً في العطلات الصيفية من لقاءات وزيارات مباشرة يقوم بها نفر من الأخوة والأخوات المغتربين إلى بيروت أو دمشق، للتباحث مع سماحته في مختلف اهتمامات ومشاكل المهاجرين إلى هذا البلد أو ذاك، ما يعطي صورة قريبة من الواقع لما يجري في تلك المغتربات، حتى إن سماحته، ربّما يستحضر وهو يناقش مسائل الاغتراب، مقولة أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام):

((أي بني، إني وإن لم أكن عُمرتُ عمر من كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكرتُ في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم، حتى عدتُ كأحدهم، بل كائي بما انتهى إلي من أمورهم قد عُمرتُ مع أولهم إلى آخرهم))^(١).

حتى أمثاله التي يسوقها في معالجته لقضايا المغتربين، يستوحياها من زاد وحصاد لقاءاته معهم. إنه يغتنى بها، ويختزنها ويوظفها التوظيف السليم عند الضرورة.

ثالثاً: زيارته إلى مكة والمدينة في المواسم التي كان يؤدي فيها فريضة الحج، وقرت له هي الأخرى فرصاً مستزادة للقاء بشرائح مهجرية واسعة من كلا الجنسين، حتى إنه - أيام كان وضعه الصحي يعينه على أداء خدماته لمريديه - كان يخصص لكل جالية وقتاً محدداً يحدثهم ويسألونه، وكانت لقاءات النساء به مستقلة، يفرد لهن وقتاً يفتحن من خلاله على رحابة صدره في استيعاب مشاكلهن التي يعانين منها في تلك المنقلبات من الأرض.

(١) نهج البلاغة. وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام). الكتاب ٣١.

مواسم الحج أثرت أرشيف سماحة السيد في العديد من صور الحياة المهاجرة بتنوعاتها المختلفة، ولا يزال يغدّي - كلّ عام - أرشيفه بالجديد والمستجدّ من تلك الصور.

رابعاً: على صفحات الإنترنت، ومن خلال موقع سماحته، تتوافد وتترافد أسئلة المغتربين من كل حذب وصوب، وفي كلّ شأن وقضيّة حياتية أو يومية. وهو يردّ عليها كلها بأجمعها، الأمر الذي يضيف إلى الرصيد السابق ثروة جديدة، ناهيك عن الأسئلة التي ترد عن طريق الفاكس، أو تلك التي تتم عبر المكالمات الهاتفية، حتى إنني - أثناء إعدادي لكتاب الهجرة والاغتراب - وقفتُ على ملفين ضخمين من أسئلة المغتربين، وإجابات سماحته عليها في أرشيف حوزة المرتضى، فكم أصبحنا الآن بعد ما يقرب العقد من الزمن؟^(١)

خامساً: الكمّ الكبير والمتزايد من مقلدي سماحة السيد هم من المهاجرين والمغتربين، الذين يرون في رؤاه وأطروحاته ومعالجاته لقضاياهم بلسماً شافياً؛ فهم يقرّونه ويتابعونه ويحملون أفكاره ويبشّرون بها، ولو اطلعت على أرشيف سماحته المرئي والمكتوب والمسموع، لرأيت أن خطابه ووصاياه لأبنائه وبناته في الجاليات المسلمة المغتربة، في مناسباتهم الدينية أو الاجتماعية أو التربوية أو الثقافية، تشكل حيزاً ملحوظاً من مكتبة سماحته السمعية والبصرية.

لهذا وذاك، فإننا إذ نسلط الضوء في هذه المقدمة على هموم المغتربين وتطلعاتهم، إنّما نحاول أن نلّم الإمامة سريعة وموجزة بأربعة من العناوين ذات الصلة بموضوع الاغتراب^(٢).

(٢) نحيل القارئ إلى ملاحق كتاب (الهجرة والاغتراب)، ليتعرّف خطابات سماحته إلى الجاليات المغتربة من شتى بلدان الهجرة والاغتراب.

(٣) تراجع مقدمة الندوة، ج. مشاكل الهجرة والاغتراب.

أولاً: المخاطر التي تتهدد المهاجرين.

ثانياً: التعايش مع غير المسلمين.

ثالثاً: دور التبليغ في المغتربات.

رابعاً: واجبات المغتربين ومسؤولياتهم.

أولاً: المخاطر التي تتهدد المهاجرين:

في تعريفه لمفهوم التعرّب بعد الهجرة، يُفصح سماحته عن أن من يسافر إلى بلاد الكفر، أو بلاد الضلال، أو إلى أي بلد يضعف فيها دينه أو دين أهله، فهو متعرّب بعد هجرة.

ذلك أن الهجرة هي كناية عن الموقع الذي يزداد الإنسان فيه إيماناً، والتعرّب – على الضدّ منها – هو الموقع الذي يبتعد فيه الإنسان عن خط الإيمان، لذلك، على الذين يهاجرون إلى بلاد غير المسلمين، أن يدرسوا إمكانية أن يحفظوا إيمانهم، هناك فإذا كانوا لا يستطيعون أن يحفظوا إيمانهم وإيمان أولادهم، فلا يجوز لهم الهجرة^(١).

من هنا، كان سماحته يركّز كثيراً على مقولة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ليس بلد أحقّ بك من بلد، خير البلاد ما حملك))، من منطلق أنه يحمل عقلك ودينك وأخلاقك، فإذا هاجرتم – والقول لسماحته – إلى بلاد تحمي لكم أخلاقكم فلا تصادرها، وتحمي لكم دينكم فلا يزول عنكم، وتحمي لكم قيمكم الروحية فلا تهدرها، وتحمي لكم أطفالكم بأن يبقوا مسلمين، فلا مانع حينئذ من الهجرة...

أما إذا كانت تريح أجسادكم، وتغذي بطونكم، وتفرغ عقولكم وتضلّلها،

وتتنحرف بكم عن مسيرتكم، فإنها محرّمة، لأنها تكون مصداقاً للتعرّب بعد الهجرة^(٥).

المسألة إذا خاضعة للدراسة، وشرطها الحفاظ على الدين، بل حتى الفرار بالدين من ظلم الظالم، يحدّده سماحته على النحو التالي:

لو تمكن الإنسان من أن ينطلق من موقع قوة ليحارب الظالم، فلا ينطبق عليه خيار الهجرة، وإنما ينطبق ذلك على الذي لا يستطيع، أو لا يجد فرصته لمواجهة الظالم^(٦).

تأسيساً على ذلك، فالهجرة لا تؤدي إلى التهلكة دائماً؛ فما أكثر المهاجرين الذين نجوا بأنفسهم، ولكنّ هناك نوعاً من الهجرة قد يكون مشروعاً عندما يعرّض المهاجر نفسه للمافيات التي تستغل حاجة الناس وتدفعهم إلى المتاهات^(٧). فضلاً عما تسببه من إضعاف دين المهاجر ودين أهله، كما مرّ.

ثانياً: التعايش مع غير المسلمين:

مصطلح التعايش مع غير المسلمين، لا يرد فقط في البحث عن إمكانية انشاء علاقات طيبة مع هؤلاء في المغتربات التي تقطنها غالبية غير مسلمة، فالتعايش دعوة مطروحة داخل البلد الواحد الذي تتعدد مكوناته الدينية والعرقية.

سماحة السيد ينطلق في رؤيته للمسألة من ضوء قرآني؛ فهو يرى أن هناك فرصة للتعايش بين المسلمين وبين غير المسلمين إذا كانوا مسالمين.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن

(٥) الندوة. ج ١. ص ٨٢١.

(٦) الندوة. ج ٧. ص ٥٥٨.

(٧) الندوة. ج ١٠. ص ٦١٥.

تَبَرُّوهُمْ» بأن تعطوهم البرَّ والخير، «وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» أي أن تعدلوا معهم، فتعطوهم الحق الذي لهم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٨).

من خلال الآية، لا يجوز لأي مسلم أن يتعرض لأموال أو لنفس أي كافر، فمن مقتضيات القسط، وهو العدل، أن لا تأكل مال غيرك بغير حق، ولا أن تعتدي عليه بغير حق^(٩).

وثمة سؤال يطرح نفسه: هل يجوز التعامل مع الكافر على أساس المصالح المشتركة؟

لا يرى سماحة السيد مانعاً في ذلك، فنحن نختلف مع الكفار، ونرفض الكثير من آرائهم، كما يرفضون كثيراً من آرائنا، ولكن في المصالح المشتركة، سواء كانت سياسية، مما لا نستطيع أن نستقلّ فيه، أو اقتصادية، فإنه يجوز التعامل معهم في ضوء هذه المصالح المشتركة، ولم يحرم القرآن علينا ذلك^(١٠).

وسماحة السيد ينطلق من منهج إسلامي للتعايش، فلقد تعايش الإسلام مع الأديان، وقبّل العيش مع أهل الكتاب، واحترم اليهود منذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فعقد معهم النبي ﷺ معاهدة أدخلهم وفقهاً في نسج المجتمع الإسلامي، وحتى الآن، لم نحاول إخراج اليهود عن دينهم، ولا إخراج النصرانيين عن نصرانيتهم، بل حددنا لهم نظاماً معيناً نحترم فيه حرياتهم في دينهم إلى جانب النظام الإسلامي.

والتعايش لا يعني بالضرورة الاتفاق، بل أن تكون هناك قواعد للتعايش^(١١).

(٨) الممتحنة، ٨.

(٩) الندوة، ج ٥، ص ٢٩.

(١٠) الندوة، ج ١٣، ص ٦٣٣.

(١١) الندوة، ج ١٠، ص ٦٤٥.

فحين يُسأل سماحته: هل الأوروبي كافر حربي؟ يقول:

يمكن اعتبارهم كُفَّاراً، ولكن ليسوا حربيين، فلقد أعطوكم لجوءاً ومالاً وحماية، لقد احتضنوكم على أحسن ما يرام، وإلا فأية دولة عربية أو إسلامية مستعدة أن تعطىكم لجوءاً، كما يفعلون؟

وكما أن مال المسلم حرام على المسلم، فكذلك مال المسلم الكافر حرام على المسلم، وأما الفتاوى التي تكفر هؤلاء، وتعتبر أموالهم ودماءهم حلالاً، فهي ليست من القرآن ولا من السنة في شيء، وهي بذلك تجعل المهاجرين (حرامية شرعيين)!

نحن نرى - والرأي لسماحته - أن الله سبحانه وتعالى قد ذم اليهود بخيانتهم للأمانة، فقال ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بَأْتُهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١٢).

والأمي عندهم غير اليهودي، فكل من ليس يهودياً فإن دمه وماله وعرضه حلال، وكذلك الحال عند البعض من المهاجرين.

وإذا كنّا نستحلّ أموال غير المسلمين، فما الفرق بيننا وبينهم؟!^(١٣)

ومن دائرة التعايش إلى دائرة التمازج الثقافي أو (المثاقفة)، فسماحته على قناعة تامة أن الإنسان الذي أحاطت به التكنولوجيا من جميع الجهات لا يزال يبحث عن الروح وعن العقلانية الصافية، وعندما نلتقي بمفكرين غربيين كبار ممن دخلوا في الإسلام بعد أن كانوا مسيحيين أو ماركسيين، نعرف أن الإسلام

(١٢) ال عمران. ٧٥.

(١٣) الندوة. ج ٩. ص ٧٨٥.

يخترق فكر هؤلاء المثقفين الذين عاشوا الثقافة الغربية بكل عناصرها، ولكنهم رأوا في الإسلام الأصالة، ورأوا فيه الدين الذي يحترم الإنسان كله، وعندما نرى ذلك، نشعر بواقعية أن الإسلام دين عالمي، ولكن المشكلة هي أن المسلمين لم يتحولوا إلى دعاة، بل إنهم يعيشون في داخل ذواتهم أشكال التخلف، ومشكلتنا هي قيادات الجهل والتخلف والخرافة التي أساءت إلى الإسلام.

وإلا، فلو عرف الناس الإسلام الأصيل؛ الإسلام القرآني، الإسلام المحمدي، الإسلام الذي انطلق في خط الأنمة I ، لرأوا ما يجعلهم يؤمنون به، ويشعرون بأنه هو الذي يجلب لهم السعادة في الدنيا والآخرة^(١٤).

والاستثناء الوحيد عند سماحة السيد، هو أن لا نتعامل مع كل إسرائيلي يحمل الجنسية الإسرائيلية، وكل يهودي يشجع إسرائيل^(١٥).

المنهج إذا في علاقتنا مع الآخرين من خلال حركة الواقع، ليس هو مقاطعة غير المسلمين، بل على المسلمين أن لا يكونوا ساذجين بسطاء، وأن لا يفتحوا قلوبهم للذين أغلقوا قلوبهم عنهم، والذين يخططون لتدميرهم.

المنهج يقوم على أساس مقاطعة من حاربنا في ديننا، بحيث يعمل على إخراجنا من ديننا في مواقفه الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويجعل كل ذلك وسيلة من وسائل الضغط علينا لنبتعد عن ديننا، أو مقاطعة الذين أخرجونا من ديارنا في أي موقع من المواقع، وشرّدونا عن بلادنا. واليهود يقفون في مقدمة هؤلاء الذين شرّدوا المسلمين عن فلسطين واحتلوا وصادروا أراضيهم، ولا يوافقون على إرجاعهم إلى بلادهم، بل يعملون على محاصرتهم في بلادهم

(١٤) الندوة. ج. ٧. ص ٥٣٤-٥٣٥.

(١٥) الندوة. ج. ٨. ص ٥٥١.

ليشردوهم من جديد، ويظاهرون على إخراجهم، بدعم من الدول الكبرى التي ساعدت اليهود على الاستيطان في فلسطين واحتلالها، بما أعطتهم من قوة عسكرية وسياسية واقتصادية.

ولا تقاطع من ليس لك مصلحة في مقاطعته، ولا سيما إذا كنت لا تمتلك الاكتفاء الذاتي. تحرّك... تعايش... ولكن بوعي حذر، لأن الآخرين لا يحضونك المودة، بل يعيشون العقدة ضد الإسلام... هناك فرق بين أن تقاطع الآخرين، وبين أن تكون حذراً منهم^(١١).

ثالثاً: دور التبليغ في المغتربات:

الدعوة إلى الله في المغتربات والمهاجر قديمة قدم الدعوة الإسلامية ذاتها، فسماحة السيد يؤشر إلى ذلك تاريخياً، فيرى أن المهاجرين الأوائل من التجار المسلمين كانوا الرواد في هذا المجال، حيث كانوا يحملون بضاعة الإسلام الثقافية والروحية إلى جانب بضائعهم التجارية، ما ترك بصماتهم واضحة على أسلمة مناطق لم تكن تدين بالإسلام من قبل.

والتعايش قد لا يأخذ شكل الحوار والمصالمة فحسب، بل قد يستدعي الانخراط في الأحزاب الغربية المسيحية للدفاع عن حقوق ووجهات نظر المسلمين في الأحداث والقضايا.

يُسأل سماحته عن جواز أن يكون المهاجر عضواً في تلك الأحزاب، فيجيب:

بالنسبة إلى إخواننا الذين يعيشون في الغرب، لا بدّ من أن يدخلوا في النسيج الاجتماعي والسياسي لتلك البلدان، لكن لا بشكل فردي، بل على مستوى المجموعة الإسلامية الموجودة في هذا البلد أو ذاك، بحيث تُدرّس المسألة، وتدرس مصلحة

الإسلام، وتُدرَس الشخصيات التي قد تكون في هذا الحزب أو ذاك، أو تلك التي تترشح للانتخابات، نيابية كانت أو رئاسية أو بلدية^(١٧).

وفي ردّه على سؤال مماثل، والخشية من أن يكون الانتماء إلى حزب ذي مضمون فكري، أو مجرد إطار مهني نقابي لخدمة المسلمين وإيصال صوته، يقول:

على الإنسان أن يدرس الأمر على الأرض، فإذا فرضنا أن دخوله في هذا الحزب لا يزيد الحزب قوة إذا كان للحزب مضمون فكري، وكان يتوقف على دخوله خدمة مصالح المسلمين ورعاية أمورهم، فلا بأس، وطبعاً ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(١٨). فيجب عليه أن يدقق جيداً في هذه القضايا. وليست هذه إجازة للدخول في هذه الواجهات، بل يحتاج الأمر إلى دراسة ميدانية ثم تطلب الإجازة من المرجع^(١٩).

ولذلك، فالهجرة مناسبة أو فرصة للدعوة إلى الله ضمن شروط يرى سماحته ضرورة توافرها في الدعاة والمبلغين. يقول:

الشرط الأول الأساس أن يكون مثقفاً إسلامياً، بحيث يملك ثقافة الإسلام في عقيدته وشريعته وأسلوبه ومنهجه، والآفاق التي يمكن أن يفتح عليها الإنسان المسلم في واقع الناس في أي مكان.

والثاني أن تكون له ثقافة تتيح له معرفة الخطوط الفكرية الموجودة لدى الناس هناك، كما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): ((وجدت علم الناس كلهم قد

(١٧) الندوة، ج ١٣، ص ٦٣٦.

(١٨) القيامة، ١٤-١٥.

(١٩) الندوة، ج ٧، ص ٦٨٦.

اجتمع في أربع، أولها: أن تعرف ربك، والثانية: أن تعرف ما صنع بك، والثالثة: أن تعرف دينك، والرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك^(٢٠)، وقمة الشروط، هي أن يكون هذا الإنسان على درجة كبيرة من التقوى، بحيث لا تغريه الأوضاع الموجودة في الغرب، والتي تقدّم له المعصية على طبق من ذهب، وأن يجمع المسلمين في عقله وفي قلبه، فلا يكون سبباً للفتنة بينهم. وإني إذ أشير إلى ذلك، فلأننا قد نلتقي بعض الناس الذين يتولّون التبليغ من أجل أن يثيروا الفتنة بين المسلمين في الدائرتين العامّة والخاصّة. لذلك، على المبلغ هناك أن يقتدي برسول الله ﷺ، ليرى كيف كان قلبه مفتوحاً للناس كلهم، وكيف كان رؤوفاً ورحيماً بهم كلهم، وكيف كان لين اللسان ولين القلب، وكيف كان يحزن على الذين لا يؤمنون به^(٢١).

وحين يُشكل أحد السائلين على محدودية التأثير لحركة التبليغ في تلك الديار، يرد سماحته بالقول:

إن مشكلة المسلمين هي أنهم شغلوا بغير الإسلام، وحتى الذين يملكون مواقع إسلامية قد شغلوا عن الدعوة إلى الإسلام، ولذلك، فإن العالم لم يتعرّف الإسلام من المواقع الواعية المنفتحة المخلصة التي تعيش الإسلام كقاعدة للفكر وللعاطفة وللحياة، ومشكلتنا هي في المتخلفين والجاهلين والمتقاعدين المسترخين الذين يريدون أن يخدمهم الإسلام ويضخّم أسماءهم بدلاً من أن يخدموا الإسلام.

إننا نتصور أنّ الإسلام يتقدّم على الرغم من كل الحرب التي يشنها عليه أهله بطريقتهم الخاصة كما الآخرون. لذلك نعتقد أن الدعوة إلى الله هي مسؤولية

(٢٠) الكافي، ج ١، ص ٥٠، ح ١١.

(٢١) الندوة، ج ٦، ص ٥٢١.

كلّ مسلم ومسلمة، ومن خصائص الدعوة وشروطها، أن يثقّف الإنسان نفسه بالإسلام، حتى يستطيع أن يكون داعية إلى الإسلام في أي مكان يذهب إليه. وتذكروا، إن أكثر البلدان الإسلامية سكاناً مثل أندونيسيا وماليزيا وغيرهما، قد فتحتها التجار المسلمون قبل أن يفتحها العلماء المسلمون.

ونحن نسعى مع كلّ المخلصين في سبيل أن نقدّم إلى العالم إسلاماً منفتحاً على قضايا الإسلام ومشاكل الإنسان بالطريقة التي يشعر فيها الناس بأن الله أنزل القرآن والإسلام على رسوله من أجل أن يخرجهم من الظلمات إلى النور^(٢٢).

رابعاً: واجبات المغتربين ومسؤولياتهم:

كثيراً ما يطلب السائل المغترب توجيهات ونصائح ووصايا سماحة السيد في المسؤوليات المترتبة على عاتق المغتربين في مغترباتهم، وأتمنى لو سنحت الفرصة لإعداد كتاب بذلك، فكما أشرت في مقطع سابق من هذه المقدمة، فإن أرشيف سماحة السيد ومكتبته عامران بالكلمات الإرشادية الموجهة من قبله إلى أبنائه في الجاليات، وهي وإن كانت تلتقي في نقاط مشتركة، لكنّ سماحته كان يثري بعضها بما يصلح أن يكون برنامجاً أو ورقة عمل مهجرية في هذا المهجر أو ذاك. أسأل الله أن يوفّقني لذلك.

اعرفوا إسلامكم.. أو حافظوا عليه

في إحدى كلماته التوجيهية للمغتربين، قال:

اعرفوا أن إسلامكم هو سرّ وجودكم وسرّ حياتكم وسرّ مصيركم، وأن عليكم أن تحافظوا عليه في أنفسكم أكثر مما تحافظون على حياتكم، وأن عليكم أن تحافظوا على إسلام أولادكم بإنشاء المدارس التي يُربّون فيها تربية إسلامية،

والمحاضن الإسلامية والدينية التي يتنفسون فيها الأجواء الإسلامية.

عليكم أن تتذكروا قول الله سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(٢٣).

عليكم أن تجتمعوا دائماً مع بعضكم البعض، حتى يقوَى بعضكم بعضاً، وتكونوا ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر، وتتحركوا في خط الفلاح.

عليكم أن لا تسمعوا لأية فتوى تبيح لكم الاتجار بالمخدرات، وسرقة أموال غير المسلمين، لأن في ذلك إساءة إلى الإسلام والمسلمين.

جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام):

((كونوا دعاة للناس بغير أسنتكم، ليروا منكم الصدق والخير والورع، فإن ذلك داعية))^(٢٤).

حافظوا على أمن البلد الذي تعيشون فيه، ولا تعرّضوه في أي جانب إلى الخلل لأنكم ضيوفه، ولأنكم أعطيتم عهداً على أنفسكم أن تعيشوا معهم من دون إساءة إلى الأمن العام والناس.

انطلقوا من خلال علاقاتكم في الدعوة إلى الإسلام بكل ما تستطيعون من إمكانات.

اعرفوا أن وجودكم هناك إنما هو بفعل الضرورة، ولا يجوز البقاء — بعد انتفانها — لأن ذلك يكون من قبيل التعرّب بعد الهجرة^(٢٥).

(٢٣) التحريم. ٦.

(٢٤) الكافي. ج ٢. ص ١٠٥. ح ١٠.

(٢٥) الندوة. ج ١. ص ٨٢٤-٨٢٥.

في توجيه آخر، يقول سماحته: كنت أقول لكثير من المهاجرين إلى أفريقيا، إن من الضروري أن تؤسسوا في أفريقيا ولأبنائها مدارس ومساجد ومشاريع أخرى، لأنكم استفدتُم من هذا البلد مادياً، وحتى لا يشعروا بأنكم أتيتم لتمتصوا دماءهم. لا بدّ من أن تقدّموا لهم ما ينفعهم من هذه المشاريع، لأننا نحتاج إلى أن تكون هناك صداقة بيننا وبين شعوب البلدان التي نهاجر إليها^(٢٦).

ويشيد سماحته بدور المرأة في المهجر فيقول: أنا أعرف بعض النساء في المهجر يعملن عملاً إسلامياً جيداً في التوعية والإرشاد، وهنّ مثقفات ومتعلّقات. أعرف هذا الدور في أكثر من بلد، ولكن المشكلة هي قلة النساء المتعلّقات والمتقفات إسلامياً، وعليّنا أن نشجع النساء كما نشجع الرجال، خصوصاً في بلاد الاغتراب، حتى نستطيع أن نحفظ أولادنا، ونحفظ أنفسنا، والأجيال القادمة^(٢٧).

إحالات:

١. الهجرة والاعتراب - حوار فكري ثقافي سياسي اجتماعي في قضايا المغتربين ومشاكلهم مع سماحة السيد - صدر عن دار العارف/بيروت.
٢. تحديات المهجر - بين الأصالة والمعاصرة - إعداد: مصطفى الشوكي - صدر عن دار الملاك ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م. ويمثّل إجابات سماحته على أسئلة واستفتاءات المغتربين.
٣. فقه الحياة - الفصل الخاص بفقه المهجر - صدر عن دار العارف بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤. الندوة ج ١٠. (المحاضرات ١-٢-٣ حول الهجرة في تاريخ الإسلام

(٢٦) الندوة ج ١٠ ص ٦١٦.

(٢٧) م. ن. ص ٦٣٢.

ومفهومها الإسلامي وفي جانبها الشرعي (ص ٨٣-١٢٠).

٥. خطابات سماحته الموجهة إلى (جمعية الشباب المسلم في أميركا وكندا) منذ مطلع الثمانينيات وحتى الآن.

٦. ترجمة كتاب (الهجرة والاعتراب) النسخة الإنجليزية.

Islamic Lanterns

ترجمة: س. السامرائي - صدر عن دار الملاك بيروت.

ولله الفضل والشكر أولاً وأخيراً.

عادل القاضي

الولايات المتحدة الأميركية - ديربورن

٢٤ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

٢٤ نيسان ٢٠٠٦ م

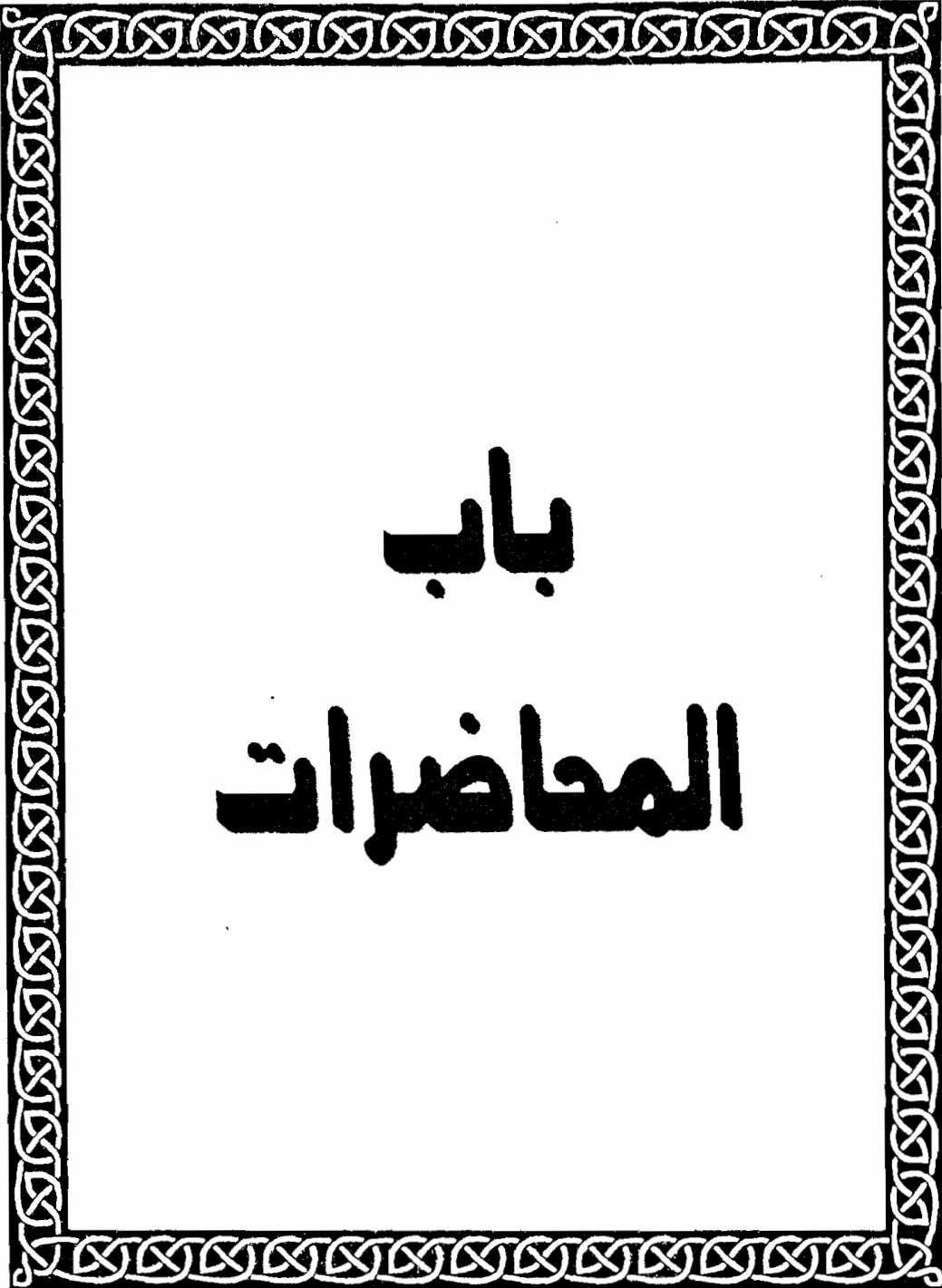
ملاحظة جديرة بالتنويه!!

لا يخفى على القارئ الكريم، أن إعداد (الندوة) في كتاب، يتطلب إعادة النظر في المطالب والصياغات، وربما المزيد من إثراء الإجابة، بما لم يسمح به وقت الندوة في حينه، وهذا ما يساهم به سماحته أيضاً في مراجعته، فإذا وجد القارئ في بعض النصوص شيئاً من التعديل أو الحذف أو الإضافة، مقارنة بالنصوص الواردة في كتب الندوة سابقاً، فذلك مما تقتضيه عملية الإعداد والمراجعة، ولاسيما أن صاحب الكلمة المنطوقة في منبر الندوة، هو صاحب الكلمة المكتوبة في كتاب (الندوة) . لذلك اقتضى التنويه.

(المعد)

جدول إحصائي بمسائل الندوة

المحاضرات	٣٠ محاضرة
المسائل القرآنية	٩٧
المسائل العقيدية	٦٤
المسائل الفكرية	٣٩
المسائل التربوية	١٠
المسائل الفقهية	٣٠٠
مجموع أسئلة ج ١٦	٥١٠



باب المحاضرات

الإيمان: تعميقه... درجاته... أفضله

الإيمان يمثل كوناً
واسعاً، ويتحرك في كل
سلوك الإنسان من خلال
هذا الانفتاح

❖ تعميق الإيمان

❖ درجات الإيمان

❖ أفضل الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في ما سبق عن الإيمان في كل عناصره وفي كل امتداداته، باعتبار أن الإيمان يمثل كونا واسعا يفتح على الله، ويتحرك في كل سلوك الإنسان من خلال هذا الانفتاح، ومن خلال مسؤولياته في الحياة بما يتصل بنفسه وبالناس كلهم.

تعميق الإيمان:

وفي القرآن الكريم حديث عن أن الإيمان يمثل حالة ازدياد في وجدان الإنسان إذا انفتح على أسبابه، وأن تلاوة القرآن تجعل الإنسان يزداد إيمانا عندما يعيش القرآن في كل آفاقه الروحية والثقافية. فنقرأ في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١)؛ فالنبي ﷺ عندما كان يتلو آيات الله على المؤمنين، كان المؤمنون يفتحون قلوبهم، ويحركون عقولهم وأرواحهم ومشاعرهم على الوحي النازل من الله على رسوله، فيتحسسون في هذا الوحي الفيض الروحي، تماما كما لو كانت السماء تنزل عليهم بالمطر، ولكن هذا المطر هو مطر الروح وليس مطر المادة. كانوا يتأملون في آياته، ويستمعون إليها بالوعي المؤمن والروح المفكر، فيطوفون معها في آفاق الحياة، ويخلقون من خلالها في رحاب الله، ويعيشون حركة المعرفة في مفاهيمها الشاملة؛ في تأملاتهم العميقة، وفي مشاهداتهم ونظراتهم المتنوعة، وكانوا يزدادون إيمانا بذلك.

وفي ضوء ذلك، نستوحي من هذه الآيات، كيف كان المؤمنون يفعلون بها، وأن علينا نحن الذين نقرأ القرآن ونتلو آياته، أن نعمل على أن يكون القرآن حركة في زيادة الإيمان. وهذا ما أرادنا الله أن نحصل عليه في تلاوتنا للقرآن؛ فالقرآن نور ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١)، والقرآن يضيء لهم ولا يحتاج إلى ما يضيء له. فإذا قرأتم القرآن فتدبروا آياته، وادرسوا مفاهيمه، وارتفعوا إلى آفاقه، حتى تتعرفوا عمق هذا الكلام الذي هو ليس كلام بشر، ولكنه كلام الله الذي يزيدكم إيماناً عندما يزيدكم معرفة وروحانية.*

ونقرأ في آية أخرى كيف كان المؤمنون يفعلون إيجاباً بالقرآن، وكيف كان المنافقون يفعلون به سلباً. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾ - مما يبين الله فيه للناس شرائعهم وكل مناهجهم ومما يركز لهم أوضاعهم ويخطط لهم حياتهم - ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾، إذا استمع إليها المسلمون وغير المسلمين، فإنهم يتساءلون: ما تأثير هذه السورة عليكم؟ وهل استطاعت بما فيها من جوانب المعرفة، أن تزيد من عمق الإيمان لديكم، وأن تمد لكم المعرفة في كل ما تشتمل عليه؟

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢)؛ لأنهم يرون أن الله تفضل عليهم بوحيه، وأن الله سبحانه وتعالى رحمهم بهذه الآيات التي تزيدهم معرفة إلى معرفتهم، وصواباً إلى صوابهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، وهم المنافقون الذين اتخذوا سبيل السخرية والاستهزاء بالرسول وبالقرآن ﴿فَرَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾، أي نفاقاً إلى نفاقهم،

(٢) المائدة: ١٦.

(٣) التوبة: ١٢٤.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤)؛ لأنهم عندما انفتحت عليهم هذه الآيات، انطلقت تعقيداتهم التي واجهوها بها رسول الله ﷺ في حركة النفاق التي سيطرت عليهم، فلم يعودوا يستطيعون أن يتلمسوا مواقع الغنى الفكري والروحي والعملي.

ونقرأ عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((إن الإيمان يبدو لمظة في القلب))، واللمظة بياض في جفلة الفرس السفلى من غير الغرة، ((كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة))، واتسعت. وفي رواية أخرى يقول عليه السلام: ((إن الإيمان يبدو لمظة بياض في القلب، فكلماً ازداد الإيمان عظماً ازداد البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضَّ القلب كله))^(٥). والبياض كناية عن النور الذي يفتح عليه القلب.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٦). ويفسر الإمام الباقر عليه السلام ((السكينة))، فيقول: ((السكينة هي الإيمان))، باعتبار أن السكينة تمثل حالة الطمأنينة الروحية التي يعيش فيها الإنسان روحانيته في آفاقه مع الله سبحانه وتعالى. وهذا ما نلاحظه في حديث الله عن رسوله ﷺ في ليلة الهجرة، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾^(٧)، يعني جعله الله سبحانه وتعالى يعيش هذه الطمأنينة الروحية، بحيث لا يخاف من أي شيء حتى لو كانت عناصر الخوف تحيط به، ولا يحزن على أي شيء يمكن أن يؤذيه وما إلى ذلك، ولا سيما في تلك المرحلة الخطيرة التي هاجر فيها من مكة إلى المدينة، والمشركون يلاحقونه ويقتفون أثره.

وفي مقام المقارنة بين المؤمنين والكافرين، نجد أن حالة السكينة هي طابع

(٤) التوبة: ١٢٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٨٣٦.

(٦) الفتح: ٤.

(٧) التوبة: ٤٠.

قلوب المؤمنين، بينما يعيش الكافرون في الحمية التي تمثل حالة فوران المشاعر، والتهاب الأحاسيس، والتي تحجب عن العقل وضوح الرؤية، وعن القلب سكينة الحركة، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا^(٨)﴾. وهذه السكينة هي التي لا بد لنا من أن نعمل لنعيشها، من خلال تعميق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والانفتاح عليه سبحانه، والعمل على القرب منه، حتى نشعر بأننا مع الله سبحانه وتعالى بكل هدوء وطمأنينة نفسية، فلا يفتربنا القلق عندما تصيبنا بعض مشاكل الدنيا، ولا يسقطنا الجزع عندما نواجه بلاءها وتحدياتها، بل نفتح على الله سبحانه وتعالى، لنشعر أنه هو الذي يمثل كل عناصر الحماية والرعاية والعناية والرحمة بنا.

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين بأنهم لا يمثلون درجة واحدة؛ لأن لكل مؤمن درجة معينة في المعرفة، وفي الروحية، وفي العمل، فيقول تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ^(٩)﴾، ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(١٠)﴾.

ونقرأ عن رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَعْلَى مَنَازِلِ الْإِيمَانِ - لِلْإِيمَانِ مَنَازِلَ، وَالنَّاسَ مَوْزَعُونَ فِي إِيمَانِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ، وَأَعْلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ - دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ؛ مَن بَلَغَ إِلَيْهَا فَقَدْ فَازَ وَظَفَرَ، وَهُوَ أَن يَنْتَهِيَ بِسِرِيرَتِهِ - أَي بِمَا فِي دَاخِلِهِ وَوُجْدَانِهِ - فِي الصَّلَاحِ إِلَى أَن لَا يَبَالِي لَهَا إِذَا ظَهَرَتْ، وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا إِذَا اسْتَتَرَتْ))^(١١)، بحيث يقف في الخط المستقيم المتوازن، فلا يخاف من أي شيء يمكن أن يتعبه أو يجهده أو يؤذيه، بل يبقى في حالة الاطمئنان التي لا يسقط معها أمام أي وضع من الأوضاع.

(٨) الفتح: ٢٦.

(٩) آل عمران: ١٦٣.

(١٠) الأنعام: ٨٣.

(١١) البحار. ج ٥٦، ص ٣٢٥، ح ٦٤.

درجات الإيمان:

ويقول الإمام الصادق عليه السلام، وهذه الكلمة من أروع ما فصل في درجات الإيمان، يقول: ((إن الإيمان عشر درجات)). قد يكون لديك خمس درجات، وقد يكون للآخر سبع درجات، وهكذا يختلف الناس في درجات الإيمان، بين من يملك الدرجات العليا، وبين من يملك الدرجات السفلى، وبين من يملك الدرجات الوسطى. كيف يتعامل هؤلاء مع بعضهم بعضاً؟ هل إن صاحب الدرجات العليا ينظر إلى صاحب الدرجات السفلى من فوق نظرة متكبرة ومتعالية؟ أم أن المسألة ليست كذلك؟

هذا الأمر نعيشه في حياتنا العامة بين من يختلفون في درجات العلم أو في درجات الزهد أو في درجات العمل. فالإيمان عشر درجات ((بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة))، أي درجة بعد درجة، ((فلا يقولن صاحب الإثنين لصاحب الواحد لست على شيء))، لأنني أعلى منك درجة، فأنت لا شأن لك ولا قيمة لك أمامي! ((حتى ينتهي إلى العاشر)) يعني أيضاً صاحب الثلاثة لا يقولن لصاحب الإثنين إنني أفضل منك، ولا صاحب الأربعة يقول ذلك لصاحب الثلاثة، إلى أن ينتهي إلى العاشر، ((فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك))، فكما أن هناك من هو أسفل منك، هناك من هو أعلى منك، فعليك أن تنظر إلى من هو أسفل منك برحمة وواقعية، وأن تنظر إلى نفسك أيضاً نظرة توازن؛ فهذا الإنسان ربّما لم تنهياً له الظروف ليصل إلى الدرجة التي وصلت إليها، وربما كانت له درجات في جانب آخر. أما إذا تحركت على أساس أن تسقط من هو دونك، وتحرك هذا الميزان في الواقع، فسيسقطك أيضاً من هو فوقك. فانظر إلى المسألة من خلال خط التوازن في هذا المجال.

ثم يقول الإمام عليه السلام، إن مسؤوليتك بالنسبة إلى الشخص الذي هو أقل درجة منك، ليست أن تستعرض عضلاتك أمامه، أو أن تنتفخ بشخصيتك أمامه، أو أن

تتكبر عليه أو تسقطه، ولكن مسؤوليتك هي أن ترفعه... يقول ﷺ: ((وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق)). ارفعه إليك بطريقة متوازنة علمية موضوعية، تلاحظ من خلالها قدراته وطاقته وظروفه، فتعمل على أن تحرك كل ذلك في سبيل رفع شأنه، وتعزيز قدراته، بالطريقة المناسبة، ((ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق، فتكسره)) يعني لا تحاول أن ترفعه دفعة واحدة بما لا يتحمل في قدرته الفكرية والاستيعابية؛ لأنك عندما تحمل شخصاً أكثر مما يحتمل، فمن الطبيعي أنك ستكسره لأنه لا يطيق ذلك.

ثم يقول ﷺ: ((فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره))^(١٢)، فإنك عندما تكسر المؤمن بأي وسيلة من الوسائل، فعليك أن تتحمل مسؤولية أن تجبر كسره؛ لأنه ليس لأي إنسان مؤمن الحرية في إسقاط الآخرين من المؤمنين في مواقعهم المعرفية الإنسانية، وإضعافهم في حركة التقويم الواقعي.

هذه هي تعاليم أهل البيت ﷺ، فأين نحن منها عندما يكسر بعضنا بعضاً، وعندما يتكبر صاحب الدرجة العليا منا على صاحب الدرجة السفلى؟! و

وعن الإمام الصادق ﷺ: ((المؤمنون على سبع درجات؛ صاحب درجة منهم في مزيد من الله عز وجل))^(١٣)، يعني أن الله لطف به وزاده مما أعطاه، وعليه أن يشكر الله على ذلك. وفي رواية أخرى عنه ﷺ: ((إن الله عز وجل وضع الإيمان على سبعة أسهم)) – أي سبع خصال – ((على البر))، يعني الخير للناس، ((والصدق، واليقين، والرضا))، بما قسم الله له ((والوفاء)) للناس ((والعلم، والحلم))^(١٤) في حركته في الحياة.

أفضل الإيمان:

وفي حديث رسول الله ﷺ: ((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما

(١٢) الكافي. ج ٢. ص ٤٥. ح ٢.

(١٣) البحار. ج ٤٧. ص ٢٤١. ح ١. ب ١٢.

(١٤) نفسه. ص ٣٢٥. ح ٣.

كنت))، يعني أن تشعر بحضور الله معك كما لو كان مرافقك، وفي الحديث: ((خف الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))^(١٥). وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله خلفه))^(١٦)؛ لأن هذا الإحساس بحضور الله معك في كل أمورك، يجعلك تراقب الله سبحانه وتعالى فيها، لتتقيه في كل ما أمرك به وفي كل ما نهاك عنه.

وعن رسول الله ﷺ: ((أفضل الإيمان أن تحب لله)) أن تحب هذا الإنسان أو ذاك الإنسان، لأن الله يحبه، ولأن الله يرضى عنه، ((وتبغض لله))، فلا تبغض لنفسك ولعقدتك، بل تبغض الإنسان لأن الله يبغضه، ((وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل)) في كل شيء وعلى كل حال، ((وأن تحب للناس ما تحب لنفسك))، فتساوي الناس بنفسك، وتعديل معهم كما تحب لهم أن يعدلوا معك، ((وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت))^(١٧)؛ فعندما تريد أن تحرك لسانك، حاول أن تحركه في الخير، وإذا لم تجد الخير أمامك، فعليك أن تصمت، لأن السكوت من ذهب، كما في المثل: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب).

وعن رسول الله ﷺ: ((أفضل الإيمان الصبر والسماحة))^(١٨)؛ لأن الصبر يجعلك تواجه الأمور بقوة، وتتغلب على نقاط الضعف في نفسك، بحيث إنها لا تسقطك، ولا تدفع بك إلى الجزع، وأن تعيش السماحة تجاه الناس، فتفتح لهم قلبك، وتوسع لهم صدرك.

وفي حديث آخر: ((أفضل الإيمان خلق حسن))^(١٩). وفي الحديث: ((أفضل

(١٥) البحار. ج ٣٣. ص ١٢٥. ح ٥. ب ١.

(١٦) نفسه. ص ٢٣٥. ح ٦.

(١٧) نفسه. ص ٢٣٢. ح ١٥.

(١٨) نفسه. ص ٩٠. ح ٣.

(١٩) نفسه. ص ٣٩٠. ح ١٦.

الإيمان حسن الإيقان^(٢٠)، أي حسن اليقين. وهكذا تمتد كلمات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام،
لتعرفنا ما هي آفاق الإيمان وما هي امتداداته، وللإسلام بقية إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين.

الإيمان: انطلاقته... حركته... دعائمه

لتتحول ولايتك لله، في معنى إيمانك
به، إلى تجسيد الولاية في واقع
حياتك، في ممارساتك ومشاعرك
والتزاماتك، بحيث تتحرك في موافقك
من الناس، في قربهم من الله وبعدهم
عنه، من خلال مسألة الإيمان
والالتزام العملي به

❖ انطلاقة الإيمان

❖ الإيمان العملي

❖ دعائم الإيمان

❖ الولاية لله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

انطلاقة الإيمان:

في خطوط الإيمان الروحية والعملية، روي عن رسول الله ﷺ قوله:
((الإيمان بضع وسبعون شعبة))، فهو يمتد في كل حياة الإنسان؛ في أوضاعها
الفردية والاجتماعية، وفي كلماته، وفي أفعاله وعلاقاته، ((فافضلها)) أي أفضل
هذه الشعب: ((قول لا إله إلا الله))؛ لأن هذه الكلمة تمثل انطلاقة الإيمان في آفاق
التوحيد؛ لأنها تجعل الإنسان يتأمل في كل الواقع الإنساني، ويفكر فيه، ويتابعه، في
كل ما يواجه به الناس أصحاب المواقع الكبيرة التي يخضعون لها، من حيث
تصورهم لهم في موقع الآلهة. وهذا ما نقله التاريخ عن فرعون الذي كان يدعي
الربوبية، وذلك على لسان القرآن الكريم: «الَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تُجْرِي مِنْ تَحْتِي»^(١)، فقد كان فرعون يعتبر أن ما يملكه من الثروات مبرر لأن
يكون هو الإله، ولذا كان يقول: «أنا ربكم الأعلى»^(٢)، وقد قال عنه تعالى:
«فاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ»^(٣)، حيث كان يعمل على أن يستغل هذه الثروة والسلطة
ليجعل قومه يخضعون له، ويستخفون أنفسهم أمامه، ويصدقون أنه الإله، خصوصاً
أنهم لا يملكون الثقافة العميقة الواسعة في مفهومهم للإله.

وكذلك كان هناك جماعة ممن يعيشون التخلف من خلال عبادتهم للأصنام،

(١) الزخرف: ٥١.

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) الزخرف: ٥٤.

فكانوا يعتبرونها آلهة، ومنهم مَنْ كان يعبدها بشكل مباشر، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تمثل الأسرار الإلهية. وهذا ما كان الأنبياء يواجهونه بنقد هذه العقلية المتخلفة، فكيف يكون إلهًا من لا يسمع ولا يبصر ولا يملك أي حالة من حالات الوعي، كما جاء في حوار إبراهيم النبي ﷺ مع أبيه: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»^(٤).

إن كلمة (لا إله إلا الله) توحى للإنسان بأن يقوم بجولة في كل التاريخ، وبجولة في كل الواقع الذي يضم هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم في مواقع الآلهة أو أنصاف الآلهة، ليتصور كل هؤلاء بصورتهم الحقيقية، سواء كانوا أحجاراً لا تملك أي شيء من الحياة، أو كانوا أشخاصاً يملكون بعض الثروات أو السلطات وما إلى ذلك؛ أن يتصورهم بحجمهم العادي، سواء كان هذا الحجم حجماً بشرياً في الأمور المحدودة التي يملكونها، أو حجماً حجرياً، ثم لينفيهم من اعتبار الألوهية في وجدانه الإيماني، بحيث لا يمثلون معه أي شيء أمام الله سبحانه وتعالى.

وهنا يندفع الإنسان، في تصوره لله سبحانه وتعالى، ليكون الله هو ربّه المطلق، المرتكزة ربوبيته على خالقيته التي لا يشاركه فيها أحد، ورازقيته التي ينقطع فيها العباد إليه، وقدرته غير المحدودة، وعلمه الذي لا حد له، وكل صفاته التي لا يدانيه فيها أحد.

ونشير هنا إلى الدور الذي تضطلع به سورة الإخلاص بالنسبة إلى تركيز مسألة التوحيد في وجدان الإنسان، وذلك من خلال عفويتها وبساطتها، والتي تنطلق في عقيدة التوحيد من عناصر الفطرة الإنسانية. قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ»، الذي يُصمد إليه، بمعنى: يرجع إليه في كل أمور الإنسان وحوائجه، «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ»، فهو تعالى لا يخضع لأي خصوصية من خصوصيات البشرية، فالبشر ولد من شخص آخر بعد أن كان عدماً، ويلد شخصاً

آخر انطلاقاً من أجواء اللذة والحاجة، ولكن الله هو الموجود الأزلي الأبدي السرمدي الغني، «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(٥)، أي لا يساويه أحد.

وهكذا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى وهو يصف نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٦)، ليعيش الإنسان تصوّر الألوهية من خلال تصور الله، بحيث إنه عندما ينطلق في وجدانه في كلمة التوحيد، فإنه يتصور الله من دون أن يتصور معه أحداً في أي جانب. وهذا هو الذي يمثل حقيقة الألوهية والربوبية. وبذلك، فإن كلمة (لا اله إلا الله) تمثل كل عمق الإيمان وكل امتداده؛ لأن الإنسان عندما يستغرق في معنى الله وفي صفاته وأسمائه، فإنه لا يجد هناك موقعاً يقف عنده، بل يمتد في كل امتدادات صفاته التي لا تقف عند حدّ.

الإيمان العملي:

((وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))، أي أنه من أقلّ صفات الإيمان، أن يتحرك الإنسان في الطريق التي يسلكها الناس، فإذا رأى ما يؤذيهم، مما يمنهم من حرية السير أو الراحة فيه، فإنه - من خلال أخلاقيته الإيمانية - يتحسّس إنسانيته، فيعمل على أن ينزع من الطريق كل ما يؤذي الناس، كما أن ذلك ينطلق من خلال إحساسه بالمسؤولية في أن يتحرك الناس بكل راحة وحرية.

وقد ذكرنا سابقاً، أن السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، مر بقبر يعذب صاحبه، ثم مر في العام القابل فرآه وقد رفع العذاب عنه، فاجى ربه الذي كشف عن بصره أولاً وأخراً، أن هذا الرجل كان يعذب في العام الماضي، ومن الطبيعي أن لا يعذب إلا من كان يستحق العذاب، فلماذا رفع العذاب عنه؟! تقول الرواية: فأوحى الله إليه، أنه نشأ له ولد صالح، فأوى يتيماً، وأصلح طريقاً، فغفرت له من أجل ولده.

(٥) الإخلاص: ١-٤.

(٦) الشورى: ١١.

ونحن نفهم من هذا، أن الجانب الاجتماعي في ما يجلب للناس الخير والراحة، حتى على مستوى إصلاح الطريق وإمطة الأذى عنه، أمر لصيق بالدين ومفاهيمه، وأن هذا الجانب الاجتماعي يجعل الإنسان مرضياً عند الله، فقد يرفع العذاب عنه به، أو عن والده، باعتبار أنه يمثل حالة صلاح في شخصيته الإيمانية الإنسانية.

ثم يتابع رسول الله ﷺ، فيقول: ((والحياء شعبة من الإيمان))^(٧)؛ لأن الحياء يمنع الإنسان من كثير من الأعمال السيئة التي لا يرضاها الله ولا يحبها الناس، مما يستحى منه في النظرة الأخلاقية العامة، سواء في المعاملات، أو العلاقات، أو الأخلاقيات.

وعن الإمام علي عليه السلام: ((الإيمان على أربعة أركان: التوكل على الله))^(٨)، بما يمثله التوكل على الله من إرجاع الأمور إليه سبحانه وتعالى؛ لأن المؤمن يختزن في داخل نفسه أن الله هو منتهى كل شيء، وهو المرجع لكل شيء، وأنه هو الذي يمكن أن يمنح الإنسان الأمن حيث لا يجد مجالاً للأمن، أو يهيئ له الأسباب بعد أن يكون قد استنفد الأسباب.

وقد ذكرنا أكثر من مرة، أن التوكل يختلف عن الاتكالية؛ فالاتكالية هي أن تترك نفسك من دون أن تخطط، ومن دون أن تعمل، وإنما تقف أمام ما تريده لتقول توكلت على الله قولاً من دون حركة، أما التوكل على الله، فهو أن تستنفد كل الأسباب التي بين يديك في كل المجالات التي تهتمك؛ في حفظ مالك، أو زراعة أرضك، أو ما تريد أن تصنعه من حاجاتك، أو ما تواجه به العدو في خططك للنصر؛ أن تستنفد كل أسباب ذلك، وتقف أمام ما يخبئه لك الغيب، لتقول لله: يا رب، لقد عملت كل ما عندي من الوسائل في سبيل تحقيق ما أريده، ووقفت الآن

(٧) البحار. ج ١٦. ص ٧٧. ح ٥٠.

(٨) نفسه. ص ١٠٢. ح ٦.

أمام الغيب الذي لا أملك أمره، إنني أتوكل عليك في ذلك كله؛ فإن ذلك كله في يدك.

((والتفويض إلى الله))، كما جاء في قوله تعالى: «وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»^(٩)، لتعتبر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهيئ لك من أمرك فرجاً ومخرجاً، ويرزقك من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب، ويحرسك من حيث تحترس ومن حيث لا تحترس، وهو الذي يتكفل لك - بقدرته ورحمته - بكل شيء، مما يصعب عليك تحقيقه، أو مما يمنحك أمانه في مواقع الخوف. ((والتسليم لأمر الله))، في كل ما يقضي به، وفي كل ما يحرك حياتك. ((والرضا بقضاء الله))؛ لأن الإنسان يعرف أن الله هو المهيمن على الأمر كله، وهو الذي يقضي في كل أمور الحياة، سواء من جهة سنن الله في الكون، أو من جهة سننه في الحياة الإنسانية، وأنه لا يقضي إلا بما يصلح الإنسان. فمن أخذ بهذه الأركان الأربعة، فقد جمع أسس الإيمان في عقله وقلبه، وفي حركته في الحياة.

دعائم الإيمان:

وعن الإمام علي عليه السلام: ((الإيمان على أربع دعائم: على الصبر))^(١٠)؛ لأن الإنسان الذي يصبر يستطيع أن يتماسك أمام الشدائد، ويتوازن أمام التحديات، ويستطيع أن يضبط على شهواته عندما تدعوه إلى الحرام، ويستطيع أن ينظم غرائزه لتتحرك في خط رضا الله، ويستطيع أن يقف بقوة أمام المصائب حتى لا ينكسر، وقد ورد في القرآن الكريم: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^(١١)، فالصبر يمثل موقع قوة ولا يمثل موقع ضعف؛ لأنه يمثل الانتصار على كل عناصر الضعف في شخصية الإنسان. وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((كل أعمال البر بالصبر يرحمك الله)).

(٩) غافر: ٤٤.

(١٠) نهج البلاغة، ص ٧٧٤، ك ٢٧.

(١١) لقمان: ١٧.

((واليقين))؛ لأن الإنسان الذي يعيش اليقين - بما يمثله اليقين من الوضوح في كل الأمور - في ما يعتقد، وفي ما يتحرك، هو إنسان مؤمن بلغ درجة عالية من الإيمان، لأنه لا معنى لأن يكون الإنسان مؤمناً إذا لم يكن على يقين مما يلتزمه في عقيدته الإيمانية، وفي خطه الإيماني. وبتعبير آخر، هو إنسان ينطلق من خلال الانفتاح على الحقيقة انفتاحاً كاملاً.

((والجهاد))؛ لأن الإنسان المؤمن هو الذي يعيش الجهاد مع ذاته، فيجاهد نفسه، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، والجهاد في مواجهة أعداء الله وأعداء الإنسانية الذين يعملون على إسقاط الإنسان في كل قيمه وفي كل أوضاعه. ((والعدل)) الذي هو أساس حركة الإيمان في نفس المؤمن، وفي سلوكه، وفي كل حياته؛ لأن الله أقام الرسالات كلها على أساس العدل.

وعن رسول الله ﷺ: ((الإيمان في عشرة: المعرفة))، فمن لا معرفة له، لا يستطيع أن يعي آفاق الإيمان وخطوطه وحركته في حياة الناس، لأن المعرفة هي التي تضئ للإنسان فكره، وتضيء له طريقه، والتزاماته، ومعاملاته وعلاقاته. إن المعرفة هي الضوء الذي ينير الإنسان في كل عناصر شخصيته، ليتحرك على أساس الضوء لا على أساس الظلمة، والجهل ظلمة فكرية وروحية وعملية.

((والطاعة))، فالمؤمن هو الذي يطيع الله في كل ما أمره به، وفي كل ما نهاه عنه. ((والعلم)) في ما يفتح به الإنسان على مفرداته، في اكتشاف أسرار الكون في خلق الله سبحانه وتعالى، وكل ما أفاض الله به على الناس مما ينظم أمورهم. والعلم، في كل مجالاته، هو الذي يكشف للإنسان كل ما يحتاجه في الحياة، مما ينظم أمره، ومما يصلح حياته. ((والعمل))؛ لأنه لا قيمة للعلم من دون عمل، فالعمل هو الذي يجعل من العلم تجسيدا حياً في الواقع كله.

((والورع)) عن محارم الله سبحانه وتعالى، فمن لا ورع له لا إيمان له؛ لأن الإيمان بالله يجعلك تخافه، ويجعلك تحبه، ويجعلك ترجوه، فيدفعك ذلك إلى الورع عن محارمه، والذي يمتدّ إلى مواقع الشبهة في الوقوف عندها احتياطاً للدقة في المسؤولية. ((والاجتهاد)) في تنمية طاقاتك وطاعة ربك.

((والصبر)) وقد مرّ الحديث عنه، ((واليقين)) بما يعنيه من الوضوح. ((والتسليم والرضا))، بقضاء الله. أمّا التسليم، فهو من أسس الإيمان؛ لأن التسليم لله هو عمق الإسلام وامتداداته، وقد قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٣)، وقد يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١٤). ((فأيها فقد صاحبه بطل نظامه))، يعني أنّه لا بد من أن تجتمع له كل هذه الأمور العشرة لكي تكتمل عناصر الإيمان، وإلا فإنه إذا فقد واحدة منها، يكون فقد انتظامه وتوازنه.

وعن الإمام علي عليه السلام: ((حسن العفاف، والرضا بالكفاف، من دعائم الإيمان))^(١٥)، أن تكون لديك العفة عن كل ما حرّمه الله سبحانه وتعالى، وقد ورد عندنا في حديث الإمام علي عليه السلام: ((أفضل العبادة العفاف))^(١٦)، يعني أن تعيش العفاف في حياتك، فلا تهجم على كل ما حرّمه الله سبحانه وتعالى، وقد ورد أيضاً في كلمة لعلي عليه السلام: ((ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن أو فرج))^(١٧)، عن أكل الحرام، وعن شرب الحرام، وعن ممارسة الحرام.

أمّا الرضا بالكفاف، فهو عبارة عن القناعة بما يلبي للإنسان حاجاته

(١٣) البقرة: ١٣١.

(١٤) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(١٥) البحار. ج ١٥. ص ٩٩. ح ٥.

(١٦) نفسه. ص ٨٠. ح ٣.

(١٧) البحار. ج ١٥. ص ٢٥٠. ح ١٢.

الطبيعية، وأن لا ينفتح على موارد الطمع. فإذا اجتمع له هذان الأمران، فإن ذلك يجعل للإنسان دعامتين من دعائم الإيمان، تقويان موقع إيمانه، ومن فقدهما، فإنه يفقد دعامتين من دعائم الإيمان، ويجعل إيمانه في معرض السقوط والانهيار.

الولاية لله:

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: ((أوثق عرى الإيمان: الولاية في الله، والحب في الله، والبغض في الله))^(١٨)، وذلك بأن تكون علاقتك بالناس منطلقة من علاقتك بالله، فعلاقتك بالله هي التي تركز لك أسس علاقتك بالناس؛ فتوالي أولياء الله، وتحب من يحبه الله، وتبغض من أبغضه الله. أن لا تفصل بين مشاعرك وعواطفك وأحاسيسك والتزاماتك في حياتك العملية الإنسانية، وبين إيمانك بالله، حتى لا تتحرك حالتك الشخصية في غير خطوط إيمانك، بحيث توالي من عادى الله، أو تحب من لا يحبه الله، أو تبغض من لا يبغضه الله سبحانه وتعالى.

وعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: ((قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟))، فلإيمان عرى يتمسك الناس فيها ويعتمدون عليها وهي كثيرة، فأبي عرى الإيمان التي إذا التزم بها الإنسان استطاع أن يشعر بالثبات والأمن من الزلزل والسقوط؟ ((فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة))، باعتبار أن الصلاة عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن رُدَّت رُدَّتْ ما سواها، ((وقال بعضهم الزكاة))، لأن الله قرنهما بالصلاة، وجعلها من الأعمال التي تزكي الإنسان وتطهره وتنمي طاقاته وترفع به إلى الله، كما تساهم في تكافل أبناء المجتمع، ((فقال رسول الله ﷺ: لكل ما قلتم فضل))، فصحيح أن للصلاة فضلاً، وللزكاة فضلاً، ((وليس به))، فكأن ما ذكره هو من التزامات الإيمان، وليس من عرى الإيمان بالمعنى الذي يتقوّم به الإيمان، ((ولكن أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله، وتولي أولياء الله، والتبري من أعداء الله))، أن يعيش فكرك،

وقلبك، وإحساسك، وشعورك، حضور الله، بحيث لا يغيب الله تعالى عنك في كل علاقاتك. فالعلاقات العاطفية هي الحب والبغض، فعليك أن تجعلهما في خط الله سبحانه وتعالى، ومرتبطين بعلاقتك بالله، والجوانب العملية أن تتولى أولياء الله، وأن تتبرأ من أعداء الله؛ لأنه لا معنى لأن تتولى أعداء الله وأنت تؤمن بالله، ولا معنى لأن تتبرأ من أولياء الله وأنت تلتزم بالله سبحانه وتعالى.

وخلاصة الفكرة: أن تتحول ولايتك لله، في معنى إيمانك به، إلى تجسيد الولاية في واقع حياتك، في ممارساتك ومشاعرك والتزاماتك، بحيث تتحرك في موافقك من الناس، في قربك منهم وبعدهم، من خلال مسألة الإيمان والالتزام العملي به.

وعن رسول الله ﷺ: ((أوثق العرى كلمة التقوى))، باعتبار أن التقوى تمثل التزامك بكل فرائض الإيمان وبكل التزاماته، أي الالتزام بكل ما أمر الله به، والابتعاد عن كل ما نهى عنه، باعتبار أن ذلك هو الذي يقربك إلى الله، وتحصل من خلاله على رضاه، والتقوى هي أن لا يجدك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك.

ونبقى في الحديث عن الإيمان في كل التزاماته في ما يأتي من حديث إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

الإيمان: أنواعه... حقائقه... تجسيده... مظاهره

الإيمان ليس مجرد فكرة طائفة
في الهواء تدخل إلى عقل
الإنسان، ولكنه يمثل كونا متنوعا
متعدد الأبعاد، مستمداً من معرفة
الله، ليتحرك في كل ما يعيشه
الإنسان في حياته على مستوى
عباداته، ومعاملاته، وعلاقاته،
ومواقفه

❖ أنواع الإيمان

❖ حقائق الإيمان

❖ تجسيد الإيمان

❖ مظاهر الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال في الحديث عن مفهوم الإيمان، في حركيته في وجدان الإنسان
المؤمن، وفي حركة الحياة، لأن الإيمان ليس مجرد فكرة طائرة في الهواء تدخل
إلى عقل الإنسان، ولكنه يمثل كونا متنوعا متعدد الأبعاد، مستمداً من معرفة الله،
ليتحرك في كل ما يعيشه الإنسان في حياته على مستوى عباداته، ومعاملاته،
وعلاقاته، ومواقفه.

أنواع الإيمان:

جاء في بعض الأحاديث، أن الإيمان ينقسم إلى مستقر ومستودع، ومن ذلك
ما روي عن الإمام علي عليه السلام: ((فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب،
ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة
من أحد فقفوه))؛ يعني: لا تستعجلوا في الحكم عليه، ((حتى يحضره الموت، فعند
ذلك يقع حدُّ البراءة))^(١). في هذه الكلمة، يؤكد الإمام علي عليه السلام، أن هناك إيماناً عندما
يدخل كيان الإنسان، فإنه يتعمق حتى يستقر في جذور الكيان الإنساني، بحيث
يصبح جزءاً من ذات الإنسان، فيتجسد فكرة في العقل، وعاطفة في القلب، وحركة
في الواقع، ذلك أن العقل ينطلق ليؤصل معرفته بإيمانه من خلال المعادلات التي
يقتنع بها، مما يقترب من المعادلة الرياضية التي تلنقي بالبداية.

وعندما يتحرك العقل في الواقع، فإنه يختزن التجربة، والتجربة تقود

الإنسان إلى الفكرة، لأنَّ التجربة تختلف عن التأمل، فالتأمل يعطيك النظرية، أما التجربة فتعطيك الأساس الفكري في واقعية النظرية. ثم ينطلق الإيمان ليمتظهر في حركة الإنسان في الواقع، في كلِّ الممارسات التي ترتبط بعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، فيما يفعل، وفيما يترك، وفيما يواجه على مستوى العلاقات العامة والخاصة. وبذلك يدخل الإيمان في كل موقع من مواقع الوجود الإنساني، فينمو ويقوى ويتأصل، ويعطي الإنسان تطوراً في مفرداته المعرفية. وبذلك يبقى الإيمان في عمق الإنسان، فلا يزول، تماماً كما تبقى أجزاء الإنسان الوجودية معه ما دام حياً؛ لأن الإيمان عندما يصبح جزءاً من الذات، فإنه يصبح جزءاً من وجود الإنسان، فلا يزول إلا بزوال الإنسان، وهذا هو الإيمان المستقر.

وهناك الإيمان المستودع والمُعار، وهو الإيمان الذي يظلَّ حائراً بين القلوب والصدور. والقلب هو العقل، وما في الصدور هو ما يتعلق بالإحساس والمشاعر. هذا الإيمان يظلَّ حائراً، وربما يدخل في عقل الإنسان، ولكنه قد يغيب عنه من خلال تحرك العاطفة، التي تجعل المسألة العقلية مسألة غير ثابتة. وهذا هو الإيمان المعار، الذي ربما يبدأ في حياة الإنسان من خلال الوراثة أو التقليد، فقد يقرأ شيئاً هنا، ويتعلم شيئاً هناك، ولكن يبقى إيماناً مهتزاً، لأنه لم ينطلق من أسس ثابتة ليكون جزءاً من الذات، بل يكون شيئاً طافياً على الذات، وطارئاً عليها.

وربما بسبب ذلك، نجد بعض الناس يبدأون مؤمنين، ولكنهم ينتهون كافرين، باعتبار أن الإيمان لم يدخل في ذاتهم، بحيث يتحوّل إلى جوهرية فيها، أو إلى حالة صلبة حديدية، بل يبقى شيئاً طارئاً، فإذا جاءت هزة هنا، وهزة هناك، وشبهة من هنا، وشبهة من هناك، سقط الإيمان، كأَيِّ شيء مستعار ليس له ثبات. وهذا ما يقوله الإمام علي عليه السلام في حديثه، أن لا تحكموا على أي إنسان بالبراءة إلى أن يحضره الموت، فإذا بقي إيمانه إلى حين أجله، فاعرفوا أن إيمانه مستقر، فإذا زال إيمانه قبل الموت، فاعرفوا أنه إيمان مستعار.

ومصدر الحديث الذي يتحدث به الأئمة عليهم السلام هو الله تعالى، كما جاء في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدي حديث رسول الله، وهو - أي حديث رسول الله - وحي من الله))^(١)، وقد نظم ذلك بعض الشعراء فقال:

أوالي أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري
ولذلك، فإن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا رواة، وإنما كانوا يعيشون كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، وكل ما قاله علي عليه السلام، وكل ما قاله الله تعالى في كتابه. ولذلك كان الإمام الباقر عليه السلام يقول: ((قال رسول الله))، حتى إنه عندما توفي الإمام الباقر عليه السلام، جاء شخص من غير الشيعة، ممن كانوا يقدّرون الإمام عليه السلام، فكان يقول في مقام التأسف، لقد فقدنا الشخص الذي كان يحدث من دون سلسلة سند. ومن هذا المنطلق، تنتفي مقولة إن لدينا مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في مقابل المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والحنبلي، والشافعي؛ لأن المذهب يمثل اجتهاداً في فهم الكتاب والسنة، والأئمة معصومون في عقيدتنا، وليسوا مجتهدين يخطئون ويصيبون كما يصيب المجتهدون ويخطئون.

حقائق الإيمان:

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام في بيان المستقر والمستودع: "فالمستقر الإيمان الثابت، والمستودع المعار". ما الذي يثبت الإيمان ويقوّيه، ويعمّقه ويؤصّله في النفس؟ هل يقتصر ذلك على الجانب الفكري فقط، بحيث إن الإنسان يواجه في تحدي إيمانه بعض الشبهات وبعض الإشكاليات التي ربما تهزّ إيمانه، وعندما يحلها يثبت إيمانه، أم أنه يتعدّاه إلى جوانب أخرى؟!

الإمام الصادق عليه السلام يركّز على الجانب العملي؛ لأن الإنسان يمثل وحدة

متكاملة، وليس عنصراً قابلاً للتقسيم، كأن يقول البعض في الإنسان مثلاً، إن فيه الجانب العاطفي، والجانب العقلي، والجانب العملي، فهذا لا يمثل انقساماً في الذات، ولكنه يمثل أبعاداً لها؛ لأنَّ الحالة الإنسانية - أو الجوهر الإنساني - تمثل قوّة واحدة، هذه القوة يتزّوج فيها العقل مع العاطفة، ويمتدّ في الحركة. ولذا نعبر عن الداخل الإنساني بمنطقة الوعي الداخلي، التي يتداخل فيها العقل في حركته، مع الفكر والإحساس والشعور، فالإحساس ليس مجرد نبضة قلب، بل هو الوعي في إحياءات الجسد والوعي للأشياء. وهذا ما نلاحظه في القرآن الكريم، الذي يتحدث عن كثير من حقائق الإيمان بأسلوب عاطفي تارةً، وأسلوب عقلي تارةً أخرى، ويمزج بين العاطفة والعقل في كثير من وسائله وأساليبه. ولهذا نقول، إنّ ممارسة الإنسان وحركيته قد تؤثر على ذهنيته.

لذلك، فالالتزام يقوّي إيمان الإنسان المؤمن؛ لأن الإيمان هو فكرة وقول وعمل، بينما عدم الالتزام يخرج الإنسان من إيمانه، أو يضعفه. وهذا ما عبّر عنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد سئل عما يثبت الإيمان في العباد والإنسان، قال: ((الذي يثبت فيه الورع))؛ أي الورع عن محارم الله؛ لأنّ هذا النوع من الالتزام، بترك كل ما حرّمه الله، وبفعل كل ما أوجبه، يجعل هناك تداخلاً بين الجانبين الفكري والشعوري والجانب العملي للإنسان، وبذلك، فإنه يجعل الإيمان وحدةً مناسبة منسجمة مع كل مواقع الإنسان في فكره، وعاطفته، وحركته.

ثمّ يقول عليه السلام: ((والذي يخرج منه))، أي يخرج من الإيمان ((الطمع))؛ لأن الطمع يجعل الإنسان لا يلتفت إلى مسؤوليته في التزاماته أمام الله تعالى، وأمام ما يقتنع به ويعيش فيه، بل يتحرّك مع شهوات الدنيا، وفي خط إسقاط نفسه أمام من يملكون ما يطمع فيه، وبذلك يبتعد عن معنى القيمة في الإيمان، ليتحرك في معنى الغريزة والشهوة وما إلى ذلك. وبذلك يكون الإنسان الطماع إنساناً لا يعيش المبادئ والقيم، بل يعيش حاجاته المادية، بشكل لا يحترم فيه حتى إنسانيته، لأنه يذلّ نفسه

لمن يحقق له بعض ما يطمع فيه. وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((الطمع رُقٌّ مؤبد))^(٣)، لأنَّ الطمع يجعل الإنسان عبداً للإنسان الآخر، أو عبداً لشهواته، أو عبد ذاته، بحيث يستمر معه إلى كلِّ حياته.

تجسيد الإيمان:

وعن الإمام الصادق عليه السلام، في الحديث عمَّا يثبت الإيمان: ((من كان فعله لقوله موافقاً))؛ يعني لم تكن هناك مسافة بين الفعل وبين القول لديه، بل كان الفعل تجسيدا للقول، على حسب ما قاله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤)؛ لأنَّ قيمة القول إنما هي بمقدار ما يعبر عمَّا يعيشه الإنسان في كيانه من التزاماته الإيمانية، ولذلك، فإذا خالف القول الفعل، فمعنى ذلك أنَّ الإنسان خالف نفسه، وخالف ذاته، وخالف التزاماته، ((فأثبت له الشهادة بالنجاة))، أي إذا كان فعل الإنسان موافقا لقوله، فاشهد بأنه سوف ينجو في الآخرة برضوان الله سبحانه وتعالى، وأنه سينجو من غضب الله تعالى، ومن النار.

((ومن لم يكن فعله لقوله موافقا، فإما ذلك مستودع))^(٥)؛ فهو لا يمثل الإيمان الثابت، لأنه لو كان إيمانه ثابتا، لبان ذلك في فعله، وفي كل أوضاعه، وفي كل علاقاته ومواقفه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ هو العدل))؛ الذي يعطي الإنسان حقه، فيما يقوده إلى النجاة وإلى السعادة، وإلى الحصول على رضوانه، ((إنما دعا العباد إلى الإيمان به لا إلى الكفر))، لأنَّ الإيمان به هو الحقيقة، وهو الذي يمنهج للإنسان كل ما يجلب له الخير والسعادة والرضوان، ((ولا يدعو

(٣) نهج البلاغة، ص ٨١٧، ك ١٧٠.

(٤) الصف: ٢-٣.

(٥) الكافي، ج ١، ص ٤٥، ح ٥.

أحداً إلى الكفر به))؛ لأن الكفر بالله تعالى لا يمثل الحقيقة، بل يمثل الباطل، ولا يمكن أن يدعو الله تعالى إلى الباطل، «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ»^(٦). ((فمن آمن بالله، ثم ثبت له الإيمان عند الله))، أي استقر إيمانه فيما أوحى الله إليه به، من خلال معرفته بالله سبحانه وتعالى، وانفتاحه عليه، والعمل على القرب منه، ((لم ينقله الله عز وجل بعد ذلك من الإيمان إلى الكفر))^(٧)، فإذا عرف الله تعالى منه أنه يعيش إيمانه بكل عمق وإخلاص وصدق، فإن الله تعالى يثبت على الإيمان، ويطرده عنه كل وساوس الشيطان، وكل تسويلاته.

وعن الإمام علي عليه السلام في كلامه لصاحبه (كميل): ((يا كميل، إنما تستحق أن تكون مستقراً))، أي مستقراً في إيمانك، ثابتاً فيه، ((إذا لزمَت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج، ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه، وما هديناك إليه)). فهو يقول: إنما يستقر إيمانك إذا سلكت الطريق المستقيم، هذا الطريق الذي ندعو الله في صلاتنا أن يوفقنا للسير فيه: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»^(٨). والمغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق وجدوه، والضالون هم الذين تاهوا عنه، فلم يعرفوا الحق من الباطل. يقول الله سبحانه وتعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»^(٩)، «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١٠)، «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَّلُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي

(٦) لقمان: ٣٠.

(٧) الكافي، ج ٢، ص ٤١٦، ح ١.

(٨) الفاتحة: ٦-٧.

(٩) الأنعام: ١٥٣.

(١٠) الأحقاف: ١٣.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ* نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ^(١١).

وقد تحدّث الإمام علي عليه السلام كثيراً في (نهج البلاغة) عن الاستقامة، وقد خاطب أصحابه: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...»، فاستقيموا))^(١٢).

وفي الحديث السابق، يقول عليه السلام لكميل، إذا أردت أن يثبت إيمانك ويستقرّ، فالزم الجادة الواضحة، والجادة الواضحة هي الجادة المستقيمة، التي يعرف سالكها بدايتها من نهايتها، والتي لا تخرجك إلى طريق معوج، ولا تبعدك عن منهج علمناك إياه وبيّناه لك.

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام، في ما ذكره في بعض المفردات في علاقة الإيمان بالعمل، يؤكد هذه القاعدة فيقول: ((لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل، والعمل منه))؛ لأنّ الإيمان ليس مجرد فكرة في العقل، ونبضة في القلب، ولكنه خط عملي لا بد للإنسان من أن يأخذ به، فالعمل جزء من الإيمان، وليس مجرد مظهر له فيما هي المظاهر التي ترتبط بالشكل أكثر من ارتباطها بالجوهر.

مظاهر الإيمان:

وعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: ((إِنَّ اللَّهَ جَبَلُ النَّبِيِّينَ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ))، أي أنّه ركز في نفوسهم المعرفة والقيم، وركز في حياتهم الاستقامة، وجعل كل هذه العناصر التي تجمعها العصمة في الفكر، والعصمة في العاطفة، والعصمة في الحركة والحياة، جعلها متلازمة، ((فلا يرتدون أبداً))، أي لا ينفصلون عنها ولا يرجعون عنها أبداً، ((وجبل الأوصياء على وصاياهم، فلا يرتدون أبداً))، لأن دور

(١١) فصلت: ٣٠-٣٢.

(١٢) نهج البلاغة. نصائح للناس. ص ٣٩١.

الوصي هو الدور العملي في خط النبوة، فهم ليسوا أنبياء، ولكنهم يكملون مسيرة الأنبياء، ويصلحون ما أخطأ الناس في ما تركه الأنبياء. ولذلك نقول: لا بد لكل نبي من وصي، ولا بد من إمامة تتحرك من أجل تصحيح ما أخطأ الناس فيه، وتقويم انحرافهم، ((وجبل بعض المؤمنين على الإيمان، فلا يرتدون أبداً، ومنهم من أعير الإيمان عارية))، كما يستعير الثوب، أو الكتاب، أو المسكن، أو ما إلى ذلك، ((فإذا هو دعا وألح في الدعاء، مات على الإيمان))، يعني إذا انطلق بهذا الإيمان، ودعا الله سبحانه أن يثبتته، وترك كل ما يصرفه وينحرف به عن الإيمان، فإنه سوف يموت على إيمان، لأنه سوف يؤسس الإيمان في نفسه، وفي كل حركته في الحياة.

أما كيف يتذوق الإنسان طعم الإيمان، فعن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه ذاق طعم الإيمان؛ من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله))^(١٣)، فهو يحب الله ورسوله كما لا يحب أحداً، وهذا ما ركزه القرآن الكريم في مسألة محبة الله سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ إِندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١٤)، وفي ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن رسوله: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١٥)، فاتباع النبي هو مظهر محبته؛ ومحبته هي ولايته والسير على سنته، وهذا هو مظهر محبة الإنسان لله، فهما - أي محبة الله واتباع الرسول - متداخلان، ((ومن كان أن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه))، يعني لو خیر بين الارتداد عن الدين، والخروج منه، والكفر بالله، وبين أن يحرق بالنار، لاختار الإحراق بالنار على ذلك، لأن دينه أعز عليه من حياته ومن نفسه، ((ومن كان يحب لله ويبغض لله))^(١٦)، أي أنه

(١٣) البحار. ج ٥٦. ص ٣٢. ح ١.

(١٤) البقرة: ١٦٥.

(١٥) آل عمران: ٣١.

(١٦) البحار. ج ٥٦. ص ١٢٥. ح ٥.

عندما يحب، فإنه يحب لله، لأنّ الذين يحبهم هم القريبون لله والسائرون في خطه، كما أنه عندما يبغض، لا يبغض لشيء ذاتي، وإنما يبغض الذين يتحركون في خط الكفر بالله.

وعنه: ((ثلاث من كن فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما))، وقد تعرّضنا لهذا المعنى في الحديث السابق، ((وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله))، بحيث تكون محبته منطلقة من خلال علاقة الإنسان بالله، ((وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))، بمعنى أنه لو خطر في ذهنه أن يعود إلى الكفر من خلال بعض الشبهات والإشكالات، أو من خلال بعض الوسوس والتسويلات، فإنه يكره العودة إلى الكفر، لأنه يعرف في ميزان العقل والعمل ما يعنيه الكفر من السقوط، بحيث تكون كراهته للارتداد كما يكره أن يلقى أو يحرق في النار.

وعنه: ((ثلاث من فعلهنّ فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله))، وتلك هي دعوة الأنبياء، ((وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه))، بحيث إنه عندما يعطي الزكاة التي كلفه بها الله، فإنه يعطيها قربة إلى الله تعالى، ومحبة له تعالى، ورضى بما عنده، على أساس أن الله هو الذي رزقه، ((وزكى نفسه))، أي طهر نفسه ونمّاها وجعلها زاكية طاهرة، تتصل بالله تعالى وترتبط به.

وعنه: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً))، وهو الذي التزم التزاماً عميقاً بالإسلام، أن ربه هو الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الإسلام هو دينه الذي يلتزم به، والذي يعيشه في كل حياته.

وببقى لنا حديث آخر حول تفاصيل الإيمان.

والحمد لله ربّ العالمين.

الإيمان: صدقه... مواصفاته... أساسه

يَتَذَوَّقُ حلاوة
الإيمان مَنْ
يَعِيشُ اللذة
الإيمانية في
إحساسه
الروحيّ وفي
وجدانه الإنسانيّ

❖ الصدق شعار المؤمن

❖ خصال المؤمن

❖ أساس الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تنمة للحديث السابق، نتابع قراءة النصوص التي وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، وكان الحديث عن الإيمان وحلاوته، فلنتساءل: كيف يتذوق الإنسان طعم الإيمان، بحيث يجد حلاوته في روحه، ولذته في إحساسه وشعوره، من خلال امتزاجه بعناصره الذاتية، كما هو الطعام الشهى الذي يحس به في لعقات لسانه؟!

الصدق شعار المؤمن:

ففي حديث الإمام علي عليه السلام: ((لا يجد عبدٌ طعمَ الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده))، لأن الصدق يرادف الحق، باعتبار أنه يلتقي مع واقع الفكرة والحياة، والإيمان يلتقي بهما من حيث التقاؤه بالله الذي هو الحق، بينما يرادف الكذب الباطل، مما يلتزمه الكذّابون الذين ينحرفون عن خط الحقيقة ويشوّهون صورة الواقع.

وفي ضوء ذلك، فإن رفض الكذب يعني الالتزام بالحق، والأخذ بالتقوى أمام الله، بحيث يتذوق الإنسان بمشاعره إرادة الرفض للجانب السلبي من السلوك في علاقته بذاته وبالأخرين وبالحياة.

وإذا كان البعض من المؤمنين يستسيغون الكذب في حالة الهزل والمزاح، ويبررونه بأنه - من خلال طبيعة الجو الهزلي الذي يحيط بالكلمة الصادرة من المتكلم - لا يؤكد الباطل في العمق في صورة الواقع، فإن الإسلام يهدف إلى الأخذ

بالصدق حتى في هذه الحالة، لأنه لا يريد للمؤمن أن يمارس الكذب حتى في الشكل بعيداً عن المضمون، لنلا يمتد ذلك في سلوكه إلى حالة الجد.

إن الإمام علي عليه السلام يريد للمؤمن في تذوقه لإيمانه في جانب الفكر والعمل، أن يكون الصادق في كل حالاته، حتى في حالة المزاح التي ليست مرفوضة من حيث المبدأ، ولكن على أن لا تتحرك بعيداً عن صورة الحق، لأن الإسلام يريد للإنسان أن يصدق في الجو والشكل والمضمون.

خصال المؤمن:

وفي حديث الإمام علي عليه السلام: ((لا يجد عبد طعم الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه، وأن الضرر النافع هو الله عز وجل)).^(١)

إن هذا الحديث يؤكّد فكرة القضاء والقدر التي تنطلق من حركة السنن الكونية في النظام الكوني، والسنن التاريخية في النظام الإنساني، مما لا يركز على الجبر وإلغاء إرادة الإنسان في اختياراته الطبيعية فيما يختار فعله أو تركه، مما يدخل في عالم الأسباب والنتائج في السلبيات والإيجابيات، فإذا تمت العناصر التي تؤدي إلى الفعلية في تحقق الواقع في الحياة، فإنه سوف يحدث حتماً، وإذا لم تتم، فلا يمكن أن يتحقق، بفعل علاقة المسببات بالأسباب، والنتائج بالمقدمات.

وفي ضوء ذلك، فإن الإيمان يوحى للإنسان بأن الله وراء ذلك كله، بشكل مباشر في الواقع الكوني للنظام، وبشكل غير مباشر في واقع إرادة الإنسان في اختياراته العادية، لأن الله هو المهيمن على الأمر كله، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ

(١) الكافي. ج ٢. ص ٥٨. ح ٤.

يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢). ولعل هذه الكلمة توحى بالمضمون الذي عبرت عنه الآية الكريمة: «لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^(٣)، التي فسرها الإمام علي عليه السلام بقوله: ((أما بعد، فبان المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه))^(٤).

وعن الإمام علي عليه السلام: ((لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان، حتى يكون فيه ثلاث خصال؛ الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التقدير في المعاش))^(٥). إن تأثير الإيمان في شخصية المؤمن، ينتج في حياته حالة من التوازن في الوعي والتماسك والتدبير، فإذا كان متفهماً في الدين، في نطاق الآفاق المعرفية المفتوحة على الله والرسول واليوم الآخر، والثقافة الشرعية والمنهجية في عمق المفاهيم وامتداداتها في منطقة الوعي الداخلي، أمكنه أن يعيش الإيمان في حقيقته الفكرية والروحية والعملية، بحيث يتحسس في وجوده الذهني والحركي، وإذا كان يلتزم الصبر على المصائب، باعتبار أنها من شؤون الواقع في سلبياته التي تصيب الروح والجسد والأوضاع العامة والخاصة، مقارنة بالمحدودية التي تحيط بالإنسان في عمره وفي خضوعه للنظام الكوني والإنساني، فإنه يبقى في حالة من التماسك تجعله يواجه الموقف بدراسة واعية للظروف والأسباب التي أدت إلى ذلك، باعتبارها مظهراً للطبيعة الواقعية للحياة في سلبياتها وإيجابياتها، فيعالجها بالوسائل المتاحة لديه، وبالعزيمة القوية في صلابة الإرادة. وهذا ما عالج القرآن بالطريقة الروحية والقوة الإرادية الإنسانية، وبالطريقة التي لا يسمح للمصائب أن تسقط موقفه، أو تزلزل مواقفه، أو تنحرف به عن خط التوازن في السلوك، وهذا ما جاء في قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ»^(٦).

(٢) يونس: ١٠٧.

(٣) الحديد: ٢٣.

(٤) نهج البلاغة، ص ٧٥٢، ك ٦٦.

(٥) البحار، ج ١، ص ٢١٠، ح ٤.

(٦) البقرة: ١٥٥-١٥٦.

أما حسن التقدير في المعاش، فلأن التوجيه الإسلامي في الإنفاق الشخصي، ينطلق من تخطيط الإنسان الاقتصادي الذي يوازن بين حاجاته وإمكاناته، ورفض الإسراف والتبذير، والتحرك على أساس دراسة أوضاعه من خلال الظروف المحيطة به. ولعلّ هذا ما أشار إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديثه عن المؤمن بأنه ((جيد التدبير لمعيشته، لا يلدغ من جحر مرتين))^(٧)، لأنه يستفيد من التجربة الفاشلة، فلا يكرّرها ليدخل في فشل جديد. إننا نفهم من ذلك، أن الإيمان يوحى للمؤمن بالانفتاح المتوازن على الحياة بكل عناصرها المعنوية والمادية، ليكون الإنسان الطبيعي الذي يعيش حياته على ضوء حاجاته الحيوية.

أساس الإيمان:

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أربع لم يجد رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بهن: أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق...))، لأن هاتين الكلمتين تمثلان أساس الإسلام في مضمون التوحيد، وحركية الرسالة في امتداداتها في الإسلام، والتي يتفرع عنها الالتزام بالشريعة والمفاهيم الإيمانية العامة.

((وأنه ميت، ثم مبعوث من بعد الموت))، لأن الإيمان بمحدودية أجل الإنسان الذي ينتهي به إلى الموت، ثم البعث من بعد الموت إلى الدار الآخرة، هو جزء من العقيدة، وذلك قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ»^(٨). ((ويؤمن بالقدر كله))، لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً، وهو المهيمن على الأمر كله، فلا يحدث أي شيء إلا بإرادته وأمره وتقديره حسب سنته في الوجود.

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله: ((لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب ويبغض لله))، لأن ذلك هو علامة استغراقه في الإخلاص لله، بحيث تتحرك مشاعره السلبية

(٧) الكافي. ج ٢. ص ٢٤١. ح ٣٨.

(٨) العنكبوت: ٥٧.

والإيجابية في خط علاقته الإيمانية بالله، لأنها هي التي تحدد له التزاماته الروحية والعاطفية، ((فإذا أحبَّ الله وأبغض الله، فقد استحقَّ الولاية من الله)). وهذه هي الدرجة العليا التي تجعله من أولياء الله، ومن الخاضعين لولايته، حيث ينال من فيض المحبة الإلهية والرضوان الربوبي، لأن ولاية الله هي فوق كل ولاية.

أما الذي لا يتذوق حلاوة الإيمان، لأنه لا يعيش روحيته ولا تطلعاته، ولا يتحرك في مسؤولياته، فهو الإنسان الذي يعيش الخواء الروحي، والفراغ الإيماني، والضيايق النفسي. فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من كان أكثر همه نيل الشهوات، نزع من قلبه حلاوة الإيمان))، لأنه أخذ إلى الأرض، واتبع هواه، وأثر الحياة الدنيا، ونسي ربه، وانفتح على ملذاته وشهواته كغاية لحياته، وكهدف لكل حركته. وبذلك لا يجد للإيمان معنى في ذاته، من خلال بعده عن الله، وانحرافه عن خط التوازن في النظرة إلى مسؤوليته في الخط المنفتح على الدنيا من جهة، وعلى الآخرة من جهة أخرى، لأن الاستغراق في الشهوات، يجعله متعبداً للجانب السلبي من غرائزه، بالدرجة التي لا يبصر معها أي قيمة إنسانية تسمو به، فيبقى ذلك في الدُّرَجَات السفلى.

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: ((لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه، حتى لا يبالي من أكل الدنيا))^(١)، لأن الدنيا ليست هي الغاية في قيمتها المادية. ولذلك، فإنه لا يعطي الأهمية في نظرته إلى الآخرين من حوله فيما يملكون من الثروة والجاه والشهوة، لأن ذلك لا يمثل القيمة الروحية لديه مما يستهدفه منها، فهو يعتبرها مجرد حاجة حياتية تسد رمقه، وتحقق له شروط حياته، وليست هدفاً

يستهدفه ويسعى إليه في ميزان الطموح الروحي، على هدى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ليكون حصوله عليها من أجل القيام بمسؤوليته في الحصول على رضا الله من خلال الإحسان إلى الناس، في مقابل إحسان الله إليه ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١٠).

وبذلك يذوق حلاوة الإيمان، لأنه يعيش اللذة الإيمانية في إحساسه الروحي، وفي وجدانه الإنساني. وهذا هو الذي نستوحيه من حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا))^(١١)، لأن الزهد في الدنيا يوحى للإنسان بأن الدنيا لا تمثل لديه معنى القيمة، وهدف الطموح، بل تبقى مجرد حاجة ذاتية لاستمرار عيشه، فيملك الحرية الإنسانية في القبول والرفض لأي شيء بشكل طبيعي، بلحاظ انسجام ذلك كله مع مبادئه الإيمانية، فيلتذ بهذا الإحساس الروحي، وينفتح على حلاوته الروحية.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يجد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره))^(١٢). لأنه يعيش في هذا الإيمان السكينة النفسية، والطمأنينة الروحية، والاتزان العقلي، من خلال وعيه بأن الحياة خاضعة في حركتها الوجودية للتقدير الإلهي، في القوانين التي تحكم مسارها الطبيعي الذي يمتد بالحكمة والاستقرار، فلا يخضع للقلق النفسي فيما يقبل عليه من الأحداث والأوضاع، لأن الله الرحمن الرحيم الحكيم القادر العليم بمصالح عباده في وجودهم الحركي، هو الذي يقدر لهم حركتهم في الواقع، ومصيرهم في نهاية المطاف، فيما يعيشونه أو فيما يختارونه.

(١٠) القصص: ٧٧.

(١١) الكافي. ج ٢. ص ١٢٨. ح ٢.

(١٢) البحار. ج ٢٢. ص ٣١٦. ح ١.

وبذلك يجدون حلاوة الإيمان في نطاق العقل الذي يفكر، والإحساس الذي يتفاعل، والشعور الذي ينفث على معاني الروح.
والحمد لله رب العالمين.

مُخرجات الإنسان من الإيمان

إن خصوصية الكفر في
الالتزام الفكري، هي أن يلتزم
في ذهنيته بالفكرة التي
تخالف الحق وتبتعد عن
الإيمان، لأن ذلك يوحي بأنه
لا يملك الانفتاح على الحقيقة
في التزاماته الثقافية

❖ ما يخرج الإنسان من الإيمان

❖ التعاليم الشرعية والإرشادية للمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ما يخرج الإنسان من الإيمان

ما الذي يخرج الإنسان من الإيمان؟

جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أن العبد: ((يخرج من الإيمان بخمس جهات من الفعل، كلها متشابهات معروفات)).

هذه الجهات هي: ((الكفر))، الذي يزيل القاعدة الإيمانية في وجود الله وفي توحيده، وفي النبوة في خط الرسالة واليوم الآخر. ((والشرك)) في إنكار التوحيد لله بالإشراك به غيره، ((والضلال)) بالانحراف عن الخط المستقيم في العقيدة والشرعية. ((والفسق)) الذي يتجاوز فيه الإنسان حدود الله في الأعمال والأقوال والعلاقات، بحيث يخرج بذلك من الانفتاح على المسؤولية الإيمانية في الطاعة والعبادة. ((وركوب الكبائر))^(١)، باعتبارها المعاصي التي لا تنسجم مع خط التقوى الذي لا بد للمؤمن من السير عليه، والأخذ بما يفرضه من الوقوف عند حدود الحرام مما نهى الله عنه.

وفي الحديث عنه عليه السلام: ((أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان، أن يؤاخي الرجل على دينه، فيحصى عليه عثراته وزلاته ليعتقه بها يوماً ما))^(٢)، أي ليعيره بها يوماً ما.

(١) البحار، ج ٦٨، ص ٢٧٨، ح ٣١.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ١١٥، ح ١١.

إن علاقة المؤمن بالمؤمن مرتكزة على أساس رابطة الأخوة الإيمانية التي عقدها الله بين المؤمنين في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(٣)، بما تفرضه هذه الأخوة من السلوكيات الأخلاقية الإنسانية التي أكدها الإسلام في منهجه الأخلاقي، الأمر الذي يجعل المؤمن أميناً على حياة أخيه المؤمن، وعلى كرامته في أوضاعه العامة والخاصة، ومحافظاً على ما يطلع عليه من أسرار الخفية وعيوبه المستورة، فلا ينطلق في علاقته معه من موقع النية السيئة، ليستغل ذلك في القيام بعملية إحصائية لعثراته وزلاته، ليسجلها عليه في ذاكرته أو في دفتره، حتى إذا تحولت العلاقة الأخوية إلى علاقة مضادة سلبية، استذكر ذلك في عملية إثارة تشهيرية في التعريض به بين الناس، أو في تعييره، أو في تعنيفه ومواجهته بالإساءة من خلال إبراز تلك العثرات والزلات، الأمر الذي ينحرف بالالتزام الديني الإيماني عن قيمته الروحية وموقعه الشرعي، فيخرج بذلك من الإيمان، ويبتعد عن العنصر الشرعي من جهة، والجانب الإنساني من جهة أخرى.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلق لهم))^(٤).

إن من أصول الأخلاق الإيمانية، أن يحفظ المؤمن أخاه المؤمن من خلال حفظ إنسانيته بين الناس، فلا يستغل نقاط ضعفه التي قد تتمثل في فلتات لسانه، فيحولها إلى فضيحة أخلاقية بهدف إسقاطه في المجتمع، فإذا صدر منه شيء من هذا القبيل، فإن ذلك يوحى بخروجه من الإيمان، واقترابه من الكفر في مظهره العملي، لأن للكافر أخلاقيته العدوانية تجاه الآخرين، ولا سيما من المؤمنين، التي تختلف عن أخلاقية المؤمن الحافظة للعلاقات الإنسانية.

وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد سئل: ما أدنى ما يكون به

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) البحار، ج ٧٥، ص ٣٦٥، ح ٧٧.

العبد كافر؟ قال: ((أن يبتدع به شيئاً، فيتولى عليه، ويبرأ ممن خالفه))^(٥). إن خصوصية الكفر في الالتزام الفكري، هي أن يلتزم في ذهنيته بالفكرة التي تخالف الحق وتبتعد عن الإيمان، لأن ذلك يوحي بأنه لا يملك الانفتاح على الحقيقة في التزاماته الثقافية. وهذه أول درجة من درجات الكفر الذي يركز على رفض عناصر الإيمان في الأمور كلها، لأن من يرفض بعض الحقيقة، سوف يمتد به الموقف إلى رفضها كلها...

ونلتقي - في هذا المفهوم - بحديث آخر للإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد سئل: ما أدنى ما يصير به العبد كافر؟ فقال: ((أن يقول لهذه الحصاة إنها نواة ويبرأ ممن خالفه على ذلك))^(٦). إن القضية هي أن يتغير تصوره للواقع، فيلتزم بعكسه في التزامه الذاتي، ما يوحي بأنه لا ينفتح، في مفهومه عن الأشياء، على العنصر الحقيقي لها، بل يعيش الانقلاب في الصورة الواقعية، ما يفسح في المجال لإعطاء الانطباع بأنه ليس متوازناً في نظرته إلى الأمور، بما في ذلك الخطوط الإيمانية التي لا يملك معها الشخصية المتوازنة التي تدقق في عناصر الفكرة وامتداداتها، فيكون أقرب إلى الكفر وأبعد عن الإيمان.

إن القضية ليست قضية خصوصية الفكرة في علاقتها بقضية الكفر والإيمان في المضمون العقدي، بل في الخلفية الثقافية التي تلتزم بالصورة العكسية للواقع في أسلوب التفكير ونتائجه في عقيدته التصورية، لأن المطلوب من الإنسان المؤمن، الانفتاح الدقيق على الحقيقة في مصادرها ومواردها، والبعد عما يخالفها.

وفي حديث آخر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان، أن يجلس إلى غال، فيستمع إلى حديثه، ويصدقه))^(٧).

(٥) البحار. ج ٢. ص ٣٠١. ح ٣٣.

(٦) نفسه. ح ٣٤.

(٧) البحار. ج ٥. ص ٨. ح ٩.

إن الالتزام الصادق للمؤمن، يتمثل في رفض كل ما يتنافى مع العقيدة الإيمانية، ومن ذلك، رفض الغلو في الدين، في خطوطه السلبية المناهية للتوحيد الإلهي، بإعطاء المخلوقين من الأنبياء والأئمة والأولياء صفات الخالق في العلم والقدرة والخلق والموت والحياة، مما درج الغلاة على الاعتقاد به، والالتزام بمضمونه، مع بعض الإضافة إلى ذلك بأنه بإذن الله. فإذا جلس المؤمن إلى بعض هؤلاء الغلاة، واستمع إلى أحاديثهم في الغلو، وصدّقهم في ذلك، كان موافقاً لهم ومنسجماً مع أفكارهم، وبذلك يخرج من الإيمان من خلال هذه المجاملة الفكرية الموحية بالرضا، حتى لو كان باقياً على القاعدة الإيمانية في التزاماته الدينية.

وإذا كان الحديث الصادق يؤكد الغلو في استماع المؤمن للغالي، فإنه يشمل كل فكر يختلف مع فكر الإيمان في عناصره العقيدية، لأن المطلوب من المؤمن، أن يملك الصفاء في إيمانه، بحيث لا يدخل فيه أي فكر يبتعد عن الحق في العقيدة أو في الشريعة.

التعاليم الشرعية والإرشادية للمؤمنين:

ولذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين في القرآن الكريم بقوله: «يا أيها الذين آمنوا»، في عملية إرشادية توجيهية لما ينبغي لهم أن يأخذوا به مما يرتبط بمصالحهم العامة والخاصة، ويبتعد بهم عن حالة السقوط التي يخطط لها الآخرون، من خلال بعض الأساليب الخفية التي يراد لها أن تخدعهم ببعض الأمور التي ظاهرها خير وباطنها شر. أو في خطة تشريعية تبين لهم ما يجب عليهم وما يحرم عليهم. كإحياء لهم بأن الإيمان يفرض عليهم الأخذ بذلك كله، والالتزام به أو تحييدهم بالالتزام بذلك. يتم التمسك بحسن صورة علي (عليه السلام) في القرآن الكريم من اتخاذ بعض الأشخاص بطانة لهم:

وعليه، يحذر القرآن الكريم المؤمنين من اتخاذ بعض الأشخاص بطانة لهم: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودهواً ما عنكم قد

بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خُلَا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تُمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ^(٨).

في هذه الآيات، تحذير للمؤمنين من الاستسلام للثقة الساذجة بالفئات الأخرى التي تكيد للإسلام والمسلمين، وتحمل في داخلها الحقد والعداوة من موقع العقدة الحاقدة، وذلك بالكشف عن الخصائص الذاتية لهؤلاء في مواقفهم السلبية ضد الإسلام وأتباعه. والظاهر أن المراد بهم اليهود، فهم يعملون على الإضرار بالمسلمين، ويحتهدون في إثارة كل عوامل الفساد والنقصان التي تحجب عنهم الرؤية الواضحة للأشياء، ويتمنون لهم التعب والمشقة في مواجهة قضايا الحياة، وتتفجر صدورهم بالحقد الكبير الذي يتجه نحو التدمير، وتنطلق ألسنتهم بكلمات البغضاء والعداوة التي يوجهونها إلى المسلمين عندما يتحدثون عنهم... ولا بُدَّ للمسلمين من أن يعوا ذلك كله، في حركة وعي عميق راصد للواقع، بعيداً عن الساذجة في تقييمهم للأشخاص والأشياء، فلا يفوتهم شيء من الملاحظة، ولا يغيب عنهم صفة من الصفات السلبية لمن حولهم، خصوصاً وأن الله قد بين لهم الآيات التي يتمكنون من خلالها التمييز بين الأشياء التي تنفعهم والتي تضرهم، من أجل أن يركز أقدامهم على الأرض الصلبة، وليواجهوا الواقع من منطق العقل الذي يرصد ويتأمل ويفكر...

ثم يدخل الأسلوب القرآني في عملية مقارنة بين المشاعر الطاهرة التي يشعر بها المسلمون تجاه الآخرين الذين يخالفونهم في الرأي، وبين المشاعر الخبيثة التي يشعر بها الآخرون ضدهم؛ فالمسلمون يتحركون من موقع محبة

الناس الذين يعيشون معهم في الحدود التي رسمها الله لهم، فإذا لم يصل الصراع بين المسلمين ومن يخالفونهم الرأي إلى نتيجة، كان المجال واسعاً للتعايش القائم على التوازن بين ما تقتضيه المصلحة الإنسانية العليا، وبين احترام حرية الإنسان في تحمل مسؤوليته في الحدود التي لا تمثل ضرراً كبيراً على حركة الحياة، وهذا ما تدل عليه تجربة المجتمعات غير الإسلامية التي استطاعت العيش مع المجتمعات الإسلامية بكل احترام وعدالة ومحبة في ضمن المواقع الإسلامية القانونية المنفتحة.

أما الآخرون من اليهود وغيرهم، فإن الغالب فيهم هو الشعور بالحقد والبغض للمسلمين، فهم لا يحبونهم ولا يتعاطفون معهم، لأنهم لا يؤمنون بالمقدسات الإسلامية، من الكتاب والنبى وغيرهما من الحقائق الإسلامية، بينما يؤمن المسلمون بالكتاب كله، في ما أنزله الله على أنبيائه من لدن إبراهيم ؑ إلى محمد ﷺ. فهم لا يتعقدون من شخصية أي رسول، بل يؤمنون برسالات الرسل جميعاً، ولا يقفون موقفاً سلبياً من أي كتاب، من إنجيل أو تورا أو غيرهما، وإن كانوا يتحفظون في بعض النصوص التي وقع فيها التحريف. أما الآخرون، فإذا التقوا مع المؤمنين، أعلنوا لهم الإيمان والانسجام مع خط الالتزام، وتظاهروا بكل ما يتظاهر به المؤمنون، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، وملكوا حريتهم في التعبير عن حالتهم النفسية المعقدة، عضواً أناملهم من الغيظ لما يعيشونه من مشاعر الحقد للمسلمين...

وهذه طريقة في التنفيس عن العقدة الداخلية السلبية، عندما تقف الظروف حائلاً بين الإنسان وبين الوصول إلى تفجير غيظه على صعيد الواقع العملي، ولكن الله سبحانه يواجههم بأن هذا الغيظ سوف يتصاعد حتى يدمر أصحابه، لأن المسيرة الصاعدة للإسلام في قوته وانتصاره، سوف تفوت عليهم الفرصة التي يستطيعون من خلالها التنفيس عما في داخلهم من حقد ورغبة في التدمير؛ ويذكرهم بأنه عليهم بذات الصدور، فلا يخفى على الله من أمرهم شيء.

ثم يواجه الله المسلمين بمشاعر هؤلاء تجاه الأوضاع السلبية والإيجابية في المجتمع الإسلامي، فإذا واجه هؤلاء انتصاراً وخيراً وبركة في ذلك المجتمع، قابلوهم بالألم والسوء، أما إذا واجهوا الشر الذي يصيب المسلمين في أنفسهم ودنياهم، فإنهم يواجهونه بمشاعر الفرح والسرور. ولكن الله يُخاطب المسلمين، بأن ذلك لن يضرهم شيئاً إذا وقفوا في مواقعهم المتقدمة، وقابلوا التحديات والصعوبات بالصبر الواعي المنفتح، وبالتقوى التي تجعلهم يقفون عند حدود الله في العقيدة والعمل، فالله محيط بما يعملونه، عالم بكل أسرارهم، ولا يخفى عليه شيء منها، ويكشف لرسوله منها ما يحميه من كل سوء.

وعلى ضوء هذا الاستعراض الوافي للصفات السلبية التي يتصف بها أعداء الإسلام، فإن القرآن يريد لهم أن لا يتخذوهم بطانة في ما يكلفونهم به من أعمال وأدوار تتصل بالقضايا المصيرية للإسلام والمسلمين، بحيث يطلعون من خلال ذلك على الأسرار الخفية للواقع الإسلامي، فيستغلون هذه المعرفة في الكيد والتآمر على الإسلام والمسلمين... وهذا خط عام في حركة المجتمع الإسلامي مع الفئات الأخرى المعادية من أهل الكتاب وغيرهم، بالمحافظة على دراسة الواقع الداخلي للأشخاص الذين يتسلمون مراكز المسؤولية الكبيرة في القضايا الإسلامية العامة. ولكن ذلك لا يمنع من التعايش والتعاون في الأمور الأخرى التي لا تمثل خطراً من قريب أو من بعيد على مصالح المسلمين العليا.

«يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا بطانةً». واجهوا الواقع بمنطق الواعين الذين يتحركون في علاقاتهم على أساس الوعي العميق لانتماءات أصحابهم، الذين تفرض عليهم الأوضاع العائلية والاجتماعية صحبتهم والتعامل معهم، وأن يكون هناك دراسة شاملة لكل منطلقاتهم والتزاماتهم وخلفياتهم الدينية والسياسية، لتكونوا حذرين في أحاديثكم معهم، فلا تطلعونهم على أسراركم وما إلى ذلك من قضايا المسلمين المصيرية، واحذروا ما يثيرونه من أجواء تؤثر سلباً في ساحاتكم.

فإنَّ اختلاف الانتماء - ولا سيَّما في حالات الصراع المرير - قد يودِّي إلى الاختلاف في النوايا والدوافع والمواقف، الأمر الذي قد يكون موضع استغلال للعلاقات الحميمة من قبل أيِّ طرف ضدَّ الطرف الآخر، للإساءة إلى فريقه لحساب الفريق الآخر.

«من دونكم»، هم أولئك الذين ينتمون إلى الدين الآخر أو الخط الآخر، ممن تخوضون معهم الصراع، أو أولئك الذين ينتمون ظاهريا إلى الإسلام، ولكنهم يستبطنون الكفر، فلا تدخلوهم في الأجواء الخفية التي يتحرك فيها الواقع الإسلامي الداخلي، ولا تفسحوا لهم في المجال ليكونوا في المواقع المتقدِّمة من الساحة الإسلامية في الوظائف، أو ما تجعلونه لهم من مواقع بفعل علاقاتكم الخاصة بهم.

«لا يألونكم خبالا»، فهم قد يظهرون لكم المحبة بطريقة شخصية؛ ولكنهم يخفون في أنفسهم العزيمة على الإيقاع بكم، والإضرار بمصالحكم، وإفساد أموركم، وتوجيه عقولكم في اتجاه الغفلة والجنون الفكري والشعوري والسياسي... لأنَّ الخطة الموضوعية لديهم في مواجهة الإسلام، تفرض عليهم السير في هذا الاتجاه.

«ودُّوا ما عنكم»، فيم يحبُّون لكم الوقوع في المشقة والعناء في حربكم وسلمكم، فلا يريدون لكم الراحة في مشاريعكم الداخلية وفي أوضاعكم الخارجية، ما يجعل الصداقة غير ذات موضوع لديهم أمام الشخصية الاجتماعية التي تفرض عليهم المحافظة على وجودهم وامتيازاتهم في هذا الجوِّ الإسلامي الجديد الذي قد يُصادر بعض مصالحهم ويؤكد انتصاره عليهم. بحيث يودِّي إلى التعقيد في حالاتهم النفسية وأوضاعهم الخارجية، «قد بدت البغضاء من أفواههم»، من خلال ما يظهر من قلقات السنتهم المعيرة - تلقائيا - عما يضمرونه، لأنه من الصعب على الإنسان - حتَّى في حالات الحذر - إخفاء ما يضمّره في نفسه، من خلال كلمة تنطلق هنا - من غير شعور - أو كلمة تقفز هناك، فتلك بعض دخائل النفس.

وغوامض الشعور. وهذا ما أكده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: «ما أضمر أحدُ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه».

«وما تُخفي صدورهم أكبر»، من الحقد الدفين الكامن في نفوسهم، انطلاقاً من إحساسهم الذاتي الفئوي بأنكم قادمون لإلغاء مواقعهم المتقدمة في امتدادهم الديني في ساحة الواقع، وتحطيم عنصريتهم المعقدة.

«قد بينّا لكم الآيات» بما أظهرناه لكم من الدلالات الواضحة على الخط الفاصل بين العدو والولي، سواء على مستوى الاختلاف في الانتماء الديني، أو في اهتزاز الحالات النفاقية الشريرة، ما يفرض عليكم الأخذ بأسباب الحذر في علاقتكم بهم، والتحرك من موقع الوعي في حركتكم معهم، «إن كنتم تعقلون» فتتحركون في أوضاعكم وعلاقاتكم من قاعدة العقل الباحث عن أسرار الأشياء، والغوص في بواطن الأمور، لتندفعوا إلى التحرك في دائرة دفع الضرر وجلب النفع، لأنَّ الإنسان السائر على هدى العقل، لا يُخطئ طريقه غالباً، ولا يلقي بنفسه في مواقع الهلاك.

«ها أنتم أولاء تحبونهم» لأنَّ الله أرادكم - من خلال الإسلام المنفتح على الناس كلهم - أن تفتحوا قلوبكم بالمحبة للآخرين، لأنَّ المسلم هو الذي يتحرك في حياته مع الآخرين، على أساس الإخلاص الباحث عن حركة الحقيقة في الوجدان العام، من مواقع التفكير والحوار، فهو يعمل على أن يهدي الآخر بالدخول إلى قلبه من خلال الشعور الطاهر، ليدخل إلى عقله من خلال الجوَّ الملائم الذي لا يحمل في داخله آية حالة لرفض الآخر، «ولا يحبونكم» من خلال أنهم تحركوا - في رأيهم - من قاعدة العنصرية التي توحى إليهم بأنهم هم الذين يملكون الدرجة العليا في الإنسانية، وأن الآخرين لا يمثلون شيئاً في حساباتهم، إلا بما يمثله تعبأ أمام سيده. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنهم لا يرون فيكم إلا الفئة المضادة لمصلحتهم ومحططاتهم، من أجل السيطرة على العالم، ما يجعلهم لا يطيقون - في رؤيتهم - الذات - فكيف يمكن أن يحملوا لكم الحب؟!!

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، لأنَّ القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وداعياً كلَّ أتباعه إلى الإيمان بالكتاب والرسول، بحسب المراحل، من دون تفريق بين كتاب وكتاب، ورسول ورسول. أمّا هم، فلا يؤمنون بكتابكم، لأنَّهم لا يؤمنون بأنَّ محمداً ﷺ رسول الله، وأنَّ القرآن وحي من الله، ﴿وَإِذَا لَفُوقُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ لتؤمّنوا لهم، فتعتبروهم منكم، وتدخلوهم في عمق خصوصياتكم، فيطلّعوها على أسراركم التي تمنحهم الفرصة لاستغلالها في الإضرار بكم، وتعطيل خططكم المعتمدة على بعض الأمور السرية في مواجهة العدو، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، في تعبير صارخ عن الحقد الدفين في نفوسهم، من خلال هذا الانتصار الكبير للدعوة الإسلامية الذي أغلق أمامهم الكثير من الساحات التي كانوا يتحرّكون فيها، لتحقيق مصالحهم ومآربهم الخاصة، من خلال علاقاتهم المدروسة مع أهلها.

﴿قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ فلن ينفعكم ذلك شيئاً في إنجاح ما تخطّطون له من الكيد للإسلام والمسلمين، ولن يضرَّ المسلمين شيئاً، لأنَّ الله يرعاهم في انتصاراتهم وفتوحاتهم وغلبتهم على الشرك كله، وليس أمركم خافياً على الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فهو المطلع على أعماق عبادته، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿إِنْ تُمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ﴾، فيحزنون عندما يرون ألطاف الله بكم، بما تفتحونه للإسلام من ساحات جديدة، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾، فإذا أصابكم العدو بسوء أو هزيمة، أو تعرّضتم لمشاكل داخلية أو فتن، فإنَّهم يظهرون الشماتة والفرح بذلك، ولكن ذلك كله لا يحقق لهم آية غاية مما يريدون، ولا ينزل بكم شراً، لأنَّهم لا يملكون لكم أيَّ ضرر إلا بمشيئة الله، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾، على هذه المرحلة، انتظاراً لما أعدَّ الله لكم من نصر يحتاج إلى بعض الجهد والوقت، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ بالالتزام بأوامره ونواهيه في حالة الحرب والسلم، والشدة والرخاء، ﴿لَا

يَضْرُكُم كَيْدُهُمْ شَيْئًا»، لأنَّ الله هو الذي يملك النفع والضرر، فلا يحدث منهما شيء إلا بإذنه، «إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطٌ»، فلا يغيب عنه شيء من أمرهم أو مخططاتهم، وهو القادر على دفع ذلك عنكم أيُّها المؤمنون الموحِّدون.

إنَّ هذه الآيات تُعطينا مفهوماً إسلامياً للعمل في نطاق العلاقات الاجتماعية، وخلصته، أنَّ على المؤمنين أن يدرسوا طبيعة المواقف الفكرية المبدئية التي يتخذها الآخرون تجاههم، وأن يعملوا على التمييز بين الخلافات الطارئة والخلافات المعقدة، وعلى التفريق بين الأشخاص الذين يعيشون الخلاف الفكري والعملي كمبدأ، وبين الذين يعيشونه كعقدة، ويحضِّتهم على متابعة التجربة في دراسة المشاعر الذاتية التي تحكم تصرف هؤلاء وتصرِّف أولئك، ليحدِّدوا - من خلال ذلك - مواقفهم ومواقعهم في الساحة العامَّة على المستوى الاجتماعي والسياسي والفكري، لئلا يقعوا تحت تأثير الأوضاع العاطفية التي تتمثل في البسمات المشرقة، والعيون اللامعة، والوجوه التي تتلون بحسب الألوان المتحركة، تبعاً للمزاج والشعور والتخيُّل، فينشقوا بمن ليس في مستوى الثقة، فيؤدِّي ذلك إلى الوقوع في قبضة الكفر والضلال...

وقد عاش المسلمون في تاريخهم الماضي، وفي تاريخهم المعاصر، كثيراً من الحالات العاطفية التي تحولت إلى نكسات وهزائم اجتماعية وسياسية، لأنَّهم خضعوا للأجواء السطحية، فانقادوا في خطوات المجاملة، وتخلَّوا عن كثير من مواقعهم، انطلاقاً من المحافظة على علاقات مشبوهة وصدقات كاذبة، فأساؤوا بذلك إلى أنفسهم وإلى الإسلام بشكل عام... كما واجهنا ذلك في الجري وراء حملة الشعارات الغائمة التي يُثيرها البعض تحت ستار وحدة الأديان، أو وحدة الإنسانية، أو الوحدة الوطنية والقومية، وربَّما الإسلامية، ليحققوا من ذلك مخططاتهم ومشاريعهم، مغتنمين الفرص التي تتيح لهم القفز على المواقع، لأنَّهم يملكون في هذه الساحة قوَّة لا يملكها أهل الحق، ولأنَّهم يرسمون هنا خطة خفيَّة لا يعرف

أسرارها الطيبون من المسلمين، فينفذون ما يريدون باسم الوحدة مما لا يتيسر لهم الحصول عليه بدون ذلك.

ولا تزال الخطة تتقدّم في كثير من المظاهر التي تخفي في داخلها الكثير من سياسة اللف والدوران واللعب على الحبال الكثيرة المطروحة في الساحة، في حقل الدّين والسياسة والاجتماع. وذلك ما يجب أن نستوحيه من الآيات، لننطلق من خلالها إلى الأفق الرحب للعلاقات الإنسانية في الحياة، فلا نتجمد معها في نماذجها الخاصّة، بل نعتبر الموضوع مجرد نموذج يفتح الطريق إلى مواجهة الواقع - من خلالها - في كلّ نموذج مماثل يحمل الخصائص والسمات نفسها، لينطلق المسلمون من نقطة الانفتاح الواعي الذي يستوعب كلّ التجارب، ويرصد كلّ النماذج، ليأخذوا منها الفكرة القائدة الرائدة التي تقود الحياة إلى الله على خط الرسالة والإسلام.

والحمد لله ربّ العالمين.

حركة المؤمنين في الواقع المعاصر

على المسلمين في كل
زمان ومكان أن يحدّدوا
أعداءهم في العقيدة
والسياسية والاقتصاد
والأمن وسائر مجالات
الحياة

- ❖ تشخيص الأعداء
- ❖ الارتباط بالاصالة والقيادة
- ❖ الاعتصام بالله موقف
- ❖ الدعاء بحسن العاقبة
- ❖ الاعتصام بحبل الله سبيل الهدى
- ❖ ما امرنا بحبل الله؟
- ❖ المقارنة الدائمة بين علاقات الماضي والحاضر
- ❖ الاعتصام بالله القاعدة التأسيسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال مع الآيات التي تناولت الذين آمنوا في القرآن الكريم، ومن ميزات هذه الآيات، أنها تفتح لنا في واقعنا المعاصر آفاقاً في حركتنا - كمؤمنين - مع الله، ومع أنفسنا، ومع الآخرين من حولنا على المستويات كافة.

تشخيص الأعداء:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُم آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»^(١).

تتعرض هاتان الآيتان لمسألة هي من أهم المسائل التي يمكن أن تعترض الإنسان المؤمن في التزاماته، وخصوصاً على المستوى الإيماني الديني؛ حيث يعرض القرآن الكريم ضرورة أن يحذر المؤمنون من كل المحاولات التي يقوم بها أعداء دينهم لإضلالهم عنه وحرفهم عن التزامهم، وذلك عن طريق إثارة الرواسب القديمة الكامنة في الأعماق، كالعصبية العائلية والقبلية والعشائرية التي تجعل الأساس للعائلة والقبيلة والعشيرة، بحيث يغدو الإسلام مجرد حالة طارئة لا تمثل أية قوة ضابطة أو محرّكة للإنسان في الاتجاه السليم.

وربّما نجد الكثير من نماذج صانعي الفتن في الواقع الذي يعيشه المسلمون، في ما يريد الكافرون والضالون أن يثيروه بين المسلمين من خلافات قائمة على

العصبية العائلية والقومية والاقليمية والمذهبية، فيعملون على استئثاره كل عناصر الأثر في الماضي والحاضر، من أجل خلق حالة نفسية متوترة، توحى بالحق، وتندب بالشر، وتقود إلى التصادم والتنازع، في خطة خبيثة تؤدي إلى تمزق المسلمين وتفرقهم، والوصول إلى مواقع الخطر على عزتهم وكرامتهم وأصالتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية.

وفي هذا الجو، تتحرك الأيتان لتفتح عيون المسلمين، في كل زمان ومكان. على أن يحذروا أعداءهم في العقيدة والسياسة والاقتصاد والأمن، وفي سائر مجالات الحياة، وأن يتعرفوا طبيعة مخططاتهم، وطبيعة الظروف الموضوعية المتحركة على الساحة، ونوعية القوى المحيطة بهم، والأساليب التي تحركها لتضليل المسيرة الإسلامية. في جانب معرفتهم بالناس التي تحصيهم من كل هذه المخططات، وذلك بتأكيد نقاط القوة لتسليتها وحريكها في خط المواجهة الصعبة، ودراسة نقاط الضعف لأجل السيطرة عليها، وتحويلها من موقع المعاناة إلى نقاط قوة، سواء كانت تلك النقاط فكرية أو شعورية أو عملية، ليستطيعوا، من خلال ذلك، الانفتاح على القواعد الثلاثة التي تحفظ لهم وحدتهم، وتصون لهم دينهم الحق، عندما يعرفون سبيل الاعتصام بها الذي يهديهم إلى انصراف المستقيم. وبذلك نعرف أن السداجة الفكرية، والبساطة العملية، اللتين تدفعان المسلم إلى الاستسلام لحط العدو من خلال العفة عن طبيعته، ليست من خلق المسلم الذي يريده الإسلام واعياً للنطق والفكر والنضال، المجمع الذي من حوله، في كل ما لديه من سلبيات وإيجابيات.

هذا الأمر يدرّس على المسلمين أن يتحركوا، في كل زمن، ويرفعوا إلى مستوى سريحة التاريخية للأمم، التي تعرض عنها الحركات في حط نوعي الشر يرصد القوى المختلفة، لتدب بخطتها الأعداء بالاصطفاء، على أساس انفعال طارئ، أو مشاعر حادة، أو نظرة خاطئة في تقييم الواقع والناس.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» بالله ورسوله، فعاش الإيمان في وجدانهم فكراً وعقيدة ومفاهيم منفتحة على الله والإنسان والكون والحياة، وتحرّك في قلوبهم عاطفة متصلة بالمشاعر الروحية الخيرة في حركتها في الجانب الإنساني من علاقة الإنسان المسلم بالآخرين، وانطلق في سلوكهم حركة مستقيمة في خط القيم الروحية الإنسانية على صعيد الواقع العملي في الدائرة الأخلاقية العامة «إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»، وهو الفريق الحاقد المعقد، الذي يلاحق تطوّر الدعوة الإسلامية في اتجاه شموليتها للساحة، بالعمل على تخريب كلّ الأوضاع، وتعقيد كلّ الأعمال، وإثارة كلّ المشاكل في وجه الإسلام وأهله، ما يجعل من استجابتكم لهذا الفريق، وإطاعتكم لتوجيهاته ونصائحه، استجابة للضلال والانحراف الذي يجركم إلى الابتعاد عن الصراط المستقيم، لأنّ كلّ هدفهم في كلّ مخططاتهم، أن «يُرَدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ»، ليضعفوا الإسلام بخروج المؤمنين به من الانتماء إليه، ولينفسوا عن عقديهم الذاتية تجاهكم، وإن كانوا لا يواجهونكم بالدعوة إلى الكفر في البداية بشكل مباشر، بل يطرحون أمامكم بعض القضايا الجانبية التي تدخل في عداد الأمور المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والعصبيات العائلية، ما يجعلكم تأمنون الخطر على إيمانكم في البداية، ولكن عليكم أن تعرفوا، أنّ ذلك يمثل الخطّة الدقيقة التي تتدرج في خطوطها لتأخذكم على حين غرة، لتصل بكم في نهاية الأمر إلى الوقوع في حبالهم، والسقوط في مخططاتهم، في انحرافكم عن خط الإيمان إلى الكفر.

الارتباط بالأصالة والقيادة:

تحتلّ الذاتية ذاتية تغيير الانكسار في صيغه الاستفهام، فتسأل: «وكيف تنهرون والسم تنسّي عديكم يات الله وشيخم رسول»، توجه المؤمنين إلى عدم الانفصال عن القرآن في مفاهيمه ودلالته وبراهينه وحظظه للحياة، وعدم الابتعاد عن الارتباط بقيادتهم الرسالية الباعية التي تفتح لهم أبواب الإيمان في ما تفتح لهم

من أبواب العلم بالله وبرسالته وشرائعه، فإنَّ ذلك هو السبيل إلى الثبات على المبدأ، والشعور بقوة المواقف وأصالتها.

وإذا أردنا أن نستوحي الفكرة العامة من هذه الفقرة من الآية، فإننا نلخص ذلك في نقطتين، تمثلان القاعدة الثابتة الأصلية في وسيلة المحافظة على تماسك الأمة في عقيدتها أمام مخططات الأعداء، وهما: الارتباط بالفكرة من خلال مصادرها النقية الأصلية، والارتباط بالقيادة المخلصة الرسالية في تخطيطها العملي لحركة الفكرة للحياة، لأنَّ الفكرة وحدها لا تستطيع حماية مسيرة الأمة من الانزلاق والانحراف، بل هي بحاجة إلى قيادة تحرك الفكرة في الخط السليم، كما أنَّ القيادة لا تستطيع القيام بدورها الأصيل إذا لم تكن القاعدة سائرة في خط الفكرة ومؤمنة بقيمتها الفكرية والروحية في الطريق الطويل.

الاعتصام بالله موقف:

﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾، وذلك بالتمسك بكتابه ورسوله ورسالته، والانفتاح عليه بالإخلاص والتقوى والاستقامة في خطه، والوقوف بقوة في مواجهة التحديات الكبرى التي تواجه قضايا المصير، من أجل ردِّ التحديات بمتلها، وإطلاق التحدي في وجه الكفر والاستكبار، وهو الموقف الذي يفرضه الانتماء إلى الإسلام في الفكر والعمل، «فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، لأنَّ الله هو الحق وما يدعون من دونه الباطل، ولذلك فإنَّ الاعتصام به يشير إلى التمسك بكلِّ المفاهيم التي أوحاها إلى رسوله، والسير مع كلِّ الشرائع التي شرَّعها للناس على لسانه، والتحرك نحو كلِّ الأهداف الكبيرة في الحياة التي أراد للإنسان أن يسير عليها من خلال وسائله الطاهرة النظيفة، وبذلك تستقيم للإنسان الرؤية الواضحة، والمنهج المحدد، والهدف الكبير الذي يبدأ من الله وينتهي إليه، فلا يبقى لديه أي شك أو ريب أو انحراف، بل هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا التواء.

وفي هذا الجو، نفهم أن الاعتصام بالله ليس كلمة تُقال، ولكنه فكرٌ وخطٌ وموقفٌ وهدفٌ يحكم حياة الإنسان في مجالاتها الفكرية والعملية؛ فإن الإنسان الذي لا يعتصم بالله، يبقى عُرضة للانحراف، وينساق في الخطوط المتنوعة والأهواء التي يثيرها الشيطان وجنوده في قلب الإنسان.

الدعاء بحسن العاقبة:

وفي آية أخرى، يؤكد الله سبحانه وتعالى خطورة المواقف المضادة التي يقفها أعداء الإسلام، وما يمكن أن يستخدموه من أساليب ملتوية تارة، وجذابة أخرى، ومثيرة ثالثة، قد تؤدي إلى الانحراف بالمسلم عن دينه، وذلك عندما يشير إلى أهمية أن يحافظ الإنسان على إيمانه إلى آخر رفق في حياته، في إشارة منه إلى أن من الممكن للإيمان أن يتعرض للهزات والهجمات التي تضعفه، وقد تزيله من نفس الإنسان. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، فإن حركة التقوى لله، في ما تعنيه من الانضباط الواعي في خط أوامر الله ونواهيه، أمام حالات الاهتزاز النفسي فيما تثيره الشهوات، والضعف الروحي في ما تؤدي إليه التحديات، والارتباك الفكري أمام الشبهات؛ من شأنها أن تحقق النتيجة التي تركز عليها الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

وهذا ما نلاحظه في أدب الدعاء الإسلامي، فيما يوحيه من عملية التربية الواعية للإنسان المسلم، في ما هي مسألة المصير بين يدي الله عز وجل، وذلك عندما يؤكد الإسلام أن يدعو المؤمن دائماً بحسن العاقبة؛ لأن ما يمكن أن يخبئه المستقبل المجهول للإنسان من ضغوطات وأوضاع وحالات مؤثرة، قد يجعل مستقبل أمره إلى شر بعدما كان يتحرك في طريق الخير والفلاح.

أما كيف يتقي الإنسان الله حقَّ ثقافته؟ فقد جاء تفسيره في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في ما رواه عنه أبو بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: يُطَاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويشكر فلا يُكفر»... وهذا المعنى هو التعبير الحركي للحضور الدائم لله في وعي الإنسان، بحيث لا يغيب عن خاطره في كل شيء يحيط به، وفي كل اتجاه يتوجَّه إليه.

إنها الدعوة إلى أن لا تكون التقوى مزاجاً طارئاً يمرّ بالحياة مروراً خفيفاً، بل أن تكون قاعدةً ثابتةً للفكر والحياة، لتمثّل خطَّ البداية والمسار والنهاية... وهذا هو ما نستوحيه من هذا النداء الإلهي الذي يحسّ الإنسان فيه بمعنى الرحمة الذي يمتزج بأسلوب التوجيه والدعوة.

الاعتصام بحبل الله سبيل الوحدة:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣)، فهو في مضمونه الشامل الذي يشمل الإسلام كله، في مضمون الكتاب، وحركة القيادة في خططها العملية، يمثل العروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انقطاع، فلا بُدَّ لكم من التمسك به والارتباط به، واعتباره الخط الذي يتواصل به الجميع، والرابط الذي يربط بين الأفراد الذين قد يختلفون في خصوصياتهم ومواقفهم. ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ليقف كل واحدٍ منكم في ناحية بعيدة عن الناحية التي يقف فيها الآخر، على أساس العصبية الذاتية أو العائلية أو القومية أو العرقية أو الوطنية أو الإقليمية... وغير ذلك مما يختلف عليه الناس في قضاياهم العامة والخاصة، فإنَّ التفرّق والاختلاف يؤدّيان إلى الضّعف تارةً، وإلى السقوط أخرى، وإلى الابتعاد عن الخطّ المستقيم ثالثةً.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام الذي هداكم إليه؛ الذي جمعكم بعد فرقة، ووحدكم بعد تمزق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ أَعْدَاءُ﴾ لا تلتقون على موقف، ولا تتركزون على قاعدة، يحقد بعضكم على بعض، ويلعن بعضكم بعضاً ﴿فَالْف بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بما أودعه في داخلها من الإسلام المنفتح على الله الذي يشيع الإلفة الروحية من خلال العقيدة الواحدة والشريعة الواحدة والخط الواحد والهدف الواحد، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ متراحمين، متناصحين، مجتمعين على أمر واحد، متحابين، خاضعين لعنوان واحد، وهو الأخوة في الله التي تفتح القلوب بعضها على بعض، وتزيل الحقد والعداوة والبغضاء. ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي على حافة الهاوية التي كادت أن تسقطكم في النار، من خلال الكفر الذي كنتم تقيمون عليه، وتتحركون في دائرته، وتختلفون فيما بينكم من خلال نوازعه وأوضاعه، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإسلام الذي فتح لكم أبواب الخير كله، وأبواب رضوانه الذي ينتهي بكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ التي توضح لكم سبيل السلامة في الدنيا والآخرة، وموارد الهلاك، لتأخذوا تلك وتتركوا هذه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق والصواب، بالمعرفة الواضحة، والحجة القوية، والمنهج القويم.

وقد نستوحي من كلمة (الاعتصام بحبل الله) وإلحاقها بكلمة ﴿وَلَا تَفْرَقُوا﴾، أنَّ من الضروري للمسلمين أن يتلمسوا الركائز التي تركز عليها الوحدة من خلال ما يلتقون عليه من مبادئ الإسلام ومفاهيمه العامة، ليشعروا بالوحدة الفكرية والعملية التي تجمعهم، ويتركوا ما اختلفوا فيه من ذلك، فيرجعوا فيه إلى الله والرسول في ما أفاض فيه القرآن من أساليب وقواعد للحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة، ويبتعدوا عن الاستغراق في خلافاتهم من مواقع العقدة الطائفية المشبعة بالحقد والضغينة ومختلف عوامل الإثارة... فإنَّ السير في هذا الخط، ينطلق من الاعتصام بحبل الله، الذي يجمع ولا يفرق.

وقد يبدو للبعض، أنَّ مفهوم «الاعتصام بحبل الله»، يفرض الالتقاء على المبادئ الأصلية في الكتاب والسنة فقط، ولا يشمل الحالات التي يشعر فيها كل فريق بأنَّ الفريق الآخر لا يصدر عن الحقيقة في عقيدته وفي علمه، ما يجعل الالتقاء به - على هذا الصعيد - التقاءً مع الانحراف والضللال...

ولكنَّا نحسب أنَّ هذه الفكرة غير دقيقة، لأنَّ المفهوم من (الاعتصام بحبل الله)، هو اعتبار الكتاب أساساً للوحدة في المبادئ المتفق عليها، وفي أسلوب الوصول إلى الوفاق في المبادئ المختلف عليها، لأنَّ الرجوع إلى الكتاب، يعني الالتزام بقواعده وتشريعاته في طبيعة الفكرة وفي أسلوب الوصول إليها. وإنَّا نعتقد أنَّ السبب في ما وصل إليه المسلمون من تناحر واختلاف وتفرق، هو أنَّهم انطلقوا من موقع العقد الذاتية التي تتحكم بأعصابهم وانفعالاتهم، ولم ينطلقوا في مواجهة خلافاتهم من موقع الحوار الإسلامي على هدي القرآن وطريقه...

ما المراد بحبل الله؟

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ (حبل الله) على أقوال: أحدها: أنَّه القرآن، وثانيها: أنَّه دين الله الإسلام، وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: نحن حبل الله. والأولى - كما يقول صاحب مجمع البيان - حمله على الجميع، والذي يؤيده، ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ((أنَّه قال: أيُّها الناس، إنِّي قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً، أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))^(٤).

وقد يؤيد هذا الوجه، أنَّ أهل البيت عليهم السلام قد قالوا في كثير من رواياتهم، إنَّا إذا حدثنا حديثاً بموافقة الكتاب، فلا تقبلوا علينا حديثاً إلَّا ما وافق كتاب الله. ما يعني

أنَّ كلامهم ينطلق من خلال كتاب الله لفظاً ومضموناً، بحيث يكون التمسك بهم، من خلال الالتزام بكلامهم، تمسكاً بكتاب الله تعالى.

مقارنة بين مرحلتين:

ثمَّ إنَّ الآية تدعو الذين آمنوا إلى الدخول في عملية المقارنة الواعية بين علاقات العداء التي سادت في الماضي، وعلاقات السلام والودّ التي تعيش في حاضرهم، ليعرفوا النتائج الإيجابية والسلبية، ليعمّقوا الإيجابيات التي تفرضها العلاقات الجديدة، ويخفّفوا السلبيات المتحرّكة في حياتهم من خلال علاقات الماضي، ليكونوا على وعي كامل عميق لكلّ الأساليب التي يُراد منها إثارة النوازع والعصبية القديمة من خلال الرّواسب الكامنة في الأعماق، مما قد يُعيد للماضي في نفوسهم ضراوته وشدّته. فإنَّ وعي الأمّة للواقع، من خلال المبادئ العامّة، يمنح التحرك في نطاق العلاقات قوّة كبيرة، وامتداداً عميقاً نحو الهدف الكبير الشامل.

وهذا ما أراد الله للأمّة أن تعيه جيّداً، لتفهم أنّ الحالة الماضية كانت تضع المجتمع على حافة الهاوية التي تشتعل وتتأجّج بالنّار التي تحرقهم في الدّنيا والآخرة، وأنّ المسيرة الجديدة في خطّة العقيدة الجديدة، تعتبر عملية إنفاذ من ذلك كله، ليعيش النّاس رويّة الجنّة في علاقاتهم ومصيرهم.

وربّما نستوحي من هذه الآية في واقعنا الإسلامي، الفكرة التي تدفع المسلمين إلى دراسة الواقع الممزّق الذليل الذي يجعلهم فِرَقاً متباعدة متشاحنة خاضعة لقوى الكفر والطغيان في أوضاعها الفكرية والسياسية والاقتصادية... حتّى تحوّلوا إلى لعبة في يد تلك القوى في صراعاتها مع بعضها البعض، وفي تخطيطاتها لأساليب السيطرة على ثروات المسلمين ومواردهم، ما يحول البلاد الإسلامية إلى سوق استهلاكية لمنتجاتها. ومن هنا، تأتي الدعوة إلى الوقوف ضدّ أيّة نزعة استقلالية في المجال السياسي أو الاقتصادي، بل في كلّ المجالات

الأخرى... وقد يئجه التخطيط إلى إثارة المشاكل الطائفية والسياسية بين المسلمين، من أجل استنزاف طاقاتهم، وتعطيل فعاليتهم، بعية إبقاء السيطرة كاملة عليهم، من خلال حاجتهم إلى الاستعانة بهذه الجهة أو تلك في التغلب على بعضهم البعض.

الاعتصام بالله القاعدة الصلبة:

ربما يحتاج المسلمون إلى وقفة تأمل أمام هذا الواقع كله، ليفكروا في حبل الله الذي يجب أن يعتصموا به ويرجعوا إليه، في ظل هذه الفوضى الفكرية والسياسية التي يعيشون فيها، ليعرفوا مواطن النفاق فيلتقوا عليها، ويكتشفوا عناصر الخلاف فيتفاهموا عليها، ويتفهموا طبيعة الساحة التي يدور حولها الصراع من خلال الظروف الموضوعية المحيطة بها، ونوعية القوى الطاغية الكافرة المتحركة فيها، وعلاقة هذه القوى بتفجير الواقع الإسلامي من الداخل ضد المصالح الحقيقية للإسلام والمسلمين... فقد يجد المسلمون في ذلك كله سبيلا للقاء على أساس الاعتصام بحبل الله، وقد يقف الواعون منهم وقفة مقارنة بين ماضي الإسلام وحاضره، ولكن بطريقة معكوسة، لأن الآية تدفع إلى الإصرار على الإخلاص للواقع الحاضر، على أساس دراسة تجربة الماضي، بينما يفرض علينا الواقع أن نتخلص من واقعنا السيئ، على أساس التجربة التي عاشها الإسلام في الماضي...

إن الاعتصام بحبل الله يمثل القاعدة الصلبة التي يمكن للمسلمين أن يستندوا إليها، من أجل توحيد المسيرة وتوحيد الهدف في نطاق توحيد الأمة، وذلك في ظل التخطيط الواعي الذي يتجاوز السلبات إلى الإيجابيات، ويقف مع السلبات وقفة فكر لا وقفة عاطفة، ويعتبر أن وضوح الرؤية لدى آية جهة لا يعني وضوحها لدى الآخرين، ما يستدعي مزيداً من الصبر والتحمل في سبيل الوصول إلى وحدة الرؤية للأشياء وللمواقف في اتجاه وحدة الهدف الكبير، وذلك هو ما يبعدنا عن مناهات النظريات والتحليلات التي يثيرها الآخرون في أجواء غير إسلامية، مما

استحدثوه واستنتجوه من تجارب ذاتية، أو أهواء منحرفة... ففي القرآن الكثير الكثير مما نستطيع أن نتعلمه ونعمل به، وفيه الكثير الكثير مما يمكن أن يحلّ لنا مشاكلنا الفكرية والعملية، إذا أحسنّا النظرة والأسلوب في كيفية التعامل مع الأشياء من خلال الأجواء القرآنية الواقعية.

والحمد لله ربّ العالمين.

ضبط المسيرة الذاتية للمجتمع الإسلامي

لا تكون أمة تلك التي تختزن في
نفسها عناصر القوة ثم تنغلق
على ذاتها في عملية ذاتية
محدودة لا تشعر فيها
بالمسؤولية عن فكرها وقيمها
وأهدافها، فلا تعمل من أجل
تحريكها في حياة الآخرين،
وتوسيع مداها في حركة
الإنسان الصاعدة

- ❖ الدعوة إلى الخير
- ❖ الأمة في القرآن
- ❖ ضرورة مواجهة المنكر
- ❖ عدم التفريق سبيل الفلاح
- ❖ نتائج أعمال الفلاح والمنكر في الآخرة
- ❖ مسؤولية الإنسان في اختيار مصيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

كان حديثنا السابق حول دعوة الآيات القرآنية إلى الاعتصام بحبل الله في خطِّ القَوَى؛ هذا الخطُّ الذي يقتضي ضبط المسيرة الذاتية للمجتمع الإسلامي، وتأكيد الوحدة الروحية والأخوة العملية في حركة هذا المجتمع، وذلك من خلال المفاهيم الإسلامية التي تربط الإنسان المسلم بالله في الفكر والشعور والعمل.

الدعوة إلى الخير:

وفيما يلي، يتابع القرآن الكريم حديثه إلى الذين آمنوا، حيث يركز على مسألة تحميل المجتمع كله مسؤولية الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

يركز قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، على مسألة أن يكون المجتمع مجتمعاً

منفتحاً على آفاق الدعوة إلى الخير في الداخل والخارج؛ لأنَّ ذلك هو دور الأمة المسلمة القائدة التي تقود العالم إلى ما فيه الخير والصلاح، فلا تكون أمة تلك التي تختزن في نفسها عناصر القوة ثمَّ تنغلق على ذاتها في عملية ذاتية محدودة لا تشعر فيها بالمسؤولية عن فكرها وقيمها وأهدافها، فلا تعمل من أجل تحريكها في حياة الآخرين، وتوسيع مداها في حركة الإنسان الصاعدة؛ بل الأمة هي التي تمثل القوة المسؤولة التي تعتبر مسؤولية صنع الخير والدعوة إليه جزءاً من شخصيتها الممتدة، التي ترى في امتدادها في الزمن معنى وجودها في الحاضر والمستقبل، وتؤمن بأنَّ حركتها - بعيداً عن الحدود الضيقة - هي سرَّ حيويتها وتجديدها ومعنى إيمانها؛ لأنَّ الإيمان بالله وبرسالته لا يتجمد في زمن، ولا يقف عند حدٍّ، إذ إنَّ الإنسان هو عبد الله وخليفته في الأرض، فلا بُدَّ له من أن يستوعب كلَّ عناصر الرسالة في كلِّ دور من أدوار حياته، وفي كلِّ مجتمع من مجتمعاته، من خلال ما يبيلغه رسل الله من رسالات.

الأمة في القرآن:

ومعنى الأمة في الآية، هي الجماعة من المسلمين الذين يمكن لهم أن يحققوا الهدف، ويسدوا الثغرة بالجهود المبذولة في هذا الاتجاه. وفي ضوء ذلك، نعرف أنه ليس المراد من (الأمة) المعنى المصطلح الذي يتسع ليتحدّد في معنى القومية الشاملة التي تنطلق من وحدة اللغة والأرض والتاريخ أو العادات والتقاليد، ما يوحي به المعنى الاجتماعي والسياسي للكلمة، لأنَّ ذلك المصطلح حادث، وليس وارداً في استعمالات الواقع الاجتماعي في زمن نزول القرآن.

وبذلك نفهم أنَّ المراد من الآية، هو أن تنطلق الجماعة الأمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، بمقدار الحاجة، فقد تشمل المسلمين كلهم إذا كانت التحديات الثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية بالمستوى الذي لا يكفي معه جماعة محدودة، وقد يضيق عن ذلك إذا كان يكفيه جزء منهم. وقد يتنوع الموضوع،

حسب الحاجة الواقعية، بين الجهود الفردية التي يدعو فيها بعضهم بعضاً بشكل فردي، والجهود الجماعية التي تنطلق لرعاية الواقع كله ومراقبته وتوجيهه في القضايا العامة التي تحتاج إلى الأمة الإسلامية كلها، تبعاً لاتساع حدودها وكثرة جماعاتها وتنوع أوضاعها. كما أن حجم هذه الجماعة لا يختص بعدد محدود، فقد يتسع ليشمل المسلمين كلهم في الدائرة العامة للحاجة. أما حجم الخير ومداه ونوعيته، فإنه يتسع سعة الإسلام في عقيدته وشريعته وحركته الشاملة للحياة، وذلك قوله تعالى: ﴿يُذْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾. □

وقد كان الواقع التاريخي لهذه الجماعة يتمثل في الدائرة الاجتماعية في البلاد الإسلامية تحت اسم دائرة الحسبة، ويُسمى أفرادها بالمحتسبين. وقد يُطلق عليهم اسم (لجنة الأمرين بالمعروف)، وكانت مهمتهم ملاحقة ظاهرة الانحراف الديني والفساد الاجتماعي والسياسي في واقع الناس والدولة.

وبذلك كانت الدعوة مسؤولية كل مسلم يحتاج الإسلام إلى فكره وأسلوبه في نشر الدعوة، فليس لأي إنسان من أمثال هؤلاء أن يتقاعس ويجمّد نفسه في دائرة ضيقة أو عزلة خانقة، أو هروب من خط المسؤولية، تماماً كما لا يجوز له أن يفعل ذلك في ما يتعلق بعباداته وفروضه الأخرى.

وفي مقابل ذلك، فإنّ عصور التخلف التي مرّت على المسلمين، شاركت في خلق ذهنية سلبية كسولة، لا شغل لها إلا البحث والتدقيق في إيجاد المبررات للتراجع والتكاسل والبُعد عن المسؤولية، الأمر الذي أدّى إلى أن يفقد الإسلام كثيراً من الطاقات والقابليات ذات الفاعلية الكبيرة في تعزيز الإسلام والمسلمين. ولا يزال بعض هؤلاء يتحرك من أجل التنديد بالعاملين، لأنّ العاملين يشكلون التحدي العملي لأمثال هذا البعض في حمل المسؤولية الإسلامية في الساحة.

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد يلتقيان بالدعوة إلى الخير في الجانب الذي تفرضه الدعوة إلى المعروف والبُعد عن المنكر بالكلمة وأمثالها، ما

يكون حركة إيجابية نحو الخير والمعروف، وحركة سلبية ضد الشر والمنكر. وهذا من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد يتحركان في اتجاه الخطوات العملية التي تعمل على تغيير الواقع بالمواقف الحاسمة التي يقفها العاملون ضد المنكر في اتجاه المعروف، بالثورة عليه، وبمواجهته بالضغوط القوية، من أجل إزالته تارة، أو التخفيف من غلوائه أخرى؛ سواء كان في العمل الفردي المنكر المتمثل في انحراف الفرد عن خط الإسلام، أو في العمل الاجتماعي الذي يمثله انحراف المجتمع ككل في الخط العملي بشكل عام، أو في العمل السياسي الذي يعمل على السير بقضايا الأمة المصيرية في الاتجاه المنحرف، على غير سيرة العدل، ويعمل على إخضاع مقدراتها للكفر والكافرين، بمختلف الوسائل الخفية التي تجعلها تحت سيطرة الاستعمار والمستعمرين؛ أو في العمل الاقتصادي الذي ينحرف بالاقتصاد عن شريعة الله في مصادر الثروة ومواردها وطريقة توزيع الإنتاج، وإبقاء ثروة الأمة تحت سيطرة الاحتكار الجشع، الأمر الذي قد يسيء إلى عزتها وكرامتها.

ضرورة مواجهة المنكر:

وفي ضوء هذا المفهوم الشامل، نكتشف الخط الإسلامي للمسيرة الإسلامية تجاه رصد حركة الواقع في الجانبين الإيجابي والسلبي، فنلاحظ أن الله - سبحانه - يريد للأمة أن تتحمل مسيرة الخير بمعناه الواسع، بالدعوة إليه، حتى لا يبقى هناك أحد لم تبلغه الدعوة، وهو ما يعني العمل على نشر الدعاة والمرشدين في كل المناطق والمجالات لسد هذا النقص الكبير فيها، كما يريد للأمة أن ترصد المعروف والمنكر في المجال التطبيقي للإسلام، لتتحمل مسؤولية الأمر بالأول، والنهي عن الثاني، بكل الإمكانات المتاحة لها، في منطقة الشعور الداخلي، بالرفض النفسي للمنكر، والتعاطف الروحي مع المعروف، وهو ما يعبر عنه بالتغيير بالقلب، أو في منطقة التعبير، بإطلاق الكلمة القوية التي تؤيد أو ترفض،

وهو التغيير باللسان، أو في مجال المواجهة بالدخول إلى صميم الواقع والضغط عليه بشدة، وهو ما يعبر عنه بالتغيير باليد. فلا مجال - بعد ذلك - للقول إن الإسلام يوافق على السلبية الفردية والاجتماعية في هذا المجال، أو أنه يوافق على أن يعزل الإنسان في النطاق الذاتي الذي لا يخلق له أية مشكلة مع الآخرين، على أساس أن كل فرد مسؤول عن نفسه، فلا مسؤولية له عن غيره إلا في نطاق النصائح والتوجيهات الأخلاقية العامة التي تلامس المشكلة من بعيد، بحيث لا تثير أي شعور سلبي لدى المنحرفين والكافرين والظالمين.

وقد ختمت الآية هذه الدعوة، بإعطاء هؤلاء الذين يقومون بهذه المهمة صفة الفلاح، بقوله تعالى: «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، للإيحاء بأن هذه الدعوة إلى الخير، والممارسة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تمثل خط الفلاح للقائمين بها، من خلال أنها تمثل قيامهم بالمسؤولية العامة في ما يريد الله منهم القيام به، مقابل الخاسرين الذين يبتعدون عن مشاكل المسؤولية وأتاعبها.

عدم التفرق سبيل الفلام:

ثم تتعرض الآية الكريمة إلى النهي عن السير في خط التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى انهيار المجتمعات وابتعادها عن خط الاستقامة، من خلال ما يحدثه من التمزق الأخلاقي والسقوط الاجتماعي، الذي يفقد فيه المجتمع توازنه الفكري والعلمي، فيسيطر عليه المتطرفون الذين يعملون على إضلال الناس وإسقاط قيمهم الروحية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية لمصلحة امتيازاتهم الظالمة، أو يتولى أمره المستكبرون والكافرون الظالمون، فيبتعدون به عن خطه المستقيم وإيمانه القويم. وذلك هو قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ»، فلم يلتفتوا على قاعدة فكرية واحدة على مستوى العقيدة والمفاهيم العامة والتصور الشامل للأشياء، بل أخذ كل واحد منهم بشيء من الأفكار المختلفة التي يناقض بعضها بعضاً، ما أدى إلى التنافر والتنازع والضللال، كل

ذلك بالرغم من قيام الحجة عليهم من الله سبحانه، بالدلائل الواضحة، والبيّنات القوية، «وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» جزاء تمردهم على الله وانحرافهم عن خطّه المستقيم.

وقد نلاحظ - في هذا المجال - أنّ الله سبحانه لم يطلب من المسلمين كافة القيام بهذا الدور، بل دعاهم إلى أن يكون منهم جماعة مخصوصة لتقوم بذلك، فكيف نفهم ذلك؟

الظاهر أنّ القضية ليست في مجال التحديد، بل هي في مجال تقرير المبدأ؛ أي أنه لا بُدّ للأمة من دعاة للخير، ومن أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، وعلى هذا الأساس، فإنّ عدد هؤلاء وحجمهم يختلف بحسب اختلاف حاجة الساحة إلى تحقيق هذا الهدف. فقد تمرّ الأمة بمرحلة عادية لا تحتاج فيها إلا إلى النشاط الطبيعي الذي تقتضيه طبيعة الأشياء، ولكنّها قد تمرّ بحالة طوارئ من التحديات الصعبة العنيفة التي يثيرها دعاة الكفر والضلال، بالمستوى الذي تحتاج فيه الأمة إلى كلّ طاقاتها لمواجهة ذلك كله، بحيث يتحوّل الموقف إلى (الوجوب العيني) الذي يتوجّه إلى كلّ فرد بنفسه، ولا يكفي أن يقوم به إنسان عن الآخرين، بدلاً من (الوجوب الكفائي) الذي إذا قام به البعض سقط عن الكلّ، وإذا لم يقم به الكلّ أثموا جميعاً.

وفي ضوء ذلك، انطلقت الآيات والأحاديث الشريفة في تأكيد الإبلاغ والتذكير، والدعوة إلى الله، والتنديد بالعلماء الذين يكتمون علمهم في الحالات التي تظهر فيها البدع وتتكاثر في المجتمع؛ لأنّ ذلك هو السبيل إلى استمرار الرسالة حيّة نامية في حياة الناس، وقويّة صلبة أمام التحديات الفكرية والعملية، ما يجعل من السكوت - في حالة القدرة على الكلام - خيانة للإسلام والمسلمين؛ لأنّ ذلك يُفقد الموقف قوّة من قواه الجاهزة على صعيد الواقع... وإذا كانت مواقف النبيّ والصحابة والأنمة ﷺ وليدة ظروفهم الزمانيّة والمكانيّة، فإنّها ليست محصورة في

نطاق حياتهم ومرحلتهم في مجال الدعوة، بل هي مواقف ممتدة في الحياة امتداد الرسالة في الزمن، ما يجعل من الدعوة إليها أمانة الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان.

ننائج أعمال الفلام والمنكر في الآخرة:

وقد نستطيع التأكيد في هذا المجال، أن الرسالة الإسلامية لم تصل إلينا بهذا المستوى الكبير من القوة والوضوح والامتداد، إلا بفضل المواقف الرسالية التي وقفها العلماء والمجاهدون في مراحل التاريخ في دعوتهم إلى الخير، وفي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومواجهتهم للقوى الكافرة والضالة، حتى سقط منهم الشهداء في خط المسيرة الطويل... وهكذا يظل الإسلام دين دعوة إلى الفكر والإيمان، وتوجيه للعمل والتطبيق في عملية توعية وانفتاح.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وهذا تعبير إيحائي عن الحالة الروحية التي تترك تأثيراتها على الصورة البارزة للإنسان، من خلال عناصرها الخاصة في الذات، فإذا كانت الروح منفتحة على الجانب المشرق من النيات الخيرة والأعمال الصالحة، فإن ذلك ينعكس على إشراقه الوجه نوراً وبشراً، لأن هذا الإنسان لا يشكو من عقدة تثقل روحه وتشوه صورته، أما إذا كانت الروح منغلقة على الخير ومنفتحة على الشر في الدوافع والأعمال، فإن الإنسان يبدو من خلالها شيطانياً في ملامحه، معبراً عن ذلك في وجهه، مظلماً في ذاته. وهذا ما يوحى بالحقيقة الإنسانية التي تتمثل في تأثير الواقع الداخلي على صورة الواقع الخارجي للإنسان، بحيث تتمثل ملامحه الداخلية في ملامحه الخارجية، في الصورة تارة، وفي النظرة العامة لحركته تارة أخرى. وقد عبر الله عن ذلك بطريقة أخرى في صورة المؤمنين يوم القيامة، في النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وذلك هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وبإزاء هؤلاء، نرى المنافقين والمنافقات غارقين في الظلمة يستجدون النور من المؤمنين والمؤمنات ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

وتزداد الصورة وضوحاً في مواجهة الموقف، فيبدو لنا هؤلاء الذين اسودّت وجوههم، فإذا بنا نلمح في أوضاعهم وتقارير أعمالهم، وطبيعة السؤال الإنكاري الذي يوجّه إليهم: «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ»، نلمح صورة النَّاس الذين ساروا في خطِّ الإيمان فترةً من الزمن، ولكنهم وقعوا تحت تأثير الضغوط الذاتية من الشهوات والأطماع والأضاليل، فانحرفوا عن الخط، ثم تحول انحرافهم إلى مواجهةٍ مضادةٍ للخط نفسه، عندما فرضت عليهم ذاتياتهم أن يقاوموه، ليرضى عنهم أولياؤهم من الكافرين والضالين.

وفي هذا إحياء دقيق من بعيد، بأنَّ على الإنسان أن لا يستسلم للثقة بإيمانه ويسترخي ويتكاسل، بحيث يؤمن بأنَّ إيمانه لا يتزعزع مهما كانت الظروف والضغوط، بل ينبغي له أن يحرس إيمانه بالفكر والتأمل والقراءة والحوار والعمل، لأنَّ الكثيرين من النَّاس قد ضلُّوا بعد الهدى، وكفروا بعد الإيمان، تحت تأثير العوامل السلبية المتنوعة المحيطة بهم... فحاق بهم العذاب نتيجة ذلك كله، وواجهوا النداء الحاسم من الله: «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ».

«وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ» فقد عاشوا حياتهم مع الله؛ فإذا فكروا، كان الله أول ما يفكرون فيه، في عظمة خلقه وكرمه في نعمه، وفي كل شيء يحيط بهم، وإذا خططوا لحياتهم، كان الله هو الذي يستلهمونه في رسم تلك المخططات، وإذا واجهتهم الشهوات، وقفوا منها موقف التوازن الذي يأخذ منها ما يبني للإنسان روحه وجسده في ما ينفع الروح والجسد، ويرفض منها ما يهدم للإنسان كيانه في ما يضرهما؛ أمّا إذا عاشوا مع النَّاس، فابَّتهم لا يفكرون في أنفسهم فقط، بل يفتحون على الحياة الفردية والاجتماعية للآخرين، كمنطلق لممارسة المسؤولية المفروضة عليهم من الله، في أن تكون حياتهم خيراً وبركة للآخرين، فلا يصدر منهم أي ضرر أو فساد لأي إنسان، وإذا وقفوا مع أنفسهم، تذكروا الله قبل ذلك، فعلموا أنَّهم عبيد له، وعرفوا أنَّ من واجبهم أن يعبدوه حقَّ عبادته، وأن يطيعوه

حق طاعته، في كل ما يستطيعونه ويقدرّون عليه من ذلك... فهؤلاء عاشوا القرب من الله في فكرهم وشعورهم وعملهم، فاستحقوا رحمته الخالدة التي يمنحها للصالحين والمجاهدين من عباده ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

مسؤولية الإنسان في اختيار مصيره:

إنَّ الله يختم الموقف بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْثُلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾، فقد بيّن الله للناس الأمور كلها، ودلهم على العلامات التي تحدّد لهم خطوط الحياة والمصير المبنية على أساس الحقّ، ووضع كلّ إنسان منهم أمام مسؤوليته، ليختار - بعد إقامة الحجّة عليه - الخطّ الذي يتجه به إلى الجنّة، أو الخطّ الذي يتجه به إلى النار. فإذا عاقبه بانحرافه وظلمه لنفسه، فأبّه يواجبه بأعلى مواقف العدل، لأنّ الله لا يريد ظلماً للعالمين، فهو العدل الذي تعالى شأنه عن الظلم، وهو الغني عنهم في كلّ شيء، فلا حاجة به إلى الظلم الذي لن يحتاجه صاحبه إلا على أساس عقدة داخلية يُعاني منها في ذاته.

والحمد لله ربّ العالمين.

صياغة الشخصية الإسلامية على أساس العدل

على المؤمنين
ضرورة صياغة
شخصيتهم الإسلامية
على أساس العدل،
ليكونوا الصورة
الحقيقية للعدل في كلّ
ما يتحركون به في
واقعهم العمليّ

❖ صياغة الشخصية الإسلامية على أساس العدل

❖ الشهادة بالقسط

❖ الحضّ على المال الحلال

❖ الإقرار بالملكية الفردية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

صياغة الشخصية الإسلامية على أساس العدل:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وهو يخاطب الذين آمنوا من عباده: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»^(١).

تندرج هذه الآية المباركة في سياق الآيات التي تؤكد أن على المؤمنين ضرورة صياغة شخصيتهم الإسلامية على أساس العدل، ليكونوا الصورة الحقيقية للعدل في كل ما يتحركون به في واقعهم العملي، سواء مع الأقربين من الناس، أو مع الأبعدين منهم. والعدل هو الهدف الكبير للحياة في تطلعات الإسلام وأهدافه؛ حيث قال تعالى في آية أخرى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^(٢)، وقد بين سبحانه فيها، أن الهدف من إرسال الرسل والرسالات إنما هو قيام الناس بالقسط، وهو العدل.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ»، أي كونوا قائمين بالعدل؛ بأن تجعلوا حياتكم قياماً به، من أجل أن يستوعب كل علاقاتها ومعاملاتها وأعمالها وأقوالها، بحيث تتحول كل نشاطاتكم إلى حركة دائبة في هذا السبيل. «شُهَدَاءَ لِلَّهِ»

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) الحديد: ٢٥.

لا للعاطفة، ولا للمزاج، ولا للمصلحة أو للطمع؛ وذلك بأن تواجهوا الواقع الموضوعي كما هو، من خلال ما ترونه وما تسمعون، بعيداً عن أية مؤثرات أخرى، على أساس أن دور الشهادة هو أن يكشف الحقيقة لتكون أساساً للعدل الذي هو - في محتواه - الله. «وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»، لأن الله أقرب إلى الإنسان من نفسه، فلا ينظر في شهادته مصلحة نفسه ورضاها، بل مصلحة العدل الذي يلتقي به رضا الله. «أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ»، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا قيمة للعلاقات الشخصية أمام العلاقة بالله، لأن أيّاً من هذه العلاقات ينتهي عند حدود رضاه. وتلك هي قصة القيم الكبرى في الحياة، فإنها تتقدم كل شيء مهما كانت عظمتها، لتكون الأشياء كلها في خدمتها، ولتكون هي بدورها في خدمة الإنسان في دوره الحقيقي أمام الله؛ وبذلك تتصاغر العواطف والمشاعر لتتحول إلى هواء ودخان، لتبقى للحياة عناصرها الأساسية الدائمة.

«إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا»، فلا يفكر الإنسان - أمام خط العدل - في أن يشهد لمصلحة الغني لغناه، أو ضد مصلحته من أجل العقدة الذاتية تجاهه، أو يشهد للفقير على أساس العاطفة التي تتفاعل إنسانياً وعاطفياً مع مظاهر الفقر والامه، ما قد يوحى بالانحراف عن الحق. «فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا»، فإن الله هو الذي يتكفل بمصالح عباده برحمته التي تشملهم جميعاً؛ وتلك هي حكمته التي ارتكزت على أساس أن الانحراف عن العدل، مراعاةً لبعض الخصوصيات، يسيء إلى المستفيدين منه في المستقبل أكثر مما ينفعهم، «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا»، بل اتبعوا الحق الذي يقودكم إلى العدل. وتلك هي وصية الله التي يجب أن تلتزموا بها «وَإِنْ تَلَوُّوا»، أي تحرفوا «أَوْ تُعْرَضُوا» عن السير مع وصايا الله وتعليماته، فتواجهون الموقف الصعب أمامه غداً يوم القيامة؛ «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، فلا تحاولوا أن تعتذروا بما لا مجال لقبول العذر فيه، لأنه إذا كان الناس من حولكم يعلمون ظواهر الأشياء من دون النفاذ إلى الأعماق، فإن الله يعلم واقع هذه الأشياء وعمقها.

الشهادة بالقسط:

وفي آية أخرى، يركّز القرآن الكريم خطّ العدالة في ما يتّصل بالحالة النفسية السلبية التي قد يحملها الإنسان تجاه الآخر، والتي قد تدفعه إلى إيقاعه في الضرر والظلم من خلال شهادته أو حكمه، انطلاقاً ممّا يوحي به خطّ العداوة بينه وبين الآخر.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

تطلق هذه الآية المبدأ الأساس في طبيعة الموقف الذي ينبغي للمؤمنين أن يقفوه، فتدعوهم إلى أن يكونوا قوَّامين لله، بحيث تكون حياتهم كلها قياماً له، وانفتاحاً عليه، والتزاماً برضاه، في كل ما يفكرون فيه، ويتطلعون إليه، ويقومون به من أعمال، ويمارسونه من علاقات، ويهتمون به من قضايا ومواقف. فليس هناك مكانٌ في شخصيتهم، في كل ما يختزنونه من دوافع، ويعيشونه من مشاعر وأحاسيس، لغير الله، وبذلك يصبح الإنسان خاضعاً في موقفه في كلّ العلاقات الإيجابية والسلبية لرضى الله.

وفي ضوء ذلك، أرادت منهم أن يكونوا «شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ»، أي بالعدل؛ لأنّ ذلك هو مقياس الارتباط بالله والابتعاد عن غيره، لما يستلزمه الارتباط بالحق من رؤية صافية واضحة لا يحول الضباب بينها وبين واقع الأشياء، فالمؤمن ينظر بنور الله الذي أودعه في قلبه، ونور الله لا يخطيء ولا ينحرف عن خط الحقيقة.

وبذلك تكون الشهادة بالقسط حركة الإيمان الواعي في حياة المؤمن، وبهذه الروح، لا يكون هناك مكان للعداوة والصداقة في هذا المجال، فليس للمؤمن أن يفكر فيهما فيما ينطلق فيه من مشاعر، وفيما يتحرك به من مواقف، بل أن يكون كل فكره - عند أية قضية - الله والحق، فهما الهاجس في كل شيء. ويؤكد الله هذا الجانب من الموقف في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنكم ﴿شَتَانُ قَوْمٍ﴾ أي بغضهم وعداوتهم، ﴿عَلَى الْأَعْدَاءِ﴾ فتشهدوا عليهم بغير الحق، أو تحكموا عليهم بالباطل، ﴿اعْدُوا﴾ مع أعدائكم وأصدقائكم على حد سواء، ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، فالعدل يلتقي مع خط التقوى الذي يراقب فيه الإنسان ربّه ولا يراقب غيره، مهما كانت صفته في حياته، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الالتزام بهذا الخط في جميع مجالات حياتكم، فلا تدعوا العلاقات السلبية والإيجابية تؤثر على طريقتكم في الحكم والشهادة، ولا تغفلوا عما توحيه فكرة الإيمان من الحقيقة الإلهية، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وهذا الخط هو ما يميّز المجتمع المسلم في أفراد، سواء على مستوى الحكم، أو على مستوى العلاقة والمعاملة، فالإيمان يمثل الضمانة الحقيقية التي يقدمها الإسلام لكل الذين يلتقون معه في العقيدة أو يختلفون معه فيها، فلا مجال - مع الإسلام - للظلم حتى للأعداء، لأن قضية العداوة تخضع لأوضاع ومواقف معينة تفرض نوعاً من السلوك السلبي ينبغي أن لا يبتعد عن الموازين والقوانين الشرعية، تلك الموازين والقوانين التي تعتبر أن للعداوة مساحة لا يمكن أن يتعداها الإنسان المؤمن، وهي مساحة الحقوق التي اكتسبها هذا العدو أو ذاك، من خلال الموثيق والمعاهدات، أو من خلال الأحكام الشرعية التي أنزلها الله مما يحترم فيه بعض جوانبه الإنسانية.

وبناءً على ذلك، يجب على القائمين على شؤون التربية الإسلامية، تأكيد هذا الجانب في بناء شخصية الإنسان المسلم، والابتعاد به عن الانفعالات الحادة التي قد

توحي بها العداوة، كي لا ينحرف عن الخطّ المستقيم، وذلك من أجل بناء مجتمع سليم عادل، على أساس تركيز الفرد المسلم العادل. وتلك مهمة صعبة في واقع المجتمع المنحرف القائم على قواعد الانفعالات التي تُثيرها العلاقات السلبية والإيجابية، ولكئها الصعوبات التي تنتظر الدعاة إلى الله، الأدلاء على سبيله، ليكونوا في مستوى مسؤوليّة الإيمان والحياة.

الحضّ على المال الحلال:

ثمّ تتابع الآيات الكريمة خطابها للمؤمنين، أن لا يغفلوا في تفاصيل حياتهم وحركتهم عن خطّ العدالة، فيقول تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(٤).

جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الآية: كانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك. وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) قول الله - عزّ وجلّ - في كتابه: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ؟» فقال: ((يا أبا بصير، إنّ الله - عزّ وجلّ - قد علم أنّ في الأمة حكاماً يجورون، إلا أنه لم يعن حكام أهل العدل، ولكئها عنى حكام أهل الجور. يا أبا محمّد، إنه لو كان لك على رجل حقّ، فدعوتّه إلى حكام أهل العدل، فأبى عليك إلا أن يرافعك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له، لكان ممن حاكم إلى الطاغوت؛ وهو قول الله عزّ وجلّ: «الْمُتَرِّ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَامِلُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ»^(٥))). وفي رواية ثالثة عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ((يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال))^(٦).

(٤) البقرة: ١٨٨.

(٥) النساء: ٦٠.

(٦) البحار: ج ١٥، ص ٣٣، ح ١.

(٧) نفسه، ص ٣٢٥، ح ٦.

هذا المنهج في التفسير، جاء وفق الأسلوب الذي اتبعه أئمة أهل البيت عليهم السلام في التفسير بالمصداق، للإشارة إلى المفردات التي ينطبق عليها العنوان العام، من دون تخصيص الآية بهذا المورد أو ذاك. وهذا ما نلاحظه في هذه الروايات التي فسرت الباطل بالقمار تارة، واليمين الكاذبة أخرى، كما استوتحت الرواية الثانية من الآية، قضية التحاكم إلى حكام الجور، والامتناع عن التحاكم إلى حكام العدل، لأن أولئك قد يحكمون بغير الحق؛ بالرشوة التي قد يطلبها الحاكم ويقدمها المرتشي إليه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي لا يملك أي واحد منكم المال الذي لا يستحقه، وذلك بالاستيلاء عليه من خلال الوسائل غير الشرعية التي لا يرضاها الشرع ولا يقبلها العقلاء، سواء كان ذلك بالغصب والظلم، أو بالقمار ونحوه، فإن مسألة الحق في المال خاضعة لأسباب معينة جرى عليها العقلاء في الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المعاملات العامة والخاصة، وأمضاها الشارع أو لم يردع عنها، ما يجعل الوسائل الأخرى تقع في حيز الباطل، مما يحرم معه أكل المال والاستيلاء عليه، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي تلقوا بها إلى القضاة الذين ينظرون في قضايا الناس لإصدار الأحكام فيها، وذلك قد يكون برشوة الحاكم الجائر المنحرف للحكم بالباطل، وقد يكون بتقديم القضايا للمحاكم من خلال الحجة الباطلة، والبيئة الكاذبة، والضغط القاسي، والأيمان الكاذبة، للوصول إلى أخذ المال من غير حق بفعل الأساليب غير المشروعة. وقد روى المفسرون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للخصمين: ((إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار))^(٨). فبكيا وقال كل واحد منهما: حقي

لصاحبي، فقال ﷺ: ((أما إذا قلتما فاذهبا فاقتما ثم توخيا الحق، ثم أسهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه))^(٩).

وربما كان الظاهر من سياق الآية، أنَّ المشكلة تتصل بالإدلاء بالأموال إلى الحكام، بحيث تكون المسألة اتفاقاً بين الأكل والحاكم، للحكم بالباطل بواسطة الرشوة ونحوها، لأنَّ الآية تدلُّ على الإدلاء بالأموال إلى الحاكم، بمعنى تقريبها منه وجعلها في تصرفه، ليحكم بها على مزاجه من خلال ما يقدم إليه منها من الحصة أو الرشوة. وهذا هو المستفاد من رواية الإمام الصادق ﷺ الثانية التي ذكرناها في صدر تفسير الآية. وفي ضوء هذا، لا مجال للاستدلال بالحديث المروي عن النبي محمد ﷺ على عنوان الآية؛ والله العالم.

﴿لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ من خلال الوسائل غير المشروعة في الاستيلاء على هذا المال، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ واقع الحال الذي يوحى إليكم بأنكم على باطل من دون أية شبهة، ما يجعل جريمتكم أكبر، لأنَّ ارتكاب الحرام مع العلم، أكثر خطورةً وأعظم قبحاً من ارتكابه مع الشك.

الإقرار بالملكية الفردية:

وهذا تشريع جديد، يضاف إلى التشريعات الإسلامية التي يُراد من خلالها تنظيم الواقع الاجتماعي للمسلمين، ولكنه تشريع يتعلّق بالعلاقات المالية بينهم، فإنَّ الإسلام يقرّ بالملكية الفردية التي تقتضي اختصاص كلِّ فرد بحصته من المال الذي أعده الله وخلقه للإنسان، ولكنه نظم له طريقة الاختصاص والتملك بطرق شرعية خاصة، فأحلّ له ذلك بأسباب، وحرّم عليه بأسباب أخرى، واعتبر كلَّ سبب لا يقرّه الشرع باطلاً؛ لا يحقق ملكاً، ولا يبيح تصرفاً، ونهى الإنسان عن كلِّ علاقة باطلة بكلِّ ما تستتبعه من أوضاع وتكاليف، وكفى عن ذلك بالأكل، باعتبار أنَّ الأكل يمثل أولى الحاجات الطبيعية التي يُقبل عليها الإنسان في وجوده لحفظ حياته.

وربما كان التعبير بـ «أَمْوَالُكُمْ»، إشارة إلى أن المال للجماعة، ولكن الله جعل لكل فرد منه حصة خاصة يتصرف فيها بما يريد، وبما لا يسيء إلى مصلحة الآخرين، الأمر الذي يؤكد الصفة العامة للمال من موقع تأكيده الصفة الخاصة، على أساس أن لكل منهما وظيفة ودوراً لا يتعداه ولا يسيء في حركته العملية إلى الآخر.

ولا بُدُّ لنا في هذا المجال، من مواجهة كلِّ علاقتنا المالية، بالوعي الشرعي الذي يميز بين الحقِّ والباطل فيها، في ما أباحه الله وفي ما حرّمه منها، وذلك في ما يستحدثه الناس من التشريعات المالية في توزيع المال من جهة، وفي أخذه من أصحابه من جهة أخرى، وفي ما ينحرف به السلوك في مجالات التطبيق الفردي والجماعي، فعلى المسلم أن لا يندفع مع التيارات المتحركة في الساحة بعيداً عن حكم الله، انطلاقاً من الحالات الانفعالية في الثورة على الظلم والظالمين، فإنَّ تحطيم الظلم لا يمكن أن يحصل بظلم جديد آخر، بل لا بُدَّ من أن ينطلق من موقع العدل المتمثل بالتشريع الإسلامي.

وقد تعرّضت الآية، في حركة التطبيق العملي لهذا الخط، إلى ما يتعارف به بين الناس، من بذل الأموال لحكام الجور عن طريق الرشوة، من أجل أن يحكموا لهم بالباطل في ما يتنازعون فيه من قضايا الأموال والحقوق، وفي ما يقدمونه ضدَّ بعضهم البعض من دعاوى باطلة؛ وتشجب الآية هذا السلوك، وتنبيه الناس إلى أن لا يقدموا أموالهم إلى الحكام على سبيل الرشوة، من أجل أن يأكلوا فريقاً من أموال الناس بالطرق غير الشرعية التي لا يكسب الإنسان منها إلا الإثم والعذاب عند الله، الذي يعلمونه حقاً في ما أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله.

وفي الآية لفظة موحية إلى الحكام بطريق غير مباشر، في أن يمتنعوا عن أخذ ذلك، باعتبار ما فيه من تزيف للحقِّ بالباطل، ومن الحكم بالمال إلى غير مستحقه، ما يؤدي بهم إلى عذاب الله من جهة، وإلى عدم ضمان المال من جهة

أخرى. وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تفيد بأن رسول الله ﷺ قال: ((لعن الله الراشي والمرتشي والمماشى بينهما)) بالرشوة، وفي بعضها، أن الرشوة كفر بالله العظيم، وفي بعضها أنها شرك.

وقد يكون من بين الموارد التي تشملها هذه الآية - ولو بالإيحاء - ما يتعارف عليه بعض الناس من توكيل بعض المحامين، ليدافعوا عن الدعاوى الباطلة، وليجدوا لأصحابها مخرجاً من القانون يمكنهم من خلاله ربح الدعوى على الإنسان البريء أو المظلوم، وقد يكون من بينها، ما يلجأ إليه بعض الناس من الرجوع إلى القانون الوضعي المدني، الذي يحلّ للناس بعض ما حرّمه الله، كما في القوانين التي تساوي بين الذكر والأنثى في الميراث، وذلك للحصول على الحصة التي لا يحلها الشرع من المال، فإنّ ذلك أكل للمال بالباطل من جهة، وإدلاء بالمال إلى الحكام ولو بالواسطة من جهة أخرى، في ما يتعلّق بالمحامين الذين يحرم عليهم أخذ الأجرة على ذلك، كما يحرم على الآخرين دفعها إليهم، لأنّ ذلك باطل بباطل.

إن كلّ ما تقدّم، يؤكّد أنّ على الإنسان المؤمن أن يصوغ حياته، حتى في تفاصيلها الجزئية، على أساس العدل، فلا يميل إلى الأقربين أو النفس، ليغلب جانب الهوى والعاطفة على صوت الحقّ والعدالة، ولا يميل عن الأبعدين أو الأعداء ليغبط حقوقهم لمصلحة أقاربه أو نفسه، كما لا يتحرّك في كسبه للمال، أو في اكتشاف مواقع الحقوق، بالأساليب الباطلة، والطرق المنحرفة، ليحصل على مكسب هنا، أو حظوة هناك، فإنّ كلّ ذلك يصطدم بالمبدأ الأساس الذي تحرّكت الرسالات من أجل تأكيده وتركيزه في حياة الفرد والمجتمع. وفي كلّ ذلك، يتحرّك الإيمان في الإنسان ليكون هو القائد لكلّ مشاعره السلبية، ولكلّ أفكاره الأمّارة بالسوء، ليحرّك إرادته

في خطِّ العدالة، انطلاقاً من حركية التقوى في نفسه، والله تعالى يقول:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٠).

والحمد لله ربّ العالمين.

كيف يتعامل المؤمنون مع أهل الكتاب؟

مسألة الإيمان هي
مسألة تمتد للحياة
كلها، وتنفتح على
الإنسان كله، وتركز
القيم في خطوطها
الروحية والأخلاقية
وأبعادها الاجتماعية
الإنسانية

❖ حركة العقيدة

❖ تحصين الداخل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

حركة العقيدة:

لا نزال - من خلال هذه الرحلة القرآنية الطويلة - نتحدث عن الإيمان، باعتباره من جنود العقل الذي يفتح على كل عناوين الإسلام، في عناصره الحيوية، وفي كل فروع، وفي كل الخطابات القرآنية التي يخاطب الله سبحانه فيها المؤمنين، ليخطط لهم كيف يحركون إيمانهم في حياتهم وفي كل أوضاعهم وعلاقاتهم؛ لأن مسألة الإيمان هي مسألة تمتد للحياة كلها، وتفتح على الإنسان كله، وتركز القيم في خطوطها الروحية والأخلاقية وأبعادها الاجتماعية الإنسانية.

يخاطب القرآن الكريم المؤمنين في بعض آياته، فيذكر لهم كيفية تعاملهم مع الآخرين من غير المؤمنين؛ لأن قضية الخطوط العقيدية تختلف بين الأديان؛ بين الإسلام واليهودية والنصرانية والبوذية والمجوسية، وغيرها، وهذا ما قد يوحى للمسلمين بالانفصال في العلاقة بينهم وبين غيرهم نتيجة لذلك الاختلاف. ولكن القرآن الكريم يريد للمسلمين أن يفتحوا بأخلاقياتهم على كل الخطوط الدينية، وخصوصاً على أهل الكتاب، باعتبارهم كانوا هم المتصلين في الموقع الاجتماعي بالمسلمين في المدينة، وكان اليهود فيها يمثلون الأكثرية غير المسلمة مقابل النصارى الذين كانوا أقلية في المنطقة آنذاك، ولذلك دعاهم إلى أن يفتحوا على أهل الكتاب انفتاحاً تعاشياً، من خلال الالتقاء على الكلمة السواء، وذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

وقد دخل القرآن في نقاش وجدال حول ما يعتقده اليهود والنصارى من تفاصيل العقيدة، وأراد من المسلمين أن يجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالتالي هي أحسن، في الوقت الذي تحدث عن خصوصية اليهود في سلوكياتهم السلبية ضد المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾. والله سبحانه لم يناقش في هذه الآية دينهم، وإنما ناقش سلوكياتهم، وإن كان قد ناقش دينهم في مجال آخر. كما تحدث عن النصارى في سلوكياتهم الإيجابية مع المسلمين، وأراد للمسلمين أن يقابلوا الإيجاب بالإيجاب، فقال عن النصارى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

وبذلك، يكون الإسلام قد أفسح في المجال للمسلمين في الانفتاح على غير المسلمين، فكانوا يعيشون معهم، ويتعاملون معهم، سواء في المدينة أو في غيرها، وسمح لهم رسول الله ﷺ بأن يصلوا في مسجده صلاتهم الخاصة، وكان هناك حوار بين الرسول ﷺ وبينهم، وعندما لم يصل الحوار إلى نتيجة، تمت كما هو معلوم عملية المباحلة. ولذلك كان التوجيه الإسلامي للمسلمين أن يعيشوا بروحية منفتحة على هؤلاء.

وقد لاحظ القرآن الكريم، مما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى رسوله، أن المسلمين ربما يمتدون مع غير المسلمين بالمودة والصدقة والمعاشرة وحتى الاندماج، بحيث إنهم قد يمنحونهم أسرارهم المتنوعة، تماماً كما يمنحون بعضهم البعض الأسرار الداخلية للواقع الإسلامي، وربما انفتحوا عليهم بالكثير من القضايا

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) المائدة: ٨٢.

التي تحيط بالواقع الإسلامي، ما قد يشكل خطراً على الواقع الإسلامي؛ باعتبار أن هذا الانفتاح الكامل الشامل على اليهود والنصارى، ربما يجعل أولئك يخططون للإضرار بالمسلمين، واستغلال ما يعرفونه من نقاط ضعفهم إلى جانب نقاط قوتهم، ومن إيجابياتهم إلى جانب سلبياتهم، ليكيدوا لهم، في الوقت الذي قد لا يعطي اليهود والنصارى للمسلمين أسرارهم، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾^(٣).

ولذلك، أراد الله سبحانه وتعالى أن يتقّف المسلمين ثقافة اجتماعية، وفي اصطلاح هذه المرحلة: يتقّفهم ثقافة أمنية، بأن يدرسوا خلفيات هؤلاء الناس في كل ما يضمرونه، وفي كل ما يخططون له، كما أراد أن يشرح الطبيعة الحاقدة لأعداء المسلمين، حتى يستطيع المسلمون حماية أنفسهم من هؤلاء، فأنزل الله بعض هذه الآيات - كثقافة أمنية - تجعل المسلمين يعرفون كيف يتعاملون مع هؤلاء بالكثير من الوعي لخلفياتهم، والكثير من الحذر لمخططاتهم. وإذا كان القرآن يتحدث عن هؤلاء الذين عاصروا النبي ﷺ من أهل الكتاب، ولاسيما اليهود، فإن هذه الآية تفتح لنا آفاقاً واسعة لما نواجهه في واقعنا الإسلامي أمام الفئات التي تكيد للإسلام والمسلمين، ممّن قد يفتح المسلمون عليهم، فيهاجرون إليهم، ويتعلّمون عندهم، ويدخلون معهم في سياساتهم وفي أحلافهم، ولاسيما أن العصر الذي نعيش فيه، يحفل بالكثير من وسائل التخابر الدولي، فلكل دولة مخابراتها، ولها أجهزتها المتقدمة التي تحاول أن تنفذ إلى كل ثقافات الشعوب لتدرس نقاط ضعفها وقوتها، ولتدرس كل أسرارها، ولتعرف ما تتفق عليه وما تختلف فيه، وهكذا تدرس ضعفها في الاقتصاد وفي الأمن وفي السياسة، لتنفذ إلى ذلك كله، لتفسد على المسلمين أمرهم في سياساتهم وفي اقتصادهم وفي نسيجهم الاجتماعي وفي أمنهم، حتى يستولي هؤلاء على المسلمين.

لذلك، عندما نقرأ أي آية تناولت حدثاً أو وضعاً في ذلك الزمن، فإن علينا أن نعرف أن هذه الآيات لا تعيش في داخل المرحلة التي نزلت فيها، بل تمتد إلى كل مرحلة تعيش فيها هذه النماذج الإيجابية والسلبية، وتتحرك فيها الأساليب الجيدة والأساليب غير الجيدة، لنجعل من القرآن حركة للواقع كله، فإن القرآن هو كتاب الحياة، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: ((القرآن يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر)).

تحصيلين الداخل:

وفي تفسير هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ»، المراد من البطانة هنا هي الجماعة القريبة للصيقة بالإنسان، وقد استعير هذا اللفظ من بطانة الثوب التي توضع تحت الثياب ملتصقة بها، وذلك أن هؤلاء قد يعطيهم الإنسان الولاية من نفسه، فيلتصقون به كما تلتصق البطانة بالثوب، بحيث يدخلون معه في أسرارهم وفي كل قضاياهم الخاصة، فيجعلهم موضع ثقته وسره، وكما يقول صاحب كتاب (مجمع البيان): ((خاصة الرجال الذين يستبطنون أمره، مأخوذة من بطانة الثوب: الذي يلي البدن لقربه منه، وهي نقيض الظهارة، ويسمى بها الواحد والجمع والمؤنث والمذكر)).

«مِن دُونِكُمْ» أي من الناس الآخرين الذين يختلفون عنكم في العقيدة أو في كثير من الشؤون العامة التي ترتبط بحياتكم مما تختلفون فيه عن الآخر. وربما يكون المراد من قوله تعالى: «مِن دُونِكُمْ» المستكبرين في مقابل المستضعفين، فالمستكبرون أيضاً يمثلون فئة أخرى تعمل من أجل السيطرة على الواقع الإسلامي في عملية ضغط وقهر واستغلال وما إلى ذلك... «لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ»، أي لا تجعلوا اليهود والنصارى وغيرهم من الذين يحملون عقدة سلبية بالنسبة إليكم، أو المستكبرين الذين يخططون للإجهاد عليكم أو للسيطرة عليكم وما إلى ذلك، لا تجعلوهم مقرّبين منكم، ولا تعطوهم أسراركم، لا تتعاملوا معهم مثل تعامل الإنسان

مع خاصّته، ومع الناس الذين يرتبطون به. واتّخاذهم بطانة قد يتمثل في أن ندخلهم في أجهزتنا الأمنية، أو في أوضاعنا الاجتماعية، أو في مواقعنا الوظيفية، أو في واقعنا التربوي، أو في حركتنا الاقتصادية وما إلى ذلك؛ لأنهم سوف يتآمرون على الواقع كله، ويستغلّون موقعهم المتقدّم على كل هذه المستويات، ليكيدوا ما أمكنهم ذلك.

ثم يبدأ في وصفهم: «لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا»، فهم لا يقصّرون في جلب الفساد لكم. والخبال هو الشر والفساد والاضطراب في الرؤية والموقف، وقد أخذت كلمة الخبل بالفتح للجنون، إنما يقال عن المجنون إنه خبل، لأن الخبل هو الفساد، وباعتبار أن المجنون يعيش فساد العقل مثلاً، والرجل المخبل الرأي يعني فاسد الرأي.

«وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ» يعني استهواهم أن تدخلوا فيما يشقّ عليكم أمره من المتاعب والخسائر والهزائم وكل الأمور التي تسقط الواقع عندكم وتجعلكم في حالة جهد وتعب لا تملكون فيه القوة والاستقرار.

«قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»، يعني عندما يعيشون هذه الذهنية تجاهكم، فإنهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ومن حيث يريدون أو لا يريدون، يظهر الحقد عليهم من خلال فلتات ألسنتهم؛ «وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ»، وكأنّ هذا الذي يظهر منهم هو قليل من كثير؛ إذ إنّ صدورهم تضمّر في داخلها الكثير من هذه الحالات الخبيثة التي تواجهكم بكلّ هذه العداوة والبغضاء. «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ»^(٤) يعني بيّنا لكم ما يجب عليكم أن تحذروه، وما ينبغي أن تخططوا له للنجاة في طريقة تعاملكم مع هؤلاء.

ثم يبين القرآن الكريم كيف هي روحية المسلمين تجاههم، وكيف هي

روحيتهم ﴿هَآأَنُتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ﴾؛ لأن الإسلام قد عودكم على أن تفتحوا على غيركم ممن لا يدين بدينكم، وممن قد تلتقون معه ببعض ما قد يتفق فيه دينكم مع دينه، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾، لأنهم يعيشون العصبية العمياء ضد المسلمين، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، والمقصود هنا التوراة والإنجيل، وسائر ما أنزله الله تعالى على أنبيائه؛ لأن رسول الله ﷺ جاء مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وبصحف إبراهيم، كما آمن بالقرآن، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين في جدالهم مع أهل الكتاب أن يقولوا: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَالْهُكْمُ وَآجِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥)، بينما اليهود لا يؤمنون بالإنجيل ولا بالقرآن، والمسيحيون يؤمنون بالتوراة ولكنهم لا يؤمنون بالقرآن. فالفرق بين المسلم وغير المسلم، أن المسلم يؤمن بالكتاب كله، لأنه يعتبر أن كل كتاب نزل على موسى وعيسى وإبراهيم، هو كتاب الله الذي أراد الله للناس أن يؤمنوا به ويعملوا له.

﴿وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ في عملية خداع وعملية نفاق، كما يتحدث القرآن الكريم عن هؤلاء الذين يخادعون الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَنُونَ﴾^(٦). ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ يعني عاشوا مع بعضهم البعض ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾. والتعبير بـ (عض الأنامل) يعبر عن التشنج النفسي الذي يخفي وراءه حالة الحقد والبغضاء؛ لأن الشخص عندما لا يستطيع أن ينقس عن حقه وعن عصبيته، فإنه يعض أنامله حتى ينقس عما في نفسه. ﴿قُلْ مَوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ﴾؛ لأن المسلمين سوف ينتصرون عليكم، وسوف ينتشر الإسلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٧) بما تختزنونه في أنفسكم.

ثم يتحدث القرآن الكريم عن الحالة النفسية التي يحملونها أمام ما يواجهه

(٥) العنكبوت: ٤٦.

(٦) البقرة: ١٤.

(٧) آل عمران: ١٩.

المسلمون من الانتصارات تارة، أو الهزائم أخرى: «إِنْ تُمَسِّسْكُمْ حَسَنَةٌ سُوْهُمُ»، يتألمون كأي حاقد يجد أن من يحقد عليه يصل إلى نتائج جيدة في حياته، «وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا»، أي إذا حصلت لكم بعض المشاكل أو الهزائم في الحروب، فإبتهم يفرحون بها، «وَإِنْ تُصِبرُوا وَتَتَّقُوا» وتسيروا على الخط الذي أمركم الله أن تسيروا عليه بكل الوسائل «لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا»؛ لأن الله سبحانه وتعالى سوف يسدّدكم، وسوف ينصركم، وسوف تنفتحون على الخير في المستقبل كله، «إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطٌ»^(٨).

هذه الآيات توضح للمسلمين كيف يعيشون الحذر من الآخرين الذين يختلفون معهم، والذين يحملون كل المشاعر السلبية وكل الأفكار الخبيثة ضدهم. ونحن عندما نواجه هذا الجو الذي نزلت فيه هذه الآيات التي حذرت المسلمين الذين كانوا يلتقون مع اليهود، والذين كانوا يلتقون مع المنافقين، وأرادت لهم أن يعيشوا الوعي بذلك، فإننا - في مرحلتنا هذه وفي عصرنا هذا - نواجه واقعاً أكثر خطورة من الواقع الذي واجهه المسلمون آنذاك؛ لأنّ اليهود والنصارى، كانوا يشكلون أقلية في ذلك الوقت، وكانوا لا يملكون من الوسائل ما يمكنهم من القضاء على الواقع الإسلامي. أمّا اليوم، فنحن نواجه الاستكبار العالمي المتحالف مع الصهيونية العالمية، ونجد أنّ هؤلاء بدأوا ينفذون إلى الواقع الإسلامي، ويضغطون على المسلمين من أجل الاعتراف بالكيان الغاصب، وسيطرته على فلسطين، أو الاستسلام للخطط الإمبريالية والاستكبارية التي تتعاون مع بعض المسلمين لاحتلال بلاد المسلمين ومصادرة ثرواتهم والتخطيط لإسقاط كل ما لديهم من قوة وكل ما لديهم من الواقع، وهو ما نستوحيه من هذه الآيات. وللکلام بقية إن شاء الله.

والحمد لله ربّ العالمين.

علاقة المؤمنين بالآخرين... محدّداتها... ضوابطها

إن كل من اتخذ الكافرين
أولياء من دون
المؤمنين، فهو في عداد
المنافقين؛ لأن الإخلاص
يفرض على الإنسان
المؤمن أن ينفث في
ولاية الأمور على
المؤمنين، لا على
الكافرين

❖ حدود النفاق

❖ العلاقة الإيمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

حدود النفاق:

من بين العناوين القرآنية التي تركّز على بعض المظاهر السلبية التي يُمكن أن يقع فيها المؤمنون، عنوانُ اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وذلك بأن يتركوا للكافرين تدبير أمورهم وتخطيط أوضاعهم، انطلاقاً مما يملكه هؤلاء الكافرون من الخصائص والامتيازات والمعلومات، فيتركون لهم إدارة الواقع الإسلامي، بينما لا يفتحون على المؤمنين الذين قد يملكون بعض القيادات الحكيمة والخبيرة، إذ يرون أن الكافرين يملكون ما لا يملكه المؤمنون من الفرص والامتيازات والمواقع المتقدمة في السلطة أو في المال أو في الجاه، ممّا تنفتح عليه أطماعهم وطموحاتهم الذاتية أو الفئوية، فيتقربون إليهم ليحصلوا على مواقع العزة عندهم؛ لأنهم يشعرون بنقاط الضعف أمام الكافرين، ولا يعيشون العزة في أنفسهم، هذا في الوقت الذي أراد الله للمؤمنين أن يعيشوا العزة من خلال إيمانهم، ومن خلال علاقتهم بربهم، ومن خلال كل العناصر التي تتحرك في أوضاعهم، وفي كل القيم التي يوجّه الله المؤمنين إليها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، العزة التي لا بدّ لهم من أن يقتدوا فيها بالله العزيز، وبالنبي الذي يعيش العزة من خلال ما أفاضه الله عليه من الرسالة، وما أطلقه في حياته من المواقع القوية.

وذلك خلاف الإنسان المنافق، وهو الذي يظهر الدين ويبطن الكفر، ويظهر الإيمان ويبطن الضلال، ويفتح على أطماعه وشهواته بدلاً من انفتاحه على مبادئه، والله أطلق الله هذا الخط بقوله: «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(١)، أولئك الذين لا يملكون الإخلاص في ما يلتزمونه من الخطوط والمبادئ، فيتركون مجتمع الإيمان وخطوط الإيمان، ليتحركوا في خط الكفر. من هم أولئك؟ «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ»، فيفضلون علاقتهم بالكافرين على علاقتهم بالمسلمين، ويخلصون للكافرين دون المؤمنين.

ثم يطلق الله التساؤل حول موقف هؤلاء الذين يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، حيث إن الإيمان يفرض على صاحبه أن يعتبر نفسه جزءاً من المجتمع الإيماني، وأن يتخذ الموقف الحاسم في الانفصال عن المجتمع الكافر، فلا يرى للكافرين ولاية على المؤمنين، بل يرى الولاية للمؤمنين؛ لأن الله يقول: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»^(٢)، فهناك ولاية مشتركة في داخل المجتمع الإيماني، فالمؤمن هو ولي المؤمن والمؤمنة، والمؤمنة هي ولية المؤمنة: «أَيَّبَتُّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» لأنهم يستشعرون الذلة في نفوسهم، ولا يجدون، فيما يملكونه من أوضاعهم والفرص التي تتوقّر لهم، أي موقع للعزة. ولكن يجب أن يعرف هؤلاء، أن لا عزة لغير الله؛ لأن العزة تنطلق من القوة، والعزة المطلقة التي لا حد لها تنطلق من القوة المطلقة التي لا حد لها، «فَبِأَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»^(٣). وقد تحدث الله سبحانه وتعالى في آية أخرى: «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»^(٤)، وفي آية أخرى يقول تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

(٢) النساء: ١٣٨.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) النساء: ١٣٩.

(٥) البقرة: ١٦٥.

مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٦).

ونستوحي من الآية الكريمة، أن كل من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، هو في عداد المنافقين؛ لأن الإخلاص يفرض على الإنسان المؤمن أن يفتح في ولاية الأمور على المؤمنين، لا على الكافرين، ليتعاون معهم، وليتواصل معهم، في تقوية الموقع الإسلامي، على المستوى الثقافي والسياسي والأمني والاجتماعي والاقتصادي.

العلاقة الإيمانية:

وفي آية أخرى، يقول الله سبحانه وتعالى في موقع النهي مخاطباً المؤمنين: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فإله سبحانه، يطلق المسألة على أساس التحريم القوي القاطع في أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بحيث يعطون الكافرين ولاية أمورهم، وتدبير أوضاعهم، وتقنين قوانينهم، وتحريك أوضاعهم في اتجاه الحرب والسلام، أو في اتجاه القضايا في خطوطها السياسية والاجتماعية والأمنية. ثم يأتي التهديد لمن يفعل ذلك: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾^(٧)، أي أن الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيولونهم أمورهم، فإن هؤلاء ستنتقطع العلاقة بينهم وبين الله؛ لأن الارتباط بالله يفرض انطلاق الموقف من القاعدة الإيمانية المنفتحة عليه، والمرتكزة على التواصل مع الذين يؤكّدون في سلوكهم القوة للإيمان، ما يفرض على المؤمنين الانفصال عن القوة المضادة التي تنبئ الكفر كقوة فكرية وعملية وسلطوية في مقابل الإيمان، ويفرض عليهم أيضاً الأخذ بأسباب القوة للمؤمنين، والضعف للكافرين، فيكون اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين مضاداً للخطة الإيمانية التي يرضاها الله.

(٦) آل عمران: ٢٦.

(٧) آل عمران: ٢٨.

وهنا لابد لنا من أن ندرس هذا الخط الإسلامي؛ هل إن الإسلام يريد من المؤمنين أن يقطعوا الكافرين، فلا يتعاملوا معهم، ولا يتواصلوا معهم؟ وهل يريد أن يفصل المؤمنون عن الكافرين انفصلاً كلياً، في الوقت الذي نعرف أن الواقع الإنسانيّ عموماً، ومنه الواقع الإسلامي، هو واقع يتداخل فيه المجتمع الكافر مع المجتمع المسلم، فقد يحتاج المسلمون إلى الكافرين فيما يملكون من مال، وقد يحتاجونهم فيما يملكونه من علم أو خبرة أو ما إلى ذلك، وقد تفرض الأوضاع على المسلمين في صراعاتهم المتنوعة مع هذا الشعب وذاك الشعب، بأن يتحالفوا جزئياً مع هؤلاء الكفرة أو أولئك من دون أن يسقطوا أمامهم؟ هل يريد الإسلام من المسلمين أن يقطعوا الكافرين، أو أن المسألة تختلف عن ذلك؟

إننا نستوحي من هذه الآيات، ومن آيات أخرى، أن القرآن يريد أن يؤكد دعوته للارتباط العضوي بين أفراد الجماعة الإسلامية من موقع الإيمان الواحد، فعندما يرتكز المؤمنون على قاعدة الإيمان في عقيدته وشريعته وخطوطه الفكرية والثقافية، فستكون القاعدة الإيمانية هي التي تجمعهم، وهي التي تربط بعضهم ببعض، وهي التي يفتحون عليها في علاقاتهم مع بعضهم البعض، بحيث ينطلقون من الخطوط التي يؤمنون بها على مستوى العلاقات والمعاملات والتواصل فيما بينهم هنا وهناك؛ لأن المسألة هي مسألة القاعدة الفكرية التي توحد المسلمين فيما يعتقدونه وفيما يفكرون فيه وفيما يلتزمون به، بحيث إنهم يعتبرون أنفسهم موقعاً واحداً، لا فواصل فيه بين مسلم ومسلم فيما يؤمن به وفيما يعتقدونه. وعلى ضوء هذا، فإنهم عندما يلتزمون بالقاعدة الإيمانية في كل عناصرها الفكرية، وفي كل مفاصلها العملية، فإن من الطبيعي جداً أن يفصلوا عن الذين تختلف قاعدتهم عن قاعدتهم.

وعلى سبيل المثال، عندما يؤمن المؤمن بوحداية الله، وأن الله هو الإله الواحد الخالق للكون كله، والمدير للحياة كلها، والمهيمن على الأمر كله، وأنه

هو الذي أودع في هذا النظام الكوني القوانين التي تنظم مسيرته وتدبر أمره على أساس ما قاله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٨)، فإذا نظر إلى الآخرين الذين ينشغلون بغير عبادة الله، والذين يعيشون في مآهات الشرك، ولا يفتحون على النظام الكوني فيما دبره الله وقدره، ولا يعتبرون أن هناك في العلاقات الإنسانية أية قاعدة يلتقي الناس عليها، فمن الطبيعي أن يكون لهؤلاء خط ولأولئك خط آخر، وأن تنفصل قيم هؤلاء عن القيم الإيمانية التي يلتزم بها المؤمنون.

وما كانت الآية السابقة بصدده، هو أن الاختلافات الجوهرية التي يخضع لها الواقع الإنساني كله، والإسلامي كله، تؤدي - بطبيعتها - إلى الانفصال بين المسلمين والكافرين في الواقع الثقافي والخط العملي الحركي؛ ولكن هناك فرقاً بين ذلك، وبين الاختلاف في القضايا التفصيلية التي تتصل ببعض القضايا الجزئية هنا وهناك، ببعض ما نأكل أو نشرب أو نلبس أو ما إلى ذلك، مما لا يمثل أساساً للقيم الإنسانية بين الناس، فإن الله لم يحرم على المسلمين أن يتعاملوا مع الكافرين، بل إنه أباح لهم ذلك، فمن الممكن للمسلمين أن يقيموا علاقات تجارية أو ثقافية معهم، أو أن يفتحوا على بعض العلاقات الأمنية بما لا يسقط الواقع الإسلامي، حيث لا مانع على مستوى العلاقات من أن يقوم ذلك كله، وذلك هو قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٩). ولكن لا بد للمسلمين، عندما يحركون العلاقات معهم، أن لا يفقدوا القاعدة الإيمانية التي ينطلقون منها في معنى إيمانهم؛ لأن الله يريد للمسلمين البقاء في خط القاعدة الإيمانية، بحيث لا يجتاحهم واقع الكفر في ما يعتقدون وفي ما يلتزمون.

(٨) الطلاق: ٣.

(٩) الممتحنة: ٨-٩.

لذلك، لا بد للمسلمين من أن يحافظوا على تركيز الخطوط العقائدية في ما هي العقيدة، والخطوط الثقافية في ما هي مفاهيم الثقافة، والخطوط الحركية في ما هي خطوط الحركة، وأن ينطلقوا على أساس أن يبقى لهم إيمانهم وإسلامهم، وأن لا يذوبوا فيما يأخذ به الكافرون من قواعدهم الفكرية ومن التزاماتهم العملية.

لهذا، فإن الله سبحانه وتعالى أراد الانفصال الفكري والروحي والعملية بين المسلمين والكافرين، وترك مساحة للأمور التفصيلية الجزئية التي لا علاقة لها بالأسس التي يركز عليها الإيمان والكفر في هذا المجال. وتزيد ضرورة ذلك الانفصال، إذا كانت المسألة من المسائل التي قد تتمثل في سيطرة الكافرين على المسلمين، عندما يتحوّل الكافرون إلى أولياء للمسلمين والمؤمنين، بحيث يدبر الكافرون أمور المسلمين تدبيراً ثقافياً وفلسفياً وسياسياً وأمنياً، كما نلاحظه في مرحلتنا الحاضرة، في الواقع الإسلامي الذي يتخبط فيه المسلمون، حيث رأينا أن أشخاصاً من القائمين على الواقع الإسلامي، يسلطون الكافرين المستكبرين على المسلمين، لأنهم يبتغون عندهم العزة، لتبقى لهم رئاستهم وملكياتهم وثرواتهم وما إلى ذلك، فإن هؤلاء هم المنافقون الذين ينتظرون من الله عذاباً أليماً.

ويبقى لدينا بعض الاستثناءات التي ذكرها الله في الآية، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(١٠)؛ إذ ليس لكم أن تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، إلا إذا فرضت عليكم التقية ذلك. فما هي التقية؟ وكيف نمارسها؟ وهل نمارسها بشكل مطلق؟ وهل هي عنصر ضعف، أو أنها عنصر مروءة أو ما إلى

ذلك؟ هذا ما نرجو أن نتحدث عنه في حديثنا القادم.

والحمد لله رب العالمين.

المؤمنون وموقف التقية

إذا كان الإقدام على التحدي يؤدي إلى نتائج سلبية على الأمة، بحيث ينطلق الكافرون أو المنحرفون في موقف قاس تجاهها، فهنا لا بد للإنسان من أن يلجأ إلى التقية للمحافظة على خط المعارضة، وصوناً للخط الإسلامي المستقيم

❖ الظروف القاهرة

❖ منطق القوة

❖ التقية وحدود الله تعالى

❖ حفظ الموقف وحمايته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الظروف القاهرة:

لا نزال في الحديث عن قوله عز وجل: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً»^(١). والفقرة الأخيرة من الآية - وهي قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» - تتحدث عن حالة استثنائية في واقع سلوك المؤمنين مع الكافرين الذين يملكون السيطرة القاهرة التي يقهرون من خلالها كل من خالفهم في الرأي، ولا سيما المؤمنين، بالمستوى الذي قد يصل إلى القتل أو إلى السجن أو إلى مصادرة أموالهم، أو إلى إسقاط الخط الذي يؤمنون به. فإله سبحانه وتعالى إذ يؤكد في صدر الآية ضرورة التبري من ولاية الكافرين تحت طائلة الخروج من ولايته، يستثني حالات تخضع لعنوان التقية، والتي قد يظهر المؤمنون فيها الانسجام مع الكافرين فيما يفرضونه من أوامر ونواهٍ وتعليمات وأوضاع، والإيحاء لهم بأنهم معهم في خطهم الفكري والعملية، وذلك تحت ضغط التهديد الخفي أو المعلن، والتعسف السلطوي الذي يمارسونه ضدهم في أساليب الظلم والعدوان التي يوجهها المستكبرون ضد المستضعفين.

وقد رخص الله لهؤلاء المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، التقية، كما في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا

فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا^(١). هؤلاء الذين سُدَّتْ في وجههم كل أبواب النجاة والهروب من سيطرة الظالمين، فهم لا يملكون القدرة على دراسة ظروفهم الموضوعية، في مقارنة بين واقعهم الضعيف وموقع الأقوياء الظالمين، ليتمكنوا من التعامل مع الواقع في مستوى لا يمثل أية مشكلة كبيرة أو أية أهمية عظمى، من دون فرق بين أن تكون التقية في العقيدة، أو في الشريعة، أو في الموقف السياسي أو الاجتماعي.

والتقية لا تعني السقوط النفسي والفكري، أو عدم اتخاذ الموقف الواضح الصريح المتحدي المنفتح على التضحية، بل إن الله سبحانه وتعالى قد رَخَّص للناس أن يأخذوا بالتقية كسبيل للتخلص من الواقع الضاغط الذي يضغط عليهم، في الوقت الذي جعل لهم الحرية في الأخذ بموقف القوة في مواجهة الأعداء؛ إذ لم يحصر المسألة بالتقية، ووعدهم بالثواب الكبير على ذلك، لدلالته على مدى إخلاصهم لله ورسوله ودينه في الالتزام بالقضايا الكبرى.

ولعل أفضل نموذج لمسألة التقية في العقيدة، ما ذكره القرآن الكريم في قصة عمار بن ياسر، حيث تنقل السيرة أن المشركين اعتقلوا عماراً وأبويه، وعذبوهم عذاباً شديداً، حتى سقط أبواه شهيدَيْن تحت تأثير التعذيب، وكان عمار لا يزال في مرحلة الشباب، وقد بلغ به العذاب مبلغاً نطق معه بكلمة الكفر، فأطلقوا سراحه، وجاء مذعوراً خائفاً إلى النبي ﷺ، وأخبره بذلك، وهو يشعر بأنه فقد إيمانه من خلال ما نطق به من كلمة الكفر، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢)، لِيُبَيِّنَ من خلالها أن قضية الكفر أو الإيمان ليست في ما يتلفظ به

(٢) النساء: ٩٧-٩٩.

(٣) النحل: ١٠٦.

الإنسان، ولكن فيما يعتقده، فإذا تلفظ بالكفر مكرهاً من دون اختيار، لم يחדش ذلك إيمانه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى رفع التكليف بالنسبة إلى ما أكره عليه، وقال له النبي ﷺ - فيما تنقله السيرة -: إن الله أنزل فيك قرآنًا، فإن عادوا فعدُّ، أي: وإن عادوا إلى إكراهك على ذلك، فعدُّ إلى ما يخلصك من العذاب. وهذا خطأ إسلامي أباح الله فيه للمسلمين أن يمارسوا أي كلام يطلبه منهم المشركون والكافرون في حالات الضغط غير الطبيعي وفي حالات استثنائية.

منطق القوة:

ولكن لا بدَّ لنا من التدقيق في موارد التقية؛ فلا يبادر المُستضعف إلى الأخذ بالتقية دونما دراسة للظروف الموضوعية المحيطة بموقفه، فينبغي للتحدث بما لا يؤمن به وبما يفرضه عليه الآخرون، بل لا بدَّ من أن يدرس المسألة دراسة واقعية، في موقعه العملي بين الأخذ بالرخصة أو الاندفاع في التحدي، بمعنى أن الإنسان في بعض الحالات قد يرفض الرخصة، كما حدث بالنسبة إلى حجر بن عديؓ، هذا الذي طلب منه معاوية ومَن معه أن يسبوا علياًؓ ويبرأوا منه، فرفضوا ذلك، فقتلهم معاوية لأنهم رفضوا سبَّ عليؓ.

وقد روي عن الإمام جعفر الصادقؑ، في تفسير قول عليؓ من على منبر الكوفة: ((أيُّها الناس، إنكم ستدعون إلى سبِّي فسُبُوني، ثمَّ تدعون إلى البراءة مني؛ فلا تتبرأوا مِنِّي))، فقال الإمام الصادقؑ: ((ما أكثر ما يكذب الناس على عليؓ؛ إنما قال: إنكم ستدعون إلى سبِّي فسُبُوني، ثمَّ ستدعون إلى البراءة مِنِّي، وإني لعلي دين محمدؐ، ولم يقل: ولا تتبرأوا مِنِّي. فقال له السائل: رأيت إن اختار القتل دون البراءة؟ فقال: والله ما ذلك عليه، وما له إلا ما مضى عليه عَمَّار بن ياسر، حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»...))^(٤).

فقد أراد الإمام علي عليه السلام أن يبين للناس، أنهم إذا دُعوا إلى البراءة منه، فليس لهم أن يتبرأوا منه البراءة الحقيقية؛ لأن البراءة منه هي براءة من دين محمد صلى الله عليه وآله، ولكن حرجاً ورفاقه لم يأخذوا بالرخصة، بل واجهوا المسألة على مستوى التحدي، حتى سقطوا شهداء في هذا الطريق. وينقل في هذا المجال عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه سُئل عن رجلين ((من أهل الكوفة أخذاً، فقيل لهما: ابرأ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبرئ واحد وأبى الآخر، فخلّي سبيل الذي برئ وقتل الآخر، قال عليه السلام: أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنة)).

لذلك، لا بد للإنسان من أن يلحظ المصلحة العليا للإسلام، فإذا كانت المصلحة في أن يتحدى، فيجوز له، بل قد يجب عليه التحدي، وإذا وجد أن المصلحة ليست في ذلك، جاز له أن يأخذ بأسباب التقية في الحالات التي تكون فيها المسألة مسألة شخصية.

وبعبارة أخرى، للأخذ بمسألة التقية، لا بدّ من دراسة الظروف الموضوعية المتصلة بالفرد من جهة، وبالمصالح العليا للأمة أو الدين من جهة أخرى؛ فقد يؤدي التحدي - في بعض الحالات - إلى حصول مشاكل كبيرة وسلبات كثيرة على المصلحة العليا، بمعنى أنه إذا وقف هذا الإنسان موقف التحدي، فإن المشكلة سوف تطال الخط الذي يؤمن به، فتكون السلبية ضد الخط لا ضد شخصه. وعلى الإنسان أن يراعي مصلحة الخط في هذا المجال. فالتقية لا تمثل منهجاً ثابتاً يخضع لحكم واحد وخط واحد، بل إن حكمها يتغير بتغير الظروف والأوضاع ومستوى تأثيره على المصلحة العليا في القضايا الكبرى سلباً أو إيجاباً، فإذا كان الإقدام على التحدي يؤدي إلى نتائج سلبية على الأمة، بحيث ينطلق الكافرون أو المنحرفون في موقف قاس تجاهها، فهنا لا بدّ للإنسان من أن يلجأ إلى التقية للمحافظة على خط المعارضة، وصوناً للخط الإسلامي المستقيم، كما كان يحصل في مواجهة

الضغوط الشديدة التي كان يمارسها كلٌّ من الحكم الأموي والحكم العباسي ضدّ الشيعة ليمنعهم من الامتداد في مسيرتهم، بحيث وصلت المسألة إلى المستوى الذي كان - كما يقال - أهون على الإنسان أن يقال إنه يهودي من أن يقال إنه شيعي!

التقية وحدود الله تعالى:

وقد شئ بعض المسلمين على الشيعة الإمامية في مسألة التقيّة، حتى نسبوا إليهم ما لم يقولوه في هذا المجال، في سعة موارد التقيّة وطبيعتها؛ ولكن لو بحث هؤلاء عن ذلك في كتب الشيعة التي عرضت للتقية بإسهاب وتحقيق، لعرفوا أين تبدأ التقية وأين تنتهي، بعيداً عن أجواء الحقد والضوضاء مما يتحدث به الذين لا يأخذون بأسباب العلم، ولأدركوا أنّ التقية ليست وسيلة لتجاوز حدود الله، وإنما هي لحفظ الخط عندما يستهدف من قبل السلطات الظالمة المتعصبة، أو عندما تستهدف حياة الإنسان المسلم، سواء كان سنياً أو شيعياً.

ولكن هذه المسألة ارتبطت بالشيعة، لأنّ الغالب - تاريخياً - هو أن الشيعة هم الذين كانوا يضطهدون، باعتبارهم كانوا أقلية قياسية بأهل المذاهب الأخرى، وهو ما لا نزال نلاحظ بعض ملامحه في واقعنا المعاصر، وذلك عندما يذهب بعض أتباع أهل البيت عليه السلام إلى بعض البلدان التي تحتوي جماعات متعصبة ضد الشيعة، بحيث إذا رأوا إنساناً يصلي صلاة الشيعة في شروطها، فإنهم يضطهدونه ويتعسفون في مواجهته في هذا المقام، وهكذا قد تتطور المسألة إلى اضطهاد الشيعة بشكل عام. وهذا ما نلاحظه أيضاً في الناس الذي يستحلون دماء الشيعة ويتهمونهم بالكفر والشرك والارتداد.

وقد نلاحظ موارد التقيّة في مواجهة الاستكبار العالمي؛ الذي قد يطبق بالضغوط الهائلة على مواقع التحرك الإسلامي، للإجهاد عليها وعلى قياداتها، وهو ما نلاحظه في الاضطهاد والتعسف الذي لا يطال الشيعة فحسب، بل يوجه إلى كل الأحرار من المسلمين بحجّة مكافحة الإرهاب وما إلى ذلك، لإسقاط كل

المواقع التي تعارض الاستكبار العالمي، فقد يتحرك هذا الاستكبار للإجهاز على المواقع الإسلامية وعلى قياداتها، ولإسقاط جمهورها، بما يملكه من وسائل الضغط السياسي والاقتصادي والأمني والعسكري والثقافي، مما قد لا يسمح بالتوازن في المواقف الاعتيادية، أو لا يتيح الفرصة للمواجهة المباشرة، كما قد لا تكون الشهادة في سبيل الحق حلاً عملياً للوصول إلى النتائج الحاسمة، الأمر الذي قد يبرر للقيادات الواعية أن يأخذوا بأسباب الرخصة لإبداء بعض المرونة السياسية العملية في خط التقية، للتخفف من الضغوط الهائلة، من أجل الاستعداد لمواجهة الاستكبار مستقبلاً على أساس المتغيرات الجزئية أو الكلية للظروف الموضوعية.

حفظ الموقف وحمايته:

وعلى هذا الأساس، نعرف لماذا أكد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم الأخذ بأسباب التقية، ولا سيما في العصر العباسي الذي كان يعمل على اضطهاد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقتل بعضهم واضطهاد الشيعة، حتى إن المسألة تجاوزت الخلفاء إلى الناس الذين كانوا يضطهدون الشيعة في التزاماتهم، ولهذا أراد الأئمة عليهم السلام أن يحفظوا التشيع، فحذروا شيعتهم من الإعلان عن الخط الذي يؤمنون به. وقد جاء عن لسان الإمام الباقر عليه السلام: ((التقية من ديني ودين آبائي))^(٥)، وذلك من أجل حفظ الخط الإسلامي الأصيل في خط أهل البيت عليهم السلام.

وهناك شبهة يتحدث بها بعض إخواننا من أهل السنة، في الاعتراض على شرعية التقية لدى الشيعة، فهم يقولون إنكم تستندون في مسألة التقية إلى قوله تعالى: «الْأَمَنَ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، أو إلى قوله تعالى: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً»، فإذا كان موضوع التقية في هذه الأيام واضحاً في

مواجهة الكافرين، فإنكم تستعملون التقية في مواجهة المسلمين الآخرين، فتتحدثون بما لا تؤمنون به، من أجل أن تنسجموا مع ما يؤمن به هؤلاء، وهكذا في المواقع الأخرى، ولذلك لا شرعية للتقية عندكم.

ولكننا أمام هذه الشبهة التي يوجهها هؤلاء ضد الشيعة نقول: إن مسألة التقية لم تكن مجرد مسألة النطق بالكفر في مقابل الإيمان، أو السير مع الكافرين في مقابل الضغوط التي ينطلقون فيها، وإنما كانت شرعية التقية على أساس حفظ النفس، فإن الله إنما رخص لعمار بن ياسر أن يقول كلمة الكفر باعتبار الدفاع عن نفسه؛ لأنه كان معرضاً للقتل، وهكذا عندما قال الله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

فالأساس في تشريع التقية هو الخشية من تعسف الكافرين ضد المؤمنين، بحيث يخافون على أنفسهم من القتل أو مما قد يعتبر قريباً من القتل. وبعبارة أخرى: الأساس في شرعية التقية إنما هو أن يحفظ الإنسان نفسه، أو يحفظ الخط الذي يؤمن به، من دون فرق بين المضمون الفكري أو العقيدي أو العملي. ولذلك، فإن الأئمة من أهل البيت ؑ عندما أمروا الشيعة بالتقية، لم يكن هذا تشريعاً شخصياً منهم، بل كان هذا تشريعاً قرآنياً منطلقاً من الخط القرآني الذي يبرر للإنسان أن يستعمل التقية عند الخطر، ولذلك ورد عن الإمام الباقر ؑ أنه قال: ((التقية في كل ضرورة))^(١)، علماً أن التقية ليست وسيلة من وسائل إسقاط الموقف، ولكنها وسيلة من وسائل حفظ الموقف في الحالات التي يحتاج فيها الموقف إلى حماية وإلى قوة واستمرار.

وقد ورد عن لسان الإمام جعفر الصادق ؑ في تحديد موقع التقية: ((إنما جعلت التقية ليحقق بها الدم، فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية))^(٢)، وفي رواية أخرى عنه ؑ أنه قال: ((وتفسير ما يتقى، مثل أن يكون قوم سوء، ظاهر حكمهم وفعلهم

(٦) الكافي. ج ٢. ص ٢١٩. ح ١٣.

(٧) التهذيب. ج ٦. ص ١٧٢. ح ١٢. ب ٢٢.

على غير حكم الحقّ وفعله، فكلّ شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقيّة ممّا لا يؤدّي إلى الفساد في الدين فإنّه جائز^(٨)، فلا تتحول التقيّة إلى وسيلة من وسائل إسقاط القضايا الكبرى أو إسقاط العقيدة أو ما إلى ذلك.

وهذا ما يفرض على الإنسان الذي يأخذ بأسباب التقيّة، أن يدرس الأمر من جميع الجهات، سواء على المستوى الفردي، أو على المستوى الجماعي عندما توجه الضغوط إلى المجتمع كله، ولأجل هذه الدقة، ربّما ختم الله سبحانه بقوله: «وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»، وذلك بأن لا تستهينوا بالمسألة، بحيث لا تدرسونها دراسة عميقة واسعة «وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ»^(٩).

والحمد لله ربّ العالمين.

(٨) الكافي. ج ٢. ص ١٦٨. ح ١.

(٩) آل عمران: ٢٨.

الإيمان والولاية المرفوضة

الولاية ليست فقط
الولاية القلبية، ولكنها
الولاية الحركية،
الولاية العملية،
الولاية السياسية،
الولاية الأمنية،
الولاية الاقتصادية

❖ حذار من ولاية اليهود والنصارى

❖ المناخ الإيجابي في العلاقات

❖ الحوار الإنساني

❖ مساحة للحذر

❖ إدانة السلوك لا الدين

❖ الحذر الدائم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

حذار من ولاية اليهود والنصارى :

من بين الآيات التي تتعرض لمسألة الولاية المرفوضة، والتي يحذر الله المسلمين من الأخذ بها، الولاية لليهود والنصارى. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾، أي أنهم يسارعون إلى إقامة علاقات واسعة وراسخة مع اليهود والنصارى ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾، أي نخشى أن ينتصر اليهود والنصارى على المسلمين، فبنالنا من ذلك الأذى أو ما أشبه ذلك، والله تعالى يقول تعليقا على ذلك: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

يُنقل أن هذه الآيات نزلت في مناسبة حدثت لبعض المسلمين، ويختلف المفسرون في الحديث عن هذه المناسبة، فقد جاء في أسباب النزول للواحي عن عطية العوفي أنه قال: جاء عبادة بن الصامت، فقال: يا رسول الله، إن لي موالياً - الأصدقاء والأصحاب - من اليهود، كثير عددهم، حاضر نصرهم - ينصرونني -، وإنني أبوء إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، - يعني: أتبرأ من ولاية اليهود - وأوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي - وهو رأس المنافقين في المدينة -: إنني رجل

أخاف الدوائر، - يعني أخاف ما يحدث في المستقبل من أن ينتصر اليهود على المسلمين، فتدور الدائرة على المسلمين - فتنالني ولا أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحباب، ما تجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه، - يعني أن الله هو الذي يحقق له الكرامة - فقال: قد قبلت، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

وجاء في الدر المنثور عن السدي، قال: لما كانت وقعة أُحُد، اشتد على طائفة من الناس - وذلك عندما انهزم المسلمون في الجولة الثانية في هذه الوقعة - وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار - بحيث يتغلبون عليهم أو يقتلونهم أو يأسرونهم -، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بفلان اليهودي، فأخذ منه أماناً وأتهدّ معه - أي أنتقل إلى الدين اليهودي -، فأبى أخاف أن يدال على المسلمين - أخاف أن يتغلب المشركون على المسلمين -، وقال الآخر: أما أنا فالحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام، فأخذ منه أماناً وانتصر معه، فأنزل الله فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

وهناك رواية تقول: بعث رسول الله ﷺ أبا لبابة ابن عبد المنذر ابن الأوس - وهو من بني عمر بن العوف - إلى قريظة حين نقضت العهد، فلما أطاعوا له بالنزول، أشار إلى حلقه الذبح الذبح، أي إذا أطعتم النبي وقبلتم النزول على رأيه فإنه سيذبحكم...

ومما قد يُقال في هذا المجال، أن كلّ واحدة من هذه الروايات تتعرّض لمناسبة مختلفة عن الأخرى، ما يدل على أن هذه الروايات ليست أسباباً للنزول، ولكنها اجتهاد من بعض الرواة الذين يفسّر كلّ منهم مناسبة الآية برأيه. وعلى كلّ حال، فالجوّ الذي تشير إليه الروايات الثلاث ليس بعيداً عن الآية، والمهمّ - هنا - هو التعرّض لبيان مضمونها.

وهنا نسال: ما هي طبيعة العلاقة التي يريدّها الإسلام بين اليهود والنصارى من جهة، والمسلمين من جهة أخرى؟ هل يريد الإسلام المقاطعة، بحيث لا تكون هناك أي علاقة مع اليهود والنصارى؟ أو أن الأمر ليس بهذه الشدة؟
للإجابة عن هذه التساؤلات، نثير عدة نقاط:

المناخ الإيجابي في العلاقات:

أولاً: المناخ الإيجابي بين الإسلام والأديان السابقة:

مما لا شك فيه، أن القرآن جاء مصدّقاً بالكتب التي تقدّمته، ولاسيّما التوراة والإنجيل، ومصدّقاً بكلّ الرسل الذين سبقوا النبي محمداً ﷺ، وقد صرّح بقوله: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾^(١)، وعدّد الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى، وتحدّث عنهم بكل تقدير واحترام، وتحدّث عمّا أفاض الله عليهم من الكرامات، وما جرى على أيديهم من المعاجز، ما يعني أن المناخ الذي أراد الإسلام أن يثيره في وجدان المسلمين، أن الأسس التي يركّز عليها اليهود والنصارى في إيمانهم بالنبي موسى ﷺ وبالسيد المسيح ﷺ وبالسيدة العذراء مريم ﷺ، وبكل الخصوصيات التي تجعل من هذه الوجودات الرسالية وجودات مقدسة ومحترمة، هي أسس مشتركة، وقد اعتبر الإسلام أن الإيمان بالرسول - كما هو الإيمان بالملائكة - جزء من عقيدة الإسلام، فقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ

وَمَلَأْنِيهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلُهُ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ»^(٣). لذلك، فإنَّ المسألة - من ناحية المناخ العام الذي يخيّم على علاقات المسلمين مع اليهود والنصارى - هو مناخ إيجابي ومريح، ويكاد يكون حميماً.

الحوار الإنساني:

ثانياً: الحوار، منهج في العلاقة مع أهل الكتاب:

عندما تحدّث الإسلام عن تفاصيل العلاقة الميدانية بين المسلمين واليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، أكد دعوة المسلمين لأهل الكتاب إلى كلمة سواء، أي الانطلاق من أرضية مشتركة يقف عليها الطرفان، وتتمثل بكلمة سواء، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^(٤)، فاعترف لأهل الكتاب - أولاً - بأنهم موحدون، من حيث اعتباره التوحيد كلمة سواء، مع كل الاختلاف بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في تفاصيل التوحيد، فهم يقولون: إنَّ الله ثالث ثلاثة، ويقولون: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، ويقولون: إنَّ المسيح هو ابن الله، ويقولون: إنَّ عزيراً ابن الله، وما إلى ذلك، ما يعني أن بيننا وبينهم فرقاً في تفاصيل عقيدة التوحيد، ولكن الإسلام ركز على الخط العام الذي يؤكده المسيحيون في صلاتهم، أو في دعائهم، عندما يقولون: باسم الأب والابن والروح القدس إلهاً واحداً، ويفلسفون ذلك بأنه ليس إلا إلهاً واحداً ولكن في أقانيم ثلاثة.

والكلمة الثانية: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، بحيث لا يكون الإنسان رباً للإنسان. وقد أراد القرآن الكريم من المسلمين أن يدخلوا في حوار مع أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، وأن يكون الحوار حواراً إنسانياً حضارياً

يرتكز على أفضل الكلمات وأفضل الأساليب وأفضل المناخات، وذلك قوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»؛ لأن الظالمين ليسوا في موقع الحوار، «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَذَا وَالْهَٰكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»^(٥)، بحيث ركز على مواقع اللقاء من قبل المسلمين بأهل الكتاب في بعض ما يؤمنون به وما يؤمن به المسلمون.

إذاً، فصورة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي صورة إيجابية، من ناحية الخط العام في وحدة الرسالات ووحدة الخطوط التوحيدية ووحدة الإنسانية.

ثالثاً: مظاهر التعامل والمعاهدات التي عقدها مع أهل الكتاب:

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، عقد معاهدة بين اليهود وبين أهل المدينة من المسلمين، وهي وثيقة المدينة، هذه الوثيقة التي تعتبر أول وثيقة قانونية حقوقية تنظم المجتمع المتنوع قبلياً والمنتوع دينياً، وتنظم حقوق بعضهم على بعض، فقد أدخل اليهود في المعاهدة تأكيداً أن الإسلام مستعد لأن يعقد معاهدات مع أتباع الأديان الأخرى والاتجاهات المتعددة، وعندما جاء نصارى نجران إلى النبي ﷺ حاورهم وباهلهم وعقد معاهدة معهم أيضاً، وأفسح لهم في المجال، عندما زاروه أن يصلوا صلاتهم الخاصة في مسجده، وأن يضربوا الناقوس، حتى اعترض المسلمون على ذلك، ولكن النبي أعطاهم الحرية في ذلك.

لذلك، فإن الإسلام لم يرد إلغاء العلاقات الواقعية أو القانونية بين المسلمين والنصارى واليهود، بل نظم هذه العلاقات، وجعل قانون الذمة بالنسبة إلى أهل الكتاب، وكذلك قانون المعاهدة، فقانون الذمة هو الذي ينظم علاقة المسلمين بأهل الكتاب، وقانون المعاهدة يشمل إضافة إلى أهل الكتاب، المشركين والكافرين.

مساحة للحدز:

ولكن، يبقى أن الإسلام أراد من المسلمين، مع كل هذا الجو الإيجابي وهذا المناخ المريح، أن يحذروا من أهل الكتاب، فلا يندمجوا معهم اندماجاً يصل بهم إلى حالة الاستسلام في العلاقات، كما يستسلم المسلمون إلى بعضهم البعض من دون حذر أو تحفظ أو دراسة للخلفيات السلبية التي قد تكمن لدى هؤلاء ولدى أولئك. لماذا؟

لعل السرّ في ذلك، هو أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بأن الإسلام دين موحى به من الله سبحانه، ولا يعتقدون أن النبي محمدًا ﷺ نبي مرسل من قبل الله، بل إن بعضهم يقول - كما في بعض الكتابات المنشورة في لبنان -: إن النبي كان مسيحياً، وقد جاء ببدعة في المسيحية، وسماها الإسلام، وبعضهم يحاول أن يجعل من علاقة النبي ﷺ بورقة بن نوفل - قريب السيدة خديجة ﷺ - شاهداً على تأثره بالمسيحية، باعتبار أن ورقة كان على النصرانية. ولكن هذا أمر سخيف؛ لأن النبي ﷺ لم يلتق بورقة إلا بشكل سريع جداً، وليس لعلاقته به امتداد يذكر، كما أن البعض يشيرون إلى لقاء بين النبي وبين بحيرا الراهب في سفرته إلى الشام، ليوحوا بتأثره به، وبعضهم يقول: إن النبي ﷺ عبقرى ورجل مثقف، وهو الذي وضع القرآن، وهو بالتالي ليس نبياً مرسلًا، والإسلام ليس ديناً.

وعلى ضوء هذا، فمن الطبيعي أن تكون علاقتهم الثقافية والدينية بالإسلام علاقة سلبية؛ لأن هؤلاء يعتبرون الإسلام ديناً يلغي الأديان التي قبله من خلال الالتزام القائل: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^(٦)، ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة))^(٧)، وأن الأديان التي سبقت الإسلام كانت أديان المرحلة المحدودة؛ فالدين

(٦) الأحزاب: ٤٠.

(٧) الكافي، ج ١، ص ٥٨، ح ١٩.

الموسوي مرحلته من موسى إلى عيسى عليهما السلام، والدين المسيحي أو العيسوي يمتد من زمن عيسى ﷺ إلى زمن محمد ﷺ، ثم تنطلق الديانة الإسلامية لتكون دين الحياة. فهم يرفضون ذلك، وقد يخلق ذلك في نفوسهم - من خلال نظرتهن إلى الإسلام والمسلمين - عقدة سلبية، مع أن القرآن الكريم لم يرد أن يقطع علاقة المسلمين بأهل الكتاب كما بينا. لذلك فإن الإسلام لم يرد القطيعة الكاملة، لكنه حذر من التماذي في العلاقات بسبب بعض العقد السلبية، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٨)؛ لأن هؤلاء يختزنون الشعور السلبي في نفوسهم ضد المسلمين، وذلك لأنهم عاشوا في مجتمعات منفصلة عن بعضها البعض؛ كما الحال بالنسبة إلى اليهود والنصارى الذين عاش كل منهم في مجتمع منفصل عن الآخر، ولذلك كانت خلفيتهم السياسية هي أن يكيدوا للإسلام والمسلمين.

وعلى هذا الأساس، أراد الإسلام من المسلمين أن لا يتخذوهم أولياء، بمعنى أن لا يندمجوا معهم اندماج الولي مع الولي، بحيث يهدمون كل الحواجز فيما بينهم، فيطلعونهم على أسرارهم، ويدخلونهم في قضاياهم وأوضاعهم وفي مفاصل حياتهم وما إلى ذلك.

فالقضية ليست قضية القطيعة بين اليهود والنصارى وبين المسلمين، ولكن قضية أن يحذر المسلمون من الخلفيات السلبية التي تكمن وراء نظرة هؤلاء إلى المسلمين، وخصوصاً عندما يتحرك الواقع الميداني في المجتمع ليكون اليهود فريقاً والنصارى فريقاً والمسلمون فريقاً ثالثاً، فإن هذه التعددية قد تخلق نوعاً من أنواع الصدام والصراع قد يدفع بعضهم للاعتداء على بعض.

إدانة السلوك لا الدين:

ونلاحظ من جانب آخر، أن مسألة الإدانة التي انطلقت من الإسلام تجاه أهل الكتاب، وخصوصاً اليهود، لم تنطلق من العقيدة؛ إذ ليست المسألة هي أن الإسلام يريد أن يدمر العلاقات بين أهل الكتاب وبين المسلمين من ناحية عقيدتهم، والإسلام في الوقت الذي ناقش عقيدة أهل الكتاب وردّ عليها، إلا أنه لم يستعمل ذلك لتعقيد العلاقات بينهم على أساس الخطوط العقيدية، بل نظر إلى الواقع السلوكي لأهل الكتاب، فعندما تحدث عن اليهود قال: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا»^(٩)، لا من جهة يهوديتهم، فنحن نعرف أن النبي ﷺ عاهد اليهود حتى في أواخر أيامه، ونعرف كيف أن اليهود عاشوا في البلاد الإسلامية في امتداد الزمن، واستطاعوا أن يسيطروا على أغلب أسواق المسلمين، كما أن بعضهم دخل في الجوانب العلمية في ظل الخلافة الإسلامية العباسية والأموية، لكن المشكلة هي في سلوكهم المتمثل في الحقد والعنصرية ضدّ المسلمين الذين أحسنوا إليهم، فغدروا بهم كما غدروا بالنبي ﷺ، بعد أن عاهدهم في وثيقة المدينة، فتحالفوا مع المشركين في وقعة الأحزاب من أجل حرب النبي ﷺ، والهجوم عليه في المدينة.

أما النصارى، ففي الوقت الذي تحدّث القرآن بطريقة سلبية حاسمة عن عقيدتهم، وذلك قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»^(١٠)، فإنه مدح سلوكهم بقوله: «وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى»، فهو لاء يفتحون على المسلمين بالمودة والمحبة، لأن لديهم قيماً: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصُونَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»^(١١)، فهم متواضعون، ومنهم قسيسون ورهبان يعبدون الله ويفتحون على القيم الروحية من خلال الإيمان به،

(٩) المائدة: ٨٢.

(١٠) المائدة: ٧١.

(١١) المائدة: ٨٢.

ولذلك فإن تعاملهم مع الآخرين تعامل المحبة، ونحن نعرف أنّ شعار المسيحيين هو أنّ الله محبة، وقد أراد الإسلام من المسلمين أن يبذلوا المحبة تجاه المسيحيين، ولكن مع الحذر في التعامل العام معهم، أعني التعامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي وما إلى ذلك، لأجل أن يقوم المسلمون بحماية أوضاعهم الحيوية والمصيرية في هذا الجانب أو في ذلك الجانب.

الحذر الدائم:

هناك تفسير قرآني يقول إن اليهود بعضهم أولياء بعض، وإن النصارى بعضهم أولياء بعض في ذلك، من جهة العداوة التي كانت بين اليهود والنصارى؛ لأن النصارى يَتهُمون اليهود بأنهم قتلوا السيد المسيح، وأنهم صلبوه وما إلى ذلك، ولكن الدوائر دارت الآن، وأصبح هناك تحالف عالمي بين اليهود وبين النصارى موجه ضد المسلمين جميعاً في العالم. وهذا ما نلاحظه في المسألة الفلسطينية، وفي الحملة الخبيثة التي يقودها فريق كبير من المسيحيين المتعصبين - ما يسمّى بالمحافظين الجدد - في الولايات المتحدة الأمريكية وفي كثير من بلدان الغرب، ضد الإسلام والمسلمين، والذين يدأبون على تشويه صورة النبي ﷺ ومن ورائه تشويه صورة الإسلام، وليس لهم همٌّ إلا محاربة المسلمين والشعب الفلسطيني أكثر مما يحاربه اليهود، لأن لديهم عقيدة بأن اليهود إذا سيطروا على فلسطين، فإن ذلك مقدمة لخروج المسيح ﷺ.

وهكذا الأمر مع اليهود الذين أعلنوا الحرب على الإسلام في العالم كله، كما أنهم قاموا بتشريد المسلمين - ومعهم المسيحيون أيضاً - من فلسطين، كما نجد أن هناك حلفاً غير مقدّس يشتمل على كثير من الخلفيات السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية بين اليهود والغرب الذي ينتمي إلى المسيحية، وهذا ما نلاحظه في احتلال العراق وأفغانستان، حيث إن هناك في العراق تحالفاً مخابراتياً عسكرياً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، فإسرائيل دخلت العراق الآن

من الباب الواسع، من خلال تحالفها الاستراتيجي في العالم - ولاسيما في العالم العربي والإسلامي - مع أمريكا في هذا المجال.

لذلك نحن نقرا: «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ»، بحسب الواقع الحالي «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» ومن ينسّق معهم ويؤيدهم ويفسح لهم في المجال ليسيّطروا على بلاد المسلمين ويقوّي احتلالهم، «فَبِأَنَّهُ مِنْهُمْ»^(١٢)، لأنّ الولاية ليست فقط الولاية القلبية، ولكنها الولاية الحركية، الولاية العملية، الولاية السياسية، الولاية الأمنية، الولاية الاقتصادية، كما قال علي عليه السلام: ((إنما يجمع الناس الرضا والسخط))، "والراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم، وعلى الداخل إثم؛ إثم الرضا وإثم العمل"^(١٣).

ويؤكد الله أنّ هناك فريقاً من المجتمع الإسلامي، وهم المنافقون الذين ينسّقون مع اليهود والنصارى للإضرار بالإسلام والمسلمين «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» وهم المنافقون، «يُسَارِعُونَ فِيهِمْ»، في الدخول معهم «يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ» نخشى أن يسيطر النصارى أو اليهود على المسلمين، فإذا لم ننسّق معهم ولم ندخل في مخططاتهم، فستصيبنا الخسارة والمشاكل، والله يجيبهم: «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ»، إذ قالوا للمسلمين نحن معكم في الحرب وفي السلم «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» لأنهم ساروا في خط النفاق وتولوا اليهود والنصارى «فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ»^(١٤).

والحمد لله رب العالمين.

(١٢) المائدة: ٥١.

(١٣) البجار. ج ٦٣. ص ٢١٣. ح ٤٨. ب ٣.

(١٤) المائدة: ٥٢-٥٣.

مخاطبة المؤمنين من خلال إيمانهم

إن مشكلة الكافرين ليست
مشكلة فكرية، فالفكر لا
ينطلق من حالة فكرية
ناشئة من الشبهات
المحيطة بخط الإيمان، بل
هي مشكلة الجهل وغياب
العقل عن الساحة

❖ الحروب النفسية

❖ قيم الجاهلية

❖ كيف نفهم أبعاد هذا النداء للمؤمنين؟

❖ مواقف القوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تعرّض الأنبياء في مجتمعاتهم من أجل الدعوة إلى الله في مواجهة عبادة الأصنام، إلى أساليب رفض ومواجهة عديدة؛ ومنها الاضطهاد بالقتل، والدعايات السلبية حولهم، كالاتهام بالجنون، وما إلى ذلك من الكلمات التي تبعد الناس عن الثقة بهم وعن الاجتماع إليهم، وفي كل هذا، كان الأنبياء يحاولون أن يدخلوا مع هذه المجتمعات في حوار حول بعض المفردات التي كانوا ينكرونها عليهم، كما في مسألة التنافي في عقيدتهم بين الرسالة والبشرية، والتي كان الكافرون يتخذونها دليلاً على عدم الإيمان بهم. ولذلك كان الأنبياء يطلبون من هؤلاء أن يرجعوا إلى مرتكزاتهم الفطرية بعيداً عن أجواء التشويش، بهدف إدراك الحق في دعواتهم.

الحروب النفسية:

إضافة إلى ذلك، كان من بين الأساليب التي أُنشِئت ضدّ الأنبياء ﷺ، الحرب النفسية أو المعنوية، وذلك من خلال إثارة أساليب السخرية والاستهزاء بما يصدر من الأنبياء ومن أتباعهم من مظاهر عبادية، كالصلاة وغيرها. فعلى سبيل المثال، كانوا يتخذون من بعض الحركات العبادية كالركوع والسجود، وسيلة من وسائل السخرية، وذلك في التعليق على طريقة الإنسان في الانحناء في ركوعه أو سجوده. وقد جاء في حديث بعض الغربيين، في مقام انتقاد العبادة الإسلامية، أنها حسية، بما يتمثل فيها من قيام وركوع وسجود، كما لو كان ذلك منافياً للمعنى الروحي للعبادة. ولكننا نرى أن الحس يختزن في داخله معنى الروح، في التعبير عن الخضوع والخشوع، من خلال المضمون العميق الذي يؤكد الفكرة في تزواج المادة والروح.

وقد حدَّثنا القرآن عن هذه المسيرة النبوية التي واجهت أساليب مجتمعتها في السخرية بالأنبياء منذ نوح عليه السلام إلى النبي محمد عليه السلام، فنقرأ في القرآن الكريم، أن نوحاً عليه السلام عندما استكمل رسالته في عملية التبليغ، قدم تقريره النهائي إلى الله الذي بيَّن فيه أن قضيته وصلت إلى الطريق المسدود «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا»^(١)، لأنه استوعب كل الوسائل، واستنفد كل الأساليب - كما تحدَّثنا عنه سورة نوح عليه السلام -، فلم يعد هناك من أسلوب يمكن أن يستخدم معهم. ونحن نجد أن هذا النبي العظيم بلغ القمة في صبره، وفي كونه قدوة لكل الدعاة إلى الله. فأى داعية إلى الله يبقى مع قومه تسعمائة وخمسين سنة؟ فيدعوهم في الصباح، وينكرون عليه دعوته في المساء، كان يدعوهم سرا وجهارا، ولكنهم لا يستجيبون له، وكانت الكلمة منهم واحدة: لن نؤمن لك.

فلذلك قال له الله سبحانه وتعالى: «أَلَمْ يَأْمُرْ أَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ»^(٢)، وأراد الله له أن يصنع الفلك، وكانت الأرض صحراوية لا أنهار فيها ولا بحار، ولم يأتوا إليه ليسألوه عن السبب في صنعه الفلك في أرض صحراوية ليناقشهم ويناقشوه، بل انطلقوا في أساليب السخرية والاستهزاء به، وأراد الله له في هذه المرحلة أن يواجه هؤلاء، بأن يقاوم السخرية بسخرية؛ لأن القوم لم يكونوا من الذين يمكن أن تناقشهم في ما يطلقون من فكر، فالشخص الذي يسخر منك ولا يدخل معك في حوار حول ما تطرحه وما يطرحه، هو إنسان ليس في موقف الاقتناع، ولذلك فإن الوسيلة هي أن تسقطه نفسياً، بأن تردَّ عليه الحرب النفسية التي يوجهها ضدك بحرب نفسية أخرى. قال تعالى: «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْءً عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ»^(٣)،

(١) نوح: ٢٦-٢٧.

(٢) هود: ٣٦.

(٣) هود: ٣٨.

إذا كنتم تأخذون من صناعة الفلك وسيلة للسخرية، لأنكم ترونها عملاً غير عقلائي في هذه الأرض، فإننا نسخر منكم بما سوف يعاقبكم الله به بالطوفان الذي يجتاحكم جميعاً.

وإذا كان الله علماً نبيّه نوحاً أن يستخدم هذا الأسلوب في مواجهة الساخرين به، فإنه يمكن أن يكون أسلوباً يستخدمه كل أصحاب الحق في مواجهة أصحاب الباطل.

ونقرأ أيضاً حديث الله سبحانه وتعالى مع النبي محمد ﷺ الذي كان يتعرض للاستهزاء من قومه، وخصوصاً فيما كانوا يطلقون عليه من صفات، فقد قال تعالى وهو يشير إلى بعض هذه الصفات: «فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ»^(٤)، وقال تعالى: «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ»^(٥)، وقال تعالى: «وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاهُ فِي شَأْنٍ مُجْنُونٌ»^(٦)، «أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ»^(٧)، وقال تعالى: «وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْنَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٨)، وكذلك فيما كانوا يوجهون إليه من الحركات التي توحى بالهزاء والسخرية، فقال له الله سبحانه، وهو يسلي فؤاده، ويريه عاقبة المستهزين: «وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ» فأنت لست أول رسول يستهزئ به قومه؛ فإن هذا شأن الأنبياء الذين سبقوك، وقد تعرّضوا لاستهزاء قومهم بهم، فماذا كان مصير هؤلاء المستهزين؟ «فَحَاقَ» - أي فحل - «بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»^(٩)، فقد كانوا يستهزون بالجنة والنار وبالرّسالة، فحل بهم ما توعدهم الله به.

(٤) الحاقة: ٣٨-٤٢.

(٥) ص: ٤.

(٦) الصافات: ٣٦.

(٧) الدخان: ١٤.

(٨) الفرقان: ٥.

(٩) الأنعام: ١٠.

ثُمَّ تَبَيَّنَ الْآيَاتُ اللاحقة هذه المسيرة الاستهزائية: «زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»، فيما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من ثروات وشهوات، ومن أطماع ومواقع، «وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»، خصوصاً إذا كانوا فقراء وكانوا في المرتبة الدنيا - على طريقة ما حكاه الله تعالى عنهم: «وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ»، «وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعني إذا كان المتقون ممن لا يملكون مواقع متقدمة على المستوى المادي، بل كان هؤلاء يسخرون منهم ويرون أنهم أرفع شأنًا منهم، فإن الله إذا جمع هؤلاء والمتقين، فإن المتقين سوف تكون لهم الدرجات العليا يوم القيامة - «وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١٠) سواء في الدنيا أو في الآخرة.

وفي آية أخرى: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» - منك - «وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ»^(١١)، فهم يواجهون هذه الآيات التي يقدمها الأنبياء لهم بالسخرية والاستهزاء.

وقال تعالى: «وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ»، فلا يواجهون الحق بالحق، ولكنهم يجادلون بالباطل ليطمسوا آثار الحق «وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا»^(١٢)، حاولوا أن يستخدموا أساليب الهزء والسخرية بما أنزل على الأنبياء.

قيم الجاهلية:

ثم يتحدث أيضاً عن الطريقة الساخرة التي كان المشركون يواجهون بها الرسول ﷺ، وكأنهم يستصغرونه. يقول تعالى: «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ» كأنهم يشيرون إليه: من هو هذا؟ كم هي ثروته؟!

(١٠) البقرة: ٢١٢.

(١١) الصافات: ١٢-١٤.

(١٢) الكهف: ٥٦.

ما هو موقعه؟! ما هي مكانته؟! فإن هذا الشخص الذي لا موقع له، هل هو الذي يتحدى ألّهتكم ويذكرها بسوء؟! ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١٣).

وفي آية أخرى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾، هؤلاء الذين أدمنوا تحريك الحديث الذي يشغل الناس بما يتضمنه من اللهو الذي يبعدهم عن حقائق الأمور وحقائق الأشياء، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١٤).

ويقول الله في آية أخرى - وهو يخاطب أولئك الذين كانوا يستهزئون ويسخرون :- ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(١٥).

ونقرأ في خطاب الله - يوم القيامة - لهؤلاء الذين يدخلهم النار: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(١٦)، إلى أن يقول: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾^(١٧)؛ يعني استغرقتم في عملية السخرية والاستهزاء، وشغلتم بذلك عن التفكير في الله سبحانه وتعالى، وفي رسالاته التي آمن بها هؤلاء، واستغرقتم في ذاتياتكم وفي تعقيداتكم النفسية، حتى نسيتم الله سبحانه وتعالى، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١٨)، فلقد نقلتهم من ذلك الواقع الذي كنتم فيه تمارسون الاحتقار لهم في أوضاعهم، وجزيتهم - من خلال صبرهم عليكم - أن جعلتهم الفائزين برضواني وجنتي.

(١٣) الأنبياء: ٣٦.

(١٤) لقمان: ٦.

(١٥) الجاثية: ٣٥.

(١٦) المؤمنون: ١٠٥.

(١٧) المؤمنون: ١٠٩-١١٠.

(١٨) المؤمنون: ١١١.

ونقرأ في القرآن الكريم، أنه عندما يدخل المستكبرون والمتمردون النار، يتطلعون إلى مَنْ هم أهل النار، وهم يريدون أن يتعرفوا الناس الذين كانوا معهم في الدنيا، والذين كانوا يعتبرونهم من الأشرار «وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ»^(١٩)، يعني لا نرى الناس الذين كنا نقول إنهم أشرار، «أَتُخَذَتَاهُمْ سِخْرِيًّا»، بحيث لم نتحرك لنعرف حقيقة مواقعهم، وهل كانوا على حق، لذا فهم ليسوا في النار، أم أنهم موجودون في النار، ولكن أبصارنا زاعت عنهم وانحرفت فحسبنا أنهم ليسوا فيها، «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢٠).

وفي حديث الله سبحانه وتعالى عن سلوك المجرمين ضد المؤمنين: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» ضحك السخرية، «وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ»، يغمز أحدهم للآخر، ويشيرون إليهم باستهزاء، «وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ»، يعني متلذذين مستأنسين باستخفافهم بهؤلاء المؤمنين، «وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ» لا يعرفون طريق الهدى «وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» إذ إن الله لم يحملهم مسؤولية هؤلاء «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ»، فقد عوض الله سبحانه هؤلاء المؤمنين، بأن جعلهم يسخرون من الكفار في الآخرة «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^(٢١)، يعني هل استطاعوا أن يحصلوا على نتائج إيجابية من خلال سخريتهم ومن خلال كفرهم؟! كفرهم!

وهكذا نقرأ كيف كان المنافقون في زمن النبي ﷺ، قال تعالى: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ»^(٢٢)، يعني كنا نستهزئ ونسخر من المؤمنين، ونحاول أن نوحى إليهم

(١٩) ص: ٦٢.

(٢٠) ص: ٦٣-٦٤.

(٢١) المطففين: ٢٩-٣٦.

(٢٢) البقرة: ١٤.

بأننا منهم، وأنا دخلنا في الإسلام، «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طَعْنَانِهِمْ يَعْصُونَ»^(٢٣).

وفي آية أخرى، نجد أن الله خاطب المؤمنين فيما يرجع إلى تعاملهم مع اليهود والنصارى في المرحلة التي عاشها المسلمون، وخصوصاً في المدينة، وكل هؤلاء كانوا يهزأون بالدين الإسلامي. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ»، تلك الوسيلة التي يستخدمها أهل الكتاب والكفار من المشركين ضد المؤمنين، فهم لا يناقشون المؤمنين في دينهم، ولا يدخلون معهم في حوار جذي موضوعي في هذا المجال، بل يحاولون أن يستخدموا أسلوب اللعب بما يطرحه المسلمون، كأنهم يمارسون الألعاب في حديثهم أو في مواجهتهم لهم، ويمارسون أساليب السخرية، «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ»^(٢٤)، يعني لا تتخذوهم أولياء، فلا تصادقوهم، ولا تعتبروا ما يوجهونه إليكم مجرد حالة جانبية، ولا تستغرقوا في علاقتكم بهم، وفي التزامكم مجتمعهم، والتخطيط معهم فيما يتحركون به في المجتمع، بحيث يكون هؤلاء أولياءكم وتكونون أولياء لهم. «وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا»، يعني كانوا لا يحترمون عبادتكم، ولا يحترمون صلاتكم، بل يتخذونها هزواً ولعباً، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ»^(٢٥)؛ لأن الإنسان العاقل هو الذي يحاول أن يفكر بطريقة متوازنة وعقلانية، فيناقش الفكرة بالفكرة، ويحترم الآخرين الذين يختلفون معه في الرأي احتراماً إنسانياً، بحيث يواجههم بطريقة التفكير المشترك القائم على الاحترام المتبادل.

كيف نفهم أبعاد هذا النداء للمؤمنين؟

ينقل - في سبب نزول هاتين الآيتين - عن ابن عباس، قال: كان منادي

(٢٣) البقرة: ١٥.

(٢٤) المائدة: ٥٧.

(٢٥) المائدة: ٥٨.

رسول الله ﷺ إذا نادى للصلاة فقام المسلمون إلى الصلاة، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، يعني لا أقامهم الله، فإذا رأوهم رگعاً سجداً استهزأوا بهم وضحكوا منهم، فأراد الله سبحانه وتعالى في كتابه أن ينبّه المسلمين إلى سلوك هؤلاء، ليتخذوا موقفاً محدداً يحترمون معه دينهم وصلاتهم وعبادتهم وأوضاعهم، بأن يتخذوا منهم موقفاً سلبياً فلا يوالونهم.

إنّ هذا النداء يؤكّد الفكرة التي أوضحناها فيما سبق، باعتبار النهي عن موالاة أهل الكتاب والمشرّكين، انطلاقاً من السلوك العدواني الذي يمارسه هؤلاء ضد المسلمين، فقد كان من طريقتهم أن لا يدخلوا مع المسلمين في حوار قائم على الاحترام المتبادل، كما يأمر الإسلام أتباعه في علاقاتهم بالذين يختلفون معهم في دينهم أو في تفكيرهم، بل كانوا يعملون على إثارة أجواء السخرية والاستهزاء، واثباع أساليب العبث واللعب بالمفاهيم والأحكام والشعارات الدينية، فإذا قام المسلمون للصلاة ليعبدوا الله، واجهوهم بأساليب السخرية واللعب، ليسيؤوا بذلك إلى نفسيّاتهم ويحطّموا معنوياتهم وروحيتهم؛ لأنّ الإنسان عندما يرى شخصاً يضحك عليه ويسخر منه، يشعر بالضعف والذلة، فيكون ذلك أداة من أدوات التأثير على موقفهم في الثبات على هذا الدين، فيما يوحيه ذلك من عدم احترام الآخرين لهم بسبب التزامهم بهذا الدين.

وعلى هذا الأساس، جاءت هاتان الآيتان من أجل تنبيه المسلمين إلى هذه الروحية العدوانية التي يحملها هؤلاء ضدهم وضد الإسلام، ما يجعل من الموقف الذي يراد من المسلمين اتخاذه، هو رفض موالاتهم، بحيث لا يكون المسلمون في موقع السذاجة، فيتحرّكون مع الذين يسخرون من دينهم ويسخرون من عبادتهم بشكل طبيعي، فيوالونهم ويندمجون معهم في السلوكيات المتصلة بالقضايا العامة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية... وهو موقف يرتبط بالاحترام الذي يحمله المسلمون لأنفسهم ولدينهم؛ فنحن لا نريد أن ننعزل سياسياً، ولا أن ننعزل

اقتصادياً ولا ثقافياً، ولكننا نريد أن تكون علاقتنا بالعالم كله علاقة الاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة، أما الذين لا يحترمونا، والذين يسخرون من ديننا ومن ثقافتنا ومن واقعنا، فإن من الطبيعي أن لا يكون موقفنا هو احترامهم في هذا المجال؛ لأن مثل هذه العلاقة تقوم في شروطها البديهية على الاحترام المتبادل والمحبة المشتركة للتين لا تلتقيان مع أساليب السخرية واللعب بالدين.

مواقف القوة:

وقد أثارت الآية الأخرى - وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ - مشاعر الإيمان لدى المؤمنين، وكأنها تقول لهم: حافظوا على إيمانكم، احترموه، ولا تجعلوه على هامش علاقاتكم وعلى هامش حياتكم. والآية تريد بذلك أن تدفع المؤمنين إلى الاستجابة إلى الله في هذا النداء، بمقاطعتهم هؤلاء ورفض موالاتهم، باعتبار أن ذلك هو مظهر من مظاهر التقوى التي يلتزمها المؤمنون في مواقفهم الإيمانية الحاسمة، ولذا قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، إذ إن هؤلاء لا يواجهون الدين بالفكر الذي يناقش مفاهيمه ويتدبر عقائده وأحكامه ومناهجه، كأبي دعوة جديدة صادرة من الله في وجه رسله، مما يثير الكثير من التساؤل لدى الناس الذين يتحملون مسؤولية الالتزام الفكري فيما يقبلونه أو يرفضونه من الأفكار والعقائد والمفاهيم، بل يواجهون ذلك بالهزاء والسخرية واللعب، تماماً كما لو كان الموقف يوحى بالمزاح والعبث، ما يدل على أن المطلوب هو الدخول في حرب نفسية ضد الإيمان والمؤمنين، تستهدف إسقاط روحيتهم، وإضعاف موقفهم، ودفعهم إلى الإحساس بالضعف أمامهم. وهؤلاء هم الذين عاشوا في عهد الدعوة الإسلامية الأولى ﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرُ﴾ الذين لم يكونوا يملكون الحجّة البالغة في رفض الإسلام وتكذيب الرسول حتى يحاوروا المسلمين في ذلك كله، والذين كانوا يخافون من أن يفتح الرسول عقول الناس على الحق الذي جاء به، فيؤدي بهم ذلك إلى الانحسار عن مواقعهم،

ويدفع الناس إلى اتباعه والالتزام به، فلجأوا إلى الأساليب الموجبة للاستخفاف والاستهانة به، كالسخرية والاستهزاء، وهذا ما أراد الله للمؤمنين أن يواجهوه بالرفض الحاسم لكل أنواع العلاقات الإنسانية الحميمة أو الروابط الوثيقة مع هؤلاء الساخرين؛ لأنهم ليسوا في مستوى المسؤولية الفكرية التي تبعث على الاحترام، وتفرض الدخول في التزام فكري وعملي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مواقفكم وعلاقتكم بالآخرين، بحيث تراقبونه في كل ذلك، انطلاقاً مما يريد أن تقفوا عنده أو تتحركوا نحوه، لأنكم تتحملون مسؤولية المحافظة على الدين في مواقع الاحترام له والعمل له، كما تتحملون المسؤولية في المحافظة على أنفسكم وأهاليكم وأموالكم، لأن الدين أعز على الإنسان من نفسه ومن أهله، وهذا هو دليل الإيمان الذي يوجّهه الله إليكم، عبر النداء الذي يحرك عقل المؤمن وقلبه وحركته في خط الالتزام بالإسلام في كل مضمونه الفكري والروحي والعملي. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقد جاءت هذه الآية لتصوّر هؤلاء الذين يواجهون المبادئ والرسالات الإلهية بهذا الأسلوب الذي يوحى بالجهل والاهتزاز الروحي والفكري، فتصفهم بأنهم قوم لا يعقلون، لأن الإنسان إذا كان يملك العقل، فإنه يواجه الأمور الفكرية بطريقة عقلانية موضوعية، لأنهم لو أخذوا بأسباب العقل، لفكروا جيداً في مضمون هذا الدين، وأدركوا أنه الحق الذي لا محيد عنه، وعرفوا المعنى الذي توحى به الصلاة فيما تمثله من عبادة الله الواحد الأحد والانفتاح عليه بالروح الخاشعة الخاضعة للتقية، الأمر الذي يؤدي بالإنسان إلى مزيد من الخشوع والروحانية. هذا هو المشهد الروحي العبادي الذي يقف فيه المؤمن أمام الله، ليلتقي بالحياة الرحبة الواسعة القائمة على الأسس الثابتة التي تركز للإنسان إنسانيته، وتقوده إلى الالتزام بالقيم الكبيرة في الكون. وهكذا يريد القرآن أن يؤكد الحقيقة التي أثارها في أكثر من آية، وهي أن مشكلة الكافرين ليست مشكلة فكرية، فالفكر

لا ينطلق من حالة فكرية ناشئة من الشبهات المحيطة بخط الإيمان، بل هي مشكلة
الجهل وغياب العقل عن الساحة.
والحمد لله رب العالمين.

العلاقة الإيمانية أعلى من العلاقة النسبية

الإيمان يمثل
المرتبة الأعلى
في كل العلاقات
الإنسانية وقرابة
المؤمن من الله
أعظم من أية
قرابة

❖ سمو الإيمان

❖ قصة الآية

❖ من السياسة التربوية القرآنية

❖ إبراهيم ؑ نموذجاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

سمو الإيمان:

تناولنا في ما سبق خطاب الله للمؤمنين أن لا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون المؤمنين. ولكن هناك مشكلة قد تواجه المؤمنين في حياتهم العائلية وفي أوضاعهم الشخصية، وهي أنه قد يكون أبأؤهم من الكافرين، كما كان الأمر في بداية الدعوة، وذلك أن الواحد قد يدخل في الإسلام ويبقى الآباء كافرين، وقد يكون الأمر بالعكس، بأن يدخل الآباء في الإسلام، ولكن الأبناء يبقون في دائرة الكفر، أو يؤمن أحدهم ويبقى إخوانه في الكفر. وقد حدثنا القرآن عن الزوجات اللاتي فررن من أزواجهن من مكة إلى المدينة، وذلك في سورة الممتحنة، عندما دخلن في الإسلام وبقي أزواجهن على الكفر، وما إلى ذلك من الحالات...

وأمام كل ذلك، أراد الله سبحانه وتعالى أن يوجه المؤمن إلى أن الإيمان يمثل المرتبة الأعلى في كل العلاقات الإنسانية، وكل الأمور المتصلة بحياة الإنسان، لذا يجب عليه أن لا يسقط أمام قراباته من الكافرين، مهما كانت درجة القرابة التي تربطه بهم، وأن لا يسقط أمام حاجاته المادية وأوضاعه الخاصة، بل عليه أن يجعل الإيمان فوق ذلك كله، بمعنى أنه إذا دار الأمر بين السير على خط إيمانه والإخلاص له والولاية له وللمؤمنين، وبين الولاية لأقربائه أو الخضوع لحاجاته، فعليه أن يجعل الإيمان في المرتبة العليا، وأن لا يخضع لتلك الأوضاع.

نقرأ في هذا المجال قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتِخْبَاءَ الْكُفَرِ عَلَى الْإِيمَانِ»، يعني إذا فضتلوا الكفر على الإيمان، ورجحوا الانخراط في مجتمع الكفر على مجتمع الإيمان، وركزوا قواعدهم على أساس حركة الكفر بدلاً من حركة الإيمان، فلا تعتبروا علاقة القرابة بينكم وبينهم مبرراً للولاية لهم، بحيث تنصرونهم وتؤيدونهم وتندمجون في مجتمعاتهم، أو تجعلونهم يندمجون في مجتمعاتكم، بل ليكن هناك حاجز بينكم وبينهم في ذلك. ثم يقول سبحانه وتعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(١)؛ لأن على المؤمن أن يخلص لإيمانه، وأن يجعل علاقاته الإنسانية في خط إيمانه، فمن لا يتحرك في هذا الاتجاه، فإنه ينحرف عن الخط، ومن ينحرف عن الخط فقد ظلم نفسه. وهذا ما أكدته الله في قوله سبحانه وتعالى: «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٢).

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى الخط الفاصل بين المؤمن وبين الحاجات المادية له، عندما يدور الأمر بين الخضوع لحاجاته المادية أو الخضوع لخطه الإيماني. يقول تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا»، هؤلاء الذين ترتبطون بهم ارتباط العلاقة النسبية أو العلاقة الزوجية، أو العلاقة العصبية أو الاجتماعية، أو الأشياء المادية التي ترتبطون بها من خلال حاجاتكم، في إشارة منه تعالى إلى كل التأثيرات السلبية للعلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك، بحيث تصبح المسألة في أيهما يقدم، هل يقدم إيمانه على مذهب التضحية، أو يقدم علاقاته، أو يقدم عصبياته، أو أنه يخشى من التزاماته الدينية على تجارته، بحيث إذا التزم بالإسلام وما يمليه عليه الإيمان، فسوف ينفض الناس عنه، كما هو حال بعض

(١) التوبة: ٢٣.

(٢) النحل: ١١٨.

المسلمين الآن الموجودين في الغرب، يقول: إذا لم أبع الخمر أو لحم الخنزير، فإنه لا يشتري مني أحد، فيقدم على السير في مصالحه التجارية بما لا يرضي الله على حساب إيمانه؟! حساب

﴿وَمَسَاكِينُ تُرَضُّوْنَهَا﴾ وذلك أن الإنسان لو خيَّره بعض الناس بين أن يحصل على بيت مقابل أن يتنازل عن التزامه الإيماني، فهل يتركه؟ فإذا كان ذلك «أحبَّ إليكم من الله ورسوله وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ»، كان يدعى شخص إلى الجهاد في مواقع وجوب الجهاد عليه، فيعتذر متذرعاً بمختلف الحجج، إذا كان الأمر كذلك ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾؛ يعني: انتظروا فيما يأتيكم من الله، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

يُروى في مناسبة نزول هذه الآية، باعتبار أن بعض الآيات كانت تنزل على النبي ﷺ في ظروف معينة قد تواجهه ﷺ أو تواجه الواقع الإسلامي، فانه ينزل الآية لمعالجة هذه القضية، لأن القرآن كان يتابع الحركة الإسلامية في قيادة النبي ﷺ وفي حركة المسلمين، ففي أية مشكلة كانت تحدث للمسلمين، كان ﷺ يقول: أنتظر أمر ربي، فينزل الله الآية لمعالجة هذه القضية، وإن كانت القضية محدودة في دائرة معينة، ولكن الله يجعلها كنموذج لتمتد إلى بقية النماذج المماثلة لها، ولذلك قلنا إن القرآن يمتد في امتداد الحياة، ويجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر.

قصة الآية:

إذا، روي في مناسبة نزول هذه الآية، كما ذكر (مجمع البيان) عن ابن عباس قال - إمّا في ما نقله هو، أو ما سمعه أو استوحاه من موقع الآية في مسألة نزولها -: "لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة من مكة إلى المدينة، فمنهم من تعلقت به زوجته، ومنهم من تعلق به أبواه وأولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة،

فبتركون الهجرة لأجلهم، فبيّن سبحانه أن أمر الله مقدّم على النسب، وإذا وجب قطع قرابة الأبوين، فالأجنبي أولى"، وهو الشخص الذي ليس له مثل هذه القرابة.

وروي أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما أراد فتح مكة، عندما كان ﷺ يخطط لفتحها بطريقة سرية؛ لأنها كانت تمثل النهاية التي يقضي فيها النبي ﷺ على الشرك، ولكن حاطب ابن أبي بلتعة، أرسل رسالة مع امرأة يخبر فيها أقرباءه وقومه بعزم النبي ﷺ على فتح مكة، ولكن النبي ﷺ - حسب الرواية - أخبره الله بذلك، فأرسل ﷺ علياً ﷺ ومعه شخص آخر إلى تلك المرأة للحاق بها ومنعها من إيصال الرسالة إلى قريش، ولكن المرأة امتنعت من إعطاء الرسالة لهما، فهتدها ﷺ، فأخرجت رسالة حاطب، فلما جيء به إلى النبي ﷺ، قال له: أكفر بعد إيمان؟! فأجاب الرجل بأنه لا يزال على إيمانه، ولكن الجانب العاطفي تجاه أقاربه سيطر عليه لكي يدفع عنهم القتال وينقذوا أنفسهم، فطلب أحد الصحابة من النبي أن يقتله، فلم يوافق النبي، ثم تاب الرجل بعد ذلك.

وربما كانت هذه الرواية هي الأقرب إلى جوّ الآية من الرواية السابقة، لأن قضية الموالاتة هي قضية الموقف المتحرك لدعم موقف هؤلاء، لا مجرد التعاطف الذي يصدر من الزوجة والأب لمنعه من التحرك، بينما نجد الرجل في الرواية الثانية، يحاول أن يأخذ جانب الموالاتة لأقربائه بالمستوى الذي يهدّد المسيرة الإسلامية، ويهدّد الخطّة النبوية في هذه المسألة. وربما كانت المسألة لا تختص بهذه الحالة، بل تشمل كل موقف سلبي مضادّ للموقف الإيماني انطلاقاً من العاطفة.

فهذه الآية تؤكد أن يبقى الإيمان هو الأساس في العلاقات الإنسانية، وأنه لا بد للمؤمن من أن يقف مع إيمانه، حتى ضدّ أقرب الناس إليه، بحيث يجمّد جانب القرابة في علاقته الحركية - مع الإبقاء على عاطفته الشخصية مع أبويه، أو مع زوجته - حتّى لا تؤثر هذه العاطفة على موقفه الإيماني، ولا على مسؤوليّاته الإيمانية، ولا على خطّته في الالتزام الإيماني.

وهناك فرق بين موقف العاطفة المجردة، وموقف الموالاة الذي يعني التأييد والنصرة والإخلاص؛ لأن المسألة الإيمانية تتصل بموقف الإنسان من الله، وقرابة المؤمن من الله أعظم من أية قرابة، وموالاته لله أكبر من أية موالة لغيره؛ لأن المعنى العميق والحقيقي للإيمان، هو أن يكون الله هو الأساس في كل العلاقات الإنسانية التي يبنيها المؤمن هنا أو يهدمها هناك، فلا مجال للاستسلام لما تمثله المشاعر الحميمة الذاتية من نقاط ضعف يخضع لها الإنسان، بل إن الإيمان هو الذي يحدد للعلاقات حركتها ومواقعها في الاتجاه المتصل بالامتداد الشامل في الفكر والشعور والعمل، وذلك انطلاقاً من الإيمان بوحدة الشخصية الإنسانية؛ إذ لا توجد في الشخصية ازدواجية بين الانتماء العشائري والانتماء الإيماني؛ فانتماؤك الإيماني هو الذي يؤكد عمق شخصيتك، بحيث تقيس كل انتماء آخر إلى انتمائك الإيماني، كما ذكر فيما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، عندما كان يتحدث عن العصبية المذمومة، قال عليه السلام: ((إن العصبية التي يَأْتُم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن أن يعين قومه على الظلم))، أن ينحرف عن الخط المستقيم نتيجة تغلبه الجانب العاطفي الذي يربطه بقومه، على الجانب الإيماني الذي يربطه بالله سبحانه وتعالى.

هذا هو الموقف الذي أرادت هاتان الآيتان أن تركزاه، وقد أثرناه بشكل عام. وللمزيد من التعمق، نركز على تأثير كل عنوان من العناوين التي ذكرت في هذا المجال، وذلك في عدة نقاط:

النقطة الأولى: مسألة تأثير القرابة. في هذا المجال، يلفت قوله تعالى: «ثَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ»^(١). وأبو لهب ربما لم يكن

بالسوء الذي كان عليه أبو جهل وأبو سفيان وكل أولئك، فلماذا اختصه الله سبحانه وتعالى بالذم في هذه السورة؟!

ليس ذلك إلا ليبين أن القرابة لا قيمة لها، إلا إذا كانت منسجمة مع الخط الإيماني، ونحن نعرف أن الله أنزل في أبي لهب هذه السورة في وقت قال النبي ﷺ عن سلمان الفارسي: ((سلمان منا أهل البيت))^(٥).

في مثال قرآني آخر، عندما خاطب نوح ﷺ ولده: «يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ»^(٦) - فقد كان يفكر، ولو من خلال وعد الله له، في أن ينجي الله أهله، ولكن الله قال: «إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ»^(٧).

وقد تحدث الله عن دعاء نوح ﷺ إياه: «وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ»^(٨)، فقد وعدتني أن تنجي أهلي، «قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ». صحيح أنه ولدك، ولكنه سار مع الكافرين، فأصبح هو من أهل الكافرين وليس من أهل المؤمنين الذين تمثلهم أنت كنبى أرسله الله إليهم، «فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ»^(٩). هذا أيضاً دليل على أن الله أراد أن يقول لنبي عظيم من أنبيائه، مجاهد في سبيل الدعوة - وهو نوح ﷺ - أن يقول له: إن هناك فاصلاً بينك وبين ابنك، فهذا ليس ابنك؛ لأنه عمل غير صالح.

(٥) الكافي، ج ١، ص ٤٠١، ص ٢.

(٦) هود: ٤٢-٤٣.

(٧) المؤمنون: ٢٧.

(٨) هود: ٤٥.

(٩) هود: ٤٦.

وفي هذا المجال أيضاً، نجد أن الله دعا الولد إلى أن يحسن إلى والديه، فقال له: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»^(١٠)، ولكن إذا اصطدمت إرادة الوالدين بإرادة الإيمان، حينها: «وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا»^(١١)؛ لأنَّ العلاقة العاطفية تبقى، ولكن عليك أن لا تطعهما فيما يريدانه منك من الانحراف عن خط التوحيد الإلهي، لأنَّ الأبوة والأمومة شيء، والخط الالتزامي الإسلامي شيء آخر.

وبتعبير آخر: إنَّ الله سبحانه لم يُرد أن يلجم العاطفة في بُعدها الإنساني، ولكن أراد للعاطفة أن لا تؤثر على الالتزام في خط الإيمان.

من السياسة التربوية القرآنية:

ونلاحظ هذه المسألة أيضاً بالنسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام، وكيف كان موقفه مع أبيه. ومن النبي إبراهيم عليه السلام يمكننا أن نحدّد برنامجاً في مسؤولية الأبناء المؤمنين عن آبائهم إذا ضلوا؛ إذ عليهم أن يواجهوا آباءهم بالموعظة والإرشاد والدعوة إلى الله بمختلف الوسائل، وهذه كانت التجربة الصعبة التي خاضها النبي إبراهيم عليه السلام وهو في بداية شبابه؛ لأنه انفتح على الإيمان مبكراً، في الوقت الذي كان المجتمع الذي تربى في داخله، وخصوصاً المجتمع العائلي، مجتمع شرك ومجتمع انحراف عقيدي، ولكن إبراهيم عليه السلام كان يملك الشجاعة التي استطاع من خلالها أن يتصدى لأبيه ولقومه بشكل مباشر، فنقرأ في هذا المجال هذه الآيات: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَكَ وِقُومَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(١٢). وتعدى إبراهيم المسألة العائلية، فواجه قومه، وراح يكسر الأصنام، وأبقى الفأس في عنق الصنم الكبير، ليتخذ من ذلك حجة ضدهم «قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ

(١٠) الإسراء: ٢٣.

(١١) لقمان: ١٥.

(١٢) الأنعام: ٧٤.

الظَّالِمِينَ»^(١٣)، أأنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم؟ «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطَفُونَ»^(١٤). فإذا كانوا لا ينطقون فكيف تعبدونهم، وهم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرراً؟! وقد واجه إبراهيم عقوبة قومه بإحراقه، وذلك بإلقائه في النار التي صرفها الله عنه كما ذكر في القرآن.

أما الحوار الذي دار بين إبراهيم وبين أبيه، حيث كان إبراهيم يعمل بكل ما عنده من عاطفة الابن على الأب، لإنقاذه من الشرك ومن عذاب الله، فيحدثنا الله عنه في سورة (مريم): «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا*. لِمَاذَا تَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي هِيَ مِنْ حَجَارَةٍ، لَيْسَ فِيهَا أُنْثَى نَبْضَةٌ مِنَ الْحَيَاةِ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَهَا، وَلَا تَبْصُرُ الَّذِينَ يَأْتُونَهَا مُتَّقِرِينَ إِلَيْهَا، وَلَا تَمْلِكُ الْقُوَّةَ الَّتِي تَصْرِفُ عَنْكَ الضَّرَرَ «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا»، إنك أكبر مني سناً، وأقدم مني تجربة، ولكنني أكثر منك علماً؛ لأنني تعلمت ما لم تتعلمه، وانفتحت على أفق من المعرفة لم تنفتح عليه.

ولذلك، فقد يعلم الصغير الكبير عندما يملك الصغير علماً لا يملكه الكبير؛ لأن القضية في مسألة العلم ليست مسألة كبير وصغير، وليست مسألة الأب مع الابن، ولكنها مسألة العالم مع الجاهل. «يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ»، فإن الخط الذي تسير فيه هو الخط الذي يسير فيه الشيطان ويأمر به، وهو لا يملك للإنسان أي خط للرشاد، «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا»؛ فقد أمره الله بالسجود لآدم، ولكنه عصاه واستكبر، «يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا»^(١٥)، بأن تتحرك في ولاية الشيطان وتخرج من ولاية الله.

(١٣) الأنبياء: ٥٩.

(١٤) الأنبياء: ٦٣.

(١٥) مريم: ٤١-٤٥.

ولكن هذا الرجل كانت قد تحجرت ذهنيته، وسيطرت عليه تقاليده وعاداته وتربيته وخضوعه لما كان عليه الآباء، كما قالوا: «قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ»^(١٦)، صحيح أن القضية ليست مرتكزة على المنطق العقلي عندنا، ولكن مشينا على خط آبائنا، «قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ»، ألسنت مستعداً لأن تعبد آلهتي كما أعبدتها «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ» أحاربك وأرجمك بالحجارة «وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا»^(١٧)، أخرج من بيتي. ولكن، أنظر إلى الروح الرائعة النبوية الإنسانية من إبراهيم «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ»، وكما هو شعار المؤمنين «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»^(١٨)، ثم خاطبه «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي» أحاول أن أطلب من الله أن يغفر لك.

ونفهم من وعد إبراهيم لأبيه أن يستغفر له، أي أن يهتيء الله له وسائل الوعي الإيماني والهداية الروحية بقدرته، ليغفر له من خلال هدايته من الشرك إلى الإيمان، «إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزَلَكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا»^(١٩). ونلاحظ أن الله يتحدث عن استغفار إبراهيم لأبيه وسبب ذلك الاستغفار، فيقول: «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ»، وقال له لا علاقة بيني وبينك «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»^(٢٠)، كثير التأوه خوفاً من ربه ومحبة له.

ونقرأ في هذا المجال أيضاً، ما تحدث الله به عن إبراهيم في سورة الممتحنة،

(١٦) الشعراء: ٧٤.

(١٧) مريم: ٤٦.

(١٨) الفرقان: ٦٣.

(١٩) مريم: ٤٧-٥٠.

(٢٠) التوبة: ١١٤.

التي أكد الله فيها ما أكده في بداية هذه الآية، ونحن بدورنا نحتاج إلى أن نؤكد، حتى نستطيع أن نركز الخط الإيماني، لأن هذه التجربة موجودة عندنا كثيراً مع بروز التيارات الإلحادية، من خلال الأحزاب الملحدة وغيرها، إذ قد يكون الأب كافراً والابن مؤمناً، وقد يكون الابن أو الزوجة أو الإخوان غير مؤمنين. يقول الله سبحانه وتعالى في المنع عن ولاية غير المؤمنين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ»، بحيث توالونهم وتؤيدونهم وتنصرونهم وتندمجون معهم في مجتمعاتهم، «تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» القلبية، فلا يمنعكم كفرهم وعداوتهم من التحفظ في الجانب العاطفي «وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ»، يخرجونه من مكة ويخرجونكم «أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ* إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ»، إذا سيطروا عليكم «يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسَّوَاءِ»، في مواجهتكم، وفي الاعتداء عليكم بأيديهم وألسنتهم، في التكلم عنكم بالسوء «وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ»، أن تكفروا كما كفروا هم «لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(٢١)، لأن الله سوف يحاسب كل إنسان على ما أسلف وعلى ما قدم «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا»^(٢٢)، «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»^(٢٣).

إبراهيم ﷺ نموذجاً:

هنا يأتي ذكر إبراهيم ﷺ، حتى يُقدِّم كنموذج للمؤمنين، ليقول الله لهم: افعلوا كما فعل إبراهيم: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ»^(٢٤)، وهم

(٢١) الممتحنة: ١-٣.

(٢٢) مريم: ٩٥.

(٢٣) النحل: ١١١.

(٢٤) الممتحنة: ٤.

المؤمنون الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾، الذين يعبدون الأصنام ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، لأنكم تشركون بالله ونحن نوحده، وبذلك فإن هناك خطأ فاصلاً يفصلنا عنكم، والعلاقة بالله فوق كل علاقة، وهي التي تسقط أمامها كل العلاقات، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾، وهي عداوة الخط الإيماني التوحيدي في مواجهة خط الشرك والكفر؛ لأن العلاقة ليست بيننا في إنسانيتنا وإنسانيتكم، أو بين قرابتنا وقرابتكم، بل العلاقة بين خط الإيمان وخط الكفر، بين خط التوحيد وخط الشرك؛ لأنهما لا يلتقيان ولا يجتمعان، فلا يمكن أن يلتقي - في مسألة الالتزام - من يؤمن بالتوحيد ومن يؤمن بالشرك، ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ إلى أن تتحولوا إلى خط الإيمان ﴿إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. فغاية ما يهمني أن أتوجه إلى الله أن يهديك، ولكن أنا لا أملك من الله شيئاً؛ لأن الأنبياء والأئمة لا يملكون شيئاً مع الله، إنما هم يتوسلون إليه ويطلبون منه ويشفعون إليه، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢٥)، فالله سبحانه هو الذي يقرب وهو الذي يبعد، وهو الذي يعطي وهو الذي يمنح. ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، نحن ليس لنا أي شيء فيما يتصل بقرابتنا، وإنما الأمر في ذلك لله ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ففي هذه المجموعة من المؤمنين الملتقة حول إبراهيم يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، ولكن حاولوا أن تتحركوا في اتجاه هداية هؤلاء، وفي الاستفادة من القرابة بينكم وبينهم، أو من العلاقة بينكم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢٦).

هذا بعض الحديث في الآيات، وتبقى تنمة الحديث في الأسبوع القادم إن شاء الله.

والحمد لله ربّ العالمين.

تجارة المؤمنين مع الله تعالى

هناك تجارة من نوع
آخر لا بد للمؤمنين من
أن يعملوا من أجل أن
يحصلوا على الربح
فيها، وهي رضى الله
وجناته في الدار
الآخرة

❖ تجارة المؤمنين

❖ ذهنية اللهو

❖ الانتماء إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في ما سبق حول مسألة أن الإنسان إذا ابتلي بقريب له كافر، أو كانت له بعض المصالح التي تتصل بحياته الشخصية، سواء في تجارته أو في مسكنه أو في أمواله بشكل عام، ودار الأمر بين أن يقدم بعض التنازلات عن التزامه الإيماني في مقابل مصلحة أقاربه أو أصدقائه أو زوجه أو تجارته أو أمواله أو مسكنه، أو أن يبقى على التزامه ويخسر بعض الأمور، فإن عليه أن لا يقدم تنازلات من علاقته بربه ومن علاقته بدينه، بل لا بد له من أن يقدم علاقته بالله وعلاقته بدينه على كل ذلك. ونحاول - فيما يلي - أن نتابع هذه العناوين، ولاسيما عناوين الأموال التي يديرها الإنسان في معيشته وحياته أو في التجارة التي يحركها في أعماله، والمساكن تتبع ذلك كله.

تجارة المؤمنين:

تحدث الله سبحانه وتعالى عن التجارة في القرآن الكريم، وأراد أن يوحى للمؤمنين بأن هناك تجارة من نوع آخر لا بد لهم من أن يعملوا من أجل أن يحصلوا على الربح فيها، وهي رضى الله وجناته في الدار الآخرة، وأن عليهم أن يأخذوا بهذه التجارة، وأن لا يسقطوا أمام التجارة التي قد تمنحهم ربحاً مادياً دنيوياً، إن كانت ستخسرهم أخروياً، فنقرأ في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»^(١). فما هي هذه التجارة؟ «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ» في الإنفاق الجهادي في ما تتطلبه حركة الحرب ودفع الأعداء، «وَأَنْفُسِكُمْ» في التضحية بالنفس في سبيل الله «ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ» مما تمارسونه من تجارة تمنحكم ربحاً مادياً في الدنيا، وتجعلكم تخسرون التجارة مع الله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(١). وما هو الربح؟ «يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»، فإذا كنتم تقدّمون المساكن التي ترضونها في الدنيا لتضحوا في سبيلها بكلّ غالٍ ونفيس، ما قد يجعلكم - أحياناً - تتخلون عن التزاماتكم الإيمانية ومسؤولياتكم الشرعية في سبيل تأمينها، فإن الله يعوّضكم عن ذلك - إذا اخترتم خطّ الله سبحانه - مساكن طيبة في جنات عدن، وأي فوز أعظم من أن يواجه الإنسان موقعه في الدار الآخرة، بأن يدخل الجنة ويتحرك في كل الجنات التي ((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))؟! «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا»؛ فإن القضية لا تقتصر على ما يمنحكم الله من ذلك في جنته، بل إنكم قد تحصلون - إضافة إلى ذلك - «نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ» على أعدائكم من خلال جهادكم «وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

ونقرأ في آية أخرى عن التجارة مع الله: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»، أولئك الذين إذا خيروا بين أن يندفعوا ليشغلوا أنفسهم بأعمال التجارة أو البيع وبين ذكر الله، فإنّ ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وبعبارة أخرى، لا تشغلهم أعمالهم والتزاماتهم المادية عن التزاماتهم ومسؤولياتهم الإيمانية. ولماذا يضحون ببعض ما يتصل بتجارتهن أو ما يتصل ببيعتهن؟ لأنهم «يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»^(٢)؛ فهم الذين يحذقون بمستقبلهم وبمصيرهم يوم القيامة، يخافون من النتائج السلبية الناجمة عن سخط الله وعذابه إذا ألتهم التجارة والبيع عن القيام بمسؤولياتهم الدينية. يخافون

(٢) الصف: ١١.

(٣) النور: ٣٦-٣٧.

ذلك اليوم الذي يتمثل فيه الرعب، بحيث لا تستقر قلوبهم فيه، ولا تستقر أبصارهم فيه «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ» - إذا فعلوا ذلك وأقبلوا على التزاماتهم الدينية ومسؤولياتهم الشرعية - «أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ» - من رزقه - «وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٤)، يرزق في الدنيا ويرزق في الآخرة.

ذهنية اللهو:

ونقرأ في سورة الجمعة عن هؤلاء الذين كان النبي ﷺ يدعوهم إلى حضور صلاة الجمعة، ولكنهم كانوا يستمعون إلى الذي كان يدقُّ الطبول ويطلق الألحان بقصد اللهو، أو يستمعون إلى المنادي الذي ينادي قرب المسجد بالتجارة التي يدعو الناس إليها، فيتركون النبي ﷺ قائماً، ويتبعون الداعي إلى التجارة أو اللهو. يقول تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»^(٥)؛ فإذا كنتم تفضلون دعوة الذين يدعون إلى التجارة أو إلى اللهو من أجل الرزق، فإن الله هو خيرُ الرازقين، وإن صلاتكم وراء النبي ﷺ هي أفضل من اللهو ومن التجارة؛ لأن اللهو والتجارة قد يمنحانكم ربحاً نفسياً وربحاً مادياً، ولكن اتباعكم للنبي ﷺ يمنحكم رضى الله سبحانه وتعالى والحصول على جنته.

ونقرأ في آية أخرى عن الذين يفضلون التجارة مع الله: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ»، أي لن تذهب ولن تهلك «لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ»^(٦).

(٤) النور: ٣٨.

(٥) الجمعة: ١١.

(٦) فاطر: ٢٩-٣٠.

إننا نقرأ من خلال ذلك كله، أن الله يريد أن يوحى إلى الناس كافة، بأن عليهم في دنياهم - التي هي دنيا المسؤولية - أن يفضلوا العلاقة مع الله، فيتاجروا مع الله بأعمال الخير، وأن لا يندفعوا إلى التجارة المادية ليصادروا بها التجارة الروحية.

وفي هذا السياق أيضاً - في موضوع قوله تعالى: ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾^(٧) - نقرأ الآيات التي تتحدث عن الأموال التي يحافظ الإنسان عليها، ويعمل على صيانتها من السرقة ومن التلف ومن الضياع، لنرى من خلالها، أن على الإنسان أن يهتم بالمال في خط رضى الله سبحانه وتعالى، وأن لا يكون المال هدفه في كل أوضاعه وأعماله، بحيث يقبل على الحصول على المال حتى لو كان المال من حرام، بل لا بد له من أن يأخذ المال من حله، ومن خلال الوسائل الشرعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للإنسان للحصول على المال.

فنقرأ في هذا المجال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨)، وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٩). إن الله سبحانه يريد أن يبين للناس هنا، أن لكسب المال وسائل مشروعة ووسائل غير مشروعة ومحرمّة، وأن على الناس أن لا يأخذوا إلا بالوسائل المشروعة التي تحفظ الحقوق. وتتعرض الآية الأولى لأولئك الذين يقدمون الدعاوى الباطلة للحكام الجائرين ويعطونهم الرشوة من أجل أن يحكموا لهم بالباطل؛ فلا يجوز لكم استخدام أموالكم في أكل مال الناس ليحكم لكم الحكام الجائرون بالباطل.

(٧) التوبة: ٢٤.

(٨) البقرة: ١٨٨.

(٩) النساء: ٢٩.

وفي هذا المجال، نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١٠)، وهم الذين يستغلون ضعف اليتيم، وعدم قدرته على إدارة شؤونه بالنحو الذي يحفظ ماله، فيستولون عليها، ليصرفوها في غير صلاح حاله، أو ليصادروها إلى أموالهم.

ونقرأ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾، أي إذا كنتم تعتبرون أن أموالكم تقربكم إلى الناس من حولكم، وأن أولادكم يدعمونكم ويقرّبونكم إلى الناس من حولكم، فإن العلاقة مع الله تختلف عن ذلك؛ فالله هو الذي أعطاكم ورزقكم أموالكم، وقد قال تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(١١)، والله هو الذي أعطاكم أموالكم وأولادكم، فذلك لا يشكل قيمة عند الله، وإذا كان يشكل قيمة عند الناس، فعليكم أن توجهوا هذه القيمة في سبيل الله وفي ما يُرضيه سبحانه ﴿إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾^(١٢)، أي هؤلاء الذين يتقربون إلى الله بإيمانهم وبعملهم الصالح، سيجزيهم الله أجراً مضاعفاً، ويدخلهم غرف الجنة، آمنين فيها من كل سوء.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، نظير الإنسان الذي قد تمنعه أمواله أو علاقته بأولاده من الذهاب إلى طاعة الله في الحج، أو من إنفاق ماله في الحقوق الشرعية التي فرضها الله عليه من خمس أو زكاة أو غير ذلك، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٣)؛ لأنهم يفقدون رضى الله، ويفقدون النجاة عنده سبحانه وتعالى.

(١٠) النساء: ١٠.

(١١) النور: ٣٣.

(١٢) سبأ: ٣٧.

(١٣) المنافقون: ٩.

ويقول الله تعالى: ﴿أَتَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، يفتنكم ويختبركم الله بها، فهل تنجحون في التجربة؟ وهل تطيعون الله فيها أو تعصونه؟ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١١)، أعظم مما تحصلون عليه في الدنيا.

وقال الله تعالى في كتابه، في مقارنة بين أعمال الإنسان الصالحة وبين ماله وولده: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(١٢).

أما المساكن فهي ملحقة بالمال، في حاجات الإنسان للسكن والاستقرار، فلا بد من أن تكون مباحة لا مغصوبة، لتكون مرضية عند الله، لأن السكنى في البيت المغصوب والأرض المغصوبة مما لا يرضى الله به؛ لأنه ظلم للناس ومعصية لله.

وعلى ضوء هذا، نفهم أن الله تعالى عندما يقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، فيما يريد الله أن يوقعه بكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١٣)، فهو سبحانه يريد لنا أن تكون علاقتنا بالله أعظم وأحب إلينا من علاقتنا بأهلنا وأزواجنا وعشيرتنا وأموالنا وتجارتنا ومساكننا؛ لأنه سبحانه هو الذي أعطانا ذلك كله، ولأنه هو الذي يسر لنا ذلك كله، ولأنه هو الذي رزقنا ذلك كله، فالله هو المهيمن على الأمر كله، وهو خالقنا ورازقنا وإلهنا، فكيف يمكن أن نحب تلك الأمور وأولئك الناس أكثر من حبنا له سبحانه وتعالى؟! وهذا ما ينبغي لنا أن نفكر فيه، وأن نربي أنفسنا عليه. فالمسألة هي أن يكون الله أعظم عندنا وأحب إلينا من كل العوامل النفسية والعوامل الاقتصادية، ومن كل مجالات الحياة،

(١٤) التغابن: ١٥.

(١٥) الكهف: ٤٦.

(١٦) التوبة: ٢٤.

وأن تكون حماية الدين أفضل من حماية هذه الأمور، وعلينا أن ندرك أن الدنيا سوف تنفى، وأنا سنقبل على الله، وقد قال تعالى: «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(١٧)، فهي الخلود وهي النعيم، وقال تعالى في آية أخرى: «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ»^(١٨).

الانتماء إلى الله:

وفي سياق هذا المضمون، نجد في القرآن الكريم آية أخرى تتحدث عن صفات حزب الله، فمن هم حزب الله؟ إنهم المفلحون الذين ينتمون إلى الله، كما قال تعالى: «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١٩)، والغالبون، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(٢٠)؟ ولكن كيف يكون الإنسان حزباً لله سبحانه وتعالى؟ وما هو عمق هذه العلاقة؟ هل تتمثل بمجرد قيامه بالعبادات؟ أو أنها أعمق من ذلك؟

نحن نقرأ قوله تعالى - في سورة المجادلة -: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». (يوادُّونَ...) بمعنى أنهم يتعمقون في الإخلاص لهم، ويعتبرونهم من أودائهم الذين ينتمون إليهم، والذين ينصرونهم ويساعدونهم، بحيث يكونون جماعتهم ويكونون حزبهم، كالكثيرين ممن نراهم في أجواء الانتخابات يلتزمون الشخصيات العلمانية التي تنكر على المؤمنين إيمانهم، وتنكر على المسلمين إسلامهم، وتنكر على الإسلام أن يكون شريعة البلد الذي يعيشون فيه... فأولئك المؤمنون لا يوادُّون من تمرّد على الله ورسوله، ومن حارب الله ورسوله، ومن عادى الله ورسوله، في نفسه من حيث الكفر أو الشرك،

(١٧) العنكبوت: ٦٤.

(١٨) التوبة: ٧٢.

(١٩) المجادلة: ٢٢.

(٢٠) المائدة: ٥٦.

أو في عمله من حيث العصيان، «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ». في الآية السابقة في سورة التوبة كان التركيز على المحبة: «إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ... أَحِبَّ إِلَيْكُمْ»، وهنا إشارة إلى قضية الاندماج والانتماء مع القرابة، أو من تتصل مصالح الإنسان به، وذلك أن ينتمي الإنسان إلى الملحدين أو إلى الكافرين أو العلمانيين الذين ينكرون على الدين أنه يصلح للحياة، وأنه يدخل في السياسة والقانون وما إلى ذلك، بحيث يخذلون المؤمنين لمصلحة غير المؤمنين.

وما هي النتيجة لمن يقف هذا الموقف الإيماني الصادق؟ «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ». والمقصود بالروح من الله - هنا - هي كل ما يفيضه الله عليهم من ألطافه وروحانيته وما إلى ذلك، «وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، لأنهم أطاعوه وأخلصوا له، ولأنهم توجهوا إليه ولم يتوجهوا إلى غيره، «وَرَضُوا عَنْهُ»، لأنهم آمنوا به، ولأنهم شكروه على ما رزقهم من كل ما أعطاهم وأنعم عليهم به، «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». وهذه العاقبة هي ما يتمناه الإنسان. وقد جاء في دعاء يوم الثلاثاء المنسوب إلى الإمام زين العابدين (ع): ((واجعلني من حزبك فإني حزبك هم المفلحون)).

إن هذه الآية تركّز كيف تكون صفة المؤمنين بالله ورسوله، في علاقاتهم الروحية، ومشاعرهم العاطفية، أي أن القضية في العلاقة مع الله تنطلق من الداخل، من عمق إحساسك، ومن عمق مشاعرك، ومن عمق عقلك، ومن عمق نبضات قلبك، فهل يحاولون الفصل كما يقول البعض: الدين شيء والسياسة شيء آخر، والدين شيء والمصلحة شيء آخر، أو الدين شيء والتجارة شيء آخر؟، أي هل يحاولون أن يفصلوا بين موقفهم الإيماني والعقدي وموقفهم الذاتي، لتكون عاطفة القرابة حية في نفوسهم، بحيث لا تؤثر عليها عاطفة العقيدة، فتتفتح قلوبهم للكافرين الذين يمتنون إليهم بصلة القرابة، أو يعملون على أن يكون الموقف معهم

واحدا؟! إن المسألة - في الانتماء العقيدي - ليست شيئا يتحرك في زاوية من زوايا الكيان، بل هي الروح التي تشمل الكيان كله.

وعلى ضوء ذلك، فإن كل واحدٍ منهما ينفي الآخر؛ الكفر ينفي الإيمان والإيمان ينفي الكفر، إذ لا علاقة بين الكفر والإيمان. وهذا ما عبرت عنه سورة "الكافرون": ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢١)؛ لأن الكفر في جانب والإيمان في جانب آخر، فلا يمكن أن يلتقي من يخلص للكفر بمن يخلص للإيمان، ولا يمكن أن تكون هناك أية موادة بين هذين النموذجين، ما يعني أن الإيمان موقفٌ ينفي الود الفكري والروحي لمن حادَّ الله ورسوله أمام مسألة العقيدة، حتى إنه قد تفرضُ العقيدة في مواقف التحدي أن يقتل الإنسان أباه وولده أو أخاه أو أفراد عشيرته إذا وقفوا في الموقف المعادي للإسلام والمسلمين، كما حدث لبعض الصحابة في معركة بدر، وكما حدثنا القرآن الكريم عن موقف نوح من ولده، وعن موقف إبراهيم من أبيه.

وقد ورد عن لسان علي عليه السلام، إننا كنا نقتل آبائنا، بمعنى أنه عندما تكون هناك معركة بين الكفر وبين الإسلام، فإنَّ على الإنسان أن يكون قتاله من أجل الإسلام، وإن كان في الجانب الآخر أباه وأخوته وأبناءؤه. وهذا هو الخط الذي يريد الإسلام للإنسان المسلم أن يقف عنده ويتحرك فيه، ليكون منفصلاً عن كل المواقع المضادة للإسلام، في عملية رفض فكريٍّ وعمليٍّ، يؤكد الحاجز الفاصل بين الإسلام والكفر. وهذا هو الذي أكدناه في هذا المقام، إذ إن الأساس عندنا، أن حزب الله هو الذي ينطلق من انتمائه إلى الله، وفي عقيدته، ينطلق من عمق فكره وعمق إحساسه وعمق شعوره وعمق الاستقامة في علاقاته بالناس الآخرين.

هؤلاء الذين يؤكّدون انتماءهم إلى الله من خلال التزامهم بمواقع رضاه، وابتعادهم عن مواقع سخطه، وانطلاقهم في الحياة كلها على مستوى الكلمات والأفعال والعلاقات والأهداف من منطلق الإيمان به والرفض لغيره، وهذا هو معنى التوحيد، وهذا هو خط حزب الله الذي يقابله حزب الشيطان في ما يعنيه الانتماء إلى نهج الشيطان، ولا أتحدث عن الجانب التنظيمي الشكلي السياسي، ولكنني أتحدث عن العمق الروحي والفكري والامتداد العملي في هذا المجال، والالتزام الفكري والعملي بالإسلام، لتأكيد الخط الفاصل الذي يفصل الإنسان عن غير الإسلام، وذلك بالتدقيق في النهج والخط والحركة والنتائج والولاية لله ولرسوله وأوليائه.

ولذا ورد في صدر الآية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، فلا يكفي لتأكيد صدق الانتماء إلى حزب الله الانتماء إلى الإسلام، وأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، بالمعنى البسيط الرسمي الذي يدخل به الإنسان الإسلام، ذلك أن الفارق بينهما تماماً كما هو الفارق بين الإسلام والإيمان ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، أي أسلمنا باللفظ أو أسلمنا بالواقع الظاهري ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢٢)، فإذا كان الإنسان مسلماً وارتبط بخط أعداء الله في المسألة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كمن يتغربون ويتحركون في خط الانتماء للغرب كله بكل قيم الغرب وبكل تعاليمه والتزاماته، فهؤلاء وإن كانوا مسلمين بالشكل، ولكنهم كافرون بالانتماء، وسائرون في حزب الشيطان، بحيث يقتصر دور الإسلام عندهم على المسألة العبادية بمعناها الساذج، لتكون النتائج النهائية لأعداء الإسلام لا لمصلحة الإسلام، فهؤلاء من حزب الشيطان، لأن التحزب

للشيطان لا يعني الكفر دائماً، إذ إن بعض العلمانيين يقول أنا لست كافراً، ولكنني لا أؤمن بالشرعية، ولا أؤمن بالسياسة الإسلامية، ويعتبر نفسه مؤمناً بالله، ولكن الإيمان بالله يحتاج إلى دليل، كما قال الشاعر:

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيّنات أصحابها أدياء

لذلك، فإن الانتساب إلى الإسلام نظرياً لا يكفي مع الالتزام بالمواقف الشيطانية في الخط العملي، كما استوحينا ذلك في ما حدثنا الله به عن المنافقين الذين هم حزب الشيطان الخاسرون، وعلى هذا الأساس، فإن المؤمنين المتقين هم حزب الله الذين يشملهم الله بعين رعايته وعنايته ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الذين أخذوا بأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، ففازوا بالدرجات العلى عند الله، وذلك هو الفوز العظيم.

والحمد لله ربّ العالمين.

مناهضة المؤمنين للخائنين

الإيمان عهد بين
المؤمن وبين الله
ورسوله، بإخلاص
العبودية لله، وإسلام
الحياة كلها له،
والالتزام بالشريعة التي
جاء بها رسوله

- ❖ فتنة الأهل
- ❖ الخيانة العظمى
- ❖ تحذيرات إلهية
- ❖ الحكم بين الناس بالحق
- ❖ تحكيم السماء
- ❖ تحصين الذات
- ❖ إدانة الخيانة
- ❖ الفضيحة الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا يزال الحديث حول الإيمان ومفاعليه وتأثيره في حياة المؤمنين، سواء على الصعيد الفكري أو الاجتماعي أو الديني. ومتابعة لهذا الموضوع، نتوقف عند بعض الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ* وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

والخيانة: نقض الأمانة التي هي حفظ الأمن لحق من الحقوق بعهد أو وصية ونحو ذلك. قال الراغب: الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال: خنت فلاناً، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾.

فتنة الأهل:

وقد جاء في مجمع البيان: ((قال عطاء: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبرائيل عليه السلام النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فاخرجوا إليه واكتموا. قال: فكتب إليه رجل من المنافقين أن محمداً يريدكم فخذوا حذرکم، فأنزل الله هذه الآية. وقال السدي: كانوا يسمعون الشيء من النبي ﷺ فيفشونه حتى يبلغ المشركين. وقال الكلبي والزهري: نزلت في أبي

لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم، فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة، أنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا. فأتاه جبرائيل ﷺ، فأخبره بذلك.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما، حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله. فنزلت الآية فيه، فلما نزلت، شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ. فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شرباً، حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة، قد تيب عليك. فقال: لا والله، لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فجاءه فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي. فقال النبي ﷺ: يجزئك الثلث أن تصدق به. وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ)).

ومعنى الرواية الأولى أقرب إلى الانطباق على ما سنرى في التفسير الذي اعتمدناه للآيتين موضوع البحث. وأما قصة أبي لبابة وتوبته، وإن كانت صحيحة وقابلة للانطباق على مضمون الآيتين، ولا سيما لجهة فتنة الأهل، غير أنها وقعت بعد قصة بدر بوقت طويل. وظاهر الآيتين، إذا ما قيسنا إلى الآيات السابقة عليهما، أنهما جاءتا مع الآيات الأخرى في سياق واحد، ونزلت بعيد واقعة بدر بقليل، والله العالم.

الخيانة العظمى:

وهذا هو النداء الثالث الذي يدعو المؤمنين إلى اعتبار الإيمان عهداً بين المؤمن وبين الله ورسوله، بإخلاص العبودية لله، وإسلام الحياة كلها له، والالتزام بالشرعية التي جاء بها رسوله، والعمل على تحقيق الأهداف الكبرى التي أراد الله للحياة أن تركز عليها في مضمونها الروحي والمادي، وفي حركتها الجهادية في مواجهة كل تحديات الباطل، من أجل إقامة الحق في واقع الإنسان، كما يدعوهم إلى الإخلاص للأمانات الفردية والاجتماعية، في ما يأتهم به الأفراد بعضهم بعضاً في قضايا المال والعرض والنفس والسرّ، وفي ما يتحمّلونه في نطاق المجتمع من مسؤوليات سياسية أو اجتماعية واقتصادية وعسكرية، ممّا يعتبر في مستوى الأمانة العامة، من أجل سلامة الأمة في قضية المصير. وبذلك، يكون الفرد المؤمن، هو الفرد الأمين على قضايا الناس والحياة، ويكون المجتمع المؤمن هو المجتمع الذي يعتبر الأمانة بمثابة المسؤولية عن كلّ شيء يتّصل بالآخرين في إطار طاقاته، والقاعدة الصلبة التي يركز عليها وجوده، بينما يعتبر الخيانة الفردية والجماعية خارجة عن الخط المستقيم، ومنفصلة عن البناء المتماسك للوجود الإيمانيّ الإنسانيّ في الحياة.

وهذا ما أثارتته الآية الكريمة في هذا النداء: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» في ما يوحي به الإيمان من عمق الالتزام وامتداده وقوّته. «لَا تَخُونُوا اللَّهَ» في ما تفرضه حقيقة الألوهية والوحدانية من إخلاص العبودية له، «وَالرَّسُولَ» في ما يعنيه الإيمان بالرسالة من الالتزام بالمفاهيم العامة التي تدعو إليها، والتعاليم الشرعية التي تأمر بالخير، وتنهى عن الشر، وتدفع إلى الحق، وتبعد عن الباطل، فإن خيانة الله والرسول في ذلك تعني الكفر والضلال... «وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ» فإن الله يريد للحياة الاجتماعية أن تركز على الثقة المتبادلة بين الأفراد، القائمة على الإخلاص في حمل الأمانة وفي تأديتها إلى أهلها، من دون فرق بين الأمانات الشخصية

المتمثلة بالالتزامات الذاتية التعاقدية بين الأفراد، وبين الأمانات العامة المتمثلة بالتشريعات الإلهية في المسؤوليات التي حملها الله للناس. «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» قيمة العهد الإلهي والرسالي في خط الإيمان، والعقد الفردي والجماعي في دائرة الأمانة، وإذا كنتم تعلمون ذلك، فإن العلم يمثل الحجة البالغة التي لا تملكون معها أي لون من ألوان العذر في ما لو انحرفتم عن الطريق المستقيم.

تحذيرات إلهية:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ». فليست الأموال امتيازاً ذاتياً للطغيان والتجبر، وليس الأولاد منحة شخصية للشعور بالقوة والخيلاء، بل هي أمانة في مستوى المسؤولية، ونعمة في مستوى الامتحان. فقد أراد للأموال أن تكون من حلال، وأن تصرف في الحلال، كما أراد للأولاد أن يكونوا مؤمنين صالحين عاملين بما يرضي الله ويصلح الناس. فالأموال والأولاد فتنة، يُفْتَنُ الإنسان بها ويُخْتَبَرُ، ليُعرف ما إذا كان يقوم بمسؤولياته بما يستوجب مرضاة الله أو بما يستوجب سخطه، فإذا قام الإنسان فيها بطاعة الله، فإنه سيحصل على الثواب الكبير منه.

«وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ»، لمن آمن به وأخلص له الإيمان والطاعة. وهكذا يعتبر القرآن ملكية المال وظيفية إنسانية، لتحويله إلى طاقة حيّة منتجة من أجل بناء الحياة والإنسان، كما يعتبر الأبوة للأولاد رسالة يؤدي أحد الأبوين - أو كلاهما - من خلالها مهمته، ويقوم بدوره في تربية الأعضاء الفاعلين للأمة الذين يعملون من أجل المعاني الروحية والإنسانية التي جاءت بها الرسالات الإلهية إلى العالم.

الحكم بين الناس بالحق:

ونتوقف عند قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا* وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا* وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا* يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾^(١).

نحن أمام آيات كريمة نزلت على رسول الله ﷺ، لتعالج حالة معينة من الحالات المقلقة التي كانت تحدث داخل المجتمع الإسلامي، فنتثير بعض المشاعر والانفعالات والأفكار؛ الإيجابية منها من جهة، والسلبية منها من جهة أخرى. وكان القرآن ينزل من أجل مواجهة الأفكار والمشاعر السلبية التي كانت تشد الناس إلى جاهليتهم، وتربطهم بالقيم الفاسدة التي أراد الله لها أن تزول من حياتهم. وتلك هي إحدى وسائل القرآن التربوية، فقد كان يرصد الوقائع والأحداث التي كانت تمر بالمسلمين، ليوجههم الوجهة الصحيحة، فلا تغرق أفكارهم في بحار الخيال والمثال، بل يحركونها في حركة الواقع، عندما يعيشون المشاكل كأشد ما تكون إلحاحاً وتأثيراً وضغطاً على الكيان، ثم تنطلق الحلول في حجم الواقع، ليتطابق الحل مع المشكلة على صعيد واحد.

ولهذه الآيات قصة ذكرها المفسرون في أسباب النزول، وخلصتها، أن أحد المسلمين سرق مالا من شخص مسلم، وكان للسارق عشيرة تملك مواقع متقدمة في المجتمع، وكانت الدلائل التي اتبعتها المسلمون - أو أرادوا أن يتبعوها في التحقيق - تهدي إلى السارق الحقيقي، واجتمعت عشيرته للتشاور، وقرروا أن يبعدوا التهمة عنه، فجاؤوا بالمال المسروق، ووضعوه عند يهودي هناك، لتثبت الجريمة عليه ويبرأ السارق، وحاولوا أن يخلقوا جواً يوحي بالثقة بالنتائج التي أرادوها أمام رسول الله ﷺ، ظناً منهم بأن يهودية هذا الشخص تساهم في استبعاد

دفة الاتهام عن السارق الحقيقي في التحقيق في المسألة، وتسهّل - بالتالي - ثبوت التهمة عليه. وقد حُيِّلَ إليهم أن الرسول ﷺ ربما يميل إلى ما أرادوه أو ظنوه، إرادته منه لتبرئة المسلم على كل حال.

ولكن الله أراد أن يسدّ رسوله ويطلعه على جانب الغيب في المسألة، حتى لا يتوقف أمام الإثباتات الظاهرية للقضية، على أساس أن القضاء في الإسلام يخضع للبيّنات والأيمان، فهي الوسائل المطروحة لدى القضاة، حتى ولو كان النبي هو القاضي، ولا مسؤولية له بعد ذلك في خطأ النتيجة أو صوابها، ما دام غير مكلف بأن يعلم الغيب في حقائق الأشياء، لأنه لا يملك وسائله بشكل ذاتي، كما أن القضاء لا يغيّر ولا يبذل شيئاً في واقع الموضوع، فإذا لم يكن للمدعي حقّ في دعوى، وكانت البيّنة إلى جانبه وحكم القاضي بها، فإن ذلك لا يُحلّ له أكل الباطل في ما انتهت إليه الدعوى. ولكن ذلك جارٍ على الأوضاع العادية في مسائل التحاكم؛ أما في القضايا التي تتعلق بالخط المستقيم للعدالة بشكل عام، فإنها ترتبط بالأجواء الداخلية والسلوكية للتصور الإسلامي للعلاقات التي تعطي المسلمين الجوّ الرائع في الأخلاق والسلوك، في ما يجب أن يتمثلوه ويعيشوه في حياتهم، كما حدث في هذه القضية التي أراد الله من خلالها تقرير مبادئ عدة في حياة المسلمين العاطفية والاجتماعية، من أجل أن لا تنحرف عن خط العدالة في ذلك كله.

تحكيم السماء:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾. إن الله أنزل الكتاب بالحق، ليكون هو القاعدة الفكرية والعملية التي ينطلق منها المؤمنون في تسيير جميع شؤون حياتهم، فلا مجال لاتباع الآراء والأهواء التي تبتعد عنه، لأن الله يريد للحياة أن تقوم على أساس الحق الذي يواجه القضايا من منطلق الواقع، بعيداً عن أية علاقة أو انتماء أو مطمع... وفي هذا الجوّ، لا بد من

أن يحكم الحاكم، في كل المسائل التي تثار أمامه، بما أراه الله من الحق، فلا يتطلع إلى أي شيء آخر في ما يدخل في حيثيات حكمه، مهما كانت الظروف والاعتبارات والنتائج، لأن ذلك يمثل انحرافاً عن الحق وابتعاداً عنه. وهذا هو الخط الذي نستهديه في كل مجالاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية؛ فإذا كان الكتاب هو الذي أنزله الله بالحق، فإن علينا أن ننطلق من مفاهيمه وتعاليمه في كل شيء، وأن ننطلق من أجوانه في منهج التفكير وطريقته.

تحصيل الذات:

«وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً». والاستغفار هو من وسائل التربية الروحية التي يريد الإسلام من الإنسان أن يمارسها بوعي المؤمن الذي قد يرتكب المعصية، أو قد يهمل بها، أو قد تطوف في خاطره، أو قد يعيش في مناخها... وذلك من أجل تحقيق هدفين:

الأول: القرب من الله بعد أن أبعدته تلك الأجواء والمشاعر والأفكار عنه، لأن الاستغفار يمثل الإحساس بالذنب في عملية اعتراف وندم وتراجع.

الثاني: الحصول على المناعة الداخلية من خلال الإيحاء بالتأنيب الداخلي للذات وهو في موقع الابتهاال إلى الله.

وقد يلاحظ الإنسان ويتساءل: كيف يوجّه القرآن الخطاب إلى الرسول بالاستغفار، وهو المعصوم الذي لا تخطر في باله المعصية، فضلاً عن ارتكابها؟ وقد يجاب عن ذلك، بأن القرآن يعتمد أسلوب مخاطبة الأمة من خلال مخاطبة النبي ﷺ، إمعاناً في تأكيد أهمية الموضوع. وربما يخطر في البال، أن الاستغفار لا يُراد منه معناه الحرفي الذي يدلّ على وقوع الإنسان في الذنب أو حضوره في أجوانه، بل يقصد منه الابتهاال إليه تعالى ليسدّد الإنسان بالابتعاد عن ذلك، من باب التعبير عن عصمة الله للإنسان بتوقيفه للبعد عن الذنب، بطريقة الطلب إلى الله أن يغفر له ذلك، كأسلوب من أساليب التعبير عن النتائج بالمقدمات.

إدانة الخيانة:

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾، ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

إن الإسلام يرفض الخيانة من الإنسان بأي شكل كانت، وفي أي موقع وجد؛ في الحقول العامة والخاصة من حياة الفرد والمجتمع؛ في قضايا المال والحكم والنفس والعرض والعلاقات... ويؤكد مسألة أن يتحرك رفض الإنسان لكل القيم الشريرة، في فكره وشعوره وعمله؛ فلا يعيش فكر الخيانة في التخطيط، ليتحرك من هذا الموقع، ولا يرضى له بأن يتعاطف مع الخائنين بالشعور والكلمة والموقف، لأن المؤمن لا يجتمع في قلبه حب الأمانة وكره الخيانة مع محبة الخائنين؛ وعلى هذا، لا بد من مواجهة الخونة بالموقف السلبي الحاسم، وترك الدفاع عنهم ومناصرتهم بأية وسيلة كانت؛ وفي ضوء ذلك، لا يبيح الإسلام مهنة المحاماة إذا انطلقت في خط الدفاع عن المجرمين.

وقد أكد القرآن هذا الخط في عدة أساليب، فبدأ بالنهي عن أن يكون المؤمن خصيماً، أي مدافعاً عن الخائنين، لأن الكتاب يرفض الخيانة، فلا يجوز للمؤمن أن يدافع عنها من خلال الدفاع عن رموزها، وإلا كان ذلك انحرافاً عن الوقوف عند الحق. واعتبر الخائنين خائنين لأنفسهم، كما هم خائنون للناس من حولهم، لأنهم أوقعوا أنفسهم في الهلكة بما مارسوه من أعمال تعرضهم لعذاب الله، فكيف يجادل الإنسان عن هؤلاء؟ وهل يكون ذلك إلا نوعاً من أنواع مساعدة الإنسان على خيانة نفسه، بالتمرد على إرادة الله، في الوقت الذي يريد الله للمؤمن أن يساعد العصاة على أنفسهم بهدايتهم إلى سبيله في السير على هدى أمره ونهيه؟! ثم تتحدث الآية عن طبيعة العلاقة بين الله وبين الخائنين، فهم من الأشخاص الذين لا يحبهم الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، فكيف يمكن للإنسان المسلم أن يحب من لا يحبه الله، مع أن علامة إيمان المؤمن هي أن يحب من يحبه الله، ويبغض من

يبغضه الله؛ بحيث يكون شعوره السلبي والإيجابي تبعاً لإيمانه، في ما يوحيه من مشاعر وعواطف؟!

فضم الخيانة

ويطوف القرآن بالمسلمين في الأفاق الروحية للإيمان التي قد يبتعدون عنها، في ما يقتربون به من أجواء العصبية الجاهلية؛ فهؤلاء الذين اجتمعوا ليلاً ليتداولوا في أمر الخيانة ليبعدوا التهمة عن السارق ويلصقوها بالبريء، كانوا يحاذرون من أن يراهم أحد أو يستمع إليهم، لأنهم يخشون من الناس على مصالحهم وعلى مكانتهم، ويخافون من انتقامهم عند انكشاف خطة المؤامرة، ولم يحسبوا الله حساباً في ذلك كله، وهو الذي يعلم سرهم وعلايتهم، فكيف يستخفون منه وهو المطلع على كل صغيرة وكبيرة؟ «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً»، فلا يعزب عن علمه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وهذا ما ينبغي للإنسان المؤمن أن يفتح عليه في حياته، من الإحساس العميق بحضور الله في نفسه، بالمستوى الذي يشعر بإحاطته به من كل جانب، ليمنع ذلك من المعصية في ما يفعله أو ما يتركه.

وللحديث بقية في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

من أمانة المؤمنين
عدم تخوين الآخرين

ليس للمؤمن خيانة
من خانه، لأن
المسألة تتصل
بالمبدأ ولا تتصل
بالشخص

- ❖ الجدل عن غير أهل الحق
- ❖ المسؤولية الشخصية
- ❖ العدالة المطلقة
- ❖ الخيانة وتدمير الذات
- ❖ ملامح الخيانة والخائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

توقفنا في الأسبوع الماضي عند الآيات الكريمة من سورة النساء، قال تعالى: ﴿هَآئِثُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا* وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا* وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا* وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِينًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١).

الجدال عن غير أهل الحق:

﴿هَآئِثُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

هذا الكلام موجه إلى كل الذين يدافعون عن الذين يحددون عن خط الله ورسوله، ويجادلون عنهم محاولين تبرئتهم، فالله يقول لهؤلاء المدافعين: ما هي فائدة جدالكم عنهم؟ إنكم قد تستطيعون الدفاع عنهم في الدنيا، فتنقذونهم من العقوبات، لأنكم تملكون الوسائل المقنعة التي تثبت دعوكم الباطلة بطريقة أو بأخرى، ولا يملك الحاكم العلم بالغيب ليكتشف كذبكم، ولكن هل ينتهي الأمر عند هذا الحد؟ ألا تؤمنون بالآخرة وعذابها وثوابها؟ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها؟ هل تستطيعون أن تجادلوا عنهم هناك، حيث لا تملك نفس لنفس شيئاً

والأمر يومئذ لله؟! ومن الذي يكون عليهم وكيلاً ليتولى الدفاع عنهم أمام الله؟ إن على الإنسان المؤمن أن يفكر في قضية الأمن والمصير على مستوى الآخرة لا على مستوى الدنيا، لأن أمر الدنيا زائل بنعيمها وعذابها، أما أمر الآخرة، فبالى خلود في كل أجواء النعيم والجحيم. وهذا هو المفهوم الإسلامي الذي يوحى إلى الناس بأن يتجاوزوا حياتهم إلى الحياة الآخرة، من خلال ما يخوضون فيه من جدال حول القضايا التي يختلف فيها أمر الحق والباطل، ما يدفعهم إلى مراقبة الله في ذلك كله، ليكون هو الأساس في النظرة إلى الأشياء.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً﴾.
إن الله يفتح باب رحمته ومغفرته لكل خاطيء، من موقع الرحمة التي جعلها لعباده في كل زمان ومكان؛ وفي ذلك إحياء للإنسان بأن الخطيئة ليست ضريبة لازمة للخاطيء، بل هي حالة طارئة يمكنه أن يتجاوزها إلى حيث الطاعة والرضوان، بالاستغفار الذي يعبر عن الندم والتوبة وإرادة التغيير، والتصميم على أن يصحح الإنسان نفسه وطريقه، كوسيلة من وسائل السمو بالنفس الإنسانية إلى أفاق الله.

المسؤولية الشخصية:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِثْماً يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾. إن الإنسان يتحمل مسؤولية عمله، في ما يكسبه من أثام وخطايا، بكل ما تفرضه من نتائج سلبية على مستوى حياته في الدنيا، وعلى مستوى مصيره في الآخرة؛ فإذا كانت القضية تنعكس على شخصيته، في ما يتصل بأمور الكرامة والشرف، فإن عشيرته وأولاده وأهل بلده لا يتحملون شيئاً من ذلك، لأن شرف الإنسان يخصه ولا يخص غيره، من خلال ممارسته. وإذا كانت القضية تنعكس على مصيره في ما يتصل بعذاب الله، فلا يعدّ بإنسان لعمل إنسان آخر، لأن العذاب كان نتيجة كسبه السيئ، فهو الذي يحمل مسؤوليته. وعلى هذا الأساس، ينبغي للإنسان أن يواجه مواقفه، ليعرف كيف يتحمل مسؤوليته أمامها، وليعي - جيداً - أن الناس لا

يغنون عنه شيئاً في قليل أو في كثير، كما أن أخطاء الآخرين لا تلزمه بشيء ولا تخيفه في شيء، وعليه أن يراقب الله في كل أموره، فإنه العليم الحكيم الذي يحيط بكل شيء، ويدبر الأمور بحكمته.

العدالة المطلقة:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾. لا يحق للإنسان المؤمن أن يبرىء نفسه باتهام غيره البريء، بل عليه أن يتحمل مسؤولية عمله بالالتزام بكل النتائج المترتبة عليه، من دون فرق بين أن يكون هذا البريء الذي يُراد إلصاق التهمة به مسلماً أو غير مسلم، لأن القضية هي قضية المبدأ الذي يفرضه الإيمان كموقف في الحياة؛ وهو أنه لا يجوز معاقبة أي إنسان بريء بما لم يفعله، ولا يجوز اتهمه حتى لو لم يترتب على اتهمه أية نتائج عملية؛ لأن ذلك كذب وظلم وبهتان، والإسلام لا يريد لمجتمعه أن يعيش فيه الناس تحت رحمة الاتهامات الكاذبة والعقد النفسية، والقوى المسيطرة، بل يريد للفرد، مهما كان دينه وعقيدته وموقعه الاجتماعي، أن يشعر بالأمن والطمأنينة تحت ظل العدل الذي يمارسه الحاكم والمحكوم، في حماية الحق أينما كان موقعه، وفي مواجهة الباطل أينما كان مجاله.

وبهذه الروح، أراد الله لليهودي البريء، الذي حاول المسلمون إلصاق تهمة السرقة به ظلماً، لدفع التهمة عن المسلم السارق، أراد له أن يعيش في حماية الإسلام، من دون أن يكون لليهوديته أية صفة سلبية ضده في ميزان الحكم بالعدل، كما أراد للمسلم السارق أن يأخذ نصيبه من العقوبة في خط العدل، من دون أن يكون لإسلامه أية صفة إيجابية في الحكم له بالباطل. إن الإسلام يواجه الواقع في مجالات الحكم على أساس ما هو الحق والباطل، بعيداً عن أية نظرة إيجابية أو سلبية، فيمن له الحق أو فيمن عليه الحق. هذا كله في ما ورد في القرآن الكريم، فكيف عالجت الأحاديث الواردة عن النبي محمد ﷺ والأئمة من أهل البيت مسألة الخيانة؟

الخيانة وتدمير الذات:

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((ليس منا من خان الأمانة))^(١)، ما يوحى بأن المسألة تتصل بالانتماء الأصل إلى الإسلام والانتساب إلى المجتمع المسلم، لأن الإسلام مركّز على الوفاء بالالتزامات المتصلة بحقوق الناس في أموالهم وشؤونهم الخاصة والعامة، فمن لم يف للناس بذلك، كان منحرفاً عن خط الإسلام الذي يؤكّد أداء الأمانة لأهلها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا»^(٢). وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: ((ليس منا من خان مسلماً في أهله وماله))^(٣). وفي موقع آخر: ((المكر والخديعة والخيانة في النار))^(٤)، لأن الإسلام يريد للمسلم في التزامه الإيماني الداخلي والخارجي، أن يكون منفتحاً على الناس من موقع الصدق في الشعور وفي المعاملة، ومن جهة أخرى، أن لا يتحرك بالطريقة التي تسيء إلى حياته في استغلال الآخرين لغفلته فيما يخططون له لإلحاق الضرر به.

وقد عبّر الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن هذه الفكرة في قوله: ((يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب))^(٥)، لأن الخيانة تنافي المعنى الإنساني الذي يفرضه الإسلام على الإنسان المسلم، في أن يكون وفيّاً ومخلصاً للإنسان الآخر في علاقته به، وفي أن لا يكون كاذباً، لأنّ الكذب ينفي الحق في الكلمة والوعد والعهد. ويؤكد الإمام علي عليه السلام في الكلمة المروية عنه، أن ((الخيانة أخو الكذب))، لأنهما ينطلقان من قاعدة الخلل في الانفتاح على الوفاء، وفي احترام حقوق الإنسان الآخر في شؤونه المالية والإنسانية، وفي احترام الحقيقة المقدمة إليه.

(٢) البحار. ج ٧٥. ص ١٧٢. ح ١٢.

(٣) النساء: ٥٨.

(٤) البحار. ج ٧١. ص ٣٨٧. ح ٣٥.

(٥) الكافي. ج ٢. ص ٣٢٦. ح ١.

(٦) البحار. ج ٧٥. ص ١٧٢. ح ١١.

وفي كلمة أخرى له: ((الخيانة غدر))، لأن الخائن يستغل ثقة الناس به، واستسلامهم له، فيقوم بأعماله الخيانية من دون أن يشعروا بذلك، فلا يملكون - في هذه الحال - حماية أنفسهم منه.

وفي كلمة ثالثة له: ((الخيانة رأس النفاق))، لأن الخائن يبطن العداوة للآخرين، ويظهر أمامهم شيئاً آخر يوحي بالثقة به.

ويتابع الإمام علي عليه السلام الكلمات المضيئة في تصوير الجانب السلبي في الخيانة من حيث مضادتها للإسلام: فيقول: ((جانبوا الخيانة، فإنها مجانبة للإسلام))^(٧)، ((الخيانة دليل على قلة الورع وعدم الديانة)).

وعن أبي ثمامة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وقلت له: جعلت فداك، إني رجل أريد أن ألزم مكة، وعليّ دين للمرجنة، فما تقول؟ قال: ((ارجع إلى مؤدي دينك، وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون))^(٨). والملاحظ في هذه الرواية، أن الإمام اعتبر أن تمتع الرجل عن أداء دينه لجماعة تختلف معه في المذهب، هو خيانة لا تتناسب مع صفته الإيمانية كمؤمن لا بد له من وفاء الدين الذي عليه. وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام توصيف الخائن بأنه شر الناس قال: ((شر الناس من لا يعتقد الأمانة، ولا يجتنب الخيانة)).

ونتابع الخطوط الفكرية الإسلامية في رفض الخيانة، حتى ولو من خلال رد الفعل ضد الخائن، فليس للمؤمن خيانة من خانه، لأن المسألة تتصل بالمبدأ ولا تتصل بالشخص، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تخن من خاتك فتكون مثله))^(٩)، وعن الإمام علي عليه السلام: ((لا تخن من اتمنك وإن خاتك))^(١٠)، وقد جاء في تفسير نور

(٧) نهج البلاغة، ص ١٦٩، ك ٨٥.

(٨) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٨٣، ح ٣٦٨٦.

(٩) التهذيب، ج ٦، ص ٣٤٨، ح ١٠٢.

(١٠) البحار، ج ٧٧، ص ٢١٠، ح ١.

الثقلين عن سليمان بن خالد: سألت أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، عن رجل وقع لي عنده مال وكابرنى عليه وحلف، ثم وقع له عندي مال، فأخذه مكان مالي الذي أخذه وأجده وأحلف عليه كما صنع؟ فقال عليه السلام: ((إن خاك فلا تخنه، فلا تدخل فيما عبته عليه))^(١١).

وفي حديث آخر في مسألة مماثلة عن معاوية بن عمار: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يكون لي عليه الحق فيجحدني، ثم يستودعني مالا، ألي أن أخذ ما لي عنده؟ قال: لا، هذه خيانة))^(١٢).

وهذا هو المنهج الأخلاقي الإسلامي الذي يؤكد أن يرتفع الإنسان المؤمن بأخلاقيته إلى المستوى الذي يتمتع فيه عن مجازاة الخائن بمثل ما قام به، بل لا بد له أن يلجأ إلى وسيلة أخرى للحصول على ماله بالوسائل الشرعية المعتمدة.

ملامم الخيانة والخائن:

ما هو معنى الخيانة ومن هو الخائن؟ جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أما علامة الخائن فأربعة: عصيان الرحمن، وأذى الجيران، وبغض الأقران، والقرب إلى الطغيان)). وتفسير ذلك، أن عقدة الخيانة المتأصلة في الذات، تتمثل في عدم التزام الخائن بطاعة الله، وعدم مراقبته له، والجرأة على عصيانه، وعدم احترام جيرانه في الأخذ بأسباب الأمانة في علاقته بهم، فقد يستغل جواره لخيانتهم في أمورهم الخاصة، وإضرار العدواة والبغضاء لأقرانه من الناس، لأنه لا يعيش في ذاته معنى الحب والاحترام للآخرين، حتى لو كانوا قريبين إليه بفعل الصداقة والقربة، لأن نفسه مجبولة على المشاعر السلبية ضدهم من خلال فقدان معنى القيمة الأخلاقية في نفسه. ثم إن هذا الشخص الذي يختزن الخيانة في فكره وسلوكه،

(١١) الاستبصار. ج ٣. ص ٥٢. ح ٥.

(١٢) الكافي. ج ٥. ص ٩٨. ح ٢.

يتحرك في موقع الطغيان في ذاته، فيكون قريباً من الطغيان على أساس المشاكلة والمماثلة في الخلق السيئ.

وجاء عن رسول الله ﷺ، في اعتبار إفشاء الإنسان سرّ إخوانه الذي ائتمن عليه، لوناً من ألوان الخيانة، لما يترتب على ذلك من النتائج السلبية التي قد تدمر الكثير من شؤونه الذاتية والمالية والعائلية، وقد تربك أوضاعه، وقد تكون خيانة السر أكثر تأثيراً في الإضرار بالإنسان من خيانة المال... وهذا ما جاء عن رسول الله ﷺ: ((إفشاء سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك))^(١٣). وقد نستوحي من النهي عن ذلك، والأمر باجتنابه، النهي عن إفشاء سر القيادة الشرعية فيما تخطط له من حماية الأمة في مخططاتها السرية المتصلة بالأمن العام للناس وللبلاد، أو إفشاء أسرار الوطن كله للأعداء، ويدخل في ذلك، الدخول في الأجهزة المخابراتية للدول المعادية من الكافرين والمستكبرين لتقديم المعلومات الخفية للقائمين عليها، بما يهدد أمنها ومصالحها العامة. وهذا ما تشير إليه الكلمة المأثورة عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: ((كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة))^(١٤). وقد يتمثل ذلك، إضافة إلى ما ذكرناه، في دخول الإنسان في الأجهزة الرسمية للظالمين والمستكبرين والخونة للأمة، من حيث مساعدته لهم في خيانتهم، وأمانته على مصالحهم وتنفيذ مخططاتهم.

وقد تتمظهر الخيانة في بعض حالات السلوك السلبي في العلاقة بالمؤمنين فيما يحتاجون إليه، فقد جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث لأبي هارون المكفوف: ((يا أبا هارون، إن الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوزه خائن، قال: قلت: وما الخائن؟ قال: من ادخر عن مؤمن درهماً، أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا)). وفي حديث آخر عنه عليه السلام: ((أيما رجل من أصحابنا

(١٣) البحار ج ٧٧، ص ٩١، ح ٢.

(١٤) نفسه، ج ٧٥، ص ٣٨٠، ح ٤٥.

استعان به رجل من أخوانه في حاجة، فلم يبالغ فيها بكل جهده، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين^(١٥). وقد نفهم من ذلك، أن الله جعل مسؤولية المؤمن تجاه إخوانه، أن يبذل كل طاقاته في سبيل سد حاجتهم، وتخفيف مشاكلهم، كأمانة يحملها الله له.

ولعل ما يجمع ذلك كله، هو ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١٦)، ((فخيانة الله والرسول معصيتهما، وأما خيانة الأمانة، فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عز وجل عليه))^(١٧). وهذا هو ما يوحى للإنسان المؤمن، أن مسؤوليته العامة والخاصة هي الأمانة التي أراد الله منه القيام بها والوفاء بها والحفاظ عليها.

وتمتد المسألة في نتائجها السيئة وعواقبها الوخيمة إلى قضية أمانة العلم، بتقديم حقائق المعرفة في كل ما يغني الطالب في فكره وحياته، من دون غش ولا باطل، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((تناصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانتة في ماله))^(١٨). ولعل الأساس في ذلك، أن الخيانة في العلم تكون بتقديم الباطل باسم الحق، والجهل باسم العلم، ما يؤدي إلى دخول الإنسان في الأمور التي تترك تأثيراتها السلبية على طريقته في التفكير، وعلى سلوكه في الحياة، لأن حركة الإنسان في حياته وعلاقاته، خاضعة لما يحمله في فكره من أفكار صائبة أو مخطئة. وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام في تأثير الخيانة سلباً على علاقة الإنسان بالناس، قال: ((غاية الخيانة خيانة الخل الودود، ونقض العهد))، ما يسيء إلى الواقع الخاص والعام، وقد يتعاضم الأمر عندما يصل إلى خيانة

(١٥) نفسه. ص ٢٥٠. ح ٣٣.

(١٦) الأنفال: ٢٧.

(١٧) البحار. ج ٧٥. ص ٢٥٠. ح ٣٣.

(١٨) نفسه. ص ٢٩٢. ح ٤١.

الأمة، فقد جاء عن علي عليه السلام: ((إن أعظم الخيانة خيانة الأمة))^(١٩)، لأن ذلك قد يؤدي إلى تدمير القضايا الحيوية والمصيرية للأمة كلها.

وخلاصة الفكرة، أن الخيانة في كل مواقعها، تمثل الانحراف الأخلاقي للإنسان عن خط الاستقامة للإيمان كله، في نفسه وفي علاقاته بالناس.

والحمد لله رب العالمين.

الإيمان العميق والشامل

الإيمان ليس مجرد حالة
طقوسية يمارسها
الإنسان المؤمن، ولكنها
دعوة من أجل أن يعيش
المؤمن الحياة بكل
أبعادها انطلاقاً من
دعوة الله ورسوله

- ❖ الدعوة إلى الحياة
- ❖ التوحيد بين العبودية والحرية
- ❖ نور الحضارة
- ❖ التضحية من أجل الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الدعوة إلى الحياة:

في نداء الله تعالى للمؤمنين، فيما يريد أن يوجههم إليه، ويركز تفكيرهم
عليه، حتى يعرفوا أن الإيمان ليس مجرد حالة طوقسية يمارسها الإنسان المؤمن،
ولكنها دعوة من أجل أن يعيش المؤمن الحياة بكل أبعادها انطلاقاً من دعوة الله
ورسوله، يقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»^(١).

إن هذه الآية - في فقرتها الأولى - تختصر الإسلام كله؛ فالإسلام - فيما
أوحى الله به إلى رسوله في كتابه، وما أفاض به النبي ﷺ في سنته - هو دعوة إلى
الحياة وليس دعوة إلى الموت، وهو يربط الإنسان بالحياة في خط المسؤولية في
كل أبعادها، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية، التي كانت موتاً ثقافياً وروحياً
وإنسانياً، لأنها لم تفتح على الجانب الفكري، ليبدع أفرادها الفكر الجديد الذي
يمكن أن يصنع لهم حضارة في جميع مواقف الحياة، بل كانوا مشدودين إلى
الأحجار التي لا تملك أية نبضة للحياة من خلال أوهام سيطرت على تفكيرهم، لا
من خلال أنهم اختاروا فكر الوثنية على أساس قاعدة فكرية تُناقش الخط، ولكن
على أساس أنهم ورثوا وثنيتهم من آبائهم الذين كانوا لا يعلمون شيئاً ولا يهتمون،
وعاشوا - بفعل هذه العاطفة التي تربطهم بأبائهم - الخط العملي الذي سار عليه

أباؤهم على ما قصه القرآن لنا: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ»^(٢).

وكانت الجاهلية تمثل موت الوعي في نفس الإنسان، ولذلك أخذوا بالعصبية بعيداً عن جانب الفكر ومناقشاته وكلّ خطوطه، والعصبية في جوهرها، تمثل إلغاء الفكر، فالجاهليون لم يفتحوا على الفكر ليناقدوا خطوط العصبية، ولو ناقشوها، لما رأوا فيها أي معنى يخدم الحياة الإنسانية ويطور إنسانية الإنسان. كانت تمثل موتاً في مسألة الجهل والتخلف التي كانت تحكم عقولهم، وقد جمّدت عقولهم، ولم تسمح لها بأن تتحرك وتنتج وتعمل على أساس أن توجه الإنسان في إدراكه للحسن والقبح والضر والنفع، وأبعدت الإنسان عن فهم معنى التوحيد لله سبحانه وتعالى، لأن قصة التوحيد هي قضية تنطلق من الفطرة والعقل، فمن لا يعيش نقاء الفطرة وعمقها، لا يمكن أن يفتح على مسألة التوحيد التي هي كما قال الله: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(٣).

وكانت الجاهلية تمثل موتاً في الجانب الروحي من حيث انفتاحها على الوثنية والصنمية التي لا توحى بالتفاعل الحي في معنى العبادة.

لذلك، أراد الإسلام للناس الحياة، في دعوته إلى الالتزام به والانتماء إليه، وليس المقصود من ذلك الحياة الحيوانية أو النباتية، وهي حياة الجسد، ولكنه أراد حياة من نوع آخر، أراد حياة شاملة بمختلف أصنافها في الدنيا، وحياة شاملة بكل امتداداتها في الآخرة.

التوحيد بين العبودية والحرية:

وفي ضوء هذا، عندما ننطلق لفهم هذه الحياة، نجد أن الله سبحانه وتعالى

(٢) الزخرف: ٢٣.

(٣) الروم: ٣٠.

بدأ بإحياء قيمة الحرية، فالإسلام كان دعوةً إلى التوحيد، والتوحيد يمثل خطين:

أما الخط الأول، فهو العبودية لله سبحانه وتعالى. فالتوحيد يقول لك: إنك عبدٌ لله وحده، وإن هذه العبودية تمتد لتكون عبودية في الألوهية، وعبودية في العبادة، وعبودية في الطاعة، فلا ربوبية لغيره، ولا عبادة لغيره، ولا طاعة لغيره أمام طاعته.

وأما الخط الثاني، فهو الحرية، وذلك أن عبوديتك لله وحده تقول لك: إنك حرٌّ أمام العالم كله، لست عبداً لأيٍّ من الظواهر الكونية؛ لست عبداً للشمس ولا للقمر ولا للكواكب ولا للأصنام، ولا لأولئك الذين يتألهون، لست عبداً لأحد.

والحرية حياة؛ فأنت عندما تكون حراً، فإنك تشعر بأن الحياة تضجّ في إرادتك وحركتك، وأنت لست مسجوناً في نطاق زنزانية تجعلك خاضعاً لإنسان هنا أو لواقع هناك.

ثم نلاحظ - بعد ذلك - أن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يعيش حياة العلم؛ لأن العلم يمثل الحياة المتحركة في عقل الإنسان وفي قلبه وحياته، فهو يجعله ينطلق إلى آفاق الكون ليكتشف أسرارها، وليعرف طبيعة الحياة التي أودعها الله فيها، وليفتح بها على الإنسان في كل طاقاته، ليعرف أسرارَ هذا الإنسان في خلقه وحركته وامتداداته.

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يعيش الحياة الروحية، في حركته في آفاق الروح التي تنفتح على الله سبحانه وتعالى، وتطوف في أرجاء هذا العالم الذي خلقه الله، لتكتشف أسرار عظمة الله سبحانه في خلقه؛ لتتفتح من خلال ذلك على عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى في هذه الحياة.

وعلى هذا، فإننا نفهم أن الدين عندما يحرك الإنسان في عالم الروح، وفي عالم الثقافة، وفي عالم العلم، وفي عالم الإحساس بالمسؤولية، وفي عالم الوعي لما

حوله ومن حوله، فإنه يمثل هذه الحياة المتحركة التي يعيش فيها الإنسان التكامل مع النظام الذي أودعه الله في الكون، ومع كل حركة الإنسان في المسيرة الإنسانية في كل تاريخها وفي كل سننها. ومن الطبيعي جداً أن هذا النوع من التكامل بين الإنسان والكون - باعتبار أن الإنسان هو جزء من الكون - يجعل من الجهاد حركة حياة، سواء كان الجهاد داخلياً في ما هو جهاد النفس، أو كان خارجياً في جهاد الأعداء وجهاد المستكبرين، باعتبار أن الجهاد يمثل المسألة الحركية للإنسان على أساس محاربة الظلم والاستكبار، وعلى أساس إيجاد التوازن بين مواقع القوى بين الناس في كل جانب.

نور الحضارة:

إن الإسلام يمثل التجديد للإنسان بإخراجه من ظلمات الجاهلية إلى نور الحضارة، ويمثل إنقاذاً للإنسان عندما يخلقه خلقاً إنسانياً روحياً، ويخرجه من موت الجاهلية الذي تمثله خطوط الجاهلية في جميع الحالات، وعندما يحييه من خلال وحي الله، ومن خلال سنة نبيه. إن الله أعطانا الحياة الجسدية، بأن جعل لأجسادنا هذه الحيوية المتحركة بإرادته، وأعطانا الحياة الروحية والثقافية، وحياة المسؤولية والوعي في ما أوحى الله به في كتابه وأفاضه النبي في سنته.

إن الإسلام يمثل الحياة ويحقق التوازن في كل أوضاع الإنسان، فلا تنحرف حياته إلى خط السلبي التي تهمل كل شيء حولها، ولا تتطرق في خط الإيجابية حتى تغلق على نفسها كل باب للحرية، بل يمتد التوازن بين النزعة المادية والنزعة الروحية، فالإنسان في الإسلام ليس مادة مجردة، كما أنه ليس روحاً مجردة، بل هو هذا المزيج من الروح ومن المادة اللتين تتزاوجان، لينطلق الإنسان في وحدته إلى الانسجام. وهكذا التوازن بين الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية؛ فالإنسان ليس مجرد فردٍ منفصل عن مجتمعه، وليس مجرد جزء في المجتمع، ولكن الإنسان يعيش فرديته في حاجاته الخاصة وفي إمكاناته الفكرية،

كما يعيش كونه جزءاً من المجتمع، في علاقته به، وفي تكامله معه، وفي حاجاته الجماعية بالنسبة إليه. وبذلك يحسب الإنسان لكل شيء حساباً، ويضع كل شيء في موضعه على أساس الحكمة والاعتزان.

التضحية من أجل الإسلام:

وأهداف الإسلام من وجود الإنسان هي ذاتها أهداف الحياة؛ إن لجهة تعميق حالة المعرفة، في كل ما تختزنه من أسرار، وتثيره من قضايا، وتواجهه من أحداث، وفي ما تستوعبه من معلومات، حتى إنها تدعوه إلى الإحاطة بكل شيء يمكن له الإحاطة به، فلا يغيب عنه شيء من ذلك؛ أو لجهة عيش معنى الحرية، بحيث يواجه بشدة وشجاعة كل الضغوط والتحديات التي تحاول أن تفرض نفسها عليه وعلى حركة الرسالة، وبذلك يكون الإنسان تجسيدا للرسالة وانفتاحاً عليها، ليواجه الحياة من موقع الرسالة، التي تتطلع إلى كل زاوية من زواياها، لتتحرك فيها القيم الروحية التي تبني للإنسان إنسانيته، وتحقق للحياة معناها، فلا تتجمد حياته عند حدود حاجاته، بل تتجاوزها إلى التحرك في نطاق القضايا الكبيرة من أهدافه. وهكذا تكون التضحية بالحياة لونا من ألوان حركة الحياة؛ لأنها تضحية من أجل خدمة الحياة، وهذا ما يمثله الجهاد، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤)، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٥).

وهذا ما أراد القرآن الكريم الإحياء، به، عندما اعتبر العلم والإيمان والجهاد والشهادة مظهراً من مظاهر الحياة، ولذلك كانت الاستجابة إلى الله وإلى الرسول استجابة للجانب الحي من حركة الرسالة في الحياة. وهذا ما ينبغي لنا أن نستوحيه في ما نلتقي به من أحكام الشريعة وأسرارها وقضاياها، لنكتشف في ذلك كله كيف

(٤) آل عمران: ١٦٩.

(٥) البقرة: ١٥٤.

تستوعب الشريعة الحياة، وكيف تخضع الحياة لدعوة الشريعة في ما تريد أن تحققه من أهداف أو تواجهه من مشاكل وحلول.

وعلى ضوء هذا، نفهم أن من يحسبون الدين حركة من أجل الموت هم مخطئون، لأنه حركة من أجل الحياة الدنيا، في ما يأخذ به الناس من مسؤولياتهم في الدنيا، حيث إن عليهم أن يزرعوا الدنيا لتكون مزرعة الآخرة، ليواجهوا نتائج أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

أما قوله تعالى في الفقرة الثانية من الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٦)، فالكلام حوله في حديث آخر إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

الأمن الاجتماعي

الاختلاف والتشتت في
قضايا المجتمع يؤدي إلى
انهيار المجتمع كله،
وذلك لترابط القضايا
العامة اجتماعياً وسياسياً
واقتصادياً وأمنياً

❖ الحياة الربانية

❖ الترابط الاجتماعي للأحداث

❖ طوارئ الأمن الاجتماعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

متابعة لما سبق من حديث، نقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١). هذه هي الوصية الثانية يوصينا الله بها في هذه الفقرات من الآية
الكريمة.

الحياة الربانية:

ففي هذه الآية، يريد الله سبحانه وتعالى أن يرسخ في وجدان الإنسان
المؤمن، أن الله الذي خلقه، والذي دعاه إلى الحياة بكل أبعادها وتنوّعاتها، هو
المهيمن على كلّ وجوده وكل حياته، فله السلطة على الإنسان بما لا يملكه من
نفسه، فهو قادرٌ على أن يُغيّر له فكره ومشاعره في أيّ جانب من الجوانب، وأن
يحول بينه وبين كلّ ما يختزنه في الداخل من أفكار وأحاسيس. وهذا من أوضح
مظاهر السلطة والقدرة؛ لأن أعلى مظاهر القدرة والسلطة، هو السيطرة على
الداخل الذي يقتصر أمره على الإنسان نفسه. ولذلك، فإن الله وضع للإنسان قاعدة:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، بمعنى أن الإنسان قادر على
أن يغير ما في نفسه، وأن الله يجعل حياة الإنسان الخارجية تابعة لحياته الداخلية.

ونستفيد من هذه الآية: أن الله أقرب إلى الإنسان من ذاته، وأنه يعرف منه ما

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الرعد: ١١.

لا يعرفه الإنسان من نفسه. وعلى ضوء ذلك، لا بد له من أن يراقب الله؛ لأن الله قادر على أن يحول بينه وبين عقله وقلبه، فيسيطر عليه من جميع الجهات. وقد جاء في القرآن ما يصور ذلك، فقال تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^(٣)، وجاء أيضاً قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(٤).

فالآية تركز الجانب العقيدي للإنسان، وهو أن يشعر أن علاقته بالله سبحانه وتعالى، هي العلاقة التي لا علاقة أوثق منها؛ لأن الله سبحانه هو المسيطر على الإنسان كله، فإذا كان الله قد منحه الاختيار في حياته، فإنه في الوقت نفسه لم يبتعد عنه. فأن يكون الله قد أعطى الإنسان الاختيار والإرادة الحرة، ليس معناه أن يعزل الله عن حياته، بل تبقى لله سبحانه وتعالى السيطرة المطلقة التي ينفذ بها إلى الواقع الداخلي للإنسان، في إرادة الروح وفي حركة العقل. وفي ضوء ذلك، أراد الله للإنسان أن تكون كل امتدادات حياته الروحية والعقلية والعملية بإشراف الله، في نطاق الإحساس بالمسؤولية التي توحى له بالرقابة الإلهية عليه في كل نشاطه، بمختلف امتداداته وتنوعاته.

الترابط الاجتماعي للأحداث:

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»^(٥). وفي هذه الآية، إشارة إلى هذا النوع من الترابط الاجتماعي في المؤثرات التي تؤثر في الناس، باعتبار أنه لا يمكن الفصل بين موقع وموقع بالمطلق؛ لأن المجتمع يمثل وحدة في تفاعلاته بين أفراده، على مستوى الإحساس والشعور والفكر وما إلى ذلك، فإذا انطلقت الأوضاع السلبية في موقع، فإنها تترك

(٣) غافر: ١٩.

(٤) ق: ١٦.

(٥) الأنفال: ٢٥.

تأثيرها في موقع آخر، حتى لو لم تكن له صلة مباشرة به؛ وإذا حدثت هناك قضية يفتتن بها الناس، أو مشكلة في القضايا المنحرفة، فإن تأثيراتها لا تقتصر على الذين قاموا بها أو الذين حرّكوها، بل إنها تمتد إلى حياة الناس الآخرين، في كل أوضاعهم وقضاياهم. وإذا توانى المجتمع عن أداء رسالته، وانهارت القوانين على أثر ذلك، وانعدم الأمن، فإن النار ستحرق الأبرار مع الأشرار، وهذا هو الخطر الذي يحذر الله منه - في هذه الآية - المجتمعات البشرية كلها.

وعلى ضوء هذا، فإن الآية تدعو الناس إلى التقوى في مواجهة الفتنة؛ ليعرفوا أنهم ليسوا مسؤولين عن أداء وظائفهم فحسب، بل هم مسؤولون عن حث الآخرين على أداء وظائفهم، وأن الاختلاف والتشتت في قضايا المجتمع، يؤدي إلى انهيار المجتمع كله، وذلك من جهة ترابط القضايا العامة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وأمنياً، وهذا ما أكدّه الحديث الشريف في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنتائج السلبية المترتبة عن ترك ذلك، كما ورد في الحديث الشريف: ((إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروا، فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة))^(٦)، فإذا انطلق بعض أبناء المجتمع ببعض المعاصي أو الانحرافات، ولم ينكر الآخرون عليهم ذلك، وكانوا قادرين على الإنكار والتغيير، فإن عذاب الله سبحانه وتعالى لا يتوقف على الذين أثاروا المشكلة وحركوا الفتنة، بل ويعذب أولئك الساكتين عما يجري حولهم من الانحراف والفتنة والمنكر، لأنهم كانوا قادرين على الإنكار والتغيير والمنع والمواجهة، ولم يفعلوا ذلك.

وقد ورد في الحديث: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم))^(٧)، فإن الأخيار إذا

(٦) البحار. ج ٦٥. ص ٣٧٨. ح ٥٢.

(٧) البحار. ج ٥٥. ص ٢٥٨. ح ١.

وقفوا على الحياد، وانعزلوا عن القضايا العامة في المجتمع، وانطلق الأشرار ليثيروا المشكلة، ولينشروا المنكر بين الناس، ولم يُنكروا عليهم ذلك، فإن المشكلة سوف تتسع لتشمل المجتمع كله. وبذلك، فإن السلطة والسيطرة سوف تكون في المجتمع للأشرار على الأخيار، وعند ذلك إذا دعا الأخيار: اللهم انصرنا على الأشرار، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، فإن الله لا يستجيب لهم؛ لأنه أراد لهم أن يتحركوا من أجل المواجهة لكل شر يثيره الأشرار، ولأنه لا يريد لهم أن ينعزلوا عن التأثير في الواقع، وأن يبتعدوا عن خط المواجهة. والدعاء إنما يُستجاب بعد أن يستنفد الإنسان الوسائل التي أعطاه الله إياها، فإذا كان الله قد كلف الناس بأن يقوموا في المواجهة للشر كله، وللفتنة كلها، وللانحراف كله، ولم يفعلوا ذلك، فإنهم عندما يدعون الله بأن يفرج عنهم من تأثيرات الشر، فإن الله يقول لهم إنكم كنتم قادرين على أن تغيروا الواقع الشرير من خلال الوسائل التي تملكونها، والتي هيأتها لكم، فلماذا لم تفعلوا ذلك؟!

طوارئ الأمن الاجتماعي:

إننا نلاحظ ذلك في الواقع الذي نعيشه الآن في مجتمعنا الإسلامي، والانكسارات التي أصابته أمام أعدائه، وما أحاط به من الغبن والفتن الكثيرة، ومنها الاستكبار والصهيونية والإلحاد والمادية والفساد والتشتت الخلقي والروحي والتخلف العلمي، كل ذلك ينطلق من المعنى الذي تركزه الآية المباركة، وهي أن موقف اللامبالاة تجاه المشاكل والفتن التي تحدث في المجتمع، من شأنه أن يتحول إلى حالة عامة يقع فريستها حتى الذين ينضوون تحت شعار الرفض لها.

ولهذا، فإننا نجد - وهذا ما نلاحظه في واقعنا - أن الخلافات التي تحدث في دائرة ضيقة من دوائر المجتمع، لا تقتصر على تلك الدائرة، بل تتعداها إلى بقية الدوائر التي تتصل بها، أو تتأثر بها شعورياً أو فكرياً، ما قد يدخل في نطاق العدوى. فكما أن هناك عدوى تنشأ بفعل المكروبات والفيروسات، هناك أيضاً

عدوى فكرية، وعدوى شعورية، وعدوى عاطفية اجتماعية. ولهذا، كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الطابع الحركي للمجتمع الإسلامي ليتحمل المسؤولية عن الآخرين فيما ينحرفون به، حتى في المجالات البعيدة عن واقع الأمرين والناهين؛ لأن القضية لا تخصّ الفاعلين المنحرفين، بل تمتدّ إلى بقية قطاعات المجتمع بطريقة أو بأخرى.

وهذا ما عبر عنه الحديث المشهور عن النبي ﷺ عندما كان يتحدث مع المسلمين: ((كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقليل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقليل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟))^(٨). إن هذه الطريقة في التعامل مع المجتمع، قد تمتد إلى كل قضاياها، في الفكر وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي المجتمع كله. ولذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يجنب الناس ذلك. وعلى ضوء هذا، يقول تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، فإن تركتم مسؤولياتكم في ذلك كله، فإن الله سوف يعاقبكم على ذلك كله.

إننا نجد أنّ هذه الآية تمثل الخط المستقيم السليم الذي يوحى إلى الناس كلهم بأن عليهم أن يواجهوا مسؤولياتهم في الحياة، في كل ما يحدث في واقعهم من سلبيات وإيجابيات، وأن عليهم أن يمارسوا الإيجابية الحركية في ذلك كله، بتشجيع الإيجابيات بكل جهودهم الفاعلة، ومواجهة السلبيات بكل ما عندهم، لأن الانصراف عن أي موقع من مواقع المجتمع، سوف يترك تأثيره السلبي على المجتمع كله، فلا يمكن للمجتمع أن يحمي نفسه من هذه المسائل لمجرد أنه لا يتأثر

بمؤثراتها، بل إن عليه أن يعمل على تصحيح ذلك، حتى يجنب واقعه وواقع الآخرين من تفاقم السلبيات الناجمة عن ذلك.

والحمد لله ربّ العالمين.

المسؤولية الإيمانية

لقد حمّل الله
المؤمنين
مسؤولية الأمر
بالمعروف
والنهي عن
المنكر واعتبر
الالتزام بها
استقامة على
الدرب، وإهمالها
انحرافاً عنه

- ❖ المسؤولية الشخصية
- ❖ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ❖ الاعتصام الاجتماعي
- ❖ حدود المسؤولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ومتابعة لما تقدّم من حديث عن المؤمنين والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم،
نقرأ قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»^(١).

المسؤولية الشخصية:

وهذا نداء للمؤمنين يحدّد مسؤوليتهم الإيمانية في الحياة، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»، فعلى كل مؤمن أن يتحمّل مسؤوليته عن نفسه في تهيئة سبل
الهداية الفكرية والعقيدية والمنهجية، لإنجاز البرامج والخطط والأهداف والخبرة
المتعلّقة بها. فإذا تمّ له ذلك على النهج الذي يرضاه الله ورسوله، فقد أخذ بأسباب
الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، ولن يضره بعد ذلك كفر الكافرين وضلال
الضالين، لأنّ المسألة لا تتعدى صاحبها في ما يؤكّده الإسلام من فردية التبعية، فلا
يتحمّل إنسان ذنب غيره، ولا يؤخذ المهتدي بضلال الضال، مهما كانت درجة
قربته به وعلاقته معه.

وهكذا يوحى القرآن للإنسان، بأن عليه الاستغراق في هذا الاتجاه، من أجل
أن يتحمّل مسؤوليته عن نفسه كاملة غير منقوصة، فيعمّق لها مفاهيمها عن الكون
والحياة، طبقاً لما أوحاه الله إلى رسوله، ولما بلغه الرسول ﷺ إلى الناس، حتّى لا
تشتهيه عليه الأمور، فيضلّ عن الهدى من غير علم، وينحرف عن الحقّ من دون

وعى، ولكي يسير في خط العمل على الصراط المستقيم، فيضبط خطواته عن الانحراف، ويمنعها من الزلل، بالسير في حياته على هدي شريعة الله في ما تأمره به وتنهيه عنه، ليتأكد لديه الفكر والالتزام، فيصوغ على أساس ذلك شخصيته صياغة إسلامية لا مجال فيها للاهتزاز والارتباك، ويتابع - بعد ذلك - عملية المراقبة والمحاسبة والرصد لكل حركة في داخل نفسه من أفكار ومشاعر، وفي خارجها من أقوال وأفعال، ليستقيم له دورها، ولتثبت فاعليتها بانضباط دقيق وبشكل مستمر، من دون التفات إلى ما حولها من حالات الانحراف والضلال، لأن ذلك ليس مسؤوليته في ما يحمله الله من ذلك.

مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ولكن، ماذا عن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! فقد حمل الله المؤمنين مسؤولية هذه الأمور، واعتبر الالتزام بها استقامة على الدرب، وإهمالها انحرافاً عنه، وتوعد التاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما لم يتوعد به على أية معصية أخرى. فكيف نوفق بين ذلك، وبين ما توحى به هذه الآية من وقوف المسؤولية عند حدود النفس، فلا تتعداها إلى غيرها؟

فهل هناك ناسخٌ ومنسوخٌ بين هذه الآية وبقية الآيات الأخرى كما يتصوره البعض؟ وهل هناك تحديدٌ للآية في نطاق معين، كما في حالات التقيّة، أو في حالات الكفّار كما في بعض الروايات، أو أن القضية تتجه اتجاهاً آخر؟!

والجواب عن ذلك، أن الآية لا تأخذ وجهة الإهمال لدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن مدلولها يتضمن مسؤولية الإنسان عن نفسه على أساس الخط المستقيم الذي رسمه الله، وذلك في مختلف دوائر حياته وشؤونه الإيمانية والعملية والالتزامية، سواء تلك المتصلة بشؤونه الخاصة أو العامة. فقد كلفه الله بأن يُمارس نشاطه العملي في هداية الناس وإرشادهم، وحفظ خطواتهم من الزلل، ورعاية أمورهم، وتدبير قضاياهم، قدر إمكاناته المادية والمعنوية.

وعلى ضوء هذا، فإنَّ مسؤوليَّته عن النَّاس هي جزء من مسؤوليته عن نفسه، باعتبار أنَّ ذلك من مرتكزات الإيمان. وليس في الآية ما يدل على خلاف ذلك، بل هي واردة لتأكيد الفصل بين النتائج الإيجابية التي ينتهي إليها الإنسان من خلال القيام بالتزاماته الشرعيَّة، وبين النتائج السلبية التي تتمثل في سلوك النَّاس مع أنفسهم، سواء كان ذلك من جهة عدم استجابتهم له في ما يدعوهم أو يهديهم إليه، أو عدم انضباطهم في واجباتهم بشكل ذاتي. فلا علاقة له بالنتائج السلبية المنطلقة من تمردهم وضلالهم، لأنَّه قام بواجبه كاملاً في هداية نفسه وهداية غيره، فلا يضره من ضلَّ إذا اهتدى. وبذلك، تكون المسألة مرتبطة بحركة الواقع في حياة الضالين والمهتدين، بعد استكمال كل الشروط الموضوعية التي تقوم بها الحجة على الضالين، وتحرك بها المسؤولية من خلال المهتدين. ولا بُدَّ من التركيز على كلمة «لَا يَضُرُّكُمْ»، فإنَّها توحى بما قلناه، فيكون مساقها مساق الآيات التي تتحدث عن إبلاغ الدعوة إلى الناس، باعتبار أنَّ ذلك هو ما يستطيع أن يتحمل الداعية مسؤوليته، لأنَّ هناك شروطاً في حركة الفكر والإرادة للإنسان، كما أنَّ هناك شروطاً في الأجواء المحيطة به. وليس على الداعية إلى الله، نبياً كان أو غير نبى، إلا أن يبلغ بأفضل أساليب التبليغ، وليس من مسؤوليته ماذا يحصل بعد ذلك سلباً أو إيجاباً.

الاعتصام الاجتماعي:

وقد ذكر بعض المفسرين احتمالاً في النطاق الذي تتحرك فيه الآية، بأنَّ المخاطب بها هو مجتمع المؤمنين الذي يواجه مجتمع الكافرين بانحرافاتهم وضلالاتهم، ليكون المراد بقوله: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ» هو إصلاح المؤمنين مجتمعهم الإسلامي، باتخاذ صفة الاهتداء بالهداية الإلهية من خلال المحافظة على معارفهم الدينية والأعمال الصالحة والشعائر الإسلامية العامة، كما قال تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا

بَحْبَلِ اللَّهُ جَمِيعاً وَلَا تَفْرَقُوا»^(١)، فإنَّ المراد بهذا الاعتصام الاجتماعي، الأخذ بالكتاب والسنة، ويكون قوله: «لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»، أنَّهم في أمن من أضرار المجتمعات الضالة غير الإسلامية. وتجري الآية على هذا مجرى قوله تعالى: «لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ»^(٢).

ولكنَّ الظاهر من الآية، أنَّها لا تخاطب المؤمنين كمجتمع، من حيث إنَّهم مجموعة مميَّزة مرتبطة ببعضها البعض في مقابل مجتمع آخر على هذا النحو، بل هي في مقام إثارة القضية في حياة كل فرد من أفراد المؤمنين، لتحديد دوره ومسؤوليته، تماماً كما هي الآيات الكثيرة في القرآن، التي تطلب من المؤمنين أشياء وتنهاهم عن أشياء، فإنَّها جاءت تخاطب الأفراد بطريقة الجمع الذي يختصر الأعداد الكثيرة بكلمة واحدة، لتحدد لكل إنسان منهم دوره، بعيداً عن أدوار الآخرين في ما تتمثل فيه من سلبيات. والله العالم.

«إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، وهذا الجزء من الآية موضوع البحث، لا يدع مجالاً للشك، بأن الجميع سائر إلى الله، المؤمن والكافر وأهل الضلالة، وبالتالي تثبت أن جميع الطرق منتهية عند الله تعالى، ليوقي كل من سلكها حسابها، حيث تتباين النتائج وتتراوح ما بين الفوز والفلاح، أو الخيبة والخسران، وذلك وفق ميزان الأعمال، وحيث تجد كل نفس ما عملت محضراً، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية... وأما من خفت موازينه فأما هالوية.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) آل عمران: ١٩٦-١٩٧.

حدود المسؤولية:

هناك حديث قرآني على مستوى الحقيقة الإيمانية في خط القاعدة التي تحكم مسؤولية الإنسان في مسيرته الخاصة، وفي علاقته بالآخرين وعلاقة الآخرين به. فالهدى الذي يتصف به من خلال معاناته في المعرفة هو هداة، والضلال الذي ينحرف به عن خط الاستقامة هو ضلاله، فلا يتحمل الناس الآخرون، مهما قربوا منه، خطايه. وفي ضوء ذلك، فإنه يتحمل النتائج الجيدة التي يمثلها الهدى، والنتائج السلبية التي يمثلها الضلال، فالهدى يربطه بمواقع الخير في الدنيا والآخرة، بينما يؤدي به الضلال إلى مواقع الشر. أما الله، فلا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه. ولذلك، فإنه من المفروض أن يفكر الإنسان في المسألة بطريقة ذاتية، تحسب حساب الربح والخسارة في الحياة من موقع الذات، كما يفكر بطريقة مبدئية منطقية، الأمر الذي يعمق حس المسؤولية لديه في أكثر من جانب.

وإذا كان الإنسان الآخر لا يتحمل مسؤولية العامل بالخطيئة، أيًا كانت صفته من قرابة وزوجية وغيرهما، فإننا نستوحي من ذلك انسحاب المبدأ إلى الجانب المعنوي من العلاقات الخاصة والعامة، كما في مسألة الشرف التي قد يراها البعض، ممن يتحركون في أجواء الجاهلية العائلية أو القبلية، خاضعة في الجانب السلبي لانحراف فرد من العائلة أو القبيلة، فإذا أخطأت المرأة مثلاً بعلاقة غير شرعية كالزنا، فإن أهلها وعائلتها يعتبرون ذلك مسيئاً إلى شرفهم وعاراً عليهم، فيبادرون إلى غسل العار بقتلها، على أساس أنه لا يغسل العار إلا بالدم. وقد يتحول ذلك إلى حالة وحشية تضغط على المشاعر بطريقة همجية، تؤدي إلى وأد البنات، لأنهم يخافون من العار إذا امتد العمر بالبنات، فبلغت سن الشباب، ووقعت أسيرة لدى الأعداء، فيسيء ذلك إلى شرفهم كما يدعون، وقد تنفجر هذه العقدة في المبادرة إلى قتل المرأة لمجرد اتهامها بالزنا، وإن لم يثبت ذلك بطريقة شرعية.

إلا أن المفهوم الإسلامي المرتكز على خط العدالة، يؤكد لنا خطأ هذا

السلوك، ويقرّر فردية الشرف. فللمرأة شرفها الشخصي الذي يتعلّق بها ولا يمتد إلى غيرها سلباً أو إيجاباً، وللرجل شرفه الشخصي كذلك، على أساس طبيعة السلوك الذاتي الصادر عن كلّ منهما، ولا علاقة لأحد بأحد آخر في هذا المجال، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة. بينما نرى المفهوم الجاهلي يفرّق بينهما، فيعتبر انحراف المرأة موجباً للعار على الأهل، ولا يرى انحراف الرجل كذلك، بل قد يرى في زنا الرجل مظهراً للفعولة والقوة لا مظهراً للضعف، لأنّه العنصر الفاعل الإيجابي في هذه العملية، أمّا المرأة، فتمثّل الجانب السلبي الذي يعبر عن مظهر ضعف وانسحاق للشخصية.

وقد نجد من الضروري تأكيد المسألة في التربية الخلقيّة للإنسان المسلم، بحيث تتحوّل الحالة الأخلاقية لديه إلى حالة شعورية وفكرية، فلا يتأثر بما حوله من التقاليد الجاهلية المجتمعية في سلوكه العملي، بل يكون الحكم الشرعي هو الأساس في بناء عاداته وتقاليده الخاصة والعامة، حتّى لا يعيش الازدواجية بين ما تفرضه الشريعة من مسؤوليات، وما تفرضه التقاليد الاجتماعية من عادات وانفعالات، وقد يخضع - بفعل فقدان التوجيه الإسلامي الأخلاقي - لضغط التقاليد أكثر مما يخضع لتأثير الشريعة.

وهذا المنهج هو ما أشارت إليه أكثر من آية:

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(٤). «وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾^(٥). «وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^(٦). «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٧). «وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي

(٤) الإسراء: ١٥.

(٥) التجم: ٣٩-٤١.

(٦) النساء: ١١١.

(٧) فصلت: ٤٦.

نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شِقَاقَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ^(٨). «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ^(٩)». «اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً^(١٠)».

والحمد لله رب العالمين.

(٨) البقرة: ٤٨.

(٩) النحل: ١١١.

(١٠) الإسراء: ١٤.

المنهج الإسلامي في خط العدل

لا قيمة للعلاقات
الشخصية أمام
العلاقة بالله، لأن
العلاقة بالله تنتهي
عند حدود رضاه!

- ❖ الدعوة إلى العدل
- ❖ الضعف البشري والانحراف عن الحق
- ❖ التخطيط للعدل
- ❖ الضمانة الدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الدعوة إلى العدل:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالِلَّهِ أُولَىٰ بَٰئِلًا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تُعَدِلُوا وَإِنْ ثَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

في هذه الآية، دعوة إلى العدل كقيمة روحية إنسانية عبادية مفتحة على الله في علاقة الإنسان به، ومتجاوزة كل نقاط الضعف الإنساني الذي يؤثر على سلوكية الشخص أمام قضية حقوق الآخرين؛ بحيث تكون علاقة الإنسان بالله، في كل نشاطاته، وفي كل موقعه وأوضاعه، هي التي تحركه، وهي التي تدفعه لما ينبغي له أن يقوم به؛ لأن عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى، تفرض عليه أن يكون في كل وجوده مرتبطاً به؛ لأن الله هو سر وجوده في كل مجالات حياته. وعلى ضوء هذا، جاءت الآية لتقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ في المواقع التي يطلب فيها الشهداء ليشهدوا على الحق لهذا أو لذاك، فيؤكد الله سبحانه وتعالى أن تكون شهادة هؤلاء المؤمنين لله لا للناس، بحيث تكون الشهادة - بحسب طبيعتها في ما ترمي إليه، وفي ما تفتح عليه - شهادة من أجل

العدل، والله سبحانه وتعالى هو الذي يأمر بالعدل، وهو القائل عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١)، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٢).

فعلى الشاهد، عندما يشهد في أي قضية من القضايا، أن يعتبر أن شهادته هي لله، وإن كانت مرتبطة بقضايا الناس؛ فإذا كانت القضية متعلقة به، فعليه أن يشهد على نفسه، بحيث يقف أمام خصمه ليقرّ بالحق له، ولا يفكر في أن هذه المسألة ربما تؤدي إلى الحكم عليه أو خسارته في قبال ما يدعيه الطرف الآخر، بل إذا عرف أن الحق لخصمه عليه، فعليه أن يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى ليشهد الله على نفسه. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(٣). فالشاهد يشهد لله.

وهكذا تؤكد الآية، أن عليه، إذا كانت الدعوة ضد أبيه أو ضد أمه، من شخص آخر يدعي مثلاً على أحدهما بما له من الحق، أن لا يفكر في موافقهما منه، بل عليه أن يعتبر أنه قائم بين يدي الله، وأن شهادته لا بد من أن تكون بالعدل، كما يريد الله سبحانه وتعالى، فيشهد ضد والديه حتى لو كانت شهادته تؤدي بالحكم عليهما لمصلحة خصمهما في الدعوة المقامة ضدّهما.

وهكذا تمتد الشهادة إلى كل علاقته بأقاربه، أيًا كان القريب، فإن عليه أن لا يعتبر أن قرابته لهذا أو ذاك تبرر له أن يخفي الشهادة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٤)، ولا أن يبدل الشهادة بالحق إلى الشهادة بالباطل، رعاية لأقربائه لئلا يتحسّسوا منه وما إلى ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق - سواء كان أباً أو أمّاً أو أخاً أو قريباً أو صديقاً - في معصية الخالق، ولا قيمة للعلاقات الشخصية أمام العلاقة بالله، لأن العلاقة بالله تنتهي عند حدود رضاه.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) الأعراف: ٢٩.

(٤) الطلاق: ٢.

(٥) البقرة: ٢٨٣.

وتلك هي قصة القيم الكبرى في الحياة، فإنها تتقدم كل شيء مهما كانت عظمتها، لتكون الأشياء في خدمتها، أي في خدمة العلاقة بالله سبحانه وتعالى، من أجل أن تكون في خدمة الإنسان في دوره الحقيقي أمام الله. وبذلك تتصاغر العواطف والمشاعر لتتحول إلى هواء وإلى دخان، لتبقى للحياة عناصرها الأساسية.

الضعف البشري والانحراف عن الحق:

ثم يعالج القرآن نقطة مرتبطة بجانب الضعف البشري العاطفي عند الإنسان، فقد يحصل نزاع بين شخصين أحدهما غني والآخر فقير، فيحاول الشاهد أن يشهد ضدّ الغني؛ لأنّ الغني، بحسب ظنّه، يمكنه تحمّل الحكم عليه والخسارة، فيما قد لا يتحمّل الفقير ذلك لو حكم عليه بسبب فقره، وذلك حتى لو كان الحق مع الغني. والله سبحانه يقول لك: عليك أن تنظر إلى جانب العدل في القضية، لأن قضية الغنى والفقر لا تبرّر الانحراف عن الحق والعدل: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

فعلى الإنسان أن لا يفكر أمام خط العدل في أن يشهد لمصلحة الغني لغناه، فيقول في نفسه: هذا غني وأنا أنتفع منه، أو يشهد للفقير على أساس العاطفة التي تتفاعل إنسانياً مع مظاهر الفقر وآلامه، فالله هو الذي يتكفل بمصالح عباده برحمته التي تشملهم جميعاً، وتلك هي حكمته التي ارتكزت على أساس أن الانصراف عن العدالة يمكن أن يؤدي إلى نتائج ضد مصلحة الإنسان، أياً كان موقع الإنسان، في ما يملك من مال أو في ما يفتقر إليه من مال. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾، أي: لا تكن شهادتكم على أساس أهوائكم، وعلى أساس مزاجكم، وعلى أساس أوضاعكم، ولا تتبعوا الهوى ليدفعكم إلى العدول عن الحق، بل اتبعوا الحق الذي يقودكم إلى العدل، وتلك هي وصية الرسالة التي يجب أن تلتزموا بها، ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾، يعني أن تنحرفوا أو تعرضوا عن السير مع وصايا الله وتعاليمه، لأنكم إذا فعلتم ذلك، ستواجهون الموقف الصعب أمامه غداً يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ

نَفْسِهَا»^(٦)، «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»^(٧). «وَأِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، لا تحاولوا الاعتذار بما لا مجال لقبول العذر فيه؛ لأنه إذا كان الناس من حولكم يعلمون ظواهر الأشياء من دون النفاذ إلى أعماقها، فإن الله يعلم واقعها وعمقها.

ثم إن الشهادة للفقير الذي لا حق له، تعاطفاً مع فقره، قد تنفعه في هذا الموقع مادياً، ولكنها تضره في ما يستقبل من قضايا تتصل بحقوقه في خصوماته المستقبلية، باعتبار أن الانحراف قد يؤدي إلى نتائج سلبية في الخط العام. والأمر كذلك في مسألة الشهادة للغني مراعاة لغناه.

وفي ضوء ذلك، فإن الالتزام بالعدل هو الذي يحقق مصلحة الناس، بقطع النظر عن أوضاعهم الخاصة.

التخطيط للعدل:

وهناك آية أخرى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»^(٨). إن هذه الآية تؤكد مسألة مهمة، وهي أن العدل لا بد من أن يكون مع الصديق ومع العدو، فعندما تريد أن تشهد ويكون الشخص الذي تتعلق به الشهادة عدواً لك، أو بينك وبينه خصومة في هذا الجانب أو ذاك، فعليك أن تقوم لله في أن تكون شهادتك بالقسط، وأن تكون القائم بالعدل في كل أوضاعك، في ما تقول أو في ما تفعل، وفي ما تشهد على هذا أو ذاك، لأن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يجرد نفسه من كل انفعالاته، ومن كل أوضاعه، ومن كل علاقاته، ليدرس ما هو الحق هنا وما هو الباطل هناك، فإذا كان الحق للعدو، فعليه أن يشهد لمصلحة العدو، وإذا كان الحق ضد الصديق، فعليه أن يشهد ضد مصلحة الصديق، فلا بد

(٦) النحل: ١١١.

(٧) الانفطار: ١٩.

(٨) المائدة: ٨.

من أن يذكر الله سبحانه وتعالى في أن تكون شهادته بالعدل، وأن يكون قيامه لله سبحانه وتعالى، وعليه أن لا يفكر في أية حالة من الحالات بعلاقاته ومصالحه وأوضاعه، بل أن يفكر في الله سبحانه وتعالى، والارتباط بالحق، لما يستلزمه الارتباط بالحق من رؤية صافية واضحة لا يحول الضباب بينها وبين واقع الأشياء.

وبذلك تكون الشهادة بالقسط حركة الإيمان الواعي في حياة المؤمن، وبهذه الروح، لا مكانة للعداوة أو للصدقة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ - أي لا يحملنكم - شَنَاَنُ قَوْمٍ - والشَنَاَنُ هو البغضاء والعداوة - عَلَى الْأَعْدَاءِ - يعني على عدم العدل، فتشهدوا عليهم بغير الحق، أو تحكموا عليهم بالباطل، بل - اَعْدُوا - في شهادتكم أو قضائكم، مع أعدائكم ومع أصدقائكم - هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى - فالعدل يلتقي مع خط التقوى الذي يراقب فيه الإنسان ربه، ولا يراقب غيره مهما كانت صفته - وَأَتَّقُوا اللَّهَ - في الالتزام بهذا الخط في جميع مجالات حياتكم - إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الضمانة الدينية:

وهذا هو ما يميز المجتمع المسلم في أفراد، سواء على مستوى الحكم أو العلاقة أو المعاملة؛ فالإيمان يمثل الضمانة الحقيقية التي يقدمها إلى كل الذين يلتقون معه في العقيدة أو يختلفون معه فيها، فلا مجال في الإسلام للظلم حتى للأعداء؛ لأن قضية العداوة تخضع لأوضاع ومواقف معينة، تفرض نوعاً من السلوك السلبي الذي لا يمكن أن يبتعد عن الموازين والقوانين الشرعية التي تعتبر أن للعداوة مساحة لا يمكن أن يتعداها الإنسان المؤمن، وهي مساحة الحقوق، فإن يكون هذا الشخص عدوً شياً، ولكن ما اكتسبه العدو من خلال المواثيق والمعاهدات، أو من خلال الأحكام الشرعية التي أنزلها الله مما يحترم فيه بعض جوانبه الإنسانية، شيء آخر.

وبناءً على ذلك، يجب على القائمين على شؤون التربية الإسلامية، تأكيد هذا

الجانب في بناء شخصية الإنسان المسلم، والابتعاد به عن الانفعالات الحادة التي قد توحى بها العداوة، كي لا ينحرف عن الخط المستقيم، وذلك من أجل بناء مجتمع سليم عادل على أساس تركيز العدالة لدى الفرد المسلم. وتلك مهمة صعبة في واقع المجتمع المنحرف القائم على قواعد الانفعالات التي تثيرها العلاقات السلبية والإيجابية، وعلى الدعاة أن يذللوا الصعوبات التي تنتظرهم، ولا سيما أنهم الأدلاء على سبيله، ليكونوا في مستوى مسؤولية الإيمان والحياة.

ونحن نقرأ في وصية علي عليه السلام للحسين عليه السلام: ((يا بني، اصبر على الحق وإن كان مرأاً)). وقد ورد في دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية، يقول: ((اللهم ارزقني التحفظ في الخطايا، والاحتراز من الزلل، في حال الرضا والغضب، حتى أكون بما يرد عليّ منهما بمنزلة سواء، عاملاً بطاعتك، مؤثراً لرضاك على ما سواهما، في الأولياء والأعداء)) وهذا محل الشاهد ((حتى يأمن عدوي من ظلمي وجوري، ويأمن وليي من ميلي وانحطاط هواي))، يعني: اجعلني يا رب متوازناً مع أوليائي وأعدائي، حتى يقول عدوي: صحيح أن هناك عداوة وخصومة بيني وبين فلان، ولكن فلاناً مؤمن، والمؤمن لا يمكن أن يظلم عدوه أو يشهد بالباطل عليه. وكذلك، حتى يقول صديقي - والناس يقولون له إن علي صديقك أن يحابيك وأن يشهد ولو بالزور لمصلحتك -: صحيح أن فلاناً صديقي أو قريبي، ولكن فلاناً لا يبيعني دينه، فلا يمكن أن يشهد بغير الحق في ذلك كله.

هذا هو المنهج الإسلامي في خط العدل الذي هو الأساس في كل الرسائل، منذ أن بعث الله الرسل، إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كل الرسائل قائمة على أساس العدل. وهذا ما نرجو أن نتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

سياسة العدل

كل الديانات التي
انطلقت في حركة
الأنبياء كانت
مرتكزة على
العدل، فمن لا
عدل له لا دين له

- ❖ تعميم العدل
- ❖ النبوة في رحاب الحياة
- ❖ عقلانية الإيمان
- ❖ حكومة العدل
- ❖ قيمة العدل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تعميم العدل:

نتابع حديثنا حول العدل، وتحديدًا حول ما أثاره القرآن الكريم من أنّ العدل هو الأساس في كل الرسالات التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى إلى رسله، فيما أنزل من كتاب، وفيما نصب من ميزان، وفيما ركز من بينات. فلا بدّ لنا من التركيز على هذه المسألة، لأنها تمثل خطأ إلهياً رسالياً، يؤكد أن كل الديانات التي انطلقت في حركة الأنبياء كانت مرتكزةً على العدل، فمن لا عدل له لا دين له، سواء كان من أتباع نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أو نبينا محمد ﷺ... والعدل لا دين له؛ لأنّ العدل لكلّ الناس، والظلم لا دين له؛ فالظلم لا بد من أن يكون بعيداً عن واقع الناس.

والسؤال هنا: ما هي مهمّة النبوات في حركة الرسل؟ هل هي مهمة روحية مجردة يستغرق فيها الإنسان في الأجواء الروحية الغارقة في عالم الغيب، الذي ينفتح على الله في حركة عبادية خالصة تقتصر على الوجدان والشعور، لتكون النبوات حركة في دائرة العبادة تتمثل في الصلاة والصوم ونحوهما، بحيث يكون الإنسان الرسالي المؤمن المتدين، هو الإنسان الذي يمارس فروض العبادة، سواء كانت فروضاً محدّدة مُقنّنة أو فروضاً منفتحة مطلقة، كما هي حالات الدعاء والابتهاال وما إلى ذلك؟ وإذا انطلق الإنسان منها، فله أن يأخذ حريته في كل ما يتحرك به في الحياة؛ في حاجاته وشهوته وأطماعه، أو في ما يتحرك به في علاقاته مع الناس الآخرين في شؤونهم الاجتماعية والمادية والسياسية وما إلى

ذلك، بحيث يكون عبداً لله في العبادة، ويكون حراً في المعاملة وفي كل حركة في العلاقات مع الناس؟

أم أنّ مهمّة الأنبياء هي مهمة حياتية تمتد إلى كل جوانب حياة الناس، ليرتبط الجانب الروحي بالجانب المادي في حالة من التوازن في الكلمات والمواقف والعلاقات، بحيث لا يطغى جانب في الحقوق والواجبات؛ لأن التوازن هو الذي يحقق السلام للناس في أوضاعهم الإنسانية في ما يأخذون به وفي ما يتركونه، فيأخذ كل واحد منهم حقه ولا يطغى أحد على حق الآخر، فيما توحى به كلمة العدل من المعنى التشريعي الذي يحدد لكل ذي حق حقه، ويربي الناس على السير في هذا الاتجاه؛ ليكون الإنسان العادل الذي يطبق الشريعة العادلة، ويبني الحياة على أساس العدل؟

النبوة في رحاب الحياة:

إن الآية الأساس في هذا المجال، هي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١)، وهي تؤكد المعنى الذي يجعل من الرسالة حركة في الواقع، وليس مجرد حركة في الروح، بل إن حركة الروح عندما تعيش في داخل الكيان الإنساني، فإنها تفتح للإنسان كل آفاقه على حياة الواقع؛ لأن الروح ترتفع إلى الله لتقترب منه في كل ما يحبه ويرضاه، ومن الطبيعي أن الله خلق الإنسان في الأرض ليكون خليفته الذي يطبق إرادته في إشاعة السلام، وفي تقوية إنسانية الإنسان وتنميتها في علاقته بالإنسان الآخر وبالحياة كلها.

ما هي البينات التي ذكرتها الآية؟

المقصود بها، ما يُقدّم للعقل من حقائق العقيدة وجدية الشريعة بالأدلة

الواضحة التي تسقط أمامها كل الشبهات؛ فإله لا يريد للناس أن يؤمنوا إيماناً أعمى، بأن يسلموا بالفكرة من دون قناعة فكرية مرتكزة على الحجة والبرهان، نظير ما يتحدث به بعض فلاسفة المسيحية المعاصرة حول توجيه كيفية اجتماع مسألة التثليث مع التوحيد، فهم يقولون: باسم الأب والابن والروح القدس إلهاً واحداً، ويعتبرون أنفسهم موحدّين على أساس الأقانيم الثلاثة، فيصرّح بعضهم بأن الإيمان فوق العقل، ومعنى ذلك أن نؤمن بهذه الفكرة حتى لو لم يقدرنا العقل إلى الإيمان بها.

إننا كمسلمين نعتقد بأن الإيمان لا بدّ من أن يمرّ من طريق العقل، وأن حقانيّة أيّ فكرة يعني أنها ترتكز إلى دليل وبرهان يثبتها. فالإسلام لا يريد الإيمان الذي لا يرتكز على حجة ولا على برهان، ولا يوحي للإنسان باحترام نفسه وعقله، فإذا كنت تريد أن تحترم نفسك، فلا تُدخل في قناعاتك أي شيء لا تملك دليلاً عليه. ولذا ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ﴾ (الأنبياء: ١٧)، يعني: أولو العقول؛ لأنهم يحركون عقولهم في كل ما يذكرهم بالحققة، وفي كل ما يفتح بهم على الفطرة. فإيماننا حركة فكر، وليس مجرد حركة شعور، بل إن الفكر يلج العقل ليتحول إلى حالة إيمان، فالإيمان وليد حركة العقل في الانفتاح على الحقيقة.

وقد لا تكون مفردات الإيمان عقلية في ذاتها، بل يكفي أن تكون عقلية في مرتكزاتها ومواقعها الفكرية؛ فنحن نؤمن بالله، لأننا نرى أسرار عظمته وامتدادات نعمته، وحركة نظامه في الكون وفي حركة الإنسان، ونعرف أن هناك خالقاً حكيماً قادراً عالمياً قوياً... إلى آخر الصفات، ولكننا - في الوقت نفسه - لا نعرف ذات الخالق؛ إذ ثبت لنا - بالعقل أيضاً - أن الخالق لا يقع تحت حواسنا لننعرّف عناصره الذاتية في موقعه الإلهي، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ: ((تفكّروا في خلق الله، ولا

تفكروا في الله فتهلكوا))^(٣)، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((إياكم والتفكر في الله؛ فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهًا. إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار))^(٤).

عقلانية الإيمان:

والآية تؤكد لنا عقلانية الإيمان الذي ينطلق به الرسل، عندما يأتي كل رسول ويقول: «اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»^(٥)؛ لأن التوحيد ينطلق من خلال البينات، مرتكزاً في ذلك على مخاطبة عقول الناس، لا مخاطبة مشاعرهم وغرائزهم.

ثم يقول تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ»، وهي صحف إبراهيم عليه السلام وصحف موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام، والقرآن الكريم، وكل ما أنزله الله من مفردات الوحي الإلهي، في المفاهيم العامة للدين، وفي الشرائع التفصيلية لحركة الحياة في نظامها العملي. وهذا ما يؤكد أن ما من رسالة نزلت إلا وهي تتضمن كل تفاصيل مسؤولية الإنسان في الحياة؛ في علاقته بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالناس كافة، وعلاقته بالحياة وبكل الموجودات التي تقع تحت سلطته، ولا نوافق على الكلمات التي تقول إن رسالة النبي موسى عليه السلام كانت رسالة مادية تتضمن الشريعة، وأن رسالة عيسى عليه السلام كانت رسالة روحية لا تتضمن الشريعة. إن هذه الآية تقول، إن كل رسول انطلق، فإنه قد جاء بالكتاب الذي يتضمن ما يريد الله للإنسان من كل تفاصيل المسؤولية في كل جوانب حياته الخاصة والعامة، وعندما جاء السيد المسيح عليه السلام قال: (جئت لأكمل الناموس)، وعلى لسان القرآن: «وَلَا جِئْتُ لَكُمْ بِغُضِّ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»^(٦)، بمعنى أنه يجمع إليه وإلى دعوته ورسائله التوراة والإنجيل، وذلك قوله تعالى:

(٣) البحار. ج ٦٨. ص ٩١. ح ١.

(٤) الكافي. ج ٥. ص ١٨٢. ح ٥.

(٥) الأعراف: ٥٩.

(٦) آل عمران: ٥٠.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٧). فليس هناك فراغ في آية رسالة من ناحية الشريعة، فكل رسالة تتضمن الشريعة فيما يريد الله للإنسان أن يتحمل مسؤوليته في مجالها، وخصوصاً أن الله عز وجل قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٨)، ومن الطبيعي أن الخليفة هو الذي يتحرك من أجل أن يعمر الأرض، ومن أجل أن يبني فيها للإنسان قيمه، في كل ما يرتفع بمستواه، على مستوى الثقافة والاقتصاد والاجتماع والسياسة وما إلى ذلك.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الذي يزن الأمور، كما هو الميزان الدقيق الذي لا تختلف فيه المقادير. وليس المقصود به الميزان المادي، إنما هو الميزان المعنوي الذي يمثل الخط الفكري والعملي الذي يزن القضايا والأوضاع والمواقف والكلمات، ليمنعها من الاختلال والانحراف عن الخط المستقيم، ليعرف كل إنسان من خلال ذلك دوره العملي فيما له من حقوق، وما عليه من واجبات تجاه ربه ونفسه وحياة الناس من حوله، ويتصور، على هذا الأساس، أن الحياة ليست هي الساحة التي يتحرك فيها الفرد في أنانيته الذاتية، فيما قد يتخيله من أنه وحده صاحب الحق في كل مواضعها، بل هي الساحة التي يملك فيها كل إنسان موقعاً خاصاً فيما يريد أن يأخذ من أوضاعها العامة والخاصة، فيدرك أنها تتسع له وللآخرين... لأن الله قد أودع في هذه الأرض لكل إنسان ما يستطيع أن يؤمن له حياته، ولكن طغيان البعض على البعض هو الذي يمنع الناس من أن يأخذوا حقوقهم، ليتحول ذلك إلى واقع عملي يحقق للحياة نظامها المتوازن الذي يحفظ لها سلامة وجودها في دائرة التكامل العملي.

(٧) الصف: ٦.

(٨) البقرة: ٣٠.

«...لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» وهو العدل الذي تركز عليه سلامة الحياة الفردية والاجتماعية، فيما يؤكد من خضوع الناس للخط الواحد المتوازن الذي تلتقي فيه حقوقهم جميعاً على أساس التشريعات التفصيلية التي تنظم لهم كل ذلك، على مستوى العلاقات والمعاملات والأعمال والأقوال.

حكومة العدل:

قد يمكن الفهم من هذا الهدف الرسالي الذي عبّرت عنه الآية، وهو إقامة العدل، أنّ مسألة الحكم والتشريع هي المسألة الأساس في كل دين أنزله الله، باعتبارها القاعدة التي من خلالها يتحرك المنهج الذي يقوم عليه العدل في حياة الناس؛ فإنه لا معنى لحركة العدل في الواقع من دون شريعة تنظم له خطوطه، أو حكم يشرف على إدارته وتنفيذه، أو سياسة تدير أوضاعه في ساحة الصراع، وفي حركة الحكم أمام التحديات، وفي سلامة الخط في أجواء الانحراف. وبذلك تكون هذه الآية دليلاً على اندماج السياسة في حركة الدين، وعلى انطلاق الدين في آفاق الحكم، رداً على الذين يعتبرون أنّ الدين هو حالة روحية ذاتية في علاقة الإنسان بربه بعيداً عن كل أوضاع الحياة المادية في تعقيداتها التفصيلية، وفي مشاكلها المتنوعة المعقدة.

توضيح ذلك: أنّ الله أنزل الدّين بهدف قيام الناس بالعدل، والسؤال: هل يمكن أن يكون هناك عدل في الحكم، وعدل في القانون، وعدل في حركة الواقع، وعدل في علاقات الناس مع بعضهم البعض في الحقوق والواجبات، وعدل في علاقات المجتمع بالمجتمعات الأخرى، من دون سياسة؟!!

من خلال السياسة يتمّ تحديد مواصفات الحاكم وشخصيته، ومن خلالها يتمّ تنظيم القانون الذي يحكمه، والسياسة هي التي تنظم للإنسان حقوقه التي تربط مجتمعاته بعضها ببعض، والسياسة هي التي تؤكد العلاقات مع الشعوب الأخرى، والسياسة هي التي تخطط للمجتمعات ما يحفظ لها مصالحها، ويطور لها مقدّراتها،

وما إلى ذلك، ولذلك فإن عزل الدين عن السياسة هو عزلٌ للدين عن ذاتياته، وعزلٌ له عن الخط الذي أراد الله للإنسان أن يعيشه في التزاماته الدينية ليكون قريباً من حيث هو قريب من الناس والحياة، ومن حيث هو أمينٌ على الناس والحياة، في إعطاء كل ذي حق حقه.

قيمة العدل:

وفي هذا المجال، يصوّر الإمام عليؑ قيمة العدل في حركة الإنسان في الواقع، وما هي نتائجها الإيجابية التي يمكن للإنسان أن يعيشها وأن يأخذ بها في كل أوضاعه العامة والخاصة، فيقول - حسب الرواية عنه -: ((العدل أساس، به قوام العالم)). إن الإمامؑ يؤكد أن استقرار العالم وحركته وتطوره إنما يتوقف على العدل؛ لأن العدل يجعل كل إنسان يشعر بأنه يأخذ حقه في المجتمع، وأن المجتمع يفتح عليه وعلى كل أوضاعه، ولذلك، فلا يشعر أحدٌ بالغبن أو بالحرمان، ولا سيّما أن العدل عندما يتحرك في عالم النظرية والتطبيق، فإنه يشمل حقوق الفرد في نفسه على الفرد الآخر، وحقوق المجتمع على الأفراد، لأن الإسلام يؤكد التوازن بين حقوق المجتمع وحقوق الأمة وحقوق الأفراد، فينطلق حق الفرد، حتى إذا وصل إلى حق المجتمع، فإن حق الفرد يتجمد لمصلحة حق المجتمع. ولذلك، فإن العالم الذي يقوم على أساس العدل، هو العالم الذي يملك الاستقرار النفسي والروحي والحقوق في حركة الإنسان في كل أوضاعه وفي كل علاقاته.

وفي كلمةٍ أخرى عنهؑ: ((إن العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق))، فالحق يحتاج إلى آلية؛ لأن الحق هو فكرة، والحق هو قانون، ولذلك، لا بدّ له من أن يتركز في الواقع، من خلال الآلية التي تضعه في مواضعه. وهذا هو دور العدل؛ لأن العدل يعطي لكل ذي حق حقه. ((فلا تخالفه في ميزانه)) فتتبع ميزاناً غير دقيق قد يؤدي بك إلى الباطل، ((ولا تعارضه في

سلطانه))^(٩)؛ لأنك إذا أخذت بالظلم وتركت العدل، فإنك بذلك ترتبط بالباطل، وتتمرد على الله فيما أرادَه للإنسان من إقامة العدل في الحياة.

وعن علي عليه السلام أيضاً: ((العدل أفضل السياستين))، لأنه السياسة التي تنظم للناس أوضاعهم، وتجعلهم يتحركون في خط التوازن فيما يتمثل في علاقاتهم ببعضهم البعض من تبادل الحقوق على الخط المستقيم.

ويقول عليه السلام - فيما روي عنه -: ((بالعدل تصلح الرعية))، لأن الظلم يؤدي إلى الحقد والعداوة والفساد، حيث يشعر كل إنسان بأنه مضطهد في مجتمعه، وبأنه مظلوم في حركة الناس في قضاياها.

ويقول عليه السلام: ((ما عُمرت البلاد بمثل العدل))؛ لأن العمران الإنساني والاجتماعي والعمران القانوني، حتى العمران المادي، إنما ينطلق من خلال الخطوط المستقيمة التي يستقيم عليها الناس للوصول إلى ما يحقق لهم النتائج الإيجابية في حياتهم.

ويقول الإمام علي عليه السلام: ((العدل يضع الأمور مواضعها))؛ لأنه يدرس الأمور الموجودة في الواقع، فيعطي كل أمر موقعه وموضعه، فيما يحتاجه الناس أو فيما يلتزمونه.

وقال عليه السلام - عندما تسلم الخلافة، وكان عثمان من خلال حاشيته قد أقطع الناس إقطاعات من أراضي المسلمين ومن أموالهم، وحركها في غير مصلحة المسلمين الذين يملكونها -: ((والله لو وجدته)) يعني هذا المال ((قد تزوج به النساء، وثُمَّلكَ به الإمام، لرددته؛ فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق))، فهو يؤكد أن العدل يتسع للناس كافة، لأنه يعطي لكل إنسان حقه ولا يظلم الناس في حقوقهم.

وقد ورد أيضاً: ((أعدل الناس من أنصف من ظلمه))، فقد يظلمك إنسان في نفسك وفي مالك وفي أهلِكَ، ثم يكون له حقّ عندك، فإن عليك - إذا أردت أن تكون من أعدل الناس - أن لا تظلم من ظلمك، بل أن تعطيه حقه وإن لم يعطك حقه؛ لأن العدل هو الإنصاف، ((وأجور الناس من ظلم من أنصفه))، فهناك من أنصفك وأعطاك حقه، ولكنك ظلمته، على طريقة: ((أتق شر من أحسنت إليه)).

وفي حديث الإمام علي عليه السلام - في علاقة الرعية بالوالي - يقول: ((إذا أدت الرعية إلى الوالي حقه))، فأطاعت الوالي في القانون الذي يحكم على أساسه بالحق، وتحركت معه في خط العدل، ((وأدّى الوالي إليها حقها، عزّ الحق بينهم))، أي كان الحق عزيزاً من جهة تعاون الحاكم مع المحكومين، والرعية مع ولايتها في تطبيق العدل، على أساس قانون الحق، وعلى أساس الخط المستقيم ((وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرّت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، وينست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليهما، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هناك الكلمة، وظهرت معالم الجور))^(١٠).

إن الإمام يركز في هذا المجال، أنه لا بد من أن تتحرك الدولة على أساس هذا النوع من تعاون الرعدة مع الوالي، فللوالي حقّ على الرعية، وللرعية حقّ على الوالي، كما كان الإمام يتحدث مع الذين تسلم الحكم من أجلهم، إذ إنه كان يتحدث عن حقهم عليه وعن حقه عليهم، وكان يقول لهم: ((ليس أمري وأمركم واحداً، إنني أريدكم لله)) لتطبيق القانون ولتطبيق شريعة الله، ((وأنتم تريدونني لأنفسكم))^(١١) لأطماعكم ولشهوأتكم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ((أعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه، وكره لهم

(١٠) نهج البلاغة، ص ٥٢٨، خ ٢١٦.

(١١) نفسه، ص ٢٩٩، ك ١٣٦.

ما يكره لنفسه^(١٢)، يعني أن تساوي الناس بنفسك. وقد ورد عن النبي ﷺ في ربط قضية الإيمان بذلك، قوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها)). وفي وصية الإمام علي عليه السلام: ((يا بُني، اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها))^(١٣). ويبقى لنا كلام حول قضية العدل فيما يريدنا الله أن نأخذ به.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١٢) البحار. ج ٧٧. ص ١٧٢. ح ١٢.

(١٣) نهج البلاغة. ص ٦٤٠ و ٣١.

العدل الشامل

العدل للناس
كلهم، سواء
كانوا مسلمين
أو غير
مسلمين

❖ العدل الشامل

❖ العدل هو الاستقامة

❖ مرجعية العدل والحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

العدل الشامل:

تحدثنا فيما سبق عن العدل كأساس في حركة الأديان كلها، وكعنوان يتحرك
في الخط الإسلامي الشامل. ونحاول - هنا - أن نتابع آيات القرآن التي تعالج
موضوع العدل.

يقول الله سبحانه وتعالى - وهو يتحدث عن العدل في القول -: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(١). إن الله يؤكد - من خلال هذه الفقرة من الآية - أن في
القول عدلاً وظلماً؛ فالعدل في القول، هو الاستقامة في التعبير عن الواقع من دون
زيادة ولا نقصان، بحيث إنك إذا سمعت الكلمة، انفتحت على الواقع الذي تعالجه،
سواء كان هذا الواقع متصلاً بالأحداث التي تتحرك في حياة الناس، أو مرتبطاً
بالتقويم لناس هنا وهناك، أو كان منفثاً على مسائل العقيدة في مفاهيمها، أو
الشرعية في خطوطها، وما إلى ذلك. فإذا أردت أن تتحدث عن قضية تتصل بالناس
من حولك، من الذين يرتبطون بك ارتباطاً عاطفياً، من خلال النسب، أو من خلال
المصالح، أو من خلال الانتماء، أو من خلال بعض العلاقات الخاصة وما إلى
ذلك، فعليك أن لا تدفعك العاطفة إلى أن تقدم النظرة عنهم بطريقة لا تتسجم مع
طبيعة ما يمتلكون من قيمة، سواء كانت سلبية أو إيجابية. لذلك، فإن الله يقول لك،
إذا أردت أن تتكلم في عملية تقويم أو في عملية شهادة، فإن عليك أن لا تنظر إلى

علاقة القرابة بهم، وأن لا تسقط أمام انفعالاتك العاطفية، بل عليك أن تنتظر إلى إيمانك وإلى علاقتك برّبك الذي يريد لك أن تكون عادلاً في كلامك، فلا تظلم الحقيقة لمجرد أنك تريد أن تكرّم قرابتك.

وقد ربط النبي ﷺ هذه المسألة بالإيمان، ففرّق بين المؤمن وغير المؤمن بالعدل في الكلمة، في مواقع السلب وفي مواقع الإيجاب، فقال ﷺ: ((إنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا في باطل))، يعني أن المؤمن هو الذي إذا رضي عن شخص، أو أحب شخصاً، فإنه يبقى متوازناً في الكلام عنه، فإذا كان هذا الإنسان يستحق عشرة في المئة، فلا يعطيه عشرين في المئة؛ لأنّ العشرة الزائدة تكون كذباً وانحرافاً عن الحق، والكذب معصية لله وباطل، والباطل ضدّ الحق. وهذه المسألة تمتدّ إلى كل مجالات العلاقات العاطفية.

وإذا كان ذلك في علاقتك بمقدساتك، فلا بدّ لك من أن تقف مع مقدساتك على أساس الاعتدال، فلا ترتفع بالقداسة إلى حدّ الغلو، كما يفعل الغلاة الذين قد يعطون الشخصيات المقدسة عندهم بعض الصفات التي قد يقتربون بها في مواقعهم إلى مواقع الله. وقد توجّه القرآن الكريم إلى أهل الكتاب بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾^(١)، يعني: ابقوا على خط الاعتدال في دينكم، فلا تعطوا السيد المسيح ﷺ صفة الربوبية؛ لأنّ هذا يمثل غلوّاً. وقد جاء في حديث الإمام علي عليه السلام: ((هلك في اثنان: محبّ غال، ومبغض قال))^(٢)، فالأول أحبّ الإمام إلى الدرجة التي فقد فيها توازنه، فغالى في حبّه، ووضعه فوق الموقع الذي وضعه الله فيه، فوصل به إلى الربوبية، والثاني أبغض الإمام عليه السلام، حتى أعرض عنه وابتعد به عن درجته الحقيقية. وكان الأئمة عليهم السلام ينهون الذين يغلون فيهم؛ إذ كانوا يريدون لمن يتبعهم أن يقفوا موقف الوسط في تصوّراتهم لهم، وفي سلوكهم معهم.

(٢) المائدة: ٧٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٧٩٩، ك ١١٢.

وهكذا عندما تمتد المسألة إلى ارتباطاتنا بالمرجعيات الدينية، فعلى أن نعطي هذه المرجعيات في تقويمنا لها ما تملكه من العلم، فلا نزيد عليه بإعطائها ما لا تملكه من ذلك؛ لأن المرجعية الدينية تمثل اختصاصاً بالفقه والأصول، وقد لا يكون لها الاختصاص في جوانب أخرى، فلا نقبل منهم الرأي في غير ذلك من فكر في العقيدة أو في تقويم الناس.

وهكذا بالنسبة إلى الارتباط بالذين يتبوأون المواقع السياسية، فالناس - في ارتباطاتهم السياسية - قد يندفعون مع بعض الأوضاع الإعلامية المنحرفة التي تحاول أن تعطي القيادات السياسية أو الحاكمين صفات لا يملكونها، وتقوياً لا ينسجم مع ما عندهم. وهذا يمثل نوعاً من أنواع الدخول في الإثم أو الباطل.

وقد جاء في الحديث الشريف عن صفة الشخص العادل، ومن هو العادل؟ يقول: ((من عامل الناس فلم يظلمهم، وحذّهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته))^(٤)، فالعدالة هي أن تملك خط الاستقامة، بحيث تنطلق من خلال الحقيقة التي تربطك بالناس فيما تلتزمه معهم، وفيما تحدثهم عنه.

العدل هو الاستقامة

وعلى هذا الأساس أيضاً، يمكن أن تدخل مسألة الصدق والكذب في مسألة العدل؛ لأنك عندما تصدق في كلامك، فإنك بذلك تستقيم في إظهار الحقيقة التي تعرفها، وعندما تكذب في كلامك، فإنك تنحرف عن الحقيقة، وبذلك تظلم الحقيقة عندما تنحرف عن عناصرها الواقعية في هذا المجال أو ذاك. ومن هنا، ورد عندنا في الحديث: ((لا يكذب الكاذب وهو مؤمن))^(٥)، فإن الكذب لا يجتمع مع الإيمان، باعتبار أن الإيمان يمثل الارتباط بالواقع، والكذب يمثل الارتباط بالباطل.

(٤) البحار. ج ٧٢. ص ١٩٦. ح ٥.

(٥) البحار. ج ٧١. ص ٢٨٦. ح ٣.

وهكذا عندما يقدّم بعض القيادات السياسية أو غيرها أنفسهم إلى الناس، فإنهم يتحركون فيما يعدّون به الناس إذا أيّدوهم أو إذا انتخبوهم، ثم يقبلون لهم ظهر المجنّ.

وقد أدخل الإسلام هذا المعنى تحت عنوان الاستقامة: ((إنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا في باطل، وإذا سخط لم يخرجهُ سخطه عن قول الحق))^(٦). يعني إذا عادت شخصاً وخاصمته وسخطت عليه، فإن عليك أن لا تغمطه حقّه، بل أن تتحدث عنه بما هو فيه، حتى لو كان على خلاف مزاجك. وهذا ما عبّرت عنه الآية التي تحدثنا عنها سابقاً: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»^(٧).

وعلى ضوء هذا، فإنّ على الإنسان المؤمن أن يكون متوازناً في مسألة العدل، بأن يراقب الله ولا يراقب الناس في ذلك كله، سواء في حركة الواقع فيما يتحدث به الناس، أو في حركة السياسة، أو في حركة الاجتماع، أو في الدين فيما ينقله الناس من قضايا العقيدة، فينحرفون عن خطواتها الاعتدالية من خلال العاطفة والمحبة والولاء وما إلى ذلك.

يبقى أن نشير إلى أنّ هذا الأمر قد يبتلى به الكثيرون ممن يتحدثون في السيرة، ولا سيّما السيرة الحسينية، فيتحدثون بغير الحق، وبعيداً عن التوازن والاعتدال؛ لأنهم يريدون للناس أن يفعلوا عاطفياً، حتى بالأكاذيب وبالمحرمات وما إلى ذلك، وبذلك، فإنهم يسيئون إلى الرموز التي يتعرّضون لسيرتهم من حيث لا يشعرون.

إنّ معنى العدل هو الاستقامة، ولذلك لا بد لك من أن تستقيم على الخط الذي يبدأ من الحقيقة وينتهي إليها، أن تستقيم في كل شيء، وقد أمر الله نبيه - وهو

(٦) البحار. ج ٧١. ص ١٠. ح ١.

(٧) المائدة: ٨.

المعصوم - بذلك، فقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^(٨). وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن الذين استقاموا بأن لهم الموقع القريب من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٩)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾^(١٠). أن تكون عدلاً، يعني أن تكون مستقيماً؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو العدل الذي لا يظلم عباده، ويؤكد الله دائماً قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١١). ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(١٢) في كل موضع للقول، وفي كل قضية يتحرك فيها مما يتصل بالعقيدة أو بالشرعية أو بالحياة كلها.

وعلى ضوء هذا، نضيف - تأكيداً لذلك - أن الله نهانا أن نقبل قول الفاسق من دون تثبت، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١٣)، أي: إذا سمعتم كلاماً من شخص فادرسوه: هل هذا الإنسان يخاف الله في نفسه وفي الناس؟ وهل إنه يحترم الحقيقة في الكلمة التي ينقلها؟ أو ليس كذلك؟ فإذا رأيتموه فاسقاً يتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى فيما يخبر به أو فيما يشهد به أو فيما ينقله، فعليكم أن تتوقفوا عند سماعكم كلامه، وأن تتبينوا المسألة بوسائلكم الخاصة؛ لأنكم إذا لم تتبينوها ولم تثبتوها منها، فقد يدخلكم ذلك في معاقبة إنسان بريء، فتندمون بعد ذلك حيث لا ينفعكم

(٨) هود: ١١٢.

(٩) الأحقاف: ١٣.

(١٠) فصلت: ٣٠-٣٢.

(١١) النحل: ١١٨.

(١٢) الأنعام: ١٥٣.

(١٣) الحجرات: ٦.

الندم، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: «وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^(١٤).

مرجعية العدل والحق:

وتتطلق الآيات الكريمة بعد ذلك في توجيه الله للرسول وتثبيته في دعوته ووضع المنهج أمامه. فنقرأ - في سورة الشورى - قوله تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ»، أن يتحرك خط النبوة وخط الدعوة في اتجاه الاستقامة التي لا ينحرف الإنسان فيها يميناً ولا شمالاً، ولا يفتح على ما يريده الناس في أهوائهم، «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ»... استقم على الخط الذي أراد الله لك أن تسير فيه، ولا تسرّ وفق أهواء البعض وأطماعهم... «وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ»، فلن أغير، ولن أبدل في ذلك كله، «وَأَمَرْتُ لَأَعْمِلَ بَيْنَكُمُ»، فإله قال لي إنك عندما تتسلم القيادة على جميع المستويات، سواء كانت هذه القيادة قيادة الدعوة أو قيادة الثقافة أو قيادة الاستماع أو قيادة القضاء أو السياسة وما إلى ذلك، فعليك أن تعدل بين الناس، وأن تقول لهم إن الله أمرني بذلك، وعندما يأمرني الله بشيء، فلا بد لي من أن أتحرّك به وأجسّده وأطبّقه في كلّ حياتي معكم، كما أنكم لا بدّ من أن تنطلقوا فيه على أساس أنّي أمثل القدوة لكم في سيرتي كلّها، «اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

تبين هذه الآيات البيان الذي أطلقه النبي ﷺ في علاقته بالأمة. فالنبي ﷺ قال له الله: استقم كما أمرت، وأكد ذلك في رفض الأهواء التي تنحرف بك عن خط الاستقامة، وفي تأكيد العدل بين الناس، وفي إعطائهم الفكرة التي تقول: إن كل واحد مسؤول عن عمله، فأنا مسؤول عن عملي، وأنتم مسؤولون عن أعمالكم: «لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ»، فكل واحد أقام الله عليه الحجة، وعليه أن يتحمل مسؤولية الحجة، سواء اختلفنا أو اتفقنا؛ لأنكم إذا لم تقتنعوا بما أقوله

لكم، فإننا سنقف غداً بين يدي الله، عندما يجمع الله بيننا، وعندما يكون المصير إليه، «اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»^(١٥)، والله هو الحكم العدل في ذلك كله على مستوى الحساب، كما كان الحكم العدل على مستوى التشريع وعلى مستوى التوجيه.

وننتقل من خلال ذلك إلى مسألة العدل في الحكم، فنجد في هذا المجال قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ»^(١٦). هذا أمر مباشر من الله، فانه يأمركم - إذا كنتم في موقع الحكم - أن تحكموا في الناس بالعدل، فتعطوا لكل ذي حق حقه. وهذا الأمر يتصل بالعدل في الحكم على مستوى السلطة التي تنظم للناس أمورهم، وترعى أوضاعهم وحقوقهم، فعلى الحاكم أن يحكم بالعدل، فلا يحاول أن يظلم في أي موقع من المواقع، وهذا ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام، وقد عوتب على التسوية في العطاء، بينما يُراد منه أن يؤيد حكمه ببذل أموال الأمة من أجل أن يقرب هذا أو ذاك، فكان ردّه: ((أأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإلّا المال مال الله))^(١٧). ويقول - سلام الله عليه -: ((والله لو أعطيت الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته))^(١٨).

وهكذا هي المسألة بالنسبة إلى القاضي، فانه سبحانه وتعالى أراد للقضاة أن يقضوا في الناس بالعدل، فلا ينحرفوا مع هذا ومع ذاك. وكذلك في القضاء الاجتماعي، أن لا تحكموا على مجتمع بشيء، بينما يحكمون على مجتمع آخر بشيء آخر، بل لا بدّ لهم من أن يأخذوا بأسباب العدل في ذلك.

(١٥) الشورى: ١٥.

(١٦) النساء: ٥٨.

(١٧) نهج البلاغة، ص ٢٨٥، ك ١٢٦.

(١٨) نفسه، ص ٥٥٥، ك ٢٢٣.

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى في بعض الآيات عن حالة تحاكم غير المسلمين إلى المسلمين، وقد كانت هناك حادثة في زمن النبي ﷺ، وهي أن شخصاً يهودياً زنى وهو محصن، وكان الحكم في التوراة أن يرجم، كما هو الحكم لدى المسلمين، فجاءوا إلى رئيسهم وطلبوا منه تحكيم النبي ﷺ، لأنهم لا يريدون لصاحبهم أن يرجم، فبيّن لهم النبي ﷺ أن هذا هو حكم الإسلام، وهو حكم التوراة في هذا المقام، ونزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾، يعني: لك أن تتدخل وتقبل الحكم فيما بينهم، ولك أن ترجعهم إلى قضائهم، ﴿وَأِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١٩). القسط هو العدل، فإذا أردت أن تحكم بين اليهود - وكانت القضية مع اليهود - أو بين غير المسلمين، فلا تتصور أن هؤلاء إذا كانوا غير مسلمين، لا يجوز لك الحكم بينهم، بل لك أن تحكم بينهم؛ لأنهم لا يملكون احترام الارتباط بالعقيدة وما إلى ذلك، لكن مع ذلك، إذا قبلت أن تحكم بينهم، فاحكم بالقسط والعدل؛ لأن العدل للناس كلهم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، يعني الذين يحكمون بالعدل.

والحمد لله رب العالمين.

مذهب العدالة

رأينا أن مال الدولة هو مال
معلوم المالك، بل هو أقوى من
ناحية الملك من ملكية الآخرين
الفردية، وعلى الحاكم الشرعي
إذا كان مسؤولاً، أن لا يرحّص
للناس ما يخالف نظام الإدارات
ونظام الواقع

❖ مذهب العدالة

❖ الوفاء بالعهد

❖ مرجعية للمغتربين

❖ العدل في المعاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

مذهب العدالة:

لا نزال نتحدث عن موارد العدل في القرآن الكريم، ومن تلك الموارد، العدل
مع غير المسلمين؛ فقد نعيش - كمسلمين - مع اليهود أو مع النصارى أو مع
البوذيين أو الهندوس أو غيرهم من أتباع الأديان، أو من غير أتباع الأديان، من
العلمانيين الذين قد لا يؤمنون بدين. فكيف نتعامل معهم؟ هل نعتبر أن التزامهم
بغير الإسلام يبرر لنا أن نستغل أموالهم ودماءهم وأعراضهم؟

ربما نجد في بعض الفتاوى الموجودة لدى كثيرين، أن الكافر لا عصمة له
أياً كان، إلا إذا دخل في ذمة المسلمين من خلال قانون الذمة، أو في عهدهم من
خلال قانون المعاهدة. وأما إذا لم يكن ذمياً، فبناءً على أن قانون الذمة مختص بأهل
الكتاب - كما هو رأي بعضهم -، وكذلك قانون المعاهدة، فالكافر ليس محترماً في
هذه النظرية الاجتهادية. ولهذا أجازت بعض الفتاوى للمسلم الذي يذهب إلى
الغرب، أو إلى أي مكان آخر يسكنه غير المسلمين، أجازت له أن يستحل أموال
الآخرين من غير المسلمين. ولذلك نجد بعض المؤمنين يستحلون السرقة من
المحال التجارية، أو الاستدانة من البنوك هناك، ثم يهربون، حتى أصبح المسلم
المتدين في تلك المجتمعات، (حرامي) شرعي إذا صح التعبير.

إننا نرفض هذه الفتوى جملة وتفصيلاً، ونحن نعتبر أن الله أرسل نبيه
بالصدق وبالأمانة، وكانت عظمة النبي محمد ﷺ أنه الصادق الأمين، وكان مستودع

أمانات المشركين بالرغم من مواجهتهم له، وقد أبقي علياً* في مكة بعد هجرته ليؤدي للناس أماناتهم، وذلك من خلال القيمة التي أكدها الله تعالى في كتابه الكريم: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»^(١)، ولم يحدد أهل الأمانة بأنهم مسلمون أو غير مسلمين. وقد ذم الله اليهود في القرآن الكريم بسبب استحلالهم أموال غير اليهود، فقال تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَانِمًا».

ثم يُعلل ذلك بأن ليس لهم قاعدة للأمانة؛ فقد تأمن شخصاً بقنطار ويؤديه إليك في نهاية المطاف، وآخر قد تأمنه بدينار لا يرجعه إليك، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ»^(٢). والمقصود بالأميين في مصطلح اليهود من ليس يهودياً، فكانوا يطلقون على العرب اسم الأميين، يعني غير اليهودي، باعتبار أنهم أهل الكتاب والكتابة وأهل العلم، وكان المشركون عندما يتحدثون مع اليهود يقولون لهم أنتم أهل العلم الأول.

وقد ذم الله اليهود على عدم أمانتهم مع الآخرين. فإن لا تكون أميناً تجاه شخص يأتمنك على ماله، وأن تستحل ماله، فهذه فكرة مذمومة عند الله سبحانه وتعالى... ولذلك تبقى قضية الأمانة لدى هؤلاء قضية شخصية، تخضع لطبيعة الشخص، ربما من خلال مصالحه التجارية، أو تربيته أو بيئته الخاصة، وإلا فإن القاعدة لديهم هي عدم الأمانة لمن يأتمنهم عليها من غير اليهود.

الوفاء بالعهد:

وفي مقابل ذلك، أعطانا الله سبحانه وتعالى قاعدة في تعاملنا مع غير المسلمين، وذلك فيما جاء في (سورة الممتحنة): «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ» أي: لم يقاتلوكم على أساس إسلامكم «وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ

(١) النساء: ٥٨.

(٢) آل عمران: ٧٥.

دِيَارَكُمْ»، مثل اليهود الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، «أَنْ تَبْرَوْهُمْ»، أن تحسنوا إليهم، «وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ»، أي أن تعدلوا معهم، بحيث تتعاملون معهم على أساس العدل. والعدل أن تعطي كل إنسان حقه، وذلك أن تدفع إليه ماله عندما يأتئذك عليه، وأن لا تعتدي عليه، وأن تحترم دمه وعرضه وإنسانيته... «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٣).

والخلاصة، أن الآية تقول: أيها المسلمون، إن الله يريد لكم، في تعاملكم مع غير المسلمين، أن تأخذوا بقاعدة العدل معهم في كل ما لهم من حق، بل وأكثر من هذا، المطلوب «أَنْ تَبْرَوْهُمْ» أن تحسنوا إليهم، والإحسان هو معنى يتحرك في مدى أوسع من العدل، باعتبار أنه يختزن معنى أن يعطي الإنسان من نفسه للآخر.

«إِنَّمَا يَنْهَأَكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ» من المحاربين الذين يستحلون أموالكم ودماءكم، ويعتدون على أعراضكم، ويحتلون بلادكم، «وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ» أن توالوهم وتنصروهم وتحبوهم، «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٤).

ومن خلال هذه الآية، فعندما نتحدث بسلبية عن اليهود، إنما نقصد بهم اليهود الذين قاتلوا الفلسطينيين المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، وأمريكا التي نقصدها ليست الشعب الأمريكي، بل أمريكا التي عاونت على إخراج المسلمين، وهي التي ينهانا الله عن أن نتولاها.

إذا، القاعدة العامة في تعامل المسلمين مع غير المسلمين، هي أن كل شخص من غير المسلمين كان مسالماً للمسلمين ولم يعتد عليهم، ولم يقاتلهم، ولم يخرجهم من ديارهم، ولم يعاون ويساعد على إخراجهم، فهو محترم المال والدم والعرض.

(٣) الممتحنة: ٨.

(٤) الممتحنة: ٩.

مرجعية للمغتربين:

وفي هذا المجال، نوصي كل شبابنا الذين يذهبون إلى المغتربات غير الإسلامية، أن يلتزموا احترام الآخرين، في أموالهم ودمائهم وأعراضهم وأمنهم، كما يريدون للآخرين أن يلتزموا احترامهم في ذلك كله.

وهناك نقطة لا بدّ من أن نلتفت إليها من الناحية الشرعية، وهي أن سمة الدخول (الفيزا) التي تحصل عليها للدخول إلى بلدان أوروبية أو أمريكية أو أسترالية أو كندية، إلى غيرها من البلدان، تمثل معاهدة بينك وبين تلك الدولة بالتزامك نظامها، بأن تحافظ على أمنها وسلامتها وقانونها، غير القوانين التي هي ضد الإسلام؛ لأنه أمر مستثنى.

فمثلاً، من الأمور التي نلاحظها، أن الشخص الذي يأخذ حق اللجوء، يخضع لمعاهدة بينه وبين الدولة، بحيث تمنحه الدولة مساعدة معينة ما دام لم يجد عملاً، ولكن إذا وجد عملاً - وهو ما يسمونه (العمل الأسود) - فعليه أن يخبر الهيئة وإدارة اللجوء، وبالتالي يستقطع من مساعدتهم ما يتناسب مع وضعه. وهناك أشخاص - وقد يكون ذلك من خلال بعض الفتاوى - يعملون في السوق ويأخذون المساعدات من الدولة، باعتبار أن الدولة لا تعرف ذلك، فيقال له إن ذلك لا يضر، مع أنه لا يجوز له أن يأخذ المساعدة بسبب ذلك، وإن كان بعضهم قد يبرّره بأن له عائلة وأنهم محتاجون وما إلى ذلك.

وقد انتشرت هذه الظواهر، بحيث إن بعضهم يطلق زوجته طلاقاً قانونياً، لتأخذ زوجته راتباً مستقلاً ويأخذ هو راتباً مستقلاً، ويبقى هو وزوجته في البيت، وعنوانه مسلم متدين يصلي ويصوم، مع أن في ذلك جريمتين، الجريمة الأولى: هتك حرمة المسلم، لأنه حسب الظاهر أنه طلق زوجته، والآن يعاشرها من دون وجه شرعي، فكيف تعيش معه؟ وثانياً: أن هذا المال الذي يأخذه أو تأخذه هو مال غير شرعي، لأنّ فيه مخالفة للنظام والالتزام في هذا المجال. هذه أمور ينبغي لنا أن نلاحظها في حالات الاغتراب، وخصوصاً حالات اللجوء.

ولا بدّ للمسلم عندما يعيش في بلاد غير إسلامية، أن يقدّم صورة مشرقة عن الإسلام وعن المسلمين، لا أن يسيء إلى الإسلام والمسلمين. وقد نقل لنا عن بعض المسلمين الذين قدموا إلى المحاكمة في ألمانيا عندما سرق من (السوبر ماركت)، أن القاضي قال له: إن السرقة عندكم أنتم كمسلمين حرام، فقال للقاضي: "لا، علماؤنا يفتون أن سرقتكم حلال". هكذا بكلّ سذاجة! وفي هذا هنك لحزمة الإسلام والمسلمين، مع أن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٥)، فأَيّ عقد ندخل فيه مع إنسان آخر، علينا أن نلتزم كل مفرداته وكل معطيائه، وهو يمتد إلى دائرة تعامل المسلم مع غير المسلم. وهذا الأمر يشمل المسلمين في بلادنا الإسلامية. فمثلا، في الدائرة التي يعمل فيها المسلم، لا يجوز له أن يستعمل الهاتف إلا لعمل الدائرة، ومع ذلك، قد يستعمله لفترات طويلة لعمله الخاص، مع عائلته أو مع آخرين، وهذا حرام.

وكذلك، فإنه يستعمل الأوراق الموجودة لحسابه الخاص مثلا، أو يستعمل السيارة التي توضع تحت تصرفه لحاجاته الخاصة، مع أنها وضعت تحت تصرفه من أجل خدمات الإدارة، أو من حيث الوقت، فهو من المفروض أن يحضر إلى عمله الساعة الثامنة، ولكنه يحضر الساعة العاشرة، أو يأخذ إجازة مرضية وهو ليس مريضا، وذلك بأن يتفق مع بعض الأطباء الذين لا يخافون الله، فيعطيه شهادة بأنه مريض مثلا أو ما أشبه ذلك، أو مثلا يحصل على شهادة أن أباه توفي، وغير ذلك، من كل تصرف وسلوك يخالف القانون الذي يخضع له في وظيفته، فإنه لا يجوز له أن يمارسه.

بعض الناس يقول: ليس واجبا علينا أن نلتزم بقرارات الدولة؛ لأن مال الدولة مال مجهول المالك - بالمصطلح الشرعي -، ولكن رأينا أن مال الدولة هو مال معلوم المالك، بل هو أقوى من ناحية الملك من ملكية الآخرين الفرديّة، وعلى

الحاكم الشرعي إذا كان مسؤولاً أن لا يرخّص للناس ما يخالف نظام الإدارات ونظام الواقع.

لذا، يجب أن نكون أمناء في القضايا الخاصة والقضايا العامة؛ لأن الله أمرنا بذلك. وقد جاء أحد الشيعة - وهو أبو كهمس -، يقول: ((قلت لأبي عبد الله: عبد الله بن أبي يعفور يقرنك السلام، قال: "وعليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فأقرنه السلام، وقُلْ له: إن جعفر بن محمد يقول له: انظر ما بلغ به عليّ عند رسول الله ﷺ، فالزمه، فإنّ عليّاً ﷺ إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة))^(١).

العدل في المعاشرة:

في موضوع العدل، هناك آيتان في القرآن أثارتا جدلاً، حتى قيل إن إحداهما تنافي الأخرى. الأولى قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٢)، حيث تدلّ هذه الآية على أنه يجوز لكم تعدد الزوجات بشرط العدل، وإلا، فمع خوف العدل، فعليكم أن تقتصروا على زوجة واحدة. الآية الثانية: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُعَدِّلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ هذا شيء غير ممكن ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ لا تجعل علاقتك مع هذه المرأة الثانية أو الثالثة غير متوازنة ﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^(٣)، بحيث تكون لا متزوجة ولا مطلقة، كما هو حال هجرة الأزواج لنسائهم. فكيف يجمع بين هاتين الآيتين؟

في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً﴾، قال: يعني في النفقة، وعن قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُعَدِّلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ

(٦) البحار، ج ٣٥، ص ١١١، ح ٢.

(٧) النساء: ٣.

(٨) النساء: ١٢٩.

حَرَصْتُمْ»، يعني: المودة)). فالآية الثانية تتحدث عن العدل في المشاعر القلبية، بينما الآية الأولى تتحدث عن العدل في النفقة، بأن تعطي كلَّ زوجة حقها، لأنَّ هذا أمرٌ لا بدَّ من العدل فيه، بخلاف المحبة، فهي ليست في يد الإنسان، إذ ربما يحب زوجة أكثر من زوجة، ولكن لا ينبغي أن يستغرق في محبته، بحيث يعيش مع هذه الزوجة التي يحبها ويترك الأخرى ويهجرها.

وفي رواية أخرى في (الكافي)، بإسناده عن نوح بن شعيب ومحمد بن الحسن قال: ((سأل ابن أبي العوجاء)) - وكان معدوداً من الزنادقة - ((هشام بن الحكم))، وهو من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام، ((فقال له: أليس الله حكيماً؟ قال: بلى، وهو أحكم الحاكمين، قال: فأخبرني عن قوله عز وجل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً﴾، أليس هذا فرض؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُعَدِّلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾، أي حكيم يتكلم بهذا؟ فلم يكن عنده - أي هشام - جواب، فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله - جعفر الصادق عليه السلام - فقال: يا هشام، في غير وقت حج ولا عمرة؟ قال: نعم، جعلت فداك، لأمر أهمني. إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء، قال: وما هي؟ قال، فأخبره بالقصة، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما قوله عز وجل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً﴾ يعني في النفقة، وأما قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُعَدِّلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فتذروها كالمعلقة يعني في المودة. قال: فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره، قال: والله ما هذا من عندك))^(٩).

إننا نستوحي من الآية الثانية، أنه إذا كان الزوج يحب زوجة أكثر من زوجة، فعليه أن لا يميل كل الميل ويهجر الأخرى؛ لأنَّ المفروض في علاقة

الرجل بزواجه، أن تشعر بمعنى الزوجية معه، سواء كان ذلك في استمرار الإنفاق عليها، بما يجب لها من النفقة، فلا ينفق عليها في زمان ليحرمها في زمان آخر، أو في معاشرتها في البيت، من حيث تواجده معها في حياة طبيعية، فلا يسافر مدة طويلة ليتركها في وحدة موحشة، كما لو لم يكن لها حق جنسي يلبي حاجتها، ويعصمها من الانحراف، ويحصنها بالعفة، وهذا خلافاً لما يعتقده بعض الناس، من أن الجنس من حق الرجل وحده والمرأة ليس لها حق، خصوصاً مع وجود بعض الفتاوى التي تقول إن المرأة لها حق الجنس كل أربعة أشهر مرة، بمسمى العلاقة الجنسية، من دون أن يعطيها حاجتها من الشهوة وما إلى ذلك.

ولكننا نتحفظ على التحديد الفقهي بانحصار حقها كل أربعة أشهر مرة؛ لأن ذلك يجعلها كالمعلقة من الناحية الجنسية، باعتبار عدم انسجام هذا الحد الزمني مع العلاقة الطبيعية الزوجية. ورأينا الفقهي الذي نفتي به، أنه كما أن الرجل إذا أراد من زوجته تلبية حاجته الجنسية فيجب عليها الإجابة، إذا لم يكن هناك مانع شرعي أو مانع جسدي، كذلك إذا أرادت المرأة من الرجل حاجتها الجنسية، ولم يكن لديه مانع شرعي أو مانع جسدي، فيجب عليه أن يستجيب لها؛ لأن الزواج إنما شرع لتحصيل الرجل والمرأة.

وعلى ضوء هذا، ليس هناك تنافٍ بين العدل في هذه الآية والعدل في تلك الآية، فالعدل الإيجابي هناك، هو العدل في النفقة، فليس للإنسان أن يتزوج أكثر من زوجة إذا كان غير قادر على تلبية حاجاتها المادية، والعدل في الآية الثانية، هو العدل في الميل القلبي، وأن لا يمنعه ميله لزوجته من أن يلبي حقوق زوجة أخرى.

بقي أن نقول إن ظاهر الآية يدل على أن الزواج الثاني مع عدم القدرة على الإنفاق غير جائز، ولكن الفقهاء يقولون إن الأمر في الآية إرشادي وليس مولوياً، يعني من باب النصيحة؛ ولكننا نتحفظ حول هذا الموضوع؛ لأنه مخالف للظهور

القرآني، فعلى كل رجل يريد أن يتزوج أكثر من امرأة، أن يلبي حقوقها الزوجية. ولذلك نجد أن الفقهاء يفتون أن الرجل إذا قصر في الإنفاق على زوجته حتى الواحدة، فلها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي وهو يخيّره؛ إما أن يقوم بحقوقها الزوجية من النفقة والجنس، أو أن يطلقها، فإذا امتنع عنهما، يطلقها الحاكم الشرعي.

وعلى الهامش، فإنّ ما جرى في بعض البلدان الإسلامية التي حاولت أن تحرّم قانونياً تعدد الزوجات استناداً إلى هذه الآية «ولن تستطيعوا...» هو أمر غير سليم، لأنّ هذا الاستدلال غير صحيح.

وفي هذا المجال، قد نجد الأب مثلاً، الذي يجب عليه أن ينفق على أولاده بالعدل، نجده في بعض الحالات يفضّل ولداً على آخر، وقد يفضّل أولاد الزوجة الثانية - في بعض الحالات - في الإنفاق، فأحياناً ينفق على أحدهم ولا ينفق على الآخر، فإنه بذلك يعتبر تقصيراً في النفقة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الزوجات.

لذلك، ومن خلال ما تقدّم نقول، إنّ على الإنسان أن يفصل بين مشاعره الشخصية التي قد تفضّل شخصاً على آخر، في ميزان العلاقات الإنسانية، وبين العدالة في ميزان المسؤولية، بحيث لا يؤثر ميله القلبي على التزاماته وعدالته في تعامله مع الآخرين.

وهناك كلام كثير في آيات العدل في القرآن، سوف نعرض له إن شاء الله فيما يأتي من حديث.

والحمد لله ربّ العالمين.

إشاعة العدالة

الإسلام يحافظ على
العدالة بالنسبة إلى
الكافر، كما يحافظ على
العدالة بالنسبة إلى
المسلم، من دون أن
يكون لكفره أية صفة
سلبية للحكم عليه
بالباطل

- ❖ إشاعة العدل
- ❖ التربية القرآنية للإنسان
- ❖ طبيعة الاستغفار
- ❖ مواجهة الخونة
- ❖ تحكيم قيم الإسلام
- ❖ تشويه الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

إشاعة العدل:

تحدثنا في ما مضى عن العدل في القول والحكم. وقد كانت تحدث في عهد
النبي ﷺ بعض الأوضاع التي ينحرف فيها بعض المسلمين عن خط العدل،
ويحاولون التأثير على الحاكم الذي يحكم في هذه القضية أو تلك. وقد كان الحاكم
العدل في تلك المرحلة النبوية في المدينة هو الرسول ﷺ؛ حيث كان الناس يرجعون
إليه في نزاعاتهم وخلافاتهم.

وقد ذكر المفسرون أن قضية حدثت في الواقع الإسلامي بين المسلمين اهتز
فيها المجتمع، وخلصتها أن أحد المسلمين سرق مالا من شخص مسلم، وكان
للسارق عشيرة تملك مواقع متقدمة في المجتمع، وكانت الدلائل التي أثبتتها
المسلمون، أو التي أرادوا أن يتبعوها في التحقيق، تهدي إلى السارق الحقيقي،
 واجتمعت عشيرته للتشاور في الأمر، واستطاعوا أن يبعدوا التهمة عنه، فجاؤوا
بالمال المسروق، ووضعوه عند يهودي هناك لتثبت الجريمة عليه ويبرأ السارق،
وحاولوا أن يخلقوا جواً يوحى بالثقة بالنتائج التي أرادوها أمام رسول الله ﷺ، فقدموا
كبار السن للشهادة، ظناً منهم أن يهودية هذا الشخص تساهم في استبعاد نقطة
الاتهام عن السارق الحقيقي في التحقيق في المسألة، وتسهل بالتالي ثبوت التهمة
على اليهودي. وقد خُيل إليهم أن الرسول ﷺ ربما يميل إلى ما أرادوه أو ظنوه،
إرادةً منه لتبرئة المسلم على كل حال.

ونحن نعرف أن النبي ﷺ عندما يتولى القضاء، فإنه لا يتولاه بالغيب، وإنما يقضي بالوسائل الشرعية للقضاء، وهذا هو قوله ﷺ: ((إنما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان، وقد يكون أحدكم ألحن بحجته من بعض))، أي يستطيع أن يدافع عن نفسه أكثر من الآخر، ((فمن اقتطعت له من أخيه قطعة، فإنما اقتطع له جذوة من النار))، فلا يقل إن رسول الله حكم لي، لأن رسول الله حكم بمقتضى البينة، فإذا انصرفت البينة عن مسارها الطبيعي العادل في واقع الأمر، فمن الطبيعي أن يحكم النبي بها ما دامت مستوفية لعناصر حجيتها في ظاهر الأمر، ولكن ذلك لا يجعل هذا المال الذي أخذه ذلك الرجل بالبينة الباطلة حقاً.

ولكن هذه المسألة، ونتيجة لحساسيتها، ونتيجة إثارتها المناخ السلبي فيما بين المسلمين، أصبحت مدار حديث بينهم، وكادت أن تؤثر هذه القضية على طبيعة الوضع الإسلامي آنذاك، وخصوصاً أنها تشتمل على بعض العناوين المهمة في علاقة الناس بعضهم ببعض، من خلال اتهام الآخرين من دون حق، ومن خلال جدال الناس عن الخائن وما إلى ذلك. ولهذا، أنزل الله سبحانه وتعالى أربع عشرة آية لبيان الخط الإسلامي، ولتعريف النبي ﷺ الحقيقة في هذه المسألة، وتوجيهه إلى أن يأخذ بحقيقة الواقع، وتوجيه المسلمين إلى ما يجب عليهم أن يأخذوا به.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنَ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِينًا فَقَدْ احْتَمَلَ

بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(١).

التربية القرآنية للإنسان:

ولعله يحسن بنا التوقف بشيء من التحليل لهذه الآيات، وبيان ما تشتمل عليه من المبادئ والقيم.

نحن أمام آيات كريمة نزلت على رسول الله ﷺ لتعالج حالة معينة من الحالات المقلقة التي تثير بعض المشاعر والانفعالات والأفكار، كآية قضية من القضايا التي تدور في أحاديث المجتمع التي تتصل ببعض القضايا الحيوية، سواء كانت إيجابية أو سلبية، وكان القرآن ينزل من أجل مواجهة الأفكار والمشاعر السلبية التي كانت تشذ الناس إلى جاهليتهم، وتربطهم بالقيم الفاسدة التي أراد الله أن تزول من حياتهم؛ لأن دور القرآن ليس أن يعطي النظريات العامة فقط، بل دوره أن يلاحظ الواقع ويتابعه، فإذا رأى أن خطوط الجاهلية التي درج الناس عليها قبل نزول القرآن، يمكن أن تترك تأثيرها على الناس، بادر إلى معالجة ذلك، ووجه المسلمين الوجهة الصحيحة، لنلا تغرق أفكارهم في بحار الخيال والمثال البعيد عن الواقع، بل ليتحركوا في الواقع عندما يعيشون المشاكل كأشد ما تكون إلحاحاً وتأثيراً وضغطاً على الكيان، ثم تنطلق الحلول الواقعية في حجم الواقع ليتطابق الحل مع المشكلة.

وفيما ذكره المفسرون من أسباب النزول، نعود ونشير إلى أن الله أراد أن يصدّ رسوله ويطلعه على جانب الغيب في المسألة، حتى لا يتوقف أمام الإثباتات الظاهرية للقضية، على أساس أن القضاء في الإسلام يخضع للبيّنات والأيمان،

فهي الوسائل المطروحة لدى القضاة، حتى لو كان النبي هو القاضي ولا مسؤولية له بعد ذلك في خطأ النتيجة أو صوابها، ما دام أنه غير مكلف بأن يعلم الغيب في حقائق الأشياء، كما أن القضاء لا يغير ولا يبذل شيئاً في الواقع، فإذا أخطأ القاضي لخطأ في الوسائل، فإن ذلك لا يجعل القضية حقاً إذا كانت باطلة في الواقع، وبالتالي، فلا يحلل له الحكم أكل الباطل فيما انتهت إليه الدعوة، ولكن ذلك جارٍ على الأوضاع العادية في مسائل التحاكم.

أما في القضايا التي تتعلق بالخط المستقيم للقضايا بشكل عام، فإنها ترتبط بالأجواء الداخلية السلوكية للتصور الإسلامي، حتى يعطي صورة عن الإسلام في تأكيد العدالة، والأطر الصحيحة للعلاقات التي تعطي المسلمين الجو الرائع في الأخلاق والسلوك فيما يجب أن يتمثلوه ويعيشوه في حياتهم، كما حدث في هذه القضية التي أراد الله من خلالها تقرير مبادئ عدة في حياة المسلمين العاطفية والاجتماعية، من أجل أن لا تنحرف عن خط العدالة في ذلك كله.

ولنتابع الآيات، لنرى كيف عالجت هذه المسألة، مما أراد الله لرسوله أن يعالجها بالطريقة التي تظهر فيها القيمة الإسلامية للعدالة، والرفض للذين يحاولون أن ينحرفوا بالعدالة عن خطها الصحيح: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وقد أراه الله كل القيم التي يحركها في حياة الناس، وكل الحق الذي يبلغهم إياه، ذلك أن الله أنزل الكتاب بالحق، ليكون هو القاعدة الفكرية والعملية التي ينطلق منها المؤمنون في تسيير جميع شؤون حياتهم، فلا مجال لاتباع الآراء والأهواء التي تبتعد عن الحق؛ لأن الله يريد للحياة أن تقوم على أساس الحق الذي يواجه القضايا من منطلق الواقع، بعيداً عن أية علاقة أو انتماء أو مطمع.

وفي ذلك الجو، لا بد من أن يحكم الحاكم في كل المسائل التي تثار أمامه بما أراه الله من الحق، فينطلق من خلال الثقافة التي تفقه الله بها من خلال الكتاب، فلا

يتطلع إلى شيء آخر في حيثيات حكمه، مهما كانت الظروف والاعتبارات والنتائج، لأن ذلك يمثل انحرافاً عن الحق وابتعاداً عنه، وهذا الخط هو الذي نستهديه في مجالاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية، فإذا كان الكتاب هو الذي أنزله الله بالحق، فإن علينا أن ننطلق من مفاهيمه وتعاليمه في كل شيء، وأن ننطلق من أجوانه في منهج التفكير وطريقته. «وَلَا تُكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا»، أي لا تكن مدافعاً عن الخائنين؛ لأن الخيانة تمثل السلوك الذي هو ضد الحق، وهي تتحرك في خط الانحراف عن الواقع في حقوق الناس وفي قضاياهم، عندما يُبرأ المجرم، ويجرم البريء.

طبيعة الاستغفار:

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. هنا لابد من أن نبحث في هذه الآية عن طبيعة الاستغفار في القرآن الكريم.

يُعتبر الاستغفار من وسائل التربية الروحية التي يريد الإسلام من الإنسان أن يمارسها بوعي، حيث يطلب من المؤمن الذي قد يرتكب المعصية، أو يهمل بها، أو تطوف بخاطره، أو يعيش في مناخها، يطلب منه الاستغفار، وذلك من أجل تحقيق هدفين؛ الهدف الأول هو القرب من الله سبحانه وتعالى بعد أن أبعدته عنه أجواء المعصية والخطيئة بكل ما تستتبعه من مشاعر وأفكار تبعد به عن التوحيد والارتباط بالله سبحانه؛ لأن الاستغفار يختزن الإحساس بالذنب الذي يمثل حالة انحراف وبعُد عن الخط الذي يرضاه الله ويريده. والهدف الثاني للاستغفار، هو الحصول على المنة الداخلية، حتى يربّي الاستغفار في نفسه الحالة المنفتحة على الله، والتي ترفض أن تتحرك النفس في إرادتها لتؤثر على الجسم في معصية الله.

وقد يتساءل الإنسان أمام هذا الإيحاء بالتأنيب الداخلي للذات وهو في موقع الابتهاال إلى الله: كيف يوجّه القرآن الخطاب إلى الرسول بالاستغفار، وهو المعصوم الذي لا تخطر في باله المعصية فضلاً عن ارتكابها؟

وقد يجاب عن ذلك، بأن الأسلوب القرآني، يتوجّه بالخطاب إلى الأمة من خلال النبي، حتى يبيّن للأمة بأنّ هذا الأمر بلغ من الخطورة بالمستوى الذي يخاطب به النبي الذي لا علاقة له بالمسألة. وقد ورد أن القرآن نزل بـ ((إياك أعني واسمعي يا جارة)).

وربما يخطر في البال أن الاستغفار - هنا - لا يراد منه معناه الحرفي، أي طلب المغفرة من ذنب، حتى يدلّ على وقوع الإنسان في الذنب أو حضوره في أجوائه، بل يقصد منه الابتغال إليه تعالى ليسدّد الإنسان، وذلك لأن الإنسان عندما يقول: (أستغفرك يا رب)، فكأنه يطلب من الله أن يسدّده حتى لا يقع في الذنب في المستقبل، من باب التعبير عن طلب الإنسان العصمة من الله، بتوفيقه للابتعاد عن الذنب، بطريقة الطلب إلى الله أن يغفر له ذلك، وذلك بالربط بين النتائج والمقدمات، حيث يُعبّر بالمقدمة ويقصد بها النتيجة. وبتعبير آخر: ليس المقصود بالاستغفار - هنا - التعبير عن حالة فعلية لدى الإنسان، وإنما هو تعبير عن التواضع لله والابتغال إليه، والطلب منه أن يسدّده، حتى لا يقع في الذنب ليضطر إلى الاستغفار حينئذٍ.

مواجهة الخونة:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾. إن الإسلام يرفض الخيانة من الإنسان، بأي شكل كانت، وفي أي موقع وجدت، سواء كانت في الحقول العامة أو في الحقول الخاصة من حياة الفرد أو المجتمع، في قضايا المال والحكم والنفس والعرض والعلاقات. ويؤكد الإسلام في رفضه لكل القيم الشريرة، أن يتحرك الرفض في الفكر والشعور والإحساس والعمل، فلا يعيش الإنسان فكر الخيانة كطريقة يحيك فيها الخطط ليتحرك الفكر من هذا الموقع، ولا يرضى له أن يتعاطف في مشاعره مع الخائنين، لأن المؤمن لا يجتمع في قلبه كره الخيانة والتعاطف مع الخائنين. وعلى هذا، لا بد من مواجهة

الخونة، أيًا كانوا، بالموقف السلبي الحاسم الذي يتمثل فيه موقف المواجهة لهم، وترك الدفاع عنهم ومناصرتهم بأية وسيلة كانت.

وهذه النصيحة موجهة للمحامين؛ إذ لا يبيح الإسلام مهنة المحاماة إذا انطلقت في خط الدفاع عن المجرمين. ليس هناك مشكلة في أن يدافع الإنسان عن الحق وعن المظلومين، أما أن تعرف أن شخصاً ما مجرم وقاتل وخائن، وتقوم باستغلال القانون والتلاعب به بهدف إعطائه البراءة، فهذا غير جائز.

وقد أكد القرآن هذا الخط في عدة أساليب؛ فبدأ بالنهي عن أن يكون المؤمن خصيماً للخائنين، أي مدافعاً عنهم؛ لأن الكتاب يرفض الخيانة، فلا يجوز للمؤمن أن يدافع عنها ويدافع عن رموزها، وإلا كان ذلك انحرافاً عن الحق، واعتبر الخائنين خائنين لأنفسهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾؛ لأنهم أوقعوا أنفسهم في الهلكة، وسيعاقبهم الله على ذلك، لأنهم عصوه بما مارسوا من أعمالٍ تعرّضهم لعذاب الله، فكيف يجادل الإنسان عن هؤلاء؟ وهل يكون ذلك إلا نوعاً من أنواع مساعدة الإنسان على خيانة نفسه، وذلك بتعريضها لغضب الله وعذابه، في الوقت الذي يريد الله للمؤمن أن يساعد العصاة على أنفسهم بهدايتهم إلى سبيل الله، في السير على هدى أمره ونهيه؟! ثم تحدّث القرآن عن طبيعة العلاقة بين الله وبين الخائنين؛ وبالتالي العلاقة التي ينبغي أن تحكم المؤمنين بهم، فهؤلاء لا يحبهم الله... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، فكيف يمكن للإنسان المسلم أن يحبّ من لا يحبه الله، مع أن علامة إيمان المؤمن هي أن يحبّ من يحبه الله، ويبغض من يبغضه الله، بحيث يكون شعوره السلبي والإيجابي تبعاً لإيمانه فيما يتحرّك به من مشاعر وعواطف.

تحكيم قيم الإسلام:

«يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا». وهنا أيضاً ندخل في مسألة أخرى، إذ يطوف القرآن بالمسلمين في الآفاق الروحية للإيمان التي قد يبتعدون عنها قيمياً، ليقتربوا من أجواء العصبية الجاهلية، حتى يذكرهم بالابتعاد عن كل قيم الجاهلية، والانفتاح على قيم الإسلام. فهؤلاء الذين اجتمعوا ليلاً ليتداولوا في أمر الخيانة، ليبعدوا التهمة عن السارق ويلصقوها بالبريء، كانوا يحاذرون أن يراهم أحد أو يستمع إليهم أحد؛ لأنهم كانوا يخشون من الناس على مصالحهم وعلى مكانتهم إذا اطلعوا عليهم، ويخافون من انتقامهم عند انكشاف خطة المؤامرة، ولم يحسبوا الله حساباً في ذلك كله، وهو الذي يعلم سرهم وعلاانيتهم، فكيف يستخفون منه، وقد قال تعالى: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا ادْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٢)، «لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ»^(٣). وهذا ما ينبغي للإنسان المؤمن أن يفتح عليه في حياته، من الإحساس العميق بحضور الله في نفسه، بالمستوى الذي يشعر بإحاطته به من كل جانب، ليمنع ذلك من المعصية فيما يفعله أو يتركه.

وهنا يخاطب الله سبحانه هؤلاء الذين يدافعون عن الخائن، أو ينصبون من يدافع عنه: «هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا»، فإذا كان يوجد في الدنيا مكتب محاماة يدافع عنه، فمن الذي يحامي ويدافع عنه يوم القيامة؟ فما هي فائدة جدالكم عنهم؟! إذ إنكم قد تستطيعون الدفاع عنهم في الدنيا، فتتقذونهم من عقوباتهم؛ لأنكم تملكون الوسائل

(٢) المجادلة: ٧.

(٣) سبا: ٣.

المقنعة التي تثبت دعوكم الباطلة بطريقة أو بأخرى، ولا يملك الحاكم وسيلة العلم بالغيب ليكتشف كذبكم، ولكن هل ينقضي الأمر عند حدود الدنيا؟! ألا تؤمنون بالآخرة، والمفروض أنكم مسلمون؟ ألا تؤمنون بعذابها ونعيمها؟ «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»^(٤)؟! هل تستطيعون أن تجادلوا عنهم هناك «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»^(٥)؟ ومن الذي يكون عليهم وكيلاً ليتولى الدفاع عنهم أمام الله؟!

إن على الإنسان المؤمن أن يفكر في قضية الأمن والمصير على مستوى الآخرة لا على مستوى الدنيا؛ لأن أمر الدنيا زائل بنعيمها وعذابها، أما أمر الآخرة، فإلى خلود في كل أنواع النعيم، أو كل أنواع الجحيم. وهذا هو المفهوم الإسلامي الذي يوحى للناس أن يتجاوزوا حياتهم إلى الحياة الآخرة، من خلال ما يخوضون فيه من جدال حول القضايا التي يختلفون فيها من أمر الحق والباطل، ما يدفعهم إلى مراقبة الله في ذلك كله؛ ليكون هو الأساس في النظر إلى الأشياء.

«وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا». إن الله يفتح باب رحمته ومغفرته لكل خاطئ، من موقع الرحمة التي جعلها لعباده في كل زمان ومكان. وفي ذلك إحياء للإنسان، بأن الخطيئة ليست ضريبة لازمة للخاطئ، بل هي حالة طارئة يمكنه أن يتجاوزها إلى الطاعة والرضوان، بالاستغفار الذي يعبر عن الندم والتوبة وإرادة التغيير والتصميم على تصحيح الإنسان لنفسه، كوسيلة من وسائل سمو بالنفس الإنسانية إلى آفاق الله.

«وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»، والله تعالى يقول في آية أخرى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ

(٤) النحل: ١١١.

(٥) الانفطار: ١٩.

إِذَا اهْتَدَيْتُمْ^(١)» ويقول: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». إن الإنسان يتحمل مسؤولية عمله فيما يكسبه من أثام وخطايا، بكل ما تفرضه من نتائج سلبية على مستوى حياته في الدنيا، وعلى مستوى مصيره في الآخرة، فإذا كانت القضية تنعكس على شخصيته فيما يتصل بأمور الكرامة والشرف، فإن عشيرته وأولاده وأهل بلده لا يتحملون شيئاً من ذلك؛ لأن شرف الإنسان يخصه ولا يخص غيره من خلال ممارسته، وذلك خلافاً لما عليه الجو العشائري، حيث إذا أخطأت المرأة، فإنه يقال: إنها أساءت إلى شرف العائلة، مع أنها أساءت إلى شرفها فقط، لا كما يقول الشاعر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
وإذا أخطأ شخص من العائلة خطأ سياسياً أو غير سياسي، فإنه يسيء إلى شرفه، أما العائلة التي لم تخطئ ولم يخطئ أحد أفرادها، فهي لا تتحمل شيئاً. ولذلك، فإن ما يعرف من قضية غسل العار هو جريمة يعاقب عليها صاحبها بسبب ممارسته للقتل المتعمد. وعليه أن يراقب الله في كل أموره؛ فإنه سبحانه العليم الحكيم الذي يحيط بكل شيء، ويدبر الأمور بحكمته.

ثم يدخل القرآن في القضية التي حدثت «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا»، من قتل أو سرقة وغير ذلك، حيث يتحرك من يستغلون بعض الأوضاع القلقة فيما يحيط بالجريمة ليتهموا غيرهم فيما فعلوه، «فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا»، فليس للإنسان المؤمن أن يبرئ نفسه باتهام غيره البريء، بل عليه أن يتحمل مسؤولية عمله بالالتزام بكل النتائج المترتبة عليه، من دون فرق بين أن يكون هذا البريء الذي يراد إلصاق التهمة به مسلماً أو غير مسلم، فلا يجوز اتهام نصراني أو يهودي أو ما إلى ذلك؛ لأن القضية قضية المبدأ الذي يفرضه الإيمان كموقف في الحياة، وهو أنه لا يجوز معاقبة أي إنسان بريء بما لم يفعله، بل لا

يجوز اتّهامه حتى لو لم تترتب عليه أية نتائج عملية؛ لأن ذلك كذبٌ وظلمٌ وبهتان، والإسلام لا يريد لمجتمعه أن يعيش تحت ظل الاتهامات الكاذبة والعقد النفسية والقوة المسيطرة، بل يريد للفرد - مهما كان دينه وعقيدته وموقفه الاجتماعي - أن يشعر بالأمن والطمأنينة تحت ظل العدل الذي يمارسه الحاكم والمحكوم، في حماية الحق أينما كان موقعه، وفي مواجهة الباطل أينما كان مجاله. وبهذه الروح، أراد الله لليهودي البريء أن يعيش في حماية الإسلام من دون أن يكون ليهوديته أية صفة سلبية ضده في ميزان الحكم بالعدل؛ لأن الإسلام يحافظ على العدالة بالنسبة إلى الكافر، كما يحافظ على العدالة بالنسبة إلى المسلم، من دون أن يكون لكفره أية صفة سلبية للحكم عليه بالباطل، كما أراد للمسلم السارق أن ينال جزاءه من العقوبة في خط العدل من دون أن يكون لإسلامه أية صفة إيجابية للحكم له بالباطل. إن الإسلام يواجه الواقع في مجالات الحكم على أساس ما هو الحق والباطل، بعيداً عن أية نظرة إيجابية أو سلبية في من له الحق أو عليه الحق.

تشويه الحق:

ثم يخاطب الله النبي ﷺ في هذه المسألة: «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ»، أن يجعلوك تحكم بغير الحق، من خلال ما تعتمد من وسائل في القضاء على أساس أنك تقضي بالإيمان والبيّنات، «وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِفُونَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا». هؤلاء الذين استطاعوا أن يملكوا مواقع اجتماعية متقدمة، ودخلوا الإسلام، وحصلوا على الثقة لدى الناس في ظاهر أمرهم، كانوا يحاولون بمختلف الأساليب أن يصوروا الأمر للرسول كما لو كان حقيقة واقعية، من خلال البيّنات التي أقاموها، والأجواء العاطفية التي أثاروها، والضغوط النفسية التي حشدوها، والتي أرادوا من خلالها أن يقتنعوا رسول الله ﷺ ببراءة السارق الحقيقي، وإلحاق الجريمة بالبريء، لينحرفوا بالقضية عن خط

الهدى إلى خط الضلال؛ ولكن الله يلهم نبيه في الحالات الصعبة التي تمثل جانباً من الخطورة في حركة الإسلام في الحياة، ويعرفه واقع الأمور من خلال الغيب، ليكشف له وجه الحق؛ لأن الاعتماد على الوسائل العادية التي يتبعها القضاء الإسلامي من الأيمان والبيّنات، قد تخطى السبيل إلى النتائج الحقيقية، وقد يقدم المدعي البيئة غير الحقيقية فيما يملك الناس أمر التلاعب فيه.

وربما كانت بعض المراحل لا تحتل الخطأ الذي قد تحتله مراحل أخرى، ما يستدعي التدخل الغيبي. وهكذا أوحى الله إلى نبيه بالحق، فلم يستطع هؤلاء القوم أن ينحرفوا بحكم النبي عن وجه الحق، ولكنهم هم الذين ضلّوا ولم يضلّ النبي بانحرافهم في شهادتهم الباطلة، وفي دفاعهم عن المجرم واتهامهم للبريء، وذلك من فضل الله ورحمته على رسوله وعلى الأمة، كما كان من فضله عليه أن ينزل عليه الكتاب الذي يفصل له حقائق الحياة فيما يريد أن يبلغه من النمو والسمو والتقدم والسلام، وأنزل عليه الحكمة فيما يتحرك فيه من مواقف قيادية ونظرات عملية يضع فيها الأمور في مواضعها، وألهمه وعلمه علم ما لم يكن يعلم من كل الأمور التي يحتاج إليها في رسالته من الناحية الفكرية النظرية والتطبيقية، ورفعته على الناس درجات، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وقد نستوحي من هذه الآية، أن على الإنسان الذي يتحمل مسؤولية في حياة الناس، أن ينتبه إلى هذه النماذج القلقة في المجتمع التي تعمل على تضليل القادة وإبعادهم عن خط العدل بمختلف الأساليب والوسائل الضاغطة، ما يدفعنا إلى التدقيق في طبيعة الطروحات التي يطرحونها، والشهادات التي يشهدون بها، ليكتشف الإنسان بعض الخفايا الدقيقة من وسائلهم، ذلك أن القاضي لا بد من أن يكون عنده ثقافة اجتماعية يعرف فيها الناس الطيبين من الخبثاء الذين يلعبون بالقضايا التي تتحرك في المجتمع، ولاسيما في المسائل التي تتصل بصورة العدالة الإسلامية مما هو مماثل لهذه القضية التي نزلت فيها هذه الآيات، فإن الناس قد

يَتَحَمَّسُونَ كَثِيرًا لِاتِّهَامِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ فِي الْإِتِّجَاهَاتِ الْمُنْتَوَعَةِ الَّتِي تَقْسَمُ النَّاسُ إِلَى فِرَقٍ وَشُعَبٍ وَأَحْزَابٍ، كَمَا يَعْمَلُونَ عَلَى تَبْرِئَةِ الْأَشْخَاصِ الْمُرْتَبِطِينَ بِهِمْ بِأَيَّةِ صِلَةٍ فِكْرِيَّةٍ أَوْ عَاطِفِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَا بَدَ لَنَا فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ مِنْ أَنْ نَتَّقَ بِاللَّهِ عِنْدَمَا نَسِيرُ عَلَى الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ، لَنَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَنْقِذُنَا مِنْ ضَرَرِهِمْ كَمَا أَنْقَذَ رَسُولُهُ، فَلَا يَأْخُذْنَا الرُّعْبُ وَالْهَلَعُ مِنْ مَكَانَتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ خَطِّطِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةِ، بِمَا يَحْفَظُ لِلْعَدْلِ قُوَّتَهُ وَدَوْرَهُ فِي حِفْظِ مَصَالِحِ النَّاسِ الْحَقِيقِيِّينَ.

والحمد لله ربَّ العالمين.

الإيمان... مراقبة دائمة للنفس

أولى الإسلام عملية المحاسبة
والدراسة النفسية اهتماماً
بالغاً، كي يستطيع الإنسان
معها أن يكتشف نقاط الضعف
ليحوّلها إلى نقاط قوة، وأن
يكتشف نقاط القوة ليستزيد
منها ما أمكنه ذلك

❖ محاسبة النفس

❖ المحاسبة منهج العاقل

❖ الذكر الحقيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال نتابع الحديث حول النداءات التي وجهها الله سبحانه وتعالى إلى
الذين آمنوا من أجل أن يؤكّد لهم أن الإيمان ليس مجرد كلمة أو فكرة، بل هو
حركة في واقع الحياة ينطلق بها المؤمنون ليجسّدوا كل عناوين الإيمان في واقع
الناس.

محاسبة النفس:

من بين هذه الآيات، قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^(١). تخاطب هذه الآية المؤمنين،
وتؤكد لهم أن الإنسان المؤمن لا بد من أن ينطلق من خلال التقوى التي تجعله
يعيش حضور الله سبحانه وتعالى في عقله وقلبه وحياته، بحيث يتحسس وجود الله
سبحانه وتعالى، كما ورد في بعض الأحاديث: ((خف الله كأنك تراه، فإن كنت لا
تراه فإنه يراك))... أن يشعر الإنسان بمراقبة الله سبحانه وتعالى عليه؛ رقابة تنفذ
إلى داخل عقله لتتابع حركة عقله فيما ينتج العقل، وتنفذ إلى داخل قلبه لتلاحق
نبضاته وخفقاته في حركته العاطفية، ولتتابع حياته بكل ما فيها من مفردات تتصل
بحياته على المستويين الفردي والاجتماعي.

كما يريد هذا النداء أن يستثير في المؤمنين ما تخزنه نفوسهم من الانفتاح
على الله سبحانه وتعالى في حضوره الدائم في الكون، بحيث يتمثله المؤمن في كل

وجوده. وعلى ضوء هذا، فإنّ الإنسان عندما يتصور معنى الربوبية التي تهيم على الأمور كلها، ومعنى الخالقية التي منحته كل وجوده، ومعنى الجبروت الإلهي؛ فإنّ ذلك يجعله يخشى ربّه في كلّ حياته، فينطلق ليتقي الله ويطيعه فيما أمره به وفيما نهاه عنه. وقد ورد في تعريف التقوى: ((أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك))^(١).

وهذا الأمر بالتقوى، ينسحب على ما سلف من أمور الناس، ليدرسوا كل ما فعلوه وكلّ ما عاشوه، دراسة دقيقة عميقة تركز على مواقع المسؤولية؛ هل أطاعوا الله في ما أسلفوا، أم هل عصوه في ذلك؟ وما الذي هياؤه لأنفسهم فيما يقبلون عليه عندما يعرضون على الله «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢)، «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»^(٣)، «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»^(٤)! وقوله تعالى: «وَلَنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ»، هو الذي يبيّن أنّ دراسة الماضي إنّما تركز على عالم المسؤولية؛ لأن الله أراد للإنسان، في يوم القيامة، أن يقدّم بين يديه كل حياته، بكل سلبياتها وإيجابياتها، في كل نقاط ضعفها ونقاط قوتها، بقدر ما يتصل الأمر بمسؤوليته أمام الله سبحانه وتعالى في ذلك كله.

وعلى ضوء هذا، نستطيع أن نستوحي من الفقرة - «وَلَنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» - أن لا يكتفي الإنسان بالنظر فيما قدمه، بل أن يحاول في موقفه هذا - من خلال حركة التقوى في نفسه - أن ينظر إلى ما قدمه من عمل؛ فإن كان خيراً، حمد الله على ذلك واستزاده التوفيق لأمثاله، وإن كان شراً، استغفر الله في ذلك. وهذه هي الرؤية التي تؤكد عملية الحساب الدائم للإنسان. وقد ورد في أكثر من حديث، أن على الإنسان أن يكون واعياً لنفسه في كل أعماله وأفعاله وعلاقاته، حيث يقوم بعملية محاسبة نفسه على كل ذلك.

(٢) البحار. ج ٤٤. ص ٣٢٠. ح ١٥٥.

(٣) المطففين: ٦.

(٤) النحل: ١١١.

(٥) الانططار: ١٩.

المحاسبة منهم العاقل:

ففي الحديث عن النبي ﷺ: ((أَكَيْسَ الْكَيْسِينَ))، والكَيْس هو العاقل، أي أعقل العقلاء ((من حاسب نفسه)) ليعرف ما يملك من أمور تؤدّي به إلى سلامة المصير، ((وعمل لما بعد الموت))، باعتبار أن ما بعد الموت هو الذي يمثل المصير الدائم الخالد: إما إلى جنة وإما إلى نار، ((وأحمق الحمقى))، والأحمق هو الذي لا يتحرك على أساس التوازن العقلي، ((من أتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأماني))^(٦)، يتمنى بأن يدخله الله الجنة، من دون أن يؤكد ذلك بالعمل الصالح.

وفي حديث الرسول ﷺ أيضاً: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا))، ومعناه أنه لا بد للإنسان من أن يجلس مع نفسه، كما لو أنّ نفسه هي إنسان آخر يحاسبه في ما عمل كل يوم، في حياته الخاصة والعامة، ((وزنوها قبل أن توزنوا))^(٧)، في حساب يوم القيامة. والميزان هو ميزان الأعمال، وهو الذي يؤدّي بالإنسان إلى مصيره سلباً أو إيجاباً عند العرض الأكبر على الله سبحانه وتعالى.

ويقول الإمام علي عليه السلام: ((حاسبوا أنفسكم بأعمالها، وطالبوها بأداء المفروض عليها)) مما أوجبه الله ((والأخذ من فنانها لبقانها)) يعني الأخذ من الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية ((وتزودوا وتأهبوا قبل أن تبعثوا)) حتى يبعث الإنسان وقد حزم أمره، وركّز أوضاعه، ليقرأ كتابه بشكل واثق، والله تعالى يقول: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٨).

وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام أيضاً: ((حاسب نفسك لنفسك، فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك))^(٩). يقول الإمام عليه السلام، إنّ كثيراً من الناس يشغلون أنفسهم بحساب غيرهم على ما قاموا به وما عملوه، ولكنك لست مسؤولاً عن

(٦) البحار. ج ٤٤. ص ١١١. ح ٥.

(٧) نفسه. ص ٢٨. ح ١.

(٨) الإسراء: ١٤.

(٩) نهج البلاغة. ص ٥٤٨. ك ٢٢١.

حسابات غيرك فيما عمله؛ لأن غيرك سوف يقف غداً للحساب، ويتحمل مسؤولية كل أعماله، وأما أنت، فإنك تواجه حساب نفسك لنفسك.

وفي الحديث عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ((يا بن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك)). لا بد لك من أن تعظ نفسك في كل ما تواجهه من أوضاع الحياة، وفي ما تتحمّله من مسؤوليات؛ ليكون حساب نفسك الهم الأكبر في كل ذلك.

ويقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام: ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل خيراً استزاد الله منه وحمد الله عليه، وإن عمل شراً استغفر الله وتاب إليه)).^(١٠)

وهكذا نجد القيمة التربوية لمسألة دراسة النتائج السلبية أو الإيجابية لكل ما يقبل عليه الإنسان، وما قام به من مسؤوليات، أكملها أو قصر فيها، حتى يكشف من خلال ذلك نقاط الضعف ونقاط القوة عنده؛ لأن الأمراض النفسية والعقلية والروحية والعملية كالأمراض الجسدية، فإن استطاع الإنسان أن يكشف المرض في بدايته، فإنه يصبح لديه القدرة على معالجته بشكل أسهل ممّا لو اكتشفه بعد أن يتعمّق في النفس أو في الجسد، لأنّه من الصعب أن يعالجه بالطريقة التي يمكن أن يحصل من خلالها العافية أو الشفاء من هذا المرض. ولذلك أولى الإسلام عملية المحاسبة والدراسة النفسية اهتماماً بالغاً، لكي يستطيع الإنسان معها أن يكشف نقاط الضعف ليحوّلها إلى نقاط قوة، وأن يكشف نقاط القوة ليستزيد منها ما أمكنه ذلك، لأنّ هذه المسألة التربوية يتوقف عليها مصير الإنسان في نهاية المطاف.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. وهنا نسأل: لماذا كرّر الله سبحانه ذكر التقوى في بداية الفقرة وفي نهايتها؟

ربما يكون الأساس في ذلك، والله العالم، أنه في المرة الأولى، أكد أن على الإنسان أن يتقي الله في ما عمله في الماضي، ممّا يمكن أن يُنتج نتائج سلبية أو إيجابية في مستقبل الآخرة، ثمّ إذا عرف الإنسان رصيده عند الله، في ما يستقبله من العرض على الله سبحانه، ومن الوقوف بين يديه، اتقى الله في ما يقبل عليه من أمره، وذلك يعني أن على الإنسان أن يتقي الله في ما قام به، ليستغفر الله على ذنوبه، وليشكره على طاعته وعلى حسناته، ثم بعد أن يُحكّم أمره، وبعد أن يجمع رصيده ويتعرّف السلبيات والإيجابيات، يتقي الله من جديد في ما يستقبل من حياته، ليطيع الله في ما أمره به، وفي ما نهاه عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، وهذه هي الحقيقة الإيمانية الكبرى، وهي أن يعتقد الإنسان أن الله خبير بكل ما يعمل، وأنه ﴿لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾^(١١)، وأنه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٢)، وأنه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾^(١٣)، فإذا اختزن الإنسان في نفسه أن الله مطلع عليه في كل أموره حتى وهو يفكر، وأنه يلاحق خطوات تفكيره، انطلاقاً من الأسس التي تقود العقل إلى اكتشاف الحق، وإلى اكتشاف الحسن من القبيح، أو الأسس التي تقود العقل إلى الباطل، فيما يركزه من معادلات وفيما يستنتجها؛ لأن الإنسان عندما يفكر، فإنه يشعر - عادةً - بالأمن، فقد يفكر ويخطط لعمل الشر، كما هو شأن البعض الذين يسخّرون ما أعطاهم الله من عقل في التآمر على الناس وخيانتهم، وسرقتهم، وظلمهم، وضدّ قضايا الخير لمصلحة الشر... كل ذلك لأنه يشعر أن لا أحد يطلع عليه في ذلك؛ فإذا شعر الإنسان بأن الله يلاحق تفكيره، فإن ذلك يجعله يحرك عقله في الخير لا في الشر، وفي الحق لا في الباطل، وفي العدل لا في الظلم.

(١١) سبأ: ٣.

(١٢) غافر: ١٩.

(١٣) المجادلة: ٧.

كذلك، فإنّ على الإنسان أن يدرك أن الله يعرف نبضات قلبه، والقلب هو مركز العاطفة، وربما تتحرك العاطفة في غير ما يريد الله سبحانه وتعالى ويرضيه، وقد تتحرك فيما يرضي الله وفيما يحبه، كما ورد في بعض الأحاديث: ((إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففبك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته، فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب))^(١٤)، فإن الله يحشر الإنسان يوم القيامة مع الذين يحبهم ويخلص لهم، فإن كان يحب الأخيار حشره الله معهم، وإن كان يحب الأشرار حشره الله معهم؛ لأن الحب ليس مجرد نبضة في الشعور، أو خفقة في القلب، بل إن الحب أو البغض يتحول إلى حركة للإنسان في الحياة. ولهذا، لا بد للإنسان عندما ينبض قلبه بحب إنسان أو ببغض إنسان، أن يعرف أن الله يطلع عليه، وأن عليه أن يحب من أحبه الله، ويبغض من أبغضه الله في ذلك كله.

وهكذا بالنسبة إلى أعمالنا العامة التي قد نعملها في حالة السر، ونحن نشعر بأنه ليس هناك من يطلع علينا، فنأخذ حريتنا في ذلك كله، فعلى أن نراقب الله، وأن نعرف أن الله سبحانه وتعالى مطلع علينا في ذلك كله.

الذكر الحقيقي:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١٥). تؤكد هذه الآية أن على الإنسان أن يكون ذاكرة لله، لا بأن يردد اسمه في لسانه فقط، ولكن أن يكون ذاكرة له، بحيث يشعر بنوره سبحانه وتعالى، وبربوبيته، وبمسؤوليته أمامه، ويشعر بمراقبة الله له، وبحسابه له في المستقبل عندما يقوم الناس لرب العالمين. ولذلك، فالإنسان إذا ذكر الله ذكر نفسه، وذكر ما يصلحها

(١٤) الجار. ج ٥٨. ص ١٩٨. ح ٥.

(١٥) الحشر: ١٩.

ويحقق لها سلامة المصير عند الله سبحانه وتعالى، وذكر محبة الله له في ذلك كله، وبذلك يستطيع أن يصلح أمره؛ لأنه يشعر بأن عليه أن يرضي الله سبحانه وتعالى في كل أعماله، وفي كل أقواله، وفي كل علاقاته. أما إذا نسي الله سبحانه وتعالى ولم يذكره، لا في عقله، ولا في قلبه، ولا في حركة حياته، بل استسلم لشيطانه وهوى نفسه، فإن ذلك سوف يجعله يتخبط في الظلمات، ويتحرك في كل ما يقوده إليه هوى نفسه التي تأمره بالسوء، وبذلك يفقد نفسه، ويفقد الخط المستقيم الذي أراده الله أن يسير عليه. وليس معنى «فَانْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»، أن الله سبحانه وتعالى ينسيه نفسه بشكل مباشر، بل معنى ذلك، أن نسيان الله يؤدي إلى نسيانه نفسه بحسب النتيجة، من باب علاقة السبب بالمسبب. وقد ورد في بعض الآيات: «قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا» من خلال نسيان الله سبحانه «وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى»^(١٦).

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى، أن على الإنسان أن يعرف أن هناك طريقين: الطريق الذي يؤدي إلى الجنة، والطريق الذي يؤدي إلى النار، وأن عليه أن يختار طريق الجنة باختياره طريق التقوى، والانفتاح على الله، والإحساس بحضوره وبمسؤوليته أمامه، ورفضه طريق النار الذي ينطلق من خلال نسيان الله ونسيان مسؤوليته. يقول تعالى: «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ»^(١٧)، فعلى الإنسان أن يختار ما يؤكد له الفوز في الآخرة؛ لأن الذين يدخلون النار هم الخاسرون والفاقدون الذين انصرفوا عن طريق الله وتجاوزوا حدوده.

يبقى أن نشير إلى أنه كما يمكن أن نستفيد من قوله تعالى: «وَلَنَنْظُرَ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ»، في عملية الحساب بالنسبة إلى الآخرة، كذلك يمكن أن نستوحي منها

أن على الإنسان أن ينظر ما قدم لغده حتى في الدنيا، فيخطط للغد في الدنيا كما يخطط للحاضر؛ لأن الغد يتصل بحساباته العملية في ما يتصل بالمصير. والقضية في هذه الآيات، هي أن يكون الإنسان واعياً لنفسه، واعياً لربه، واعياً لمسؤوليته، وأن يفتح على الحياة كلها، ليعرف أن الدنيا هي مزرعة الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

الإيمان... ذكر الله الدائم

مسألة الإيمان
بالله، هي من
المسائل التي
يتوجب على
الإنسان أن
يعيشها في
حضور دائم

- ❖ ذكر الله
- ❖ الذكر تفاعل بين الإنسان والخالق
- ❖ الذكر الكاذب
- ❖ الذكر في الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ذكر الله:

أولى القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بعنوان ذكر الله، وقد ورد قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١)؛ لأن مسألة الإيمان بالله، هي من المسائل التي يتوجب على الإنسان أن يعيشها في حضور دائم، يتحرك في عقله، فيكون عقلاً منفتحاً على معرفة الله، بحيث يتمثله في كل نشاطه ووعيه، ويتحرك في قلبه، ليعيش الله في كل خفقات القلب ونبضاته، فلا ينبض إلا بما يقربه إلى الله، ويتحرك معه في كل مفردات حياته، بحيث يشرق الله في كل كلماته عندما يتكلم، فيراه في كل كلمة، وفي كل عمل من أعماله، وفي كل علاقة من علاقاته؛ ليشعر بأن الله سبحانه وتعالى يحيط به من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، في كل قضاياها وفي كل أوضاعها.

لذلك، لا يعود الإيمان مجرد فكرة تجريدية، بل يتحول إلى عنصر حيّ متحرك في كل مفاصل الذات وفي كل أوضاعها. وهذا ما نقرأه في كلمة للإمام علي عليه السلام - فيما روي عنه -: ((ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله))، فكل ما يراه من ظواهر الكون ومن تفاصيله، يرى الله في داخله؛ لأن الله هو سر الوجود كله، فليس هناك أي وجود إلا والله هو الذي خلقه، وهو الذي أتقنه، وهو الذي أعطاه قانونه وحرك كل أوضاعه.

ونعرض لبعض الآيات التي تناولت موضوع ذكر الله، لنحدّد الأفق الذي يتحرك فيه. يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»^(١).

في هذه الآية، يخاطب الله تعالى المؤمنين، بأن يعيشوا ذكر الله بشكل يغلب على أوضاعهم، وعلى كل حركتهم في الحياة؛ أن يذكروه بكل مفردات الذكر التي تجعل الإنسان منفتحاً عليه، فإذا ذكره بعقله، فإن عقله يفتح عليه، وإذا ذكره بقلبه، فإن قلبه ينبض به ويخفق له، وإذا ذكره بلسانه، فإنه يؤكد به كل الصفات التي تعبر عن مواقع عظمتة ونعمته... «وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٢)، في الصباح وعند حلول المساء، وهو وقت الأصيل. والتسبيح هو استقصاء لعظمة الله، فمعنى قولك: (سبحان الله)، يعني تعظيماً لله، كأنك تتطلع إلى الله في مواقع عظمتة، فترى فيها سر العظمة وإبداع الخلق وإتقان الوجود، فنقول بكل كيانتك: سبحان الله، أي تعظيماً لله في كل ما يوحى به الخلق من سر العظمة، وتعيش التعظيم لله في سمعك وبصرك وعقلك، لتتحرك من خلال المحسوس الذي تعيش فيه، فيما تراه، وفيما تسمعه، وفيما تلمسه، وفيما تذوقه، وفيما تشمه، للوصول إلى ما وراء المحسوس من المعقول؛ لأن الله لا يُدرك بالبصر أو بالسمع، ولكنه مما يدركه العقل في كل معادلاته وفي كل أوضاعه، لتتحرك إلى المعقول في إبداع القدرة، وفي إتقان الخلق، وفي إحصاء إله الله سبحانه وتعالى. وعندما تسبح، فإنك تشعر بأن الكون يسبح معك، كما قال تعالى: «وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»^(٣)، فأنت عندما تسبح الله، فإنك لا تشعر بأنك وحدك في ذلك، فأنت تسبحه بالكلمة، ولكن الكون يسبحه بكل مظاهر العظمة، وبكل أسرار النعمة، وبكل ما يتمثل به الله سبحانه وتعالى الخالق الجبار المتكبر الرحمن الرحيم...

وفي ما يلي من آيات، نجد أن الله سبحانه يريد أن يبين لنا أن الذكر يفتح

(٢) الأحزاب: ٤١.

(٣) الأحزاب: ٤٢.

(٤) الإسراء: ٤٤.

عقل الإنسان على أسرار عظمة الله ونظامه في الكون، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، وهؤلاء هم أولو الألباب، أي أولي العقول، الذين يتحسسون الله في عقولهم، فيذكرونه ولا ينسونه، وعندما يذكرون الله، يتطلعون إلى خلقه، إلى النظام الكوني المتمثل بالسموات والأرض، ويدرسون تكوين الوجود في الفضاء، وما أودعه سبحانه من نظم وقوانين، ويتطلعون إلى الأرض، ويدرسون ما فيها من أسرار، بكل ما تحتويه الأرض من مظاهر الخلق، مما يحتاجه الناس والحيوان في كل أمورهم وفي كل أوضاعهم وفي كل حياتهم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وعندما يتفكرون ويصلون إلى المعرفة في أسرار السموات والأرض، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، فلكل ما خلقته من السموات والأرض في كل مظاهرها، سرٌّ وموقعٌ من مواقع الإبداع والقدرة والعظمة، وبذلك يخشعون عندما يؤكّدون ذلك، فيطلبون من الله أن يسير بهم في خط الهدى وفي خط الطاعة، فيقولون: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٥).

الذكر تفاعل بين الإنسان والخالق:

وفي هذا المجال، ينقل لنا التاريخ أنّ علياً عليه السلام جاء مع سيدة النساء فاطمة رضي الله عنها يشكو للنبي صلى الله عليه وآله متاعب الزهراء في تربيتها لأولادها، ثم في عملها البيتي، حيث كانت تطحن وتعجن وتخبز وتنظف البيت، حتى أثر ذلك على جسدها، وكان علي رضي الله عنه يطلب من النبي صلى الله عليه وآله خادماً يعين الزهراء رضي الله عنها في كل متاعبها، وهو يعرف أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يملك ذلك؛ لأنه كان فقيراً، بل كان أفقر أصحابه، ولذلك قيل إنه عندما كان المسلمون يحفرون الخندق في وقعة الأحزاب، كان يشاركونهم أعمالهم وهو يربط حجر المجاعة على بطنه، فقال لهما: ((أفلا أعلمكما ما هو خيرٌ لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما، فكبرا الله أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحاً الله ثلاثاً

وثلاثين تسبيحة، واحمدا لله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فقالت فاطمة^(٦): رضيت عن الله وعن رسوله^(٧)، ولذلك سمّي بتسبيح الزهراء. ولكن كيف نفهم ذلك؟

إن هذه التسبيحات - في تكبير الله وفي حمده وفي تسبيحه - تمثل الذكر الإلهي؛ ذكر الإنسان لله الذي يفتح به عليه سبحانه وتعالى، ليخفف بذلك آلامه، ولينفتح على محبته ورضوانه، ليكون الله كل شيء في حياته. ولذلك، فإن الزهراء^(٨) كانت تسبح بهذا التسبيح، وكذلك علي^(٩)، وخُلد التسبيح باسم الزهراء، حتى أصبح مستحباً بعد كل صلاة.

وتكمن أهمية ذكر الله سبحانه وتعالى، في عملية التفاعل التي يحدثها بين الإنسان وبين الله سبحانه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١٠). إن الله يريد أن يقول للإنسان: إن هناك تفاعلاً بيني وبينك، فإذا أنت ذكرتني في مواقع العظمة وفي مواقع النعمة وفي كل سر التوحيد، فإنني أذكرك، وذكر الله للإنسان هو رحمته ومغفرته ورضوانه، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ على ما أنعمت به عليكم، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي لا تكفروا النعمة ولا تجحدوها.

وفي آية أخرى تعرفنا كيف نذكر الله، يقول تعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، اذكره في نفسك وأنت تتضرع إليه بكل مشاعرك وبكل أحاسيسك من دون أن تنطق بكلمة، حيث تجعل كل أحاسيسك وكل مشاعرك وكل كياناتك تخشع لله وتتضرع إليه، فتستشعر الخوف منه، ليعينك ذلك على تقوى الله سبحانه وتعالى في مواقع طاعته والبعد عن معصيته، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني بشكل هادئ خافت؛ إذ ليس من الضروري أن يكون الذكر بطريقة الصراخ ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(١١) بل كن من الذاكرين.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن

(٦) البقرة: ١٥٢.

(٧) الأعراف: ٢٠٥.

يَشَاءُ اللَّهُ»، يعني عندما تريد أن تفعل أي شيء في المستقبل، فعليك أن لا تغرق في قدراتك وفي ظروفك، لأن الله سبحانه وتعالى هو فوق ذلك، وهو المهيمن على الأمر كله، فهو المهيمن على عزائمك، وقدراتك، وكل ظروفك، «وَذَكِّرْ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا»^(٨)، بحيث إنك تعمل العمل، لكنك تطلب من الله أن يهديك إلى أفضل مما أنت عليه.

وفي آية أخرى، نجد أن الله يريد من رسوله - ويريد منا أيضاً - أن نعيش مع الفقراء الذاكرين، وأن لا نستغرق مع الأغنياء المترفين الغافلين، فيقول تعالى - مخاطباً رسوله -: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا»^(٩).

ونقرأ - في القرآن الكريم - عن بعض النماذج: «رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»^(١٠)، «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِمِينَ وَالصَّانِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»^(١١).

الذكر الكاذب:

ويحدثنا الله عن المنافقين؛ هؤلاء الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهم يذكرون الله في ألسنتهم، ولكنهم لا يذكرون الله في أعماق ذاتهم: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ»، أي يتصرفون تصرف المخادع، فيظهرون بعضاً من

(٨) الكهف: ٢٣-٢٤.

(٩) الكهف: ٢٨.

(١٠) النور: ٣٧.

(١١) الأحزاب: ٣٥.

مظاهر الإيمان، «وَهُوَ خَادِعُهُمْ» لأن الله لا يُخدع، بل هو الذي يجعلهم يتحركون ويتصورون أنه سيرضى عنهم بما يفعلونه، ولكنه لا يتقبل إلا من المتقين المؤمنين عن قناعة، «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(١٢١)؛ لأنهم لا يعيشون الإيمان بالله بكل عمقه وبكل أسرارِهِ.

ونقرأ في آية أخرى عن المنافقين «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(١٢٢)؛ لأنهم لا يؤمنون بالله إيماناً عميقاً، بل يطفو إيمانهم على السنتهم فقط، لكي يوحوا إلى مجتمع المؤمنين أنهم منهم ومعهم، نظراً إلى ترجّح موازين القوى لصالحهم، وهم يترَبِّصون الدوائر بهم في أيّ ظرفٍ قد تنقلب فيه هذه الموازين لمصلحة القوى المضادة. إنّ هؤلاء المنافقين لم يعيشوا الله سبحانه في عقولهم وقلوبهم وحركتهم، ومن كان كذلك، وكله الله إلى نفسه، وحرمه أطافه ونعمه ورحمته.

الذكر في الأحاديث:

عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لا تختارن على ذكر الله شيئاً))، يعني لا يشغلك أي شيء فيما تعيش الاهتمام به عن ذكر الله. وكان النبي ﷺ - بحسب هذه الرواية - يريد أن يستدلّ بالقرآن على كلامه، ليعلمنا كيف نستوحي القرآن فيما نريد أن نؤكد من خطوط، "فإنه يقول: «ولذكر الله أكبر»".

وعن الإمام الصادق ﷺ: ((ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حدّ ينتهي إليه)). ثم يمثل الإمام ﷺ كيف لا يكون للذكر حدّ، فيقول: ((فرض الله عزّ وجلّ الفرائض، فمن أداها فهو حدّهن، وشهر رمضان، فمن صامه فهو حدّه، والحجّ، فمن حجّ فهو حدّه))، أي أنّ لكل فرض ممّا فرض الله عزّ وجلّ حدوداً، فمن أدّى هذه الحدود وأتى بالشروط، فقد أدّى الواجب والفرض،

(١٢) النساء: ١٤٢.

(١٣) التوبة: ٦٧.

فلا يعود مطالباً بالإتيان به، ((إلا الذكر، فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حداً ينتهي إليه))، بحيث أراد الله للإنسان أن لا يجعل حداً للذكر، ((ثم تلا))، أي الإمام الصادق عليه السلام: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»، فقال: لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه^(١٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام يخاطب حسين البزاز أحد الرواة: ((ألا أحدثك بأشد ما فرض الله عز وجل على خلقه))؟ الأشياء التي تحتاج إلى جهاد النفس والضغط على الغرائز والمشاعر والأهواء ((إنصاف الناس من نفسك))، يعني أن تواجه علاقتك بالناس، بحيث إذا كان للناس عليك حق، فعليك أن تعترف بهذا الحق لهم ولا تنكره، فتكون - أنت - الحاكم على نفسك للآخرين بنفسك، ((ومواساتك لأخيك)) في المال وفي القوة وفي كل شيء، ((وذكر الله في كل موطن. أما إني)) - يقول الإمام الصادق عليه السلام - ((لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك))، يعني لا أقصد بذكر الله هذه الفقرات فحسب، وإن كانت هي من ذكر الله، ((ولكن ذكر الله في كل موطن، إذا هجمت على طاعته أو معصيته))^(١٥)، بحيث تتذكر الله عندما تكون في موقع الطاعة، ليدفعك ذلك إلى الإخلاص في الطاعة، وعندما تكون في موقع المعصية، ليمنعك ذلك من الإقدام على المعصية.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - في تفسير قوله تعالى: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» - ((قال ذكر الله عند ما أحل أو حرم))، بحيث إنك تذكر الله عندما تواجه ما أحله لتفعله، وتواجه ما حرّمه لتتركه.

والإمام علي عليه السلام يقول: ((الذكر ذكران: ذكر عند المعصية حسن جميل، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك، فيكون ذلك حاجزاً)).

(١٤) الكافي. ج ٥. ص ١٢٥. ح ٢.

(١٥) نفسه. ص ٣٩٩. ح ١.

وهكذا نتوقف عند هذه العبادة، وهي عبادة الذكر، لنعيشها في عقولنا وقلوبنا وحياتنا، في كل امتدادات حياتنا، وفي كل أوضاعها، حتى نرتبط من خلال ذلك بالله في جميع أمورنا؛ ارتباط العبودية، وارتباط الوجدانية والربوبية، «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ».

والحمد لله رب العالمين.

إدارة المال في الشريعة الإسلامية

المال عصبُ الحياة:
يَهَيء للناس
حاجاتهم، ويرتّب لهم
أوضاعهم، وبه
تتنظّم الدول وترتفع
المجتمعات



- ❖ تنظيم المال
- ❖ منهج الحق
- ❖ تطبيقات معاصرة للآية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من المسائل التي يؤكدھا القرآن، باعتبارھا تمثل الخط الذي ينظم حياة الناس الفردية والاجتماعية، والذي ينطلق في حركة القيم التي يريد الإسلام للناس أن يتمثلوها في حياتهم، فكرة في العقل، وعاطفة في القلب، وحركة في الواقع، هي مسألة المال. ذلك أن المال هو عصب الحياة، وهو الذي يهيئ للناس - أفراداً وجماعات - حاجاتهم، ويرتب لهم أوضاعهم، وهو الذي تنتظم به الدول، وترتفع به المجتمعات، في إدارة شؤونها الاقتصادية والسياسية والأمنية وما إلى ذلك.

تنظيم المال:

وقد أراد الله سبحانه أن يبين للناس أن الشريعة الإسلامية نظمت للناس طريقة إدارتهم للمال، في أسباب التملك من جهة، وجهات تحريكه من جهة أخرى؛ فأوجبت في المال ضرائب معينة تمثل رعاية للذين يفقدون العيش الكريم، وجعلت منها احتياطاً للقضايا العامة التي تتصل بحركة الدعوة والجهاد، في قضايا الحرب والسلم، وأباحت أشياء وحرمت أشياء.

فالنظام المالي في الإسلام، هو نظام يتمثل في شريعة متكاملة، تنظم للناس كل أوضاعهم الاقتصادية، في ما يصلح أمرهم أو في ما يفسده، في ما يأخذون به وفي ما يتركونه. وقد جعلت المسألة تتصل بخطوط الحركة في الدنيا وبخطوط المصير في الآخرة.

من بين هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا

بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١).

في البداية، لابد من أن نتوقف عند المفردات الواردة في الآية.

١- لا تأكلوا: المعنى الحقيقي اللغوي للأكل، هو ما يضعه الإنسان في فمه للتغذية. ولكنه استعمل في المعنى الكنائي هنا، وهو التملك والأخذ والاستيلاء أو مطلق التصرف، كما يقال: (لا تأكل مال الغير)، أي لا تأخذه ولا تستول عليه ولا تتصرف به ولا تملكه إلا بالحق.

٢- الباطل: الباطل لغة هو الذاهب الزائل، فيقال بطل الشيء إذا ذهب. وربما يفسر الباطل بأنه عبارة عما يتعلق بالشيء على خلاف ما هو مشتمل على الخير، سواء كان اعتقاداً، أو ظناً، أو تخيلاً، فيقال: عقيدة باطلة، وظن باطل، وخبر باطل. واختصر البعض في تعريف الباطل، فقال: هو ما كان على خلاف الحق، وعلى خلاف الواقع، ولا ثبات في مضمونه، بل هو في معرض الزوال. وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للحق والباطل مثلاً، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ^(٢)﴾.

٣- تدلوا: المعنى اللغوي لـ (تدلوا) هو إرسال الدلو في البئر لنزح الماء، والمقصود بكلمة ﴿وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي تلقوا بالمال إلى الحكام على سبيل الرشوة للحصول على الحكم بالباطل. كأنه يريد أن يرسل هذا المال لينزل إلى واقع هؤلاء ليحصل على ما يعطونه إياه من الحكم بالباطل، ولذلك عقب تعالى بقوله: ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: حتى تصلوا إلى أكل أموال الناس.

وقد ورد عن الأنمة ﷺ بعض التطبيقات لهذه الآية. فقد ورد - في كتاب الكافي - عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: "كانت قریش تقامر

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) الرعد: ١٧.

الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك^(١)؛ إذ كان الرجل يدخل في لعبة القمار حتى يصل إلى أن يخسر ماله وأهله، فيعطي ولده للرابح، أو يعطيه زوجته، أو أمه، أو أخته.

وفي (الكافي) أيضاً عن أبي بصير: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾، فقال عليه السلام: ((يا أبا بصير، إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكماً يجورون))، سواء كان هؤلاء الحكام في مستوى الدولة، أو في مستوى القضاء ((أما إنه لم يعن حكام أهل العدل، ولكنه عني حكام أهل الجور. يا أبا محمد، إنه لو كان لك على رجل حق فدعته إلى حكام أهل العدل)) أي إلى شريعة الله لتحكم بينكما، ((فأبى عليك إلا أن يرافحك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له)) كما هو شأن بعض الناس الذي تقول له: لنحتكم إلى علماء الشريعة ليحكموا بيننا بحكم الله، فيرفض ذلك، ويطالب بالاحتكام إلى حكام الدولة، أولئك الذين لا يملكون أية شرعية للحكم. ((لكن ممن تحاكم إلى الطاغوت، وهو قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾^(٢))).^(٣)

منهم الحق:

هذا المنهج الذي ينحرك فيه القرآن، لا يشمل فقط إعطاء المال للحكام ليقضوا له بأخذ أموال الناس، بل يشمل طريقة صرف الأموال، كما في بعض الحملات الانتخابية، من أجل أن ينتخب الناس أشخاصاً كافرين أو ظالمين، كما هي - الآن - اللعبة الانتخابية التي قد تتحرك من أجل أن ينتخب الناس أشخاصاً يقننون للناس القوانين التي تلزمهم في حياتهم الخاصة والعامة، وما إلى ذلك. وفي هذا المجال، نجد بعض الأغنياء، أو بعض الجهات، ممن يدفعون الأموال من أجل

(٣) النساء: ٦٠.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٥٨، ح ٢.

الترويح لفلان، أو من أجل منحه القوة... فهذا أيضاً يعتبر أكلاً للمال بالباطل. كما أن الرشوة - في منطق الآية - لا تمثل المال الذي يدفعه الإنسان ليحكم له الحاكم فقط، بل ليعين الحاكم الجائر في حكمه، وليقوي سلطة الظالمين، أو يؤكد خطط المحتلين، وما إلى ذلك. وحكم الرشوة كما يشمل المعطي للرشوة، يشمل الذي يأخذها أيضاً من أجل أن ينحرف بالمسؤولية التي حمّله الله إياها في هذا المجال.

ومن مصاديق هذه الآية، ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: ((قال: يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال))، فإن الإنسان الذي يحلف اليمين الكاذبة من أجل أن يثبت استحقاقه لهذا المال أو ذاك، فهذا أيضاً أكل للمال بالباطل؛ لأن اليمين الكاذبة ليس لها أي شرعية في إثبات الحق.

وإذا كانت الروايات - في معرض تفسيرها للآية - قد تحدّثت عن بعض المصاديق، فإنها لا تجعل الآية مقتصرة عليها، بل هي تشمل كل ما يمثل الباطل في طريقة تملك الأموال، أو في طريقة صرفها. وبهذا نستطيع أن نطبق هذه الآية على كلّ التجارات المحرّمة، كتجارة الخمر، أو تجارة المخدرات، أو القمار، أو الربا، وما إلى ذلك، في كل ما حرّمه الله سبحانه وتعالى ولم يمنحه أية شرعية في تداوله في مجال البيع والشراء وما إلى ذلك من المعاملات. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، أي: لا يملك أي منكم المال الذي لا يستحقّه، وذلك من خلال الوسائل غير الشرعية التي لا يرضاها الشرع ولا يقبلها العقلاء، سواء كان ذلك بالغصب أو الظلم أو القمار ونحوه؛ لأن مسألة الحق في المال خاضعة لأسباب معينة جرى عليها العقلاء في الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المعاملات العامة والخاصة، وأمضاها الشرع، أو لم يردع عنها، ما يجعل الوسائل الأخرى التي لم تؤكد من قبل الشريعة، في حيّز الباطل الذي يحرم أكل المال من خلاله، والاستيلاء عليه.

تطبيقات معاصرة للآية:

وهناك بعض الأمور التي قد يبتلى بها الناس الآن.

النموذج الأول: عندما يحدث انقلاب في بلد من البلدان على طاغية ما - مثلاً - ويسقط هذا الطاغية، فيبادر الناس إلى السيطرة على الأملاك العامة؛ فهناك من ينطلقون إلى المستشفيات أو الجامعات أو الإدارات العامة، ليتملكوا دور الدولة، أو ما في الإدارات، وما إلى ذلك، ويتصرفون بها تصرف الملاك في أملاكهم. وللأسف، هناك بعض الفتاوى التي تبرر ذلك، بعنوان أن مال الدولة مال مجهول المالك، باعتبار أن الدولة ليست لها أهلية أن تملك، وقد رأينا ذلك في الفوضى التي حصلت في العراق بعيد سقوط الطاغية، حيث أقبل الناس - من المتدينين ومن غير المتدينين - على الاستيلاء على كل ممتلكات الدولة، حتى إنه عندما جاء رجال الحكم الجديد، رأوا أنهم لا يملكون شيئاً ولا يستطيعون الحصول شرعياً على ما يريدون، في الوقت الذي يعرف الجميع، أن عليهم أن يدفعوا من مال الدولة ليشتروا هذه الأجهزة التي يحتاجها الجامعيون، أو التي تحتاجها الوزارات، وما إلى ذلك.

وفي رأينا الاجتهادي، أنه لا يجوز الاستيلاء على أي شيء من أموال الدولة؛ لأن ذلك غصبٌ محرّم؛ لأن هذه الأموال ليست ملك الطاغية حتى نقول إن هذا الطاغية رجل ظالم سلب أموال الناس، بل نقول: إن أموال الدولة هي أموال الناس التي أخذت من الضرائب التي دفعوها، أو أنها جاءت من خلال المصادر الموجودة في البلد، كالنفط مثلاً. ولذلك، فإن الطاغية كان غاصباً للدولة، وغاصباً لكل هذه الأموال، وعلينا أن نرجع هذه الأموال إلى أصحابها. وأصحاب الأموال على قسمين: فتارة يكون صاحب المال هو الشعب والدولة، ولذلك علينا أن نرجع كل ما سرق من الإدارات من الأجهزة والمستلزمات إلى الدولة من أجل أن يستفيد منها الناس. وتارة أخرى تكون هناك أموال صادرها الظالم من الناس المتهمين، أو الذين يعدمهم، أو يشردهم، ويضعها في المزاد، وما شابه ذلك، فإن هذه الأموال لا بد من أن نرجع إلى أصحابها الأصليين.

وكل من ملك مالا - في أي بلد من البلدان - أو اشترى مالا لشخص معدوم، أو شخص مشرد، بالنحو الذي ذكرناه، وما إلى ذلك، فهو غاصب لهذا المال، وعليه أن يرجعه إلى صاحبه دون أن يأخذ منه أي بدل عن ذلك. بل أكثر من هذا، لو فرضنا أن أحداً اشترى من الدولة مالا مصادراً لشخص ضعيف، أو مستضعف، كما لو اشترى بيتاً مثلاً وسكن فيه مدة، وجاء صاحبه بعد ذلك، فعليه أن يدفع قيمة سكنى البيت طيلة السنين التي سكن فيها، باعتبار أنه استولى على البيت واستولى على منفعته، وهي - أي المنفعة - مملوكة لهذا الشخص. فمال الدولة، بحسب رأينا، كما هو رأي كثير من العلماء، هو مال معلوم المالك، والدولة تملك - كما هو شأن الجمعية والحزب والجهة والمسجد والأوقاف - كما يملك الأشخاص.

كما أنه لو انطبق على مال الدولة عنوان مجهول المالك، فهو ليس من قبيل المال المشاع الذي يملك أي أحد أن يستولي عليه، بل لا بد فيه من إذن الحاكم الشرعي، والحاكم الشرعي - إذا فرضنا كان مسؤولاً عن الأمة - لا يرحّص إلا بما فيه مصلحة الدولة.

النموذج الثاني: هناك بعض الفتاوى التي تنطلق من خلال بعض الاجتهادات، وهي أن مال الكافر حلال. وبذلك نستحلّ أموال الكفار في العالم، إلا أن تكون هناك معاهدات بيننا وبينهم أو ذمة. وعلى هذا الأساس، فإن هذه الفتاوى يمكن أن تسلط المسلمين على كل أموال العالم، وهي - للأسف - تؤسّس للصوصية شرعية إسلامية! وهذه الفتاوى - مع الأسف - أخذ بها الكثير من إخواننا من الذين سافروا إلى الدول الغربية وغير الغربية، فكانوا يسرقون الأموال والبضائع، ويدخلون في معاملات لا يفون بها، كما في القروض من البنوك، حيث يسجلون على أنفسهم قروضاً وغير ذلك، ثم بعد ذلك يهربون من البلد، أو يتعامل أحدهم مع شركة تأمين، ثم يحرق محله، أو يدبّر حادث سير بسيارته حتى يحصل على

تقديمات التأمين، وبعضهم يسافر إلى المغتربات، وتعطيه الدولة حقّ اللجوء، ويأخذ منها راتباً بشرط أن لا يعمل، وإذا عمل لا بد من أن يخبر الدولة حتى تقطع من المساعدة بمقدار ما، ولكنه يتحايل على الدولة ويعمل دون أن يخبرها بذلك، حتى يحتفظ بالراتب كاملاً، وهو ما يطلقون عليه العمل بالأسود.

وفي رأينا أنّ هذا لا يجوز؛ لأن بينه وبين الدولة معاهدة على أن يلتزم بالنظام الذي يحكم الأموال، وإن كان بعضهم يقول: نحن محتاجون، ولا يكفينا المخصص، ولذلك نعمل بهذه الطريقة! مع أن ذلك إخلال بالالتزامات، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٥) ... بل قد يصل الأمر إلى أكثر من ذلك، حيث يعتمد بعض الناس إلى أن يطلق زوجته طلاقاً شكلياً، حتى تأخذ هي مساعدة ويأخذ هو مساعدة، وهذا حرام؛ لأنها تأخذ المال من دون حق؛ لأنها تُعطى المال على أساس أن لا تكون متزوجة، فهي عندما تكون متزوجة وتأخذ هذا المال، فإنّ هذا المال ليس حلالاً لها. ثمّ هو حرام من جهة كونه هتكاً لحرمة المسلمين، فعندما يكون الإنسان مسلماً، والمفروض أنها ليست زوجته، فهذا الأمر يجعلها - في أعين المجتمع - تعيش معه كصديقة أو كعشيقة أو ما إلى ذلك.

وهذا نوع من أنواع هتك حرمة المسلمين، وقد قال تعالى في ذم اليهود الذين كانوا يستغلون أموال غير اليهود: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَارْ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾^(٦). والأمي عندهم هو كل من ليس يهودياً، وقد كانوا لا يعتبرون لغير اليهوديّ ذمّة عليهم. وإذا سمحنا لأنفسنا أن نستحلّ أموال غير المسلمين، فالذمّ نفسه الموجه إلى اليهود يوجه إلينا؛ لأنّ منشأ الذمّ واحد، حيث إنّ مال الغير محترم ما دام هذا الغير مسلماً، وذلك هو قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ

(٥) المائدة: ١.

(٦) آل عمران: ٧٥.

عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(٧)، أي أن عليكم أن تعدلوا مع الناس المسالمين الذين تعيشون بينهم، وأن تحسنوا إليهم، وليس من العدل أن تستحلوا مالهم.

نعم، هناك حالات حرب، وفي حالات الحرب كل الحضارات تجوز للإنسان أن يستولي على ما يغنمه، ولكن ما ذكرناه شيء وهذا شيء آخر، والله تعالى يقول: **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَّوهُمْ^(٨)**.

النموذج الثالث: في العلاقات الزوجية، حيث يضطهد الزوج زوجته لتفتدي نفسها منه ليطلقها، وهذا لا يجوز، والله تعالى يقول: **«وَأَن أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا^(٩)»**.

النموذج الرابع: القضاة الذين ينظرون في قضايا الناس لإصدار الأحكام فيها، فيقوم الإنسان برشوة القاضي المنحرف ليحكم له بالباطل، وقد يكون بتقديم القضايا للمحاكم من خلال الحجة الباطلة، والبيّنة الكاذبة، والضغط الرسمي، واليمين الكاذبة، وشهود الزور. وقد روى المفسرون عن النبي ﷺ عندما اختصم إليه اثنان أنه قال: ((إنما أنا بشر))، فأنا عندما أقضي لا أقضي بالغيب، بمعنى أن الله لا ينزل عليّ الوحي بالحكم، بل أنا أسمع لكم ((ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له من حق أخيه)) نتيجة البيّنة أو اليمين ((فإنما أقطع له قطعة من النار))، فلا يقل إن النبي حكم لي ليحلّ لي أخذ ما حكم به كيفما كان، فالنبي إنما يحكم على حسب المعطيات التي تقدم إليه، ولا يحكم بعلم الغيب،

(٧) الممتحنة: ٨.

(٨) الممتحنة: ٩.

(٩) النساء: ٢١.

أو بالوحي. ((فبكيا، وقال كل واحدٍ منهما: حقي هذا لصاحبي، فقال رسول الله ﷺ: ولكن اذهبا، فتوخيا، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحدٍ منكما صاحبه))^(١٠)، بمعنى أنه أراد منهم أن يتصالحا على المسألة فيما بينهما.

﴿يَتَاكَلَوْا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾، أي: لتتوصلوا من خلال هذه الدعاوى غير الحقّة، أي دعاوى الباطل، إلى أن تثبتوا لأنفسكم حقاً في أموال الناس لا حقّ لكم فيه، فتأخذوا قسماً من أموالهم بالباطل والإثم، من خلال هذه الوسائل غير المشروعة، ﴿وَأَنْتُمْ تُعْلَمُونَ﴾ واقع الحال، بأنكم على الباطل من دون أية شبهة، ما يجعل جريمتكم أكبر؛ لأن ارتكاب الحرام مع العلم به، أكثر خطورة وأعظم قبحاً من ارتكابه مع الجهل به. ويبقى للحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله ربّ العالمين.

السياسة المالية في الإسلام طريقة التعاطي

المال ليس فردياً
بالمطلق، وليس
جماعياً بالمطلق، بل
إنه يمثل نوعاً من
أنواع التواصل
والتكامل والترابط بين
الفرد والجماعة

❖ الخلافة في المال

❖ السياسة المالية في الإسلام

❖ تنقية مصادر المال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الخلافة في المال:

نتابع الحديث عن إحياءات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
وَتُدْءِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾^(١). تبين هذه الآية
مسألة مهمة لا بد من أن نتابعها، وهي أن الإسلام أقر الملكية الفردية؛ فمن حق كل
إنسان أن يملك مالا أو بيتا أو أرضا أو ما يحتاجه في حياته الخاصة، أو حتى فيما
يفضل عن حاجته، مما يدير به أموره التجارية أو غيرها، كجزء من التنظيم
الطبيعي للحياة العامة والخاصة للناس. ولكن هذه الحرية التي منحها الإسلام
للإنسان في حق التملك الفردي للأموال، لم يجعلها حرية مطلقة، بل حدد لهذه
الملكية أسبابا؛ فهناك أسباب محللة، إذا أخذ بها الإنسان، فإنه يملك شرعية المال
الذي يحصل عليه من خلالها. وهناك أسباب محرمة لا يقرها الشرع، فلا تحقق
ملكاً، ولا تجيز تصرفاً، وهذا ما عبر عنه الإسلام بأكل المال بالباطل، بمعنى
الاستيلاء على المال وتملكه بطريقة غير شرعية، كما في التجارات المحرمة أو
في الأعمال المحرمة، مما يضر الإنسان ويفسد الحياة.

ذلك أن الله أراد للإنسان في هذه الدنيا، في حياته العامة والخاصة، أن يحقق
ما يصلح أمره وحياة الناس من حوله، ولم يرد له أن يفسد أمره وأمرهم، ولذلك
جعل حدوداً لمعاملاته مع الآخرين. وقد جعل الله سبحانه وتعالى برنامجاً للإنسان

ليمالك المال ويحصل عليه، فكما أن الإنسان ليس له أن يأخذ المال إلا من حله، انطلاقاً من الحديث القائل: ((لا يحل مالٌ إلا من حيث أحله الله))، أي: إلا من حيث الأسباب التي أحلها الله، فكَذلك حدّد الوسائل التي يملك فيها المال. وقد ورد في حديث قوم قارون له: «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ* وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ»^(١)، يعني: حاول أن تحرّك ما تملكه من مال فيما يرفع شأنك عند الله في الدار الآخرة، وهو ما يرضي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يتحرك من خلال خطوط طاعته، ويتعدّد عن خطوط معصيته، ولكن مع ذلك «وَلَا تُنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»، فلك حاجاتك الخاصة والعامة، سواء ما يتعلّق منها بحياتك الفردية أو العائلية أو الاجتماعية.

السياسة المالية في الإسلام:

ثم تكمل الآية، وهي تحدّد عنوانين كبيرين في التصرفات التي يتصرف فيها الإنسان في ماله: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»، بكل ما يتصل بمفهوم الإحسان في القضايا العامة والخاصة، «وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»، حاول أن لا تجعل مالك في الخطوط التي يمكن أن تفسد حياة الناس، سواء في دينهم، أو في أخلاقهم، أو في سياستهم أو في حياتهم الاجتماعية.

ولكن قارون كان يتصور أن ملكيته للمال لا علاقة لله بها، بل هي انطلقت من خلال خبرته وشطارته وما إلى ذلك، ولهذا كان ردّه عليهم، أنه إنما حصل على هذا المال من خلال علمه وخبرته، «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي»^(٢)، وهذا ما قد يفكر فيه بعض الناس، أن يتصور أن له حرية التصرف فيما يملكه من مال، من دون أن يركّز على أي منظومة من القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التي تتصل بالنظام العام للناس أو بحياته الشخصية.

(٢) القصص: ٧٦-٧٧.

(٣) القصص: ٧٨.

وهذا أيضاً ما قصّه القرآن الكريم من حوار شعيب عليه السلام مع قومه، عندما أرسله الله إليهم، وأراد لهم أن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يأخذوا بأسباب التطفيف في الكيل في الميزان: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٤)، فكان رد فعلهم على النبي شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَافُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾^(٥)، فهم يستنكرون عليه كيف يريد أن يقيد حريتهم في التصرف في أموالهم، سواء فيما يقومون به من التطفيف في المكيال أو الميزان، أو ما أشبه ذلك مما كانوا ينحرفون فيه عن الخط.

وهذا ما نلاحظه في واقع الحركة الماليّة في العالم اليوم، حيث تحاول الدول المستكبرة أن تحرّك أموالها في السيطرة على الناس، وفي الإساءة إليهم ومصادرة ثرواتهم، ويصرفون الأموال التي تأتي من ضرائب المواطنين في صنع أسلحة الدمار الشامل التي يهددون فيها المستضعفين وما إلى ذلك.

إن الفكرة الإسلامية تنطلق في هذا الخط، وهي أن الله حدد للإنسان المسلم الوسائل التي يملك بها المال من جهة، وحدد له الوسائل التي يصرف فيها المال من جهة ثانية. ولذلك رأينا أن الله سبحانه وتعالى تحدّث عن الإسراف وعن التبذير، فأنت عندما تملك مالا، فإنك لست حراً في أن تنفقه في حاجتك - حتى في الأكل - بأية طريقة، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا* إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٧)، فعندما تملك مالا، فإن عليك أن تصرف منه بمقدار حاجاتك، وأن لا تصرفه في ما يزيد عن حاجاتك مما يتصل بالإسراف أو التبذير.

(٤) المطففين: ١-٣.

(٥) هود: ٨٧.

(٦) الأعراف: ٣١.

(٧) الإسراء: ٢٦-٢٧.

وهناك تعبير في هذه الآية يحسن التأمل فيه، ذلك أن الآية نسبت المال إلى الجماعة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾، مع أن مال كل إنسان يختص به، وكأنه - تعالى - يريد الإحياء بأن المال، وإن كان ملكاً فردياً للإنسان، ولكن تصرف الإنسان فيه من جهة، وتملكه له من جهة أخرى، يسيء إلى الجماعة أحياناً كثيرة، والمال الذي يملكه الأفراد هو مال الجماعة في طبيعة حركته ونتائجها، ولذلك فإن إساءة الأفراد في تملك المال أو التصرف فيه، يسيء إلى الجماعة، باعتبار أن الأفراد يمثلون الجماعة في ارتباط قضاياهم ببعضهم ببعض، وفي مصالحهم المشتركة وما إلى ذلك.

فالله سبحانه وتعالى أراد أن يقول إن المال للجماعة، ولكنه جعل لكل فرد من هؤلاء حصة خاصة يتصرف فيها بما لا يسيء إلى مصلحة الآخرين، الأمر الذي يؤكد الصفة العامة للمال، كما أنه يؤكد الصفة الخاصة له، على أساس أن لكل منهما وظيفة ودور لا يتعداه ولا يسيء في حركته العملية إلى الآخر، فليس هناك فردية مطلقة في الإسلام، وليس هناك جماعية مطلقة في الإسلام، بل إن الفرد يرتبط بالجماعة في علاقته بهم من خلال ما يصدر عنه، والجماعة ترتبط بالفرد من خلال تأثيراتها على حياته الخاصة والعامة، فالإسلام يؤكد هذا النوع من الترابط والتواصل بين الفرد والجماعة، وأن المال ليس فردياً بالمطلق، وليس جماعياً بالمطلق، بل إنه يمثل نوعاً من أنواع التواصل والتكامل والترابط بين الفرد والجماعة.

وعلى هذا الأساس، وأمام هذا العالم الذي كثرت فيه التشريعات المدنية والاقتصادية والاجتماعية، وما إلى ذلك، مما أصبح يفرض على الناس الالتزام به، ما جعل الواقع الإسلامي يخضع لتشريعات المدنية بعيداً عن التشريعات الإسلامية، حتى أصبح النظام الذي يتحدث عن الإسلام وعن النظام الإسلامي، نظاماً متهماً ويواجه الكثير من التحديات، وحتى إنه يشن الهجوم عليه من هنا وهناك تحت

تأثير عناوين كثيرة... أمام كل ذلك، لا بد لنا من أن نواجه هذه المسألة في كل العلاقات المالية، فربما نجد أن بعض الناس مثلاً أو بعض الأنظمة، تصدر بعض أملاك الناس، سواء كانت هذه المصادرة للأراضي أو للبيوت، تحت تأثير اعتبارات معينة.

تنقية مصادر المال:

ولا بد من أن نشير أيضاً إلى مهنة المحاماة، إذ قد ينطلق بعض المحامين من خلال اعتبار المحاماة مهنة للتجارة والحصول على الأموال، من دون أن يفرّقوا بين أن تكون الدعوى باطلة أو دعوى حقة؛ بل المهم - في نظر هؤلاء - كيف يمكن أن يتلاعب أحدهم بالنصوص القانونية، أو كيف يمكن أن يسيطر بأساليبه على القضاة، وخصوصاً من النواحي العاطفية، من أجل أن يربح الدعوى الباطلة، فيسقط بذلك الدعوى الحقة، ليدفع الإنسان البريء الذي هو صاحب الحق، المال للشخص الذي لا يمثل الحق، بل قد يكون إنساناً غاصباً أو مجرمًا.

نحن لا نقول إنّ مهنة المحاماة هي مهنة محرّمة، بل هي تماماً كأي حالة دفاع عن الشخص الآخر، فإذا فرضنا أن هذا الدفاع كان عن قضية محقة فمرحباً بها، وربما يثاب الإنسان عليها، حتى لو أخذ مالا على دفاعه. أما إذا كانت هذه الدعوى باطلة، فإن الله سبحانه وتعالى يعتبره إنساناً معتدياً على صاحب الحق، وبذلك يحاسب يوم القيامة كما يحاسب المعتدي على عدوانه؛ لأنه لا فرق - في مسألة العدوان - بين أن تعتدي على إنسان اعتداءً جسدياً أو اعتداءً مالياً أو اعتداءً معنوياً، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٨)، لأن الله جعل للإنسان الحق في أن يعيش في سلام في مجتمعه، ولم يسلط أحداً عليه في أي جانب من الجوانب.

وهذه مسألة لا بد لنا من أن نواجهها بوضوح؛ لأن الأوضاع التي وصلت إليها بعض التطورات في حياة الناس، جعلتهم يستحلون ما حرمه الله سبحانه وتعالى، ويحرّمون ما أحله. وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يتجاوز حدود الله في كل ما فرضه سبحانه وتعالى؛ لأنه إذا كان يستطيع أن يحصل على ما يتوصل إليه في الدنيا من أرباح ومكاسب، فكيف يمكن أن يواجه الله سبحانه وتعالى: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٩)، «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(١٠)، وينطلق الشعار في يوم القيامة في قوله تعالى: «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ»^(١١).

والحمد لله رب العالمين.

(٩) المطففين: ٦.

(١٠) النحل: ١١١.

(١١) غافر: ١٧.

التجارة وقتل النفس

التجارة ليست مسألة
تتمحور في إطار
الحصول على المال
فقط، بل تكمن في تنمية
العقل، وفي تقوية
التجربة الإنسانية في
الحياة العامة

❖ تنظيم التجارات

❖ التجارة عبادة

❖ حماية الحياة

❖ مشروعية العمليات الاستشهادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا فيما سبق عن الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١). وقد تحدثنا حول هذه الآية في فقرتها الأولى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، وبقيت هناك فقرتان، الأولى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ والفقرة الثانية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

تنظيم التجارات:

طرح القرآن الكريم في الآية نموذجاً من نماذج شرعية التملك، وهو التجارة عن تراض. ويعني بذلك، أن يحرك الإنسان ما يملك من مال في عملية تجارية على أساس التعاقد بينه وبين الآخر، بحيث يرضى كل واحد منهما بما انتقل منه مقابل ما انتقل إليه؛ فالتجارة إذاً هي وسيلة مشروعة لتملك المال وتنميته، من خلال تنويع موارده وتحقيق حاجات الناس المختلفة، باعتبار أن كل إنسان في منطقته له حاجات معينة، قد تكون حاجات تتصل بالغذاء من طعام وشراب، أو تتصل باللباس، أو تتصل بما اكتشفه الإنسان واستحدثه في حاجاته الاجتماعية والتربوية والنفسية والاقتصادية والسياسية والحياتية العامة، ومن أهداف التجارة، إيجاد التواصل بين الأفراد والجماعات على مستوى الاستيراد والتصدير، ما يؤدي إلى التعارف والتقارب والتواصل على مستوى العلاقات الاقتصادية بين الشعوب.

وهذا ما نلاحظه في أن حركة التجارة تنطلق لتجعل الشرق يلتقي بالغرب، وتجعل القارات يلتقي بعضها ببعض. وعندما ندرس العلاقات بين الدول، نجد أن المسألة الاقتصادية هي المسألة الأساسية في علاقات الدول بعضها ببعض، حتى إن المسألة - يأسية تركز على المسألة الاقتصادية، كما أن المسألة الأمنية قد تتحرك سلباً أو إيجاباً في المسألة الاقتصادية، عندما تحتل دولة كبرى الدول الصغرى من أجل السيطرة على مواردها الاقتصادية وما إلى ذلك.

وقد أكد القرآن الكريم ارتكاز الشرعية في التجارة على أساس التراضي بين المتعاملين في البيع والشراء، فلا يضغط شخص على شخص في إجباره على ما لا يرضى به، كأن يبيعه ما لا يريد بيعه، أو يشتري منه ما لا يريد شراءه، مستغلاً ضعفه أمام بعض الأوضاع القلقة؛ فالمعاملة بهذه الطريقة باطلة، لأن الله أكد - بحسب هذه الآية - أن المعاملات لا بد من أن تنطلق من إرادة الإنسان ومن اختياره. ولعل من ذلك ما ورد في الحديث المأثور: ((لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه))^(١).

وقد نلاحظ - في تأكيد عنوان التجارة عن تراض - إيحاءً ودعوةً إلى الأخذ بالأسلوب التجاري في عملية تبادل الأموال، مما يتصل بحركة المجتمعات تجاه حل مشكلاتها المالية، بعيداً عن الاستغلال والضغط السياسي أو الأمني، كالذي تقوم به الدول الكبرى القوية اقتصادياً، في ضغوطها على الدول الصغرى، فتفرض عليها أن تستورد بضائع معينة قد لا تحتاجها، أو تمنع تصدير بضائع إليها هي في حاجة إليها، وتفرض عليها الشروط المتعسفة في تقديم التنازلات من ثرواتها، بحيث تواجه هذه الشعوب المستضعفة الخسارات الهائلة والمشاكل الصعبة في أوضاعها الاقتصادية.

وهذا ما قد نجد بعض ملامحه في العولمة الاقتصادية التي انطلقت كمشروع

غربيّ تتحرّك كل وسائله في إدارة الاقتصاد لحساباته، بما يزيد الغني غنيّ والفقر فقراً. حتى إنّنا نلاحظ، ولا نزال، أن الشعوب - حتى الغربية منها - تتظاهر بشكل مكثف على المستوى المليوني ضد السبعة أو الثمانية الكبار، عندما يعقدون مؤتمرهم في هذه الدولة أو تلك على أساس العولمة الاقتصادية؛ لأن الشعوب تعتبر أن مؤتمر هؤلاء يساهم في إثارة المشاكل الاقتصادية لهذا البلد أو ذاك.

التجارة عبادة:

وفي هذا المجال، نجد أنّ الإسلام يركّز - في ما جاءنا عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - على مسألة التجارة، حتى لو كان الإنسان في أعلى درجة من الثراء؛ لأن التجارة ليست مسألة تتمحور في إطار الحصول على المال فقط، بل تكمن في تنمية العقل، وفي تقوية التجربة الإنسانية في الحياة العامة، كما أنّ قضية التجارة لا تتصل بما يحصل عليه الإنسان من المال في حاجاته فقط، بل بما يتحمّل مسؤوليته في انتفاع الناس بحركة الاقتصاد، في تلبية حاجاتهم، والقيام بمشاريعهم العامة. فقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وقد سأله بعض أصحابه فقال: ((إني قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء)) - فعندي مال يجعلني لا أحتاج إلى أي نشاط تجاري - فأجابه الإمام (عليه السلام): ((إذا يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء))؛ لأنك إذا تركت السوق والتجارة، فإن معنى ذلك، أنّ تجربتك ستتجمد في هذه المرحلة، كما تتجمد أيضاً ثروتك في ما عندك من مال، ولا ينتفع الناس منك لا في الحركة التجارية، ولا في إعانتهم في مشاريعهم.

وقد ورد في الحديث: ((العبادة عشرة أجزاء، أفضلها طلب الحلال))، في إشارة إلى التكبّس بالحلال. كما ورد في كثير من الأحاديث، اعتبار الإنسان ((الكاسب حبيب الله))، واعتباره ((كالمجاهد في سبيل الله))، وقد ورد في السيرة النبوية الشريفة، أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان جالساً بين أصحابه، ومراً شاب قويّ البنية، مقتول العضلات، وهو يحمل فأساً، فقال الأصحاب - حسب الرواية - لو أنّ هذا الشاب

صرف هذه الطاقة في سبيل الله، أما كان ذلك أنفع له؟! فأجابهم النبي ﷺ، بأنّ هذا الشاب إن كان قد خرج لأبوين عنده يعولهما، فقد خرج في سبيل الله، وإن كان قد خرج ليعود بالمال على نفسه وعياله، فقد خرج في سبيل الله، وإن كان هذا الشاب قد خرج ليكفّ ماء وجهه عن الناس، فقد خرج في سبيل الله، وإن كان قد خرج ليستعلي بالمال على الناس، فقد خرج في سبيل الشيطان.

وهكذا نلاحظ أنّ الإسلام لا يريد للإنسان أن يبتعد عن طلب الرزق ليكون كلاً على الناس، فانه يبغض العبد البطال الذي يحاول أن يلقي ثقله وكله على الناس، فقد أراد الله للناس أن ينشطوا في الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣)، وفي سورة (الجمعة): ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤)، أي لا تقضوا في المسجد طوال وقتكم في الصلاة، بل إن للصلاة وقتاً محدداً، فإذا قضيت، انتقلتم إلى ميدان آخر للعبادة، وهو طلب الرزق من حله، لتسدوا به احتياجاتكم، وتطوروا به أوضاعكم والحياة.

حماية الحياة:

أما الفقرة الثانية من الآية التي نريد الحديث حولها، فهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فكما لا يحل لمؤمن أن يقتل أحداً إلا بحق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٥)، كذلك لا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه متعمداً بطريقة الانتحار، تحت تأثير أي حالة نفسية أو اجتماعية أو عائلية، لأن الإنسان ليس مسلطاً على نفسه، فلا يجوز له أن ينهي حياته بنفسه، ولا يحلّ له أن يعطي الرخصة لغيره في إنهاء حياته، حتى في ما

(٣) الملك: ١٥.

(٤) الجمعة: ١٠.

(٥) الإسراء: ٣٣.

يسمى بالموت الرحيم أو القتل الرحيم الذي شرّعه بعض الدول الغربية في تشريعاتها المدنية، والتي أجازت فيها لبعض الأطباء قتل المريض إذا طلب منه ذلك، وذلك عندما يصل به المرض إلى مستوى الآلام التي لا تطاق. فالإسلام لا يبيح للطبيب القيام بذلك. وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((من قتل نفسه متعمداً، فهو في نار جهنم خالداً فيها))^(١). وقد جاء التعبير بقوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»، لتشمل القتل العدوانى للنفس وللناس، باعتبار أخذ مجموع المؤمنين كنفس واحدة؛ لأنه إذا قتل نفسه أو غيره، فقد قتل المجتمع، تماماً كما هي أموال المجتمع التي افترض أن التعدي عليها يعتبر تعدياً على المجتمع قبل أن يكون تعدياً على مال الأفراد.

وقد أكد الله هذا التشريع منطلقاً من رحمته «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»، باعتبار أن من مظاهر رحمته، أن لا يمنح المؤمن الرخصة في قتل نفسه أو غيره تحت تأثير أية حالة ذاتية أو عصبية؛ لأن الله يحب للإنسان الإبقاء على حياته ليحقق بها إنسانيته المنفتحة على حاجاته ورغباته وأهدافه ومسؤولياته. فالحياة هي نعمة الله العظمى التي يريد سبحانه تحريكها فيما يحبه ويرضاه في قضايا المصير في الدنيا والآخرة.

وقد توحى لنا كلمة الرحمة في تشريع هذه الحماية للحياة، أن الله أراد للرحمة أن تتحول إلى نظام عمليّ شاملٍ لحياة الإنسان في كل ما يصلحها وبيتعد بها عن الفساد، لا أن تكون مجرد عاطفة وإشفاق، إذ إن بعض الناس يفهم من أن فلاناً عنده رحمة، يعني الحالة العاطفية التي ينبض بها القلب! ولكن الرحمة في الإسلام وفي التشريع، تمثل نظاماً عملياً في الحياة، لذا قال الله سبحانه وتعالى عن النبي صلى الله عليه وآله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٢). هو ليس رحمة في ذاته بالمعنى

(١) الكافي. ج ٦. ص ٥٢. ح ١.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

الذي أشرنا إليه، وإن كانت ذاته ذات رحمة، ولكنه رحمة في رسالته، ورحمة في شرعه، ورحمة في أخلاقه، ورحمة في منهجه في كل مجالات الحياة، لا مجرد عاطفة وإشفاق.

وهكذا تمثلت الرحمة في التقنين للحياة، في ظل نظام قائم على أساس احترام الأموال والنفوس، فلا يخاف الإنسان في المجتمع أن يؤخذ ماله، أو أن يعتدى على حياته بغير حق، بل يعيش الإنسان في المجتمعات الإسلامية الأمن والطمأنينة في ذلك كله.

ومن خلال ذلك، يمكن لنا استيعاء أن العواطف والمشاعر، لا ينبغي أن تكون إحساساً مجرداً، بل أن تكون الجوانب العملية هي ما تستهدفها الأفكار والمشاعر والعواطف، وبذلك نستطيع الوصول إلى خطوات متقدمة في الحياة في جميع الميادين.

وجاءت الآية الثانية، وهي قوله تعالى: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا» لتثير أمام الإنسان التحذير بالعقوبة الأخروية إذا تجاوز حدود الله في ذلك، فإذا اعتدى على أموال الناس وحرماهم ونفوسهم، أو قتل نفسه، فإن جميع ذلك ظلم وعدوان عند الله، وليس له إلا النار التي يصلها جزاءً على ذلك، «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^(٨).

وهكذا ينطلق الأسلوب القرآني في ربط الإنسان بالالتزام بالحكم الشرعي، على أساس الترغيب بما ينتظره من رحمة الله في الدنيا، والترهيب بما يتخلص به من عذاب الله في الآخرة.

مشروعية العمليات الاستشهادية:

وقد يتساءل بعض الناس عما يُعرف بالعمليات الاستشهادية، والتي

تتمثل فيما يسميه الآخرون من غير المؤمنين بالعمليات الانتحارية. وهذا ما قام به المجاهدون في إيران في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية، حيث كان بعض الجنود ينطلقون ويفجرون أنفسهم بالألغام، وهذا ما قام به المجاهدون في جنوب لبنان، حيث كانوا يفجرون أنفسهم في جيش الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يقوم به المجاهدون - ولا يزالون - في فلسطين. فهل هذه العمليات عمليات مشروعة، أو أنها ليست مشروعة، لأنها تدخل في باب قتل الإنسان نفسه متعمداً؟ وقد أثار الكثيرون في الغرب والشرق هذه المسألة ضد عمليات الانتفاضة في تفجير أنفسهم باليهود، ولا سيما إذا ترتب على ذلك قتل نساء وأطفال وما إلى ذلك.

وقد أجبنا عن ذلك بأننا ضد كل العمليات الانتحارية التي تتحرك بدوافع فردية، أو تتحرك من خلال طرق أو خطوط لا يبيحها الشرع، كما نلاحظه في العمليات التي حدثت في أمريكا في ١١ أيلول، أو تلك التي حدثت في بريطانيا، أو في إسبانيا في مدريد، أو في المغرب أو في السعودية، أو غيرها، والتي يندفع فيها أشخاص من أجل أن يفجروا أنفسهم في موقع لا يمثل موقعاً عسكرياً، أو لا يمثل جزءاً من خطة عسكرية، بل ينطلق من ذهنية معينة تصوّر لأصحابها أنّ هذا نوع من الجهاد. إننا نرفض مثل هذه العمليات، بالرغم من أننا نعارض معارضة شديدة السياستين الأمريكية والبريطانية، وكثيراً من سياسات الدول الكبرى في عالمنا العربي والإسلامي.

ولذلك، من الصعب جداً أن نعتبر ذلك جهاداً. ومن الطبيعي جداً أن نشير إلى ذلك، ونحن نعيش الكارثة الإنسانية في العراق، حيث يفجر بعض الناس أنفسهم في المصلين في المساجد، والمدنيين في الأسواق والشوارع وفي السيارات وما إلى ذلك، مما لا علاقة له بالمقاومة، ولا بأي عمل جهادي، ولكنها العصبية العمياء التي تكفر المسلمين، ولا سيما من أتباع أهل البيت عليهم السلام، وتستحلّ دماءهم.

وعلى أي حال، فإن هذه الأعمال لا توافق القواعد الشرعية، ولذا عبرنا عنها بأنها ليست عمليات استشهادية، بل هي عمليات انتحارية.

أما ما يفعله المجاهدون في فلسطين، أو ما كانوا يفعلونه فيما سبق في لبنان أو في إيران، فإنهم يحركون هذا الأسلوب في دائرة الحرب بين العدو الإسرائيلي وبين المسلمين، ولذلك، فإن المسألة هي أن العدو يستخدم كل الأسلحة المتطورة المتقدمة التي لا تستعمل إلا في الحروب الكبرى، فيقتل الأطفال والنساء والشيوخ، ويهدم البيوت، ويحرق المزارع وما إلى ذلك، وليس لدى الفلسطينيين في مقاومة هذا العدوان، إلا أن يحول واحد منهم نفسه إلى قنبلة متفجرة، وإن سقط من خلال هذه العملية بعض الضحايا من الأبرياء، فإن كل حرب مشروعة لا تخلو من ضحايا أبرياء، مع أننا نقول، إن علينا أن لا نقتل أطفال اليهود أو نساءهم الذين لا علاقة لهم بالاحتلال لأنهم يقتلون نساءنا وأطفالنا، فليست المسألة كذلك؛ لأنه «لا تَزُرُ وَاَزْرَةَ وَزَرَ أُخْرَى»^(١)، ولكن طبيعة حركة الحرب وخطة الحرب هي أن يسقط فيها أبرياء.

ولذلك، نعتبر أن ما يقوم به المجاهدون في حالة الحرب بينهم وبين اليهود، أو بينهم وبين المعتدين، هي حالة جهادية، إذ لا فرق بين أن ينطلق إنسان في الحرب ليقاتل، وهو يعرف أنه سوف يستشهد، وبين أن ينطلق ليستشهد هو في تفجير نفسه في أكبر عدد ممكن من اليهود، وهذا لا يدخل تحت عنوان قتل النفس؛ لأن الله أجاز للإنسان أن يقتل نفسه وهو يجاهد في سبيل الله، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ»^(٢)، وهذا يعني أن للإنسان أن يقتل وأن يقتل، ما دام في خط الجهاد في سبيل الله. هذا ما أحببنا أن نثيره على هامش الآية؛ لأن الكثيرين من الناس قد يتوقفون عند ذلك.

(٩) الأنعام: ١٦٤.

(١٠) التوبة: ١١١.

وفي نهاية المطاف، هناك ملاحظة تتعلق بهذا الجمع بين النهي عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتل النفس المحترمة، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١١)، فقد جمع بين هذين الخطيئتين - وهما عدم أكل المال بالباطل، وعدم قتل الإنسان لنفسه -؛ لأن المجتمع قائم على الأمن الاجتماعي الإنساني الذي يتقوم باحترام الحياة في علاقة الناس بعضهم ببعض، وعلى الأمن الاقتصادي في احترام أموال بعضهم بعضاً، وعدم التحرك فيها بأي تصرف تملكي أو شخصي، إلا بالطرق المشروعة التي تمثل خط التوازن في سلامة الاقتصاد العام والخاص، فإذا اختل أحدهما، اختل نظام المجتمع، ما يؤدي إلى الفساد والانحيار والدمار، أما إذا سلم الواقع الاجتماعي والاقتصادي من هذا الخلل، فإنه يعيش التوازن والثبات.

وقد تحدّث الفقهاء كثيراً عن الاحتياط في النفوس والأموال والأعراض على مستوى القاعدة؛ فإذا كانت القاعدة العامة أصل البراءة في كل شبهة تحريرية - كما يقول الأصوليون - وذلك أنه إذا شك في شيء أنه حلال أو حرام، فإن الأصل الإباحة، أو براءة الذمة من الاحتياط للحرمة، ولكن عندما تتعلق القضية بالأموال والأنفس والأعراض، فالأصل الاحتياط، وذلك لأهمية الحفاظ على الأموال والأنفس والأعراض، ما يوحي بأن الأصل في هذه الأمور التوقف في الشبهة حتى تثبت الإباحة، وإن ناقش بعض الفقهاء في بعض جزئيات ذلك كالأموال، ولكن لم يناقش أحد في مسألة الدماء.

والحمد لله رب العالمين.



باب المسائل

الفصل الأول

المسائل القرآنية

آية المباهلة:

□ كيف يمكن أن نعتبر أن المقصود في آية المباهلة من الأبناء: الحسن والحسين ﷺ، مع أن كلمة (أبناء) جمع ولا تطلق على الاثنين، وكذلك (وَنِسَاءَنَا) جمع، فكيف تطلق على فاطمة ﷺ وحدها، وإذا كان المقصود من (وَأَنْفُسَنَا) الإمام علي ﷺ وحده، فلماذا جاء التعبير في صيغة الجمع؟

○ عندما خاطب رسول الله ﷺ نصارى نجران، ودعاهم إلى المباهلة، قال لهم: تَأْتُونَ بِأَبْنَائِكُمْ وَنَأْتِي بِأَبْنَانَا، وَتَأْتُونَ بِنِسَائِكُمْ وَنَأْتِي بِنِسَانَا، وَتَأْتُونَ بِأَنْفُسِكُمْ وَنَأْتِي بِأَنْفُسِنَا، لكن ليس المراد أن اجلبوا كل أبنائكم، أو كل نساءكم، بل اتوا بمن تحبون من أبنائكم ومن نساءكم، ممن لا تريدون لهم غضب الله سبحانه وتعالى، ولا تريدون لهم اللعنة، من جهة محبتكم لهم. ونحن نقول إن رسول الله ﷺ جاء بعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، حتى يظهر لهم أنه علي حق، وأن ثقته بالله تعالى هي التي جعلته يأتي بأحب الناس إليه.

فمسألة المباهلة ليست في استخدام كلمة "أبنائنا" و"نساءنا" و"أنفسنا" في المفرد وهي موضوعة للجمع، بل المراد منها هو أن تأتوا بمن تحبون من الأبناء والنساء والأنفس، لأن هذا هو مظهر الصدق. وعظمة أهل البيت ﷺ، أن رسول الله ﷺ جاء بهم في مقام المباهلة، التي تمثل الخطر، حتى يقول لنصارى نجران، إني لو لم أكن صادقاً، لما جئتكم بأحب الناس إليّ، والذين لا أرضى أن يبعدهم الله تعالى عنه ويصيبهم اللعن، وهم يمثلون تجسيدا لهذه العناوين في الواقع، وليس الأمر من قبيل استعمال الجمع وإرادة المفرد. وبتعبير آخر: المراد العنوان الذي كان مصداقه في الخارج فرداً.

الاتقاء والحذر:

□ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٢)، فما هو تفسير الاتقاء والتحذير؟

○ طلب التقوى من أولي الألباب، لأن العقل يقود الإنسان إلى التقوى، أما الحذر، فمعناه أن لا تتجروا على معصية الله سبحانه وتعالى، من جهة رجائكم بالله أن يغفر كل شيء؛ لأنه سبحانه وتعالى كما هو غفور رحيم، هو أيضاً شديد العقاب. أي راقبوا الله في كل أموركم، فلا تتجروا على معصيته، بل عليكم أن تحذروه، لأنه سبحانه سيحاسب الإنسان على ما قام به من عمل.

الجمع للتعظيم:

□ الله سبحانه وتعالى عظيم، وليس كمثله شيء في العظمة، فما هو السر في استخدام ضمير الجمع له تعالى؟

○ في اللغة العربية، يمكن استخدام الجمع في مقام التعظيم للمفرد، مثلاً «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»^(٣)، كذلك كلمة (نحن) تستخدم في مقام التعبير عن أن هذا المفرد شخص عظيم، وهذا من أساليب البلاغة في اللغة العربية.

توسع الكون:

□ يتحدث القرآن الكريم عن خلق السموات والأرض، ثم يخبرنا في آية كريمة، أن الكون في توسع، ما يعني أن الخلق لم يكتمل، فما هو رأي سماحتكم في ذلك؟

○ توسع الكون هو من قوانين الخلق، فما معنى الخلق؟ معناه أن الله خلق الكون، وخلق قوانين الكون معه، ومن قوانين الكون، مسألة التوسع.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) الحجر: ٩.

التنوع البشري:

□ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٤)، لماذا لم يشأ ذلك؟

○ إنَّ هذا التنوع الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في الكون، هو ما تقتضيه طبيعة هذا الكون، وهذا التنوع العلمي والروحي والحركي والطاقة عند الناس، يجعلهم يُغنون الحياة ويعطون أكثر ممَّا لو كانوا على شاكلة واحدة. هذا أولاً، وثانياً، إنَّ الله هو الحكيم، وحكمته لا تقف عند حدٍّ، ولذلك، فالله سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٥)، فلو أنَّ الله جعل الناس أمة واحدة، لصاروا ائكاليين على بعضهم البعض، ولتعطلت شؤونهم وتوقفت حياتهم وسارت على وتيرة واحدة من دون أيِّ جهد أو إبداع، أمَّا في التنوع، فإنَّ لدى كلِّ واحد طاقة تختلف عن طاقة الآخر، فتتميها وتغذيها وتنتج شيئاً جديداً، لذلك فإنَّ النتائج الإيجابية من خلال هذا التنوع أكثر من النتائج السلبية.

الشك من دون حجة:

□ يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٦). ما هو الشك هنا؟

○ هذا فيما يتعلق بالقصص الحق الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، ومن الطبيعي أنَّ رسول الله ﷺ لا يمكن أن يشكَّ فيما أنزله الله عليه، لأنَّه ﷺ يعرف أنَّه وحي منه سبحانه ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٧)، ولكنَّ القرآن الكريم يتبع

(٤) هود: ١١٨.

(٥) الأنبياء: ٢٣.

(٦) يونس: ٩٤.

(٧) الزمر: ٣٣.

الأسلوب الموضوعي، فكان الآية تقول: إِنَّ كُنْتَ أَتِيهَا الْمُسْلِمَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، فاسأل أهل الكتاب من اليهود عن صحة ما أنزله سبحانه، لأنَّ التوراة بين أيديهم، وفيها وحي الله وحكمه «فاسأل الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ»، اسألهم لتقيم الحجة عليهم، وقل لهؤلاء الذين يثيرون الشك بين المسلمين ليسقطوا إيمانهم بالإسلام، وليثيروا الشك في القصص الحق، قل لهم أن يأتوا بالتوراة التي أنزلها الله على موسى، ففيها الصدق كل الصدق، وفيها الدليل القاطع على ما جاء به رسول الله ﷺ.

شمولية الإحسان:

□ هل يشمل الإحسان المسلم وغير المسلم؟
○ لا فرق في ذلك، فالإحسان يكون لكل الناس، والله تعالى يقول: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»^(٨)، ويقول سبحانه: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»^(٩).

دعوة الناس إلى الإيمان

□ يقول تبارك وتعالى: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ»^(١٠)، إلام ترمي هذه الآية المباركة؟

○ يريد الله سبحانه في هذه الآية، أن يبين للنبي ﷺ، وهو يدعو الناس إلى الإيمان، وأن يبين لكل داعية في خط النبي ﷺ، عندما ينطلق في الدعوة إلى الله، أ، لا يتعقد عندما يرى الأكثرية ممن يدعوهم إلى الإسلام لا تستجيب لدعوته ولا تؤمن بدينه، لأنَّ المسألة ليست تقصيراً منه، فهم لن يستجيبوا حتى ولو بذل كلَّ جهده، وكان في أقصى درجات الحرص على أن يوقر كلَّ فرصة للهداية من أجل أن يفتح كلَّ قلوب الناس على الله والحق.

(٨) الرحمن: ٦٠.

(٩) المائدة: ٨٠.

(١٠) يوسف: ١٠٣.

فالقيل من الناس هم الذين يتمردون على كل الضغوط التي تحاصرهم عندما يواجهون التيار، لأن التيار الطبيعي في الحياة الحسية، هو أن الناس يستسلمون لأطماعهم وشهواتهم ولذاتهم وحاجاتهم الحسية، وهذا يمثل حالة غريزية في الإنسان الذي يستغرق في عالم الحس. والتمرد على هذا الواقع الذي ينطلق من الجوانب الحسية، يحتاج إلى رؤية واضحة في العقل، وإرادة قوية في الكيان، وإلى انفتاح واع على نهايات الأمور، عندما تكون البدايات مشجعة.

ما معنى استنقم كما أمرت؟

□ يقول سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: (فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ)^(١١)، كيف يستوحي الدعاة هذه الآية؟

○ إنه نداء لكل داعية إلى الله، بأنه إذا حاولت الأوضاع والظروف أن تحرفه ذات اليمين وذات الشمال، فإن عليه أن يبقى مستقيماً في كلماته وأفعاله وعلاقاته ومواقفه، ثابتاً على النهج الذي حدده الله سبحانه وتعالى، بحيث تكون البداية من الله، والنهاية مع الله، والسير فيما بين البداية والنهاية في خط الله، وهو خط شريعته التي أنزلها على رسوله «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(١٢).

التفكير والتدبر في القرآن:

□ في القرآن تركيز دائم على النظر والتفكير في الكون، فما دلالة هذا الحث والتركيز على هذا الأمر؟

○ فتح الله تعالى كتاب الكون، وطلب من الإنسان أن ينظر إلى كل ما فيه من إنسان وحيوان وجماد ومجرات وسماوات وأرضين وأنهار وبحار وسهول،

(١١) هود: ١١٢.

(١٢) الجاثية: ١٨.

ليقرأ في كُلِّ ذلك أسرار خلق الله وعظمته وقدرته وبديع صنعه، فإذا ما أدرك أسرار هذا الكون، عرف عظمة مَنْ خلق الكون ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٣)، انظروا نظرة الإنسان الواعي الذي لا ينظر إلى الأشياء بجمالها الظاهري، بل ينظر نظرة تعقل وتدبر وتفكر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(١٤)، لم تخلقه من دون أساس وسنن كونية ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٥). فهذه هي الآيات الكونية التي تدلُّ على وجود الله، وهذه هي إنذارات الأنبياء في مسألة المصير في الآخرة، ولكنَّ مشكلة هؤلاء الذين لا يؤمنون، أنَّهم أغلقوا عيونهم عن الإبصار، وأغلقوا آذانهم عن الاستماع ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(١٦)، ختم الله على قلوبهم عندما أقفلوها على الجهل والأهواء والشهوات، فقرروا عدم الإيمان، وكيف لمن يقرر ذلك، أن تُوجَّهه وفتحه عقله على الحق؟

ونستوحي من هذه الآية، أنَّ على الإنسان أن يُبقي عقله مفتوحاً على المعرفة، فكره مفتوحاً على الحوار، وأن تبقى إرادته جاهزة لياخذ ما يقتنع به، وأن يكون ذلك جزءاً أساسياً من حياته.

النفس المطمئنة:

□ ما المقصود بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(١٧)؟

○ هي النفس المؤمنة التي تعيش الاطمئنان من خلال إيمانها ومن خلال عملها، فهي على ثقة من سيرها في الخط المستقيم، وهي أيضاً على ثقة برضى الله

(١٣) يونس: ١٠١.

(١٤) آل عمران: ١٩١.

(١٥) يونس: ١٠١.

(١٦) البقرة: ٧.

(١٧) الفجر: ٢٧.

سبحانه وتعالى، ولذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾^(١٨)، أن تكون راضية بالله سبحانه وتعالى، مرضية عنده، وهذه هي النفس المطمئنة.

الخلق النبوي:

□ جاء في سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(١٩). ماذا حرم النبي ﷺ؟

○ جاء في بعض التفاسير، أن المقصود به هو شرب العسل، حيث من المعروف عن أخلاقيات النبي ﷺ، أنه كان يمنع نفسه من بعض ما يحبه من الأكل والشرب إذا شعر بأن زوجاته لا يرغبن فيما يحبه... ولذا، فإن الله تعالى طلب منه في هذه الآية أن لا يمنع نفسه من ذلك، سواء كان عسلاً أو عطراً أو ما إلى لك.

معنى النسيان:

□ يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢٠). ما المقصود بأنسأهم أنفسهم؟

○ أنسأهم أنفسهم، بمعنى غفلوا عن السير في الخط الذي تسلم به أنفسهم في مصيرها عند الله سبحانه وتعالى، أو في الخطوط التي تضمن لهم السعادة في الدنيا بما أمرهم به الله أو نهاهم عنه، وليس المقصود أنهم نسوا أنفسهم بالمعنى الذاتي أو العلمي، بل هو كناية عن أنهم أهملوا الله ولم يفتحوا عليه، فالإنسان إذا نسي ربه نسي نفسه في ما يرفع درجته عند الله، وفي ما يجعله في موقع رضاه سبحانه وتعالى.

(١٨) الفجر ٢٧-٣٠.

(١٩) التحريم: ١.

(٢٠) الحشر: ١٩.

تعليم آدم الأسماء:

□ ما المقصود بقوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»^(٢١)؟

○ إنَّ الله تعالى علَّم آدم الأسماء كُلَّها، أي المسمَّيات، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، وهذه المسمَّيات هي ثقافة الأرض، وذلك حتى يقوم آدم بمسؤوليته في خلافته لهذه الأرض في تلك المرحلة من خلال معرفته بها، وليست المسألة أنَّه حمَّلَه الأسماء كُلَّها بحسب ما يأتي في المستقبل من أمور وأحداث وما إلى ذلك، لأنَّ هذه الأمور لم تكن مسؤوليَّة آدم، وإنَّما هي مسؤوليَّة من جاء بعده من الأنبياء.

الحياة الدنيا:

□ يقول تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ثَوَفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ»^(٢٢). نحن نطلب الآخرة، ولكن لا يكون ذلك إلا عبر الدنيا، فما الدنيا المقصودة في هذه الآية؟

○ ما ترمي إليه هذه الآية، أنَّه مَنْ أراد الحياة الدنيا للدنيا، فليس له إلا الدنيا، ويعطيه الله ما يشاء منها، ولكنه عندما يصل إلى الآخرة، يصل صِفر اليمين، لأنَّه لم يلحظ هدف الآخرة في حياته «فَأَمَّا مَنْ طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى»، فقد طغى وتجاوز الحدَّ، فعُلب هدف الدنيا على هدف الآخرة، وفي مقابل هذا «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ»، عرف ربَّه وعرف موقع عظمتَه، وسار في الخط المستقيم الذي رسمه له، وأدرك مسؤوليَّته تجاهه «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى»^(٢٣)، لأنَّه يوظف أفكاره ومشاعره وأحاسيسه لتحقيق هدفه في ما يُرضي ربَّه، فينال بذلك ما أراد.

إذا، «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا»، حيث كان كلُّهم أن

(٢١) البقرة: ٣١.

(٢٢) هود: ١٥.

(٢٣) النازعات: ٣٧-٤١.

يحصل في الحياة على ما يرفع شأنه، ليعظم أمره، ويكثر ماله، ويحقق مطامعه، ويشبع نهمه وغرائزه، بحيث يستولي كل ذلك عليه في الليل والنهار، كما حال الكثيرين، «نوفاً إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار»^(٢٤)، لأنهم استغرقوا في الحياة الدنيا وفي زينتها، فنسوا الله والدار الآخرة.

الليالي العشر:

□ ما المقصود بالليالي العشر الوارد ذكرها في سورة الفجر؟

○ الظاهر أنَّ المقصود بها، كما ورد في بعض التفاسير، ليالي عشر ذي الحجة، من أول ذي الحجة إلى اليوم العاشر منه، وهو يوم العيد.

الكذب عند المخلوقات:

□ ما تفسير الآية الكريمة في حديث النبي سليمان ﷺ للطير عندما قال: «قَالَ سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»^(٢٥). هل المخلوقات غير الإنسانية تكذب؟

○ المقصود هو تعرّف الحقيقة في الخبر في ما يتصل بالواقع.

معنى استغفار النبي ﷺ:

□ قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا»^(٢٦). ما معنى استغفار النبي ﷺ لهم؟

○ هذه واردة في القوم الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية، فاستغفروا الله أولاً، وهذا أمرٌ أساسي، ثم استغفر الرسول ﷺ لهم، بعد أن رأى أنَّ استغفارهم استغفارٌ

(٢٤) هود: ١٥-١٦.

(٢٥) النمل: ٢٧.

(٢٦) النساء: ٦٤.

حقيقي، فأكد مسألة استغفارهم، بأن طلب من الله تعالى أن يغفر لهم من باب الشفاعة.

الله نور السموات والأرض:

□ يقول تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ»^(٢٧). ما تفسير هذه الآية؟

○ يريد الله تعالى في هذه الآية أن يقرب فكرة نوره إلينا من قبيل وسائل الإيضاح «مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ»، هذه المشكاة التي يُوضع فيها المصباح «المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ»، فالزجاجة بلمعائها توسع النور الذي ينطلق من المصباح «الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» في إشراقته «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ» باعتبار أن الزيتون يعطي الزيت، الذي هو المادة للمصباح في إشراقه «لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» أي تبقى مشرقة من جميع الجهات «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»^(٢٨)، أي تبقى في لمعان الزيت وإشراقه، بحيث لا تحتاج إلى أي عنصر آخر مساعد.

الروح والنفس في القرآن:

□ ما هو الفرق في الخطاب القرآني بين الروح والنفس؟

○ الظاهر من استعمالات القرآن، أن المراد من النفس هي الذات الإنسانية، ولذا يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^(٢٩) أو «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ»^(٣٠) أو «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»^(٣١) أو «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»^(٣٢). أما الروح، فهي

(٢٧) النور: ٣٥.

(٢٨) النور: ٣٥.

(٢٩) المدثر: ٣٨.

(٣٠) الفجر: ٢٧.

(٣١) القيامة: ٢.

(٣٢) آل عمران: ١٨٥.

عبارة عن الطاقة التي تعطي للإنسان حياته، أما ما هي حقيقة الروح، فالآية الكريمة تقول: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣٣)، وهي تدلُّ على أنها بحسب جوهرها غير معلومة، وهي مما أخفى الله أمره على الإنسان، ومعرفة الإنسان تقتصر على مظهر الروح، ولا يعرف جوهرها وحقيقتها بكل تفاصيلها، وإن كان بعضهم يقول إن الروح هي خلق عظيم وما إلى ذلك، لكن المتبادر في قضية الفرق بين الروح والنفس، أن الروح هي التي تعطي النفس - وهي الذات الإنسانية - الحياة، والله العالم.

الوحي في حياة النبي ﷺ:

□ ما هو حكم هاتين الآيتين: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣٤)؟ وهل المراد من هذه الآية أن رسول الله كان ينطق دائماً بالوحي؟

○ الظاهر منها، أن هذا الكلام جاء في مقابل من يقول إن القرآن هو كلام رسول الله، مقابل الذين يطلبون منه أن يأتي بمثل هذا القرآن وأن يفترى على الله غيره. وربما لا يكون المراد من الوحي معناه المصطلح الذي يتمثل في الآيات القرآنية، بل ما يوحى الله إليه وما يلهمه إياه، بمعنى أن النبي ﷺ مسدّد من قبل الله، فلا يتحرك كبشر يعبر عما في هوى نفسه؛ لأن هواه من الله، ولأن كل إلهامه وكل تفكيره هو من إلهام الله له، والله العالم.

البراءة من الظالمين:

□ هل يصح كعنوان للمرحلة الحالية التي تعيشها المنطقة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٣٥)؟

(٣٣) الإسراء: ٨٥.

(٣٤) النجم: ٣-٤.

(٣٥) هود: ١١٣.

○ المقصود من الظلم مطلق الظلم، سواء ظلم النفس بالكفر أو الشرك، أو ظلم النفس بالمعصية، أو ظلم الناس، فذلك ينطبق على كل الواقع. والمقصود: لا تركنوا إلى المستكبرين أو الكافرين الذين ظلموا أنفسهم، ولا تركنوا إلى المعتدين على الناس وإلى الظالمين وما إلى ذلك، بالتحالف والمساعدة والمساندة والمودة.

القصة القرآنية:

□ في واقعة النبي موسى وهارون، وذلك عندما طلب موسى من هارون أن يخلفه في القوم حتى يرجع، فإنه لما رجع أخذ بلحية هارون وشعر رأسه، فما هو ذنب هارون حتى يأخذ بلحيته وشعر رأسه، ونحن لا نرى أن هارون قد أخطأ في الخلافة؟

○ هارون لم يخطئ في الخلافة، وإنما قام بما أمره به موسى بحسب ما هو متوفر لديه من الوسائل والإمكانات، وربما كانت مسألة غضب موسى عليه، أو أخذه برأسه أو بلحيته من ناحية الجو العام، يعني أراد التأثير على الآخرين بتحميل أخيه المسؤولية في ذلك. ولذلك نجد أن هارون قال له إن المسألة أن هذا السامري قام بما قام به، وربما كان التدخل في الجو العام يخلق فتنة تحرق الأخضر واليابس، كما نقول. ولهذا عندما استمع موسى إلى أخيه هارون، واستمع القوم إليه في ذلك، رفع أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وأراد منه أن ينال رضاه برحمته له ولأخيه، ولكن لا على أساس الخطيئة، بل على أساس الرعاية والحماية والمحبة والإخلاص، والله العالم.

مقاتلة الكفار:

□ ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٣٦)، يتبين أن هذه الآية تعطي الحق للمسلمين أن يقتلوا الكفار أينما وجدوهم، فما رأيكم في ذلك؟

○ هذه الآيات لم تنطلق بشكل مطلق، يعني اقتتلوا الكفار حيث وجدتموهم، بل هي واردة بالنسبة إلى المشركين الذين أعلنوا الحرب على الإسلام، وعطلوا خطة رسول الله ﷺ في الدعوة وما إلى ذلك، فالقرآن لم يتكلم عن قتال الكفار جميعاً، ولذا نقرأ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣٧)، فالله سبحانه يقول هنا للمسلمين، إن عليكم أن تحسنوا إلى الكفار المسالمين لكم، والذين لم يقاتلوكم في دينكم ولم يخرجوكم، وأن تتعاملوا معهم بالعدل ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ﴾^(٣٨). ولذلك، فإن القرآن يرى أن علينا أن نحترم غير المسلمين من المسالمين في العالم، وأن الذين ينهانا عنهم، هم الذين يقاتلون المسلمين وينصرون الآخرين عليهم، ويخرجونهم من ديارهم.

القرآن في حياتنا:

□ إذا كانت الآيات القرآنية تجري مجرى الليل والنهار، فماذا عن الآيات المنسوخة؟

○ طبعاً الآيات المقصودة هي المحكمات، وهناك جدل حول وجود آيات منسوخة في القرآن، ولذلك فإننا عندما نقرأ بحث السيد الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن)، نجد أنه يتحفظ في مسألة أن هناك في القرآن نسخاً، وإذا كان هناك نسخ في القرآن، فإنه يجري بما أكده الله سبحانه وتعالى.

وجه الله تعالى:

□ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣٩). ما المراد من الوجه؟

(٣٧) الممتحنة: ٨.

(٣٨) الممتحنة: ٩.

(٣٩) الرحمن: ٢٦-٢٧.

○ الوجه هو الذات، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤٠) يعني ذاته، وليس معناه أن الله عنده وجه فيهلك وجهه ويبقى جسده مثلاً!! كذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٤١) أي: فثَمَّ الله، باعتبار أن الوجه يعبر عن الذات، ولذا استعيرت كلمة الوجه للذات.

جمع القرآن:

□ متى تم جمع القرآن في كتاب؟

○ جمع القرآن، حسب كثير من الدراسات، في زمن النبي ﷺ، وبإشرافه ﷺ، فقد كان، كما يروي الرواة، يرتب القرآن بإشرافه، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها آل عمران، أو في السورة الأخرى وما إلى ذلك، ولكن المشهور أن جمع القرآن في كتاب واحد كان في زمن عثمان، عندما انتشر القرآن بين المسلمين، وكانت لهجاتهم مختلفة، ما قد يترك تأثيراً سلبياً على وحدة اللهجة في القراءة. لذلك جمع القرآن في كتاب واحد على أساس اللهجة القرشية، ولم يعترض الإمام علي عليه السلام على ذلك، ونحن نعرف أن الأئمة من أهل البيت ﷺ أقرروا ذلك، وأرجعوا المسلمين إلى هذا القرآن الذي بين أيديهم، ليأخذوا منه الأسس الإسلامية في العقيدة والشريعة، وقالوا لكل الرواة إن عليكم أن ترجعوا إلى هذا القرآن لتعرضوا عليه ما روي عننا، فإذا كان موافقاً للقرآن فخذوا به، وإذا كان مخالفاً للقرآن فليضربوا به عرض الجدار.

وسائل التوبة:

□ قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾^(٤٢). ما

معنى هذه الآية؟

(٤٠) القصص: ٨٨.

(٤١) البقرة: ١١٥.

(٤٢) البقرة: ٥٤.

○ هناك رواية تقول إنهم كلّفوا بأن يقتل كل واحد منهم نفسه كوسيلة من وسائل التوبة، ويذكر بعضهم أن المراد من القتل القتل المعنوي وليس القتل الجسدي، والله أعلم.

تعذيب المنافقين:

□ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤٣)، ما هو تفسيرها في مقابل الفكرة التي تقول إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار؟

○ هناك دائرتان للعذاب: دائرة الاستحقاق، ودائرة التنفيذ، فالمنافقون يستحقون أن يكونوا في الدرك الأسفل من النار، ولكن في دائرة التنفيذ، يمكن أن يأتيهم العفو من الله إذا تابوا، باعتبار أن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤٤)، إذا لم يتحول النفاق إلى حالة شرك.

العذاب الواقع:

□ ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٤٥)؟

○ الظاهر أن المراد منه ما جاء في سؤال عما ينتظر الكافرين في يوم القيامة من العذاب.

أخلاق السوء:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(٤٣) الأحزاب: ٢٤.

(٤٤) النساء: ٤٨.

(٤٥) المعارج: ١.

الظَّالِمُونَ^(١٦)». السؤال المطروح هو: هل يصدق على التنايز بالألقاب عنوان السخرية؟

○ إن قضية التنايز بالألقاب هي أن يخاطب الإنسان الإنسان الآخر – ولاسيما إذا كان مؤمناً – باللقب الذي يسيء إليه، كما أن الله حرّم على المؤمن أن يسخر من المؤمن الآخر نتيجة لوجود بعض الجوانب السلبية في سلوكه أو في أوضاعه، وكذلك حرّم الله على المؤمنة السخرية من المؤمنة الأخرى لبعض نقاط الضعف عندها، وحرّم أن يعيب الإنسان أخاه أو يناديه باللقب الذي يسيء إليه.

خلافة الإنسان:

□ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ^(١٧)﴾. كيف علم الملائكة بذلك؟

○ هناك تفسيران؛ أحدهما يقول: إنه كان هناك خلق في الكون قبل خلق آدم، ليسوا من أبناء آدم، ولكنهم خلق مما خلقه الله وعاشوا في الأرض طويلاً وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فالملائكة عندما خاطبوا ربهم بذلك، كانوا يشيرون إلى تلك التجربة، وخشوا أن تتكرّر حالة الفساد وسفك الدماء مع التجربة الجديدة. وهناك تفسير آخر نستقر به، وهو أن القرآن يختصر الحوار؛ فعندما قال الله إني جاعل في الأرض خليفة، سأله الملائكة ماذا يفعلون؟ كيف يتحركون؟ كيف تكون العلاقات بينهم؟ فأخبرهم الله بالحال، وأن هؤلاء سوف يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء وأنه سيبعث لهم رسلاً يرشدونهم ويوجهونهم إلى الخير والصلاح ويهدونهم إلى الطريق المستقيم، فالله هو الذي عرفهم ذلك، ولكن القرآن عادة لا يتحدث عن التفاصيل، وهذا هو الملحوظ في أساليب القرآن.

(١٦) الحجرات: ١١.

(١٧) البقرة: ٣٠.

التوبة النصوح:

□ في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»^(٨). ما هي التوبة النصوح؟

○ التوبة النصوح هي أن يتوب الإنسان عازماً على أن لا يفعل المعصية مرةً أخرى، بحيث تكون توبته توبة خالصة، لا يتعد بعدها عن الله، وذلك من خلال عزمه الصادق.

تفسير الأمانة:

□ نرجو تبيان معنى الأمانة في الآية: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ»^(٩)؟

○ ذكر في التفاسير، أن المراد من الأمانة المسؤولية، وهي مسؤولية التكليف، والله سبحانه قال للسموات والأرض والجبال، على نحو الكناية: تحملوا مسؤولية أنفسكم لأحاسبكم على طبيعة السلوك الذي تسلكونه، فرفضوا، وقالوا لا نستطيع أن نتحمل مسؤولية أنفسنا، كتعبير عن ضخامة المسؤولية في نتائجها السلبية في حالة الانحراف، ولذا فإن الله عندما قال في كتابه: «إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^(١٠)، فإنه يقول إن السموات بضخامتها، والأرض بامتدادها، والجبال بصلابتها لم تستطع أن تتحمل مسؤولية إدارة أمورها بنفسها، ولكن الإنسان، هذا المخلوق الضئيل، حمل هذه المسؤولية. ولكنه لم يحسن إدارتها، والمقصود بذلك الإنسان بشكل عام «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»^(١١)، وقد يكون في هذا إشارة إلى جدارة الإنسان بتحمل المسؤولية، ولكن عليه أن يجاهد نفسه كي لا

(٨) التحريم: ٨.

(٩) الأحزاب: ٧٢.

(١٠) فصلت: ١١.

(١١) الأحزاب: ٧٢.

يخضع لحالات الضعف التي ينطلق من خلالها ليظلم نفسه أو الآخرين، أو أن يتحرك في خطوط الجهالة والسفه.

تفسير النصرة:

□ قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٥٢). كيف تتحقق هذه النصرة بين رسول الله ﷺ وبين أنبياء الله السابقين وقد عاشوا في أزمنة متفرقة؟

○ هذا النداء إنما هو موجه إلى أتباع هؤلاء الأنبياء، بأن يؤمنوا بالرسول ﷺ، وينصروه من خلال الوسائل التي يملكونها، بأن لا يتركوا النبي في مواجهة الخطوط المنحرفة وحده، على طريقة ما قاله قوم موسى له: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٥٣).

الذبح العظيم:

□ ما المقصود بالآية الكريمة: ﴿وَقَدْ يَتَاهُ يَذْبَحُ عَظِيمٌ﴾^(٥٤). هل المقصود الكبش أم أن هناك معنى آخر؟

○ المقصود هو الكبش الذي أراد الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام أن يذبحه فداءً لولده إسماعيل.

تفسير القرآن التطبيقي:

□ هل يمكن لنا أن نفسر القرآن ونطبق آيات العقاب على الحوادث التي وقعت في هذا الزمن، مثل الزلازل والطوفان والبراكين؟

(٥٢) آل عمران: ٨١.

(٥٣) المائدة: ٢٤.

(٥٤) الصافات: ١٠٧.

○ هذه ليست عقوبات، بل هي جزء من النظام الكوني مثل المطر والرياح، فإن الله رتب الكون على أساس قوانين معينة قد تحدث فيها بعض السلبيات، كالزلازل والبراكين والعواصف وما إلى ذلك، لذلك فإن ذلك ليس عقاباً، وإلا كيف يكون عقاباً وهو حاصل للمؤمنين أيضاً.

معنى الأميين:

□ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾^(٥٥).
ما المقصود بالأميين؟ ولماذا لقب النبي الأكرم ﷺ بالأمي؟

○ الأميون مصطلح يهودي كانوا يطلقونه على كل من ليس يهودياً في المنطقة العربية، فكانوا يطلقون كلمة الأميين على العرب، لأنهم تغلب عليهم الأمية، وهو عدم معرفة القراءة والكتابة، وقد كان اليهود آنذاك أهل العلم وأهل الكتاب. أما كلمة إطلاق الأمي على النبي ﷺ، فقد يكون من خلال انتسابه إلى الأميين وهم العرب، ولا يبعد أن يكون ذلك على أساس أن النبي لم يتعلم القراءة والكتابة، وليس هذا نقصاً فيه، بل هذا قمة الكمال، فهو الذي لم يقرأ كتاباً ولم يكتب كتاباً، وقد جاء بأعظم مما لدى القارئ والكاتبين، وهذا أمر صرح الله به ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ قبل أن يبعثك الله ﴿وَلَا تَخْطُءُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٥٦)، لقالوا إنك قرأت وإنك كتبت، ولكنك عشت معهم أربعين سنة ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٥٧)، وقد قال ﷺ لهم: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥٨). ولذا فالأقرب أن كلمة النبي الأمي منطلقة من هذه الآية الكريمة، والله أعلم.

(٥٥) الجمعة: ٢.

(٥٦) العنكبوت: ٤٨.

(٥٧) الشورى: ٥٢.

(٥٨) يونس: ١٦.

قربى النبي ﷺ :

□ «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢٢). هل القربى هنا محدودة في أهل البيت ﷺ المعصومين فقط، أم تمتد إلى ذراريهم في وقتنا الحالي؟

○ القربى هم الذين يحملون الرسالة، وهم الذين يتحركون في خط الإسلام وفي خط رسول الله ﷺ، وهم أهل البيت المعصومون، وقد ورد في حديث الإمام علي عليه السلام: ((إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعَدَتْ لَحْمَتُهُ، وَإِنْ عَدُوُّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرِبتْ قَرَابَتُهُ))، ويقول الشاعر:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

ونلاحظ أن الله أنزل قرآناً في ذم أبي لهب، ولم ينزله في أبي جهل، مع أن أبا جهل كان عدواً لله ورسوله أكثر من أبي لهب، وذلك حتى يبين أن القرابة لا قيمة لها إلا إذا انسجمت مع الخط الذي يتشرف الهاشميون بقرابته.

تفسير الورود:

□ «وَإِنْ مَنَّكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا»^(٢٣). هل يعني هذا أن المتقين يذوقون مس النار؟

○ يمكن تفسير "واردها" بمعنى أنه واصل إليها، كما في قولهم: ورد الماء، وورود الماء ليس معناه الدخول في الماء، بل معناه أنه وصل إليه، ومن الممكن أن يتكلم عن الذين يستحقون بعض العذاب، والله العالم.

تفسير وفاة عيسى عليه السلام:

□ ما هو تفسير قوله الله تعالى: «يَا عِيسَى ابْنِي مَرْثُوكَ»^(٦١)؟

○ إن توفي الله له بمعنى بلوغه الحد الذي جعله الله في عمره في الدنيا، ثم رفعه إليه، ولا تعني الوفاة الموت، لأن التوفي يطلق على غير الموت، وبعضهم يفسره بالموت.

معنى المسيح:

□ ما معنى المسيح؟ ولماذا سمي عيسى عليه السلام بالمسيح؟

○ قيل: سمي مسيحاً لكونه ماسحاً في الأرض، أي ذاهباً وجائياً، وذلك أنه كان في زمانه قوم يسمون المشائين والسيّاحين، لمسيرهم في الأرض. وقيل: إنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل إنما كان اسمه مشوحاً بالعبرانية، فعرب، فقيل: المسيح، وكذا موسى كان موشى. هذا ما جاء في مفردات الراغب للأصفهاني.

المؤمنون والذين آمنوا:

□ ورد في القرآن الكريم مصطلح (الذين آمنوا) ومصطلح (المؤمنون)

كثيراً، هل جاءت هذه المصطلحات بمعنى واحد دائماً، أم وردت بعدة معانٍ؟

○ الذين آمنوا هم الذين أسلموا واعتقدوا بالإسلام، ولكن ليس من الضروري أن يكونوا قد طبقوا الشريعة والتزموا بها، ولذا يقول الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^(٦٢)، لأن الإيمان هو الإسلام عن عقيدة «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٦٣).

(٦١) آل عمران: ٥٥.

(٦٢) الصف: ٢-٣.

(٦٣) الحجرات: ١٤.

نحن والنصارى:

□ كيف نلتقي مع النصارى في الخط العام في ضوء الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾^(٦٤) والآية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾^(٦٥)؟

○ إن المسيحيين يفسفون قولهم إن الله هو المسيح ابن مريم، فيقولون: إن الله تجسد في السيد المسيح، ولكن الله سبحانه وتعالى له صفتان، صفة اللاهوت وصفة الناسوت، ولذلك فهو يمثل التجسيد للسيد المسيح، وهكذا قولهم، كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ فيعتبرون هذه من باب الأقانيم، ولذلك يقولون بسم الأب والابن وروح القدس إلهاً واحداً. لذا، فإن القرآن قد تحدث عن النصارى كما تحدث عن اليهود، بأنهم موحدون، ولم يتحدث عنهم بأنهم مشركون، ولذلك قال الله سبحانه في سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾^(٦٦)، فأهل الكتاب كافرون بالرسول ولم يكونوا كافرين بالله، وإن كانوا يكفرون بالصفة الحقيقية التي ركزها الإسلام بالنسبة إلى الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٦٧)، ونحن إذ لا نوافق - كمسلمين - على فلسفتهم للتوحيد، ونعتبرها خاطئة، إلا أن ذلك لا يمنع من اللقاء على أساس التوحيد كمبدأ.

تفسير الضلال:

□ ما المراد من كلمة الضالّ في الآية: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٦٨)؟

○ ليس المراد من الضلال ضد الهدى، بمعنى أنك كنت ضالاً منحرفاً عن

(٦٤) المائدة: ١٧.

(٦٥) المائدة: ٧٣.

(٦٦) البينة: ١.

(٦٧) الإخلاص: ٤-١.

(٦٨) الضحى: ٧.

الطريق، بل أطلق كلمة الضلال، باعتبار أن الله لم يبين له الهدى بتفاصيله فيما أنزله عليه من بعد ذلك، وهذا ما يفسره قوله تعالى في آية أخرى: «مَا كُنْتَ تُدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ»^(٦٩)، فانه سبحانه وتعالى لم ينزل على النبي الكتاب إلا بعد أن أرسله بالرسالة، فكان ضالاً، أي غير عارف وغير عالم بخط الهدى الذي يمثله الإسلام الذي ركزه الله سبحانه وتعالى في نهاية المطاف عند إرساله الرسالة.

نذر أم مريم:

□ ما رأيكم في نذر أم مريم كما جاء في القرآن الكريم؟

○ كان في ذلك الوقت أن تنذر المرأة الحامل ولدها ليكون محرراً خادماً لبيت الله، وكان المعروف أن الذين يخدمون في بيت الله هم الذكور وليسوا الإناث، ولذلك قالت: «رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ»^(٧٠)، يعني ليس الذكر الذي تمنته امرأة عمران كالأنثى، باعتبار أن الأنثى لا تحقق ما أرادته من كون حملها خادماً في بيت الله. أما نذر الصوم عن الكلام، فإن هذا كان معهوداً في السابق.

حدود حفظ القرآن:

□ «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(٧١). أرجو توضيح معنى الحفظ في الآية الكريمة، فهل هو حفظ المعنى واللفظ، أم أنه يتجاوز ذلك إلى الخط الإملائي؟

○ حفظ اللفظ والمعنى، وإذا حفظ اللفظ، فاللفظ دال على المعنى، أما الخط الإملائي، فهو ليس نازلاً من الله سبحانه وتعالى، وإنما هو يمثل قواعد اصطلاحية

(٦٩) الشورى: ٥٢.

(٧٠) آل عمران: ٣٦.

(٧١) الحجر: ٩.

قد يختلف فيها الإملانيون، فإنه سابقاً كان يكتب الصلاة: الصلوة، الزكاة: الزكوة، وهكذا، بينما تغيرت عند المتأخرين، وأصبحت الصلاة بلام وألف مثلاً، والزكاة أيضاً كذلك، ولذلك فإن الخط الإملائي لم يحفظه الله، وإنما حفظ الله اللفظ، ومع حفظ اللفظ يمكن حفظ المعنى، ولهذا نقول إن هذه الآية تدل على أن القرآن ليس محرّفاً، يعني ليس فيه زيادة وليس فيه نقصان، لأنه «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»^(٧٢).

نسبान موسى ﷺ:

□ ما معنى قوله تعالى في قصة النبي موسى ﷺ مع العبد الصالح: «لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ»^(٧٣)؟

○ لا مانع في هذه القصة الخاصة أن يبغلي الله موسى بذلك من أجل أن يؤكد له ما يتعلمه من هذا العبد الصالح.

الاستواء على العرش:

□ يقول الله سبحانه وتعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(٧٤). ما المراد بالاستواء؟

○ يعني سيطر، لأنه ليس من الضروري أن يكون الاستواء دائماً بمعنى الجلوس المادي، ولكن الاستواء على العرش يمثل السيطرة عليه، فالإنسان عندما يجلس على الشيء يسيطر عليه، وهذا كناية عن سيطرة الله سبحانه وتعالى على العرش، وعن كونه المسلط عليه والمسيطر عليه.

بين اللعن والسب:

□ يتخذ البعض من قوله تعالى: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»^(٧٥)،

(٧٢) فصلت: ٤٢.

(٧٣) الكهف: ٧٣.

(٧٤) طه: ٥.

(٧٥) البقرة: ١٥٩.

دليلاً على جواز اللعن الذي ترفضونه أنتم، ويقولون إن هناك فرقاً بين اللعن من جهة، وبين السبِّ والشتَم من جهة أخرى؟

○ في عقيدتنا، كلّ ظالم بعيد عن الله، وكلّ كافر، وكلّ غاصب للحق الذي فرضه الله، هو شخص يستحقّ اللعن، ولكن في الإطار العام، من خلال المبدأ الأساس «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(٧٦). لكننا نؤكد مسألة مهمة في الدائرة الإسلامية، وهي مسألة العلاقة مع الآخر، فإن الله يقول: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»، يعني أنكم إذا سببتم مقدّسات الكافرين أو المشركين، واستعملتم هذا الأسلوب في مواجهتهم لهم، فسوف يكون رد فعلهم أن يسبوا الله، في أجواء المواجهة الحادة التي قد توحى بالعنف ضدّ الآخر.

«كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ»^(٧٧)، فكل شخص يعتقد أنه على حق، وأسلوب السب يثير جوانب الحقد والبغضاء في نفسه. إذا، لا تحاولوا أن تواجهوا الآخرين بهذا الأسلوب، لأنهم سوف يواجهونكم بأسلوب السبِّ لله سبحانه وتعالى، لأن كل إنسان يعتقد أنه على حق، والسب لا يجعله مقتنعاً بذلك، بل يزيده تعقيداً في هذا المقام. ومن خلال هذا نعرف أنه لا يوجد فرق بين السب واللعن. صحيح أن الآية تحدثت عن السب، وأن مفهومه لا يلتقي بمفهوم اللعن من حيث المعنى، لكن عندما يقول: «كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ»، يعني أن أي فعل يجتذب رد فعل مضاد، وهذا ما أشار إليه ابن عباس، حيث قال: أيكم الساب أباه؟ قالوا: هل هناك أحد يسب أباه! قال: نعم، عندما تسب أباً الآخر، فسوف يسب أباك، فتكون أنت السبب. وهنا يتكلم عن الكافرين كأسلوب من أساليب مواجهة المسلمين لهم، فكيف بالنسبة إلى المسلمين.

(٧٦) هود: ١٨.

(٧٧) الأنعام: ١٠٨.

ثم نقرأ أيضاً من خلال سيرة الإمام علي عليه السلام، أنه سمع قوماً من أهل العراق يسبون أهل الشام، وهو سائر إلى محاربة معاوية في صفين، فوقف فيهم خطيباً، وقال: ((إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين))، لا أريد لأصحابي وشيعتي أن يستعملوا أسلوب السبّ في مواجهتهم للآخرين الذي يختلفون معهم. ((ولكن لو ذكرتم حالهم)) أن هؤلاء الناس تمردوا على الخلافة الشرعية ((ووصفتم أفعالهم، لكان أصوب في القول))، فإن هذا أكثر صواباً في الكلام، لأنكم تقدمون لهم الحجة ((وأبلغ في العذر))، إذا سمعكم الناس، فسوف يعذرونكم على موقفكم منهم. فالإمام علي عليه السلام يريد أن يقول إن المنهج في علاقة الإنسان مع الآخرين، ولاسيما المسلمين الذين نختلف معهم، هي علاقة الحوار المبني على أن نتحدث عن مواقفه، وأن تصف عمله، لا أن تسبّه، لأنك لو سببته من الصباح حتى المساء، لن تستطيع أن تهدّيه.

ثم هناك نقطة ثانية تبين عظمة الروح الموجودة عند الإمام علي عليه السلام، بخلاف روح الحق على المسلمين الموجودة عندنا، وذلك عندما يقول: ((وقلتم مكان سبكم إياهم، ربنا احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأخرجهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))، فإن الإمام علي عليه السلام كان رائد الوحدة الإسلامية، وهو الذي كان يقول: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن بها جور إلا علي خاصة)). كان يحافظ على الوحدة الإسلامية، ولذلك مع بقائه على حقه، وإصراره عليه، كان يتعاون مع الذين اغتصبوا حقه وتقدموه، وكان يعطيهم الرأي والمشورة، ويجب عن الأسئلة التي تأتي إليهم عندما يعجزون عن الإجابة عنها.

إن الفرق بيننا وبين الإمام علي عليه السلام، أن الإمام علياً كان يعيش هم الإسلام، ونحن نعيش هم العصبية، هذا هو الفرق، إذ يقول: ((فخشيت إننا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت

ولايتكم هذه، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب)). والإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يقول للشيعية وهم مثلنا: ((ما أيسر ما رضي الناس منكم كفوا ألسنتكم عنهم)) لا تسبوا ولا تلعنوا، وخصوصاً أننا نلاحظ في هذه الظروف الصعبة التي تحيط بالمسلمين، وبالشيعية تحديداً، أن الاستكبار العالمي، يحاول أن يعقد العلاقات بين المسلمين، ويعمل على إيجاد فتنة طائفية أو حرب طائفية، كما نلاحظ في العراق، حيث إن هؤلاء التكفيريين الذين ليسوا من الإسلام في شيء، يحاولون أن يستبيحوا دماء المسلمين، حتى يخلقوا فتنة تحرق الأخضر واليابس.

دلالة القرآن وسنده:

□ يقول البعض من الأصوليين، إن القرآن قطعي السند، ظني الدلالة، وإن السنة ظنية السند قطعية الدلالة؟

○ هذا الكلام ليس صحيحاً على إطلاقه، فهناك في القرآن دلالات قطعية واضحة لا يوجد فيها احتمال الخلاف، والسنة هي أيضاً ظنية السند، وقد تكون قطعية السند، وذلك كما في الخبر المتواتر، وقد تكون ظنية الدلالة، كما قد تكون قطعية الدلالة، ولذا يختلف المجتهدون في مسألة الاحتمالات الموجودة فيما يأتينا من أحاديث السنة.

النفخة والروح:

□ ما معنى النفخة اصطلاحاً ولغة؟ وهل إن الروح شيء مخلوق في القدم والأزل، أم هي خلقت فيما بعد بعلم الله؟ وهل اتصالها بالبدن تدبيري أم امتزاجي؟ وإذا كان اتصالاً امتزاجياً فلماذا لا تموت بموت البدن؟

○ «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»^(٧٨). وقد جاء في القرآن في مسألة خلقنا: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ

بَشَرًا مِنْ طِينٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَتَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^(٧٩)، يعني أعطيته من قدرتي. أما هل هو تدبيري أو امتزاجي؟ فهذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله، ولم يعرفنا الله ذلك، وهذا من غيب الله، ولذا علينا أن نسأل عما نملك علمه، ونملك مسؤوليته، وما عرفنا الله ورسوله الوسائل لمعرفة.

عرش الله:

□ ما معنى قوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٨٠)؟

○ العرش كناية عن السلطة، ولم يكن هناك إلا الماء، وكانت سلطته على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض^(٨١).

طعام أهل الكتاب:

□ «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ»^(٨٢). ما المقصود

من هذا الطعام؟ وكيف يحل؟

○ يعني أنه يجوز لنا أن نأكل من طعام اليهود والنصارى، وأن يأكلوا منا أيضاً، ولكن في غير ما حرمه الله، فلا يجوز لنا أن نأكل لحم الخنزير لو قدمه لنا النصراني، ولا يجوز أن نأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، وهذا دليل على الطهارة، إذ يجوز لنا أن نأكل مما عند اليهود أو النصارى مما لا نعلم بنجاسته، أما ما علمنا بنجاسته أو حرمة، فإنه مستثنى في القرآن، حتى لو قدّم المسلم لنا هذا الطعام، كما هو شأن بعض القصابين الذين يبيعون اللحم المجدّد مثلاً، فإنهم يعصون الله في ذلك؛ لأنه من الميتة لعدم ذكر اسم الله عليه عند الذبح.

(٧٩) ص: ٧٢-٧١.

(٨٠) هود: ٧.

(٨١) وقيل في ذلك إن الماء أصل كلّ شيء حي، والله خالق الماء والمخلوقات الحيّة من الماء مهيمناً على كلّ شيء، وهذا معنى العرش على الماء. (المعد)

(٨٢) المائدة: ٥.

نسيان النبي ﷺ:

□ «سَقَرْنَاكَ فَلَا تَنْسَى* إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٨٣)، ألا يدل الاستثناء على النسيان في الوحي؟

○ «سَقَرْنَاكَ فَلَا تَنْسَى»، يعني أن الله يريد أن يبين له أنه لا ينسى، وليس معناه أنه لا يستوعب هذه القراءة، وهناك من يقول إنه من الممكن النسيان، ولكن ذلك لا يمكن أن يحصل في مسألة التبليغ للوحي، وهذه الآية واردة في مقام النفي لا النهي.

تدوين القرآن:

□ لماذا لم يدوّن رسول الله ﷺ بنفسه القرآن الكريم، لأن بعض الناس يقولون إنه يعرف القراءة والكتابة؟

○ الله يقول إنه لا يعرف القراءة والكتابة، ولكن بعض الناس يقولون قال الله وأقول، إذ يقول الله تعالى: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ»^(٨٤)، ولكن القرآن كان يعرض على النبي ﷺ ويرتب بإشرافه، كما ورد في بعض الروايات.

الزواج في القرآن:

□ «...إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٨٥)، هل يفهم من هذه الآية الكريمة، أنه لا يحق للشباب أن يتأخر عن الزواج بحجة أنه فقير وغير قادر على تحمل مسؤولية الزواج بما يتطلبه في هذا العصر من إنشاء بيت ونفقات وما إلى ذلك؟

(٨٣) الأعلى: ٦-٧.

(٨٤) العنكبوت: ٤٨.

(٨٥) النور: ٣٢.

○ الخطاب موجّه إلى الآخرين، إلى أهل الزوجة، أو أهل الزوج، من أنه لا يمنعكم فقر الشباب من تزويجهم، فإنه ربما تتطور الأمور عندهم من خلال ما يهيئه الله لهم من الوسائل التي يستطيعون من خلالها أن يحصلوا على الغنى.

السابقون من المسلمين:

□ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٨٦). ما معنى هذه الآية؟

○ كان بعض الناس ينفقون الأموال على المسيرة الإسلامية قبل أن يفتح الله على المسلمين، وقبل أن يكونوا في موقع القوة، مثل الذين قاتلوا في بدر وقاتلوا في أحد وما إلى ذلك، وهناك أناس أنفقوا وقاتلوا بعد أن فتح الله على المسلمين وأصبحوا في موقع القدرة والقوة، ولا إشكال في أن الذين أنفقوا وقاتلوا في موقع العسرة للمسلمين، أفضل ممن أنفق وقاتل في موقع القوة والقدرة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة، لأنهم أطاعوا الله في الإنفاق وفي القتال في هذا الموضع أو ذاك.

الإنسان الكنود:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٨٧)؟

○ الكند يعبر عن العصيان وعن التمرد وما إلى ذلك.

العبوس والخلق النبوي:

□ إلى من وجّه الخطاب في آية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٨٨)، وهل النبي ﷺ هو المقصود؟ وكيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٨٩)؟

(٨٦) الحديد: ١٠.

(٨٧) العاديات: ٦.

(٨٨) عبس: ١.

(٨٩) القلم: ٤.

○ مشكلة الكثير من الناس الذين يصابون بهذا الالتباس، أنهم لا يفهمون المسألة في عمقها، وذلك أن النبي ﷺ - حسب الرواية - كان مشغولاً بالحديث مع جماعة من عظماء قريش ليهديهم أو ليحل معهم مشكلة، ودخل عليه ابن أم مكتوم وهو أعمى، وكان من الأشخاص القريبين إلى النبي ﷺ، بحيث كان يدخل عليه ﷺ وهو جالس مع بعض زوجاته، حتى ينقل إن النبي ﷺ كان جالساً مع زوجته، فدخل عليه ابن أم مكتوم، فقال النبي ﷺ لهما: احتجبا، قالاً: يا رسول الله إنه أعمى، فقال: أفعميا وان أنتما؟ وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة عندما يغيب عنها، فهذا ابن أم مكتوم دخل على النبي ﷺ يريد أن يسأله سؤالاً، فقطع على النبي حديثه، فعبس ﷺ عبسة انقباض لا عبسة احتقار، أي أراد منه أن يؤجل سؤاله، فهل هذا يعتبر احتقاراً وخلاف الأخلاق؟! هذا أولاً. وثانياً: إن الله يخاطب الشخص الذي من شأنه التزكية «عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَرْكَبُ»^(١)، فمن هو المزكى؟ يقول البعض: إن هذه الآية نزلت في عثمان، وهنا نتساءل: هل إن ابن أم مكتوم جاء إلى عثمان أم جاء إلى النبي؟ وهل إن التزكية هي من شأن عثمان، أم أنها من شأن النبي، وهو الذي يذكر «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ»^(٢)، وهو الذي يبلغ؟ وكان الآية تبين أن النبي ﷺ لو أجاب هذا الإنسان، لكان أفضل من إجابته لهؤلاء الذين يجتمع معهم، وأن النبي ﷺ كان ينطلق من خلال رسالته ومن خلال مصلحة المسلمين. وينقل صاحب (مجمع البيان)، أن هذا الشخص، أي ابن أم مكتوم، بعد نزول هذه الآيات، كان عندما يقبل على النبي ﷺ، يعتني به النبي ﷺ، ويقول له: ((أهلاً بمن عاتبني فيه ربي))، ويقول ﷺ: ((لا والله لا يعاتبني فيك ربي أبداً)). فالمقصود في هذه الآيات الرسول ﷺ، وهذا ما روي عن الإمام جعفر الصادق ﷺ، وليس في ذلك أية إساءة إلى أخلاق النبي ﷺ.

(٩٠) عبس: (١-٣).

(٩١) الغاشية: ٢١.

الكذب والظلم:

□ كيف نفهم اقتران الظلم والكذب على الله من خلال قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ)؟^(١)

○ إن هؤلاء الذين يكذبون على الله، فيحللون ما حرّمه، ويحرّمون ما أحله، وينسبون إليه كثيراً من الأقوال والأحكام والمفاهيم التي لم يشرعها، يمارسون أبشع الظلم، ويعتدون على حق الله تعالى وعلى الناس، لأنهم يصوّرون الباطل بصورة الحق، وبذلك يكون الظلم مضاعفاً؛ ظلم لله وظلم للعباد، كما أنهم يظلمون أنفسهم لأنهم تورطوا في خط عقاب الله سبحانه، ويظلمون الحياة والحقيقة، لأن انتشار هذه الأكاذيب تسيء إلى مسيرة الحياة وطهارتها وصدقها، وهذا من أبشع الظلم، لأن الظالم عندما يزور الحقائق، فإنه يزور وعي الناس ورؤيتهم لحقائق الأشياء... فالذين يفترون على الله الكذب، وينسبون إليه ما لم يقله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويدفعون بكل هذه المفاهيم المزيفة والكاذبة والخاطئة إلى عقول الناس وأحاسيسهم ومشاعرهم، فإنهم يزورون الحياة كلها، ويعتدون على كل حركة فيها، من خلال الانحراف الذي يعيشونه.

معجزة النبي ﷺ:

□ من المعلوم أن النبي ﷺ قد جاء بمعجزة خالدة وهي القرآن الكريم، فهل انحصرت معجزة الرسول في القرآن فقط، أم أنه جاء بمعجزة أخرى؟

○ إن كثيراً من الآيات القرآنية توحى بأنه ليس هناك معجزة إلا القرآن، ولذلك تحدى الله العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مفتريات، أو بسورة من مثله، كما تحدث بما يوحي بأن الله لم يرسل نبيه بمعجزة أخرى، وذلك

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٩٣). وهكذا رأينا أن المشركين أرادوا من النبي ﷺ أن يحول الصحراء إلى بساتين، وأن ينزل مثل ما قالوا: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تُكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَاهُ﴾، وكان جواب النبي ﷺ - في ما علمه الله -: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٩٤)، وكأنه يقول: إن الله لم يعطني هذه القدرة، فأنا بشرٌ وقدرتي كقدرة باقي البشر، ولكني بشر يوحى إلي. ولذلك، فإن الله لم يعطني القدرة على أن أفجر في الصحراء ينابيع، أو أن أحولها إلى بساتين، أو أن أصعد إلى السماء صعوداً مادياً.

وكان المشركون - كما الذين سبقوهم - يستنكرون على الأنبياء أن يكونوا رسلاً لله مع أنهم بشر كبقية البشر. لذلك، هناك رأيٌ ربما نستقر به، وهو أنه ليست هناك معجزات أخرى، ولكن النبي ﷺ هو المعجزة، لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ، وقد قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٩٥)، والله قال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٩٦)، وعندما بعثه الله رسلاً، جاء بما أعجز العلماء وكل الفصحاء والبلغاء، في دين يفتح على الحياة كلها، وعلى أسرار العلم والإنسان والكون.

إن دراستنا للنبي ﷺ قبل الرسالة ودراستنا له بعدها، تعرّفنا أنه نبيٌّ من قبل الله سبحانه وتعالى، إذ لم تكن هناك أي عوامل مادية يمكن أن تضع إنساناً في مثل

(٩٣) الإسراء: ٥٩.

(٩٤) الإسراء: ٩٢-٩٣.

(٩٥) العنكبوت: ٤٨.

(٩٦) الشورى: ٥٢.

هذا المستوى من العلم ومن المعرفة ومن الانفتاح على الله وعلى الحياة كلها. نعم، هناك من يقول إن النبي ﷺ (شق القمر)، كما في قوله تعالى: «اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ»^(٩٧)، إذ حصل انشقاق القمر على يد النبي، ولكننا عندما ندرس الروايات الواردة، فسنجد أنها محل نقاش وتأمل، كما ورد أنه خاطب الشجرة التي شهدت بأنه رسول الله، وأن الماء نبع من بين أصابعه وما إلى ذلك.

وضوح القرآن:

□ هناك بعض الآيات التي تصف القرآن الكريم بأنه (عربي مبين)، وحينئذٍ يطرح التساؤل القائل: إذا كان القرآن عربياً، واضحاً، فما هي الحاجة إلى تفسيره وبيانه؟

○ إن المقصود من كونه واضحاً في دلالاته، أنه ليس مجملاً ولا غامضاً لا يفهم. ومن الطبيعي أننا عندما نقرأ القرآن، فإن ظاهر القرآن يفصح عن كثير من معانيه ومن أفكاره، ووضوح القرآن ليس معناه أنه لا يحتاج إلى تفسير وإلى تدبر، كيف والله تعالى يطلب منا التدبر فيه، حيث يقول تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٩٨). إن القرآن واضح في المعاني اللغوية التي تدل عليها الكلمات والآيات، ولكن أفاقه تمتد إلى الحياة كلها، كما قال الإمام الباقر ع: ((يجري مجرى الشمس والقمر والليل والنهار))، فهذا لا يمنع من أن يكون واضحاً في دلالاته وأن يحتاج إلى تفسير في مضمونه الفكري. والله سبحانه وتعالى حدثنا عن القرآن أن فيه آيات محكمات وأخر متشابهات، والمحكم هو الذي يفسر المتشابه. وفي المحصلة، يمكننا أن نقول إن القرآن ليس غامضاً وليس مجملاً.

(٩٧) القمر: ١

(٩٨) محمد: ٢٤.

الفرق بين الإكمال والإتمام:

□ قال تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ)^(٩٩). ما هو الفرق بين الإتمام والإكمال؟

○ لا فرق في ذلك، وقوله (ثلاثين ليلة) باعتبار أن الشهر ثلاثون، ولذلك ذكر أنه شهر وعشرة أيام. وأمّا الإتمام، فبلحاظ أن الموعد هو أربعون ليلة. فأراد التعبير بطريقة بلاغية، كأنه يقول: شهراً ويزيد بعشرة أيام.

معنى التطهير:

□ هل معنى التطهير في الآية الكريمة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(١٠٠) بمعنى العصمة؟

○ التطهير نابع من اللطف الإلهي الذي أودعه الله وأفاضه على أهل البيت^{عليه السلام}، بحيث إنه أذهب عنهم الرجس؛ رجس الخطأ والخطيئة وما إلى ذلك، بما يلتقي بالإرادة التكوينية من دون منافاة للاختيار.

الشهب في القرآن:

□ ذكر في القرآن الكريم غير مرة، أن الشَّهْب ترمى على الشياطين أو مردة الجن فتقتلهم. كيف نستطيع أن نوفق بين هذه الصورة وبين التعليل العلمي الحديث بأنها مجرد أحجار فضائية تخترق الغلاف الجوي للأرض ومن ثم تحترق، لا أكثر؟

○ لا يمنع ذلك من أن تكون هذه الأحجار الفضائية هي الشهب التي تقتل الذين يسترقون السمع. وليس هناك أية منافاة بين هذا وذاك.

(٩٩) الأعراف: ١٤٢.

(١٠٠) الأحزاب: ٣٣.

مكر الله:

□ «وَمَكْرُوا مَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»^(١٠١). نرجو من سماحتكم

توضيح المراد بالمكر هنا؟

○ المكر هو عبارة عن التدبير بخفاء، وذلك أن تدبر الأمر من دون أن يشعر به الطرف الآخر، ولكن غلب على كلمة المكر استعمالها بمعنى الحيلة للشر. ولكن المكر قد يأتي بمعنى الخير، وقد يكون بمعنى الشر، لأنه يمثل الوسيلة التي تخطط لما تريده من الآخر من دون أن يشعر بذلك، وقد يكون ما تخطط له خيراً وقد يكون شراً.

من هم الصادقون؟

□ قال تعالى: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^(١٠٢)، وقال: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»^(١٠٣). هل الصادقون في الآية الثانية هم أنفسهم في الآية الأولى؟

○ كلمة (الصادقون) تعني الصدق في الإيمان، والصدق في الموقف، والصدق في الموقع، والصدق في القول، والصدق في العمل، ولذلك فهو لاء الفقراء المهاجرون الذين هاجروا في سبيل الله وتحملوا الإخراج من ديارهم وفقدوا أموالهم بسبب إيمانهم، يتطلعون إلى الله ويتبعون فضلاً منه ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، وأي صدق أعظم من هذا الصدق الذي يمثل الصدق في الموقف وفي الموقع وفي القول وفي العمل!.

(١٠١) آل عمران: ٥٤.

(١٠٢) التوبة: ١١٩.

(١٠٣) الحشر: ٨.

القوة وأسلوبها:

□ (وَأَعِزُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَاطِ الْخَيْلِ...) ^(١٠٤). هل يجوز للأمة الإسلامية امتلاك أو استعمال أسلحة دمار شامل من مثل الأسلحة النووية أو الجرثومية؟

○ لماذا يجوز لأمریکا ولأوروبا ولغيرها أن يمتلكوا الأسلحة النووية والجرثومية والكيميائية ولا يجوز ذلك للمسلمين؟! نحن نقول الأصل أن لا تكون هناك أسلحة دمار شامل، باعتبار أنها بطبيعتها تمثل الخطر على الحياة وعلى الإنسان، ولكن إذا امتلك الآخرون من أعداء الإسلام والمسلمين، ومن أعداء المستضعفين، هذه الأسلحة، فمن الطبيعي جداً أن يحاول المستضعفون أن يمتلكوا ذلك من أجل الدفاع عن أنفسهم. وإذا كانوا يقولون إن الأسلحة النووية تمثل سلاح ردع لا سلاح هجوم؛ فإنا نقول: نحن أيضاً نحتاج امتلاك ما يمتلكه الآخرون من هذه الأسلحة ليكون سلاح ردع لا سلاح هجوم. وقد رأينا كيف أن أمريكا استعملت القنبلتين الذريتين في اليابان في هيروشيما وناكازاكي، وقتلت حوالي ٢٠٠,٠٠٠ يابانياً أكثرهم من المدنيين. وقد سمعنا منذ فترة وجيزة الرئيس الفرنسي جاك شيراك يهتد كل الذين يمكن أن يقوموا بعمليات إرهابية ضد أوروبا وفرنسا - كما عبر - في أنه سوف يستعمل السلاح النووي ضدهم. نحن نقول: الأصل ألا يملك أحدٌ في العالم أسلحة الدمار الشامل، ولكن إذا امتلكها المستكبرون، فمن حق المستضعفين أن يمتلكوها.

معنى ذل المؤمنين:

□ في قوله تعالى: (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ^(١٠٥)، هل يصح تحمل الأذى الشديد من المؤمن الذي يسيء إلى كرامتي وشخصيتي ووجودي،

كما أنني أقبل بالتحدث معه مراراً رغم إعراضه عني، من منطلق تأكيد الأخوة الإيمانية، وأنها أهم من مصالح الدنيا؟

○ إن المقصود من الآية: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني متواضعين، وليس معناها أن يقبل الإنسان الاعتداء عليه من المؤمنين، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١٠٦)، ولكنه يقول في آية أخرى: ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١٠٧). وهذا الأمر يعود إليك، فإن من حَقَّك أن ترد الاعتداء بمثله، ومن جهة أخرى، لا مانع من أن تكون لك أخلاقيتك التي تغفو فيها عن أساء إليك. لذلك ليس المقصود من ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ السقوط أمام من اعتدى عليك، ولكنه التواضع له، ومحاولة الانفتاح عليه، والإحسان إليه، والصبر على ما يأتي منه.

الاستماع إلى القرآن:

□ ما معنى الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١٠٨)؟

○ إن هذه الآية تعني أن على الإنسان أن يتدبر القرآن، وأن يفكر فيه، وأن يعيش كل مفاهيمه وكل خطواته؛ لأن القرآن إنما أنزله الله ليكون هدى للناس ورحمة، وليعيشوا القاعدة التي أراد الله لهم أن يركزوا عليها في شؤون دنياهم وآخرتهم، ولن يحصل ذلك إلا إذا أنصت الناس إلى القرآن؛ إنصات فكر وإنصات تدبر، كما يريد الله ذلك في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١٠٩)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١١٠).

(١٠٦) البقرة: ١٩٤.

(١٠٧) البقرة: ٢٣٧.

(١٠٨) الأعراف: ٢٠٤.

(١٠٩) النساء: ٨٢.

(١١٠) محمد: ٢٤.

غفران ذنوب النبي ﷺ:

□ ما المقصود من قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١١١)؟

○ فُسر قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، بأن المقصود به ذنبه عند أهل مكة، لأنهم يعتبرون أنّ رسول الله ﷺ قد أذنب معهم، لأنه أربك حياتهم في الحروب التي جرت بينه وبينهم، من خلال ما طرحه من الرسالة.

جمع القرآن وترتيبه:

□ ما المقصود بهذه الآيات: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١١٢)؟

○ يقال إنّ النبي ﷺ كان يأتيه جبرائيل ﷺ بالقرآن، فكان ﷺ يستعجله في حفظه، فقال له الله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْزَلَ بِهِ﴾^(١١٣). فنحن سوف نأتيك بالقرآن كله، ونجمعه ونقرئك إيّاه ولا يضيع منه شيء ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

تفسير آية:

□ سمعت من أحدهم يقول في تفسير الآيات الأولى من سورة الفجر، إنّ الفجر هو الإمام الحجة ﷺ، وإن الليالي العشر هي الأئمة من الإمام المجتبي ﷺ، وإن الشفع والوتر هما الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام. فما رأيكم في هذا التفسير؟

○ ليس هذا من التفسير الصحيح لهذه الآيات، فالله سبحانه أقسم هنا ببعض الآيات الكونية - الفجر - كما في غيرها من السور، حيث أقسم بالشمس أو القمر وغيرها من الآيات بياناً لعظمتها، وجاء في تفسير "ليالي عشر" عدة تفسيرات،

(١١١) الفتح: ٢.

(١١٢) القيامة: ١٧.

(١١٣) القيامة: ١٦.

منها أنها العشر الأوائل من ذي الحجة، أو العشر الأوائل من محرم، أو أنه ليس المراد منها عشرة خاصة، بل عبادة ليالي عشر، ويمكنك الاطلاع على التفاسير المعتمدة لمعرفة معاني هذه الآيات، ويمكن مراجعة تفسير (من وحي القرآن).

أسماء القيامة:

□ هل هناك فرق بين التعبيرات التالية في القرآن: اليوم الآخر، الساعة، يوم القيامة؟

○ كل هذه المفردات تعبر عن يوم القيامة، فهي الساعة التي يجتمع فيها الناس، في يوم القيامة، وهو اليوم الآخر في مقابل يوم الدنيا.

إحضار عرش بلقيس:

□ قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(١١٤). كيف يتمكن مخلوق من إحضار عرش ملكة سبأ في ذلك العصر من على بعد آلاف الكيلو مترات في جزء من ثانية، أي قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه؟ فهل كانت هذه المعجزة على يد من أحضر العرش، أم أنها تعبير مجازي مبالغ فيه؟ ما تفسير سماحتكم لهذه الآية؟

○ نعم، هي معجزة أجراها الله تعالى على يدي نبينا سليمان ﷺ لتأييده في دعوته.

من هم المطهرون؟

□ في الآية الكريمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١١٥). ما المقصود بالمطهرين؟

(١١٤) النمل: ٤٠.

(١١٥) الواقعة: ٧٩.

○ يستدل الفقهاء بهذه الآية على أن لا يمس الإنسان الكتاب (المصحف) إلا إذا كان على طهارة أو على وضوء أو غسل وما إلى ذلك. وربما يفسره بعضهم تفسيراً معنوياً، أي أنه «لا يَمَسُّهُ» لا يمس معانيه ولا يمس تفسيره «إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» الذين أذهب الله عنهم الرجس وأعطاهم المعرفة التي تجعلهم يفسرون القرآن بحقائق القرآن.

تفسير الروم:

□ قال تعالى في سورة النبا: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا»^(١١٦)، وقال في سورة القدر: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا»^(١١٧). فما هو السبب في تقديم الروح في النبا وتأخيره في القدر؟ وما هو الروح؟

○ في التفسير، أن الروح هو خلقٌ عظيم من الملائكة، وورد أن المراد به جبرئيل عليه السلام، وأما قضية التقديم والتأخير، فربما كانت المسألة باعتبار أنه في يوم القيامة يتقدم الروح، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى فضله، كما تقول بعض الأحاديث، واعتبره أقرب إليه من بقية الملائكة. أما في ليلة القدر، فأراد أن يبين هذا الحشد الذي ينزل من السماء، وأنه لا يُكْتَفَى فيه بنزول الملائكة، بل ينزل الروح أيضاً، للدلالة على الاهتمام الإلهي الزائد بهذه الليلة، والله العالم.

من هم أولو الأمر؟

□ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(١١٨). ما المراد من أولي الأمر في هذه الآية الكريمة؟

○ ليس المراد من أولي الأمر الذين يتولون شؤون الناس بغير الحق وبالقوة وما إلى ذلك، ممن لا يدينون بدين الحق، وممن يظلمون الناس ويسيطرون عليهم

(١١٦) النبا: ٣٨.

(١١٧) القدر: ٤.

(١١٨) النساء: ٥٩.

ويتحكمون فيهم، لأن إطاعتهم تخالف إطاعة الله ورسوله، بمعنى أننا لا بد من أن نوافق بين المفردات الثلاثة، أي أطيعوا الله ولا تعصوه، وأطيعوا الرسول ولا تعصوه، فلا بد من أن يكون أولو الأمر ممن تكون طاعتهم منسجمة مع طاعة الله ورسوله؛ لأن أولي الأمر إذا كانوا ظالمين أو منحرفين، فمن الطبيعي أن تكون إطاعتهم ضد إطاعة الله والرسول، ولا يمكن أن يقول الله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا من يطلب منكم أن تعصوا الله والرسول. ولذلك، فهي تفسر بأولي الأمر الذين أعطاهم الله شرعية الولاية، والمصداق الأبرز لهؤلاء هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ثم من ينوب عنهم ويسير بسيرتهم ويتولى الأمور على أساس خطهم ونهجهم، فالآية يمكن أن تشملهم؛ لأن قضية إطاعة أولي الأمر ترتبط بإقامة نظام حياة الناس، حتى يتحرك الناس في الخط الذي يحفظ لهم حقوقهم ونظامهم وما إلى ذلك.

علم الأنبياء:

□ يقول الله: (يُبَشِّرُكَ بِإِحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)^(١١٩). كيف نفسر هذا القول مقارنة مع قوله تعالى: (ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)^(١٢٠)، (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)^(١٢١)؟

○ أي تناف بين تلك الآية وهذه الآية؟! تلك الآية تقول إن الله يبشر زكريا الذي دعا ربه بعد أن تقدم به العمر: (هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)^(١٢٢)، وفي آية أخرى: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)^(١٢٣)، فالله بشره بإحْيَى مصداقاً بكلمة من الله، يعني أن الله جعله يصدق بكلمة

(١١٩) آل عمران: ٣٩.

(١٢٠) الأحقاف: ٩.

(١٢١) الأعراف: ١٨٨.

(١٢٢) آل عمران: ٣٨.

(١٢٣) مريم: ٥-٦.

تمثل حقائق الإيمان «وَسَيِّدًا وَحَصُورًا»، ويقال إن المقصود بالحصور أنه لم يتزوج، «وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ». أما الآية الثانية فإنها تشير إلى أن الله لا يعطي أنبياءه الغيب كجزء من ذاتياتهم، ولكنه يعطيهم الغيب بقدر ما يحتاجونه في رسالاتهم. قال تعالى على لسان نبيه: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ»^(١٢٤)، فالحمد لله سبحانه وتعالى يزود أنبياءه بالغيب بالقدر الذي يحتاجونه، وهذا قوله في سورة آل عمران: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَّ أَهْلُهُمْ بِكَفَلٍ مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»^(١٢٥)، «عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»^(١٢٦)، فالآية واضحة الدلالة، أنه سبحانه يظهر من ارتضى على غيبه، لا أنه يجعل علم الغيب جزءاً من ذاته، وإنما هو كرامة من الله له فيما يحتاجه في رسالته من ذلك كله، والله العالم.

العصمة في القرآن

□ إننا نعتقد بعصمة الأنبياء، ولكن هناك بعض الآيات في القرآن الكريم تلوم الأنبياء، مثل قوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ»^(١٢٧) وهناك: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»^(١٢٨)؟

○ أما الآية الأولى، فهي واردة في مقام إرشاد النبي ﷺ، وهو لم يعص الله في ذلك، لأن الله لم ينزل عليه بأن لا يأذن لهم، وإنما رأى النبي ﷺ المصلحة في ذلك. فهذه الآية أرادت أن تبين أن إذن النبي ﷺ لهم هو خلاف الأولى لا خلاف التكليف الشرعي. وكان الآية ناظرة إلى أن هؤلاء لا يستأهلون أن يأذن لهم النبي ﷺ، وذلك

(١٢٤) الأنعام: ٥٠.

(١٢٥) آل عمران: ٤٤.

(١٢٦) الجن: ٢٥-٢٦.

(١٢٧) التوبة: ٤٣.

(١٢٨) الفتح: ١-٢.

لكي يظهر للمسلمين سوء نيتهم. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، فالمقصود هو أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه عند أهل مكة حسب ما جاء في التفاسير، وليس معناه: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك عنده؛ إذ لا علاقة بين الفتح المبين من الله، وبين غفران الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن المسألة أن الفتح جعل لديه جميلاً على أهل مكة، عندما قال وهو يخاطبهم، ما تروني فاعلًا بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. هذا الموقف النبوي في العفو عنهم، جعلهم يغفرون له ما كانوا يعتقدونه أنه ذنب في حقهم، لأنه شغل حياتهم، وسقه أحلامهم، وأدخلهم في حروب انطلقوا هم فيها. وكان المسألة ليست متعلقة بذنب أمام الله، بل هو ذنب أمام أهل مكة فيما كانوا يتصورونه. كما أنه لا معنى لغفران الله للإنسان ما تأخر من ذنبه قبل أن يمارسه لو كان المقصود من الذنب معناه الناتج من العصيان.

الأمة الخيرة:

□ قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١٢٩). هل المراد بهذه الآية أهل البيت عليهم السلام أم عموم المسلمين؟

○ هذه الآية يُراد بها الأمة الإسلامية، وإن كان أهل البيت هم المصدقون الأبرز في ذلك، لكن المراد الأمة الإسلامية، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى خطط لها أن تتحمل المسؤولية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبرها خير أمة، ولذلك قال الله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١٣٠).

(١٢٩) آل عمران: ١١٠.

(١٣٠) التوبة: ٧١.

تأثير الخطاب الديني:

□ نرى أن الكتاب في طريقة مخاطبته الناس، يخاطب فئة قليلة من المجتمع، فهو محدود التأثير، قصير الأمد. فما هو الطريق الأفضل للوصول إلى قلوب الناس؟

○ إن الله تعالى خاطب الناس كلهم، لأن النبي ﷺ بعث للناس كافة، وأرسله سبحانه رحمة للعالمين «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً»^(١٣١)، ولذلك، فإن الله فيما أنزله في كتابه، إنما أنزله على الناس كافة «يخرجهم من الظلمات إلى النور»^(١٣٢)، وخصّ المؤمنين بذلك، ليبين لهم تفاصيل مسؤولياتهم التي أراد لهم أن يأخذوا بها، مما تنفتح عليه مسؤوليتهم إلى يوم القيامة.

وإذا لم يكن قصد السائل من الكتاب القرآن الكريم، بل الكتاب الذي يؤلفه المؤلفون، فهناك من يكتب لفئة محدودة، وهناك من يكتب لجماعات كثيرة. ولذلك فإنّ بعض الناس من الشعراء مثلاً، قد يكتب شعراً شعبياً يفهمه الناس كلهم، وقد لا يفهم شعره إلا القليلون. وهكذا بالنسبة إلى ما يكتبه المثقفون والعلماء، فهناك درجات معينة وأساليب معينة يمكن أن تفيد هذا الجانب أو ذاك الجانب.

على كل، لا بد لنا من أن نعمل لتكون المسألة الثقافية مسألة شاملة، ومنفعتنا منفعة عامة، بحيث تشمل كل الناس. ولذلك نقول لكثير من العلماء، سواء فيما يكتبون أو يخطبون: إن عليكم أن تلاحظوا مستويات الناس الذين تعظونهم، لأن النبي ﷺ أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. حاول أن تعرف قدرات الناس في مستوياتهم الثقافية والإدراكية، لتقدّم لهم عندما تخاطبهم ما يمكن أن ينمّي عقولهم ويرفع مستوى ثقافتهم.

تسمية لوط:

□ ما هو وجه تسمية لوط لأحد الأنبياء، مع أن هذا الاسم غير محبَّب؟

○ كلمة لوط في نفسها كلمة لا تعني أي معنى سلبي، ولكن قوم لوط كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي، فسمي من يمارس هذا الشذوذ لوطياً نسبة إلى ما فعله قوم لوط، وإلا فالاسم ليس فيه أي شيء سلبي. فاسم لوط مثل اسم إبراهيم ومثل أي اسم آخر.

تفسير معنى الأخدان

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانُ﴾^(١٣٣)؟

○ يعني النساء اللاتي يتخذن عشاقاً لهن في السرّ، يصاحبنهم في المعصية وفي الزنى، والخدن هو الصديق، يعني العشيق.

خلق السموات والأرض:

□ يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١٣٤). ما المقصود بستة أيام؟

○ من الممكن أن يراد باليوم ما يمثل زمناً ما، وليس من الضروري أن يتحدّد كما الآن في عالمنا من خلال النظام الشمسي في هذا المجال. وعلى كلّ حال، فهذا أمر لم يبيّنه الله لنا، والله تحدث عن اليوم في يوم القيامة: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١٣٥)، أو ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١٣٦).

(١٣٣) النساء: ٢٥.

(١٣٤) هود: ٧.

(١٣٥) الحج: ٤٧.

(١٣٦) المعارج: ٤.

الأرض الواحدة:

□ لماذا ذكر الله السموات بصيغة الجمع، والأرض بصيغة المفرد (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)^(١٣٧)؟

○ لأن ما عندنا - أي الأرض التي يعيش فيها الإنسان - أرض واحدة بحسب طبيعة النظرة الحسية العامة، وإلا، فإن الله أيضاً تحدث في بعض الآيات عن أراض سبع (وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)^(١٣٨)، كما تحدث عن السموات السبع.

خلق الجنة والنار:

□ هل خلق الله الجنة والنار، أو أنه يخلقهما في يوم القيامة؟

○ ينبغي على الإنسان أن يسأل عن الأشياء التي تمثل مسؤولية بالنسبة إليه. ثم إن القرآن يتحدث عن الجنة والنار كما لو كانا موجودين، ولكن كيف هما؟ في أي منطقة؟ ما هي جغرافيتهما؟ فذلك لا نعرفه، والمهم أن نركز عملنا وأوضاعنا على أساس أن نحصل على الجنة ونبتعد عن النار، أما مساحة الجنة أو النار، فذلك مما يعلمه الله. ولذلك، لا بد من أن نبتعد عن الخوض في ذلك، ونكتفي بما أخبرنا الله به؛ لأن ذلك من عوالم الغيب، ولم يُطلعنا الله على تفاصيله.

اختيار الأنبياء:

□ لماذا اختار الله سبحانه مَنْ اختارهم من الأنبياء من دون غيرهم من

البشر؟

○ «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»^(١٣٩)؛ لأن الله هو الذي خلق الناس، وهو الذي يعرف قابلياتهم وإمكاناتهم وأخلاقهم وما إلى ذلك، وكما أشرنا فيما سبق: (هذا علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله).

(١٣٧) هود: ٧.

(١٣٨) الطلاق: ١٢.

(١٣٩) الأنبياء: ٢٣.

حقيقة المجاز في القرآن:

□ يقول البعض إنه لا مجاز في القرآن الكريم، لأن المجاز في القرآن كأنه عجز الله تعالى عن التعبير، فما قولكم في ذلك؟

○ بل المجاز هو بلاغة في التعبير، بحسب طبيعة اللغة العربية، ولا بأس بقراءة الكتب التي تعالج المجازات القرآنية.

موارد التلّظ بالبسملة:

□ متى نتلّظ بالبسملة؟ وهل يجوز أن نتلّظ بها في منتصف السورة القرآنية؟

○ البسملة جزء من كل سورة إلا سورة التوبة، ويجب التلّظ بها في أول السورة في أثناء الصلاة، ويستحب أن يبدأ بها - في غير الصلاة - قبل البدء في أي عمل، وقبل البدء في قراءة القرآن، وإن كان من منتصف السورة.

معنى حمل العرش:

□ في الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾^(١٧٠)، هل الحمل حقيقي هنا أم رمزي؟

○ الحمل له معنى رمزي، وقد يراد به إدارة شؤونه وتحمل مسؤولياته، والعرش له معنى رمزي، وقد يراد به موقع التحكم بحركة الوجود وتدبير أموره.

الوقت في الجنة:

□ أرجو تبين رأيكم في تفسير الآية المباركة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١٧١). هل المقصود من «بُكْرَةً وَعَشِيًّا» أن

(١٤٠) الحاقة: ١٧.

(١٤١) مريم: ٦٢.

هناك ليلاً ونهاراً في الجنة؟ وإذا سلمنا أنه لا يوجد ليل وإنما هو نهار دائم، كيف يعرفون وقت الرب (بكرة) ووقت الـ (عشي)؟ وإذا سلمنا أن هناك وقتاً للنهار ووقتاً لليل، فهل مقداره نفس المقدار في عالم (الدنيا)، أم أنه شيء آخر؟

○ لعل المراد بذلك هو أن لهم ذلك متى شاؤوا، وليس المراد مجرد التحديد والإشارة إلى وقت معين. وعلى فرض وجود وقت، فاليوم غير اليوم الذي نعرفه، لأن الزمن إنما هو مقدار حركة فلك معين، ومن ثم ورد في قوله تعالى: «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون»^(١٤٢).

حشر الوحوش:

□ قال تعالى: «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ»^(١٤٣). ما معنى الوحوش في هذه الآية؟

○ الوحوش هي الحيوانات المفترسة وغيرها، وقد ورد في بعض الأحاديث، أنه إذا كانت شاة قرناء قد نطحت شاة جماء - ليس لها قرون - فإِنَّه في يوم القيامة، تنطح الجماء القرناء لتأخذ حقها. ولكن هناك كلام في أنه كيف تحشر الوحوش والحال أنها ليست مكلفة حتى تحاسب في يوم القيامة؟ ربما كانت حكمة الله سبحانه وتعالى تقتضي نوعاً من الحشر لكل المخلوقات في هذا المجال، والله العالم.

الأمثال في القرآن:

□ قال تعالى: «مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بَثُورَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»^(١٤٤)، وقال أيضاً: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنْ

(١٤٢) الحج: ٤٧.

(١٤٣) التكوين: ٥.

(١٤٤) البقرة: ١٧.

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ^(١١٦). هذان مثلان للمنافقين، فهل بدأ النفاق في المدينة أم في مكة؟

○ النفاق بدأ في المدينة؛ ويدل على ذلك ظاهر الحديث في القرآن الكريم عن المنافقين، وهم الذين لم يخلصوا في إيمانهم بالإسلام، بل إنهم خضعوا له، لأن الواقع العام آنذاك كان قد دخل في الإسلام، وكان الناس قد بايعوا النبي ﷺ على أن ينصروه بما ينصرون به أهلهم وعوائلهم وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن يكون لليهود الذين أدخلهم النبي ﷺ في معاهدة المدينة تأثير في ذلك، إذ كانوا يتحركون معهم في عملية تنسيق مستمرة.

نسيان آدم ﷺ:

□ يقول الله تعالى في شأن آدم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(١١٧). والسؤال: ما هو النسيان الموجّه إلى آدم؟ وكيف يمكن التوفيق بين النسيان وعصمة نبي الله آدم؟

○ أولاً، إن الله حذر آدم من إبليس ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(١١٨)، ولكن المسألة أن إبليس عندما وسوس لآدم، لم يكن لآدم أي تجربة في هذا المجال، ولم يكن لديه أي معرفة أو تصور بأن هناك مخلوقاً يمكن أن يكذب، ويمكن أن يحلف بالله كاذباً، ويمكن أن يغش مثلاً، وذلك عندما قال له إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(١١٩)، وأقسم لهما الأيمان في هذا المجال، فانساقا وراء ذلك. أما قضية العصمة في هذا المقام، فأولاً: إن آدم لم يكن في ذلك الوقت مكلفاً بأي رسالة، ولم يكن أيضاً في ذلك الوقت نبياً.

(١٤٥) البقرة: ١٩.

(١٤٦) طه: ١١٥.

(١٤٧) طه: ١١٧.

(١٤٨) الأعراف: ٢٠.

وثانياً: إن العصمة تقتضي أن لا يخالف أمر الله الذي يستتبع غضب الله والعقاب، أما إذا خالف أمراً إرشادياً، كما هو الحال في مقام النصيحة، فلا يُعدُّ ذلك معصية تستتبع عقاباً، بل معصية تستتبع تحمّل مسؤولية النتائج المترتبة على العصيان. ولتوضيح الفرق بين الأمرين المولوي والإرشادي نقول: الأمر المولوي هو الأمر القانوني الذي يستتبع الجزاء، والأمر الإرشادي هو كأمر الطبيب، كأن تقول أمرني الطبيب فعصيته، أمرني الناصح فعصيته، هذه معصية أمر إرشادي وليست معصية أمر مولوي كما يعبر الفقهاء، ولذا فهي لا تضر بالعصمة.

وربما كانت المسألة في تجربة آدم ﷺ خاضعة لدورة تدريبية له قبل نزوله إلى الأرض، وما مشكلته مع إبليس، إلا ليتعرّف طبيعة الواقع الذي سوف يواجهه، ولم تكن المسألة مسألة تكليف شرعيّ في حساب المسؤولية، والله العالم.

تخصيص ابن نوم بالنداء:

□ يقول القرآن الكريم في قصة نوح ﷺ: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٤٩). ما هو السبب في توجيه النداء إلى ابنه فقط من دون بقية الناس في مثل هذه الحالة الحرجة؟

○ نوح ﷺ كان - قبل ذلك - قد وجّه النداء إلى الناس ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾^(١٥٠). فقد ظلّ نوح ﷺ ٩٥٠ سنة يدعو قومه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(١٥١)، ولكن الله قال له: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا

(١٤٩) هود: ٤٢.

(١٥٠) نوح: ٥-٨.

(١٥١) العنكبوت: ١٤.

يَفْعَلُونَ»^(١٥٢)، وقد دعا عليهم نوح ﷺ «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»^(١٥٣)، وليست القضية أن نوحاً ﷺ كان عنده حالة نفسية ضدهم، بل لأنه كان يرى أن هؤلاء وصلوا في أساليبهم ووسائلهم وضغوطهم إلى مستوى لم يعد يمكن لأحد منهم أن يؤمن، «إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا»^(١٥٤)، بحيث لم يسلم من ذلك ابنه وزوجته.

(١٥٢) هود: ٣٦.

(١٥٣) نوح: ٢٦.

(١٥٤) نوح: ٢٧.

الفصل الثاني

المسائل العقائدية

اختلاف الأمة الإسلامية:

□ قال النبي ﷺ: ((اختلاف أمتي رحمة)). هل لهذا الحديث علاقة بالآية الكريمة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)؟

○ في بعض الأحاديث، ورد أنهم يختلفون إلى طلب العلم. ولكن على أي حال، إذا صح الحديث، فالمقصود باختلافهم هو تنوع عاداتهم الفكرية والعلمية، والتي تؤدي إلى المزيد من الحوار، وتؤدي إلى التطور في الحياة، والتوسعة في العلم، وليس الاختلاف بمعنى التفرق، والله العالم.

معرفة الله:

□ الحديث: ((أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه))، ما هو المراد بالعلم؟

○ العلم هو الذي يفتح الإنسان على وعي الكون، والذي يجعله يعرف الله تعالى، ((أول الدين معرفته))، ويعرف أنه الخالق، وأنه الرازق، وأنه القادر، وأنه الحكيم، وأنه الخبير، والعليم، ومعرفة حكمته، في خلقه للكون، وفيما أودع في الكون من أسرار العظمة، ومن أسرار الصنعة والحكمة، وما إلى ذلك، ((وآخر العلم تفويض الأمر إليه))، لأن الإنسان إذا عرف الله سبحانه وتعالى، في رعايته لخلقه، وفي رحمته ومغفرته، فإنه لابد من أن يفوض كل أموره إليه، لأنه المهيمن على الأمر كله.

ثبات الإيمان:

□ نفهم من محاضرتكم (عن الإيمان)، أن الإيمان يدخل في كيان الإنسان ويرافقه إلى حين أجله، فهل يفارق الإيمان الإنسان المؤمن بعد الموت؟

○ كيف يفارقه، وهو يعاين ما يؤكد له الإيمان بالآخرة، وبكل ما تحدث عنه القرآن الكريم؟! بل يزداد إيمانه؛ لأنَّ ما كان يراه في عقله، أصبح يراه في حسّه.

نزول عيسى عليه السلام:

□ إن الأمة تختلف في نزول عيسى عليه السلام، فما هو القول الحق في ذلك؟

○ هذا أمر لم نكلف الإيمان به، وعندما يحصل ونكون موجودين في ذلك الوقت، نعرف طبيعة الأمور.

الكسوف وعلامات الظهور:

□ هل حدوث كسوف الشمس يدل على قرب ظهور صاحب الزمان، أي أنها علامة من تلك العلامات؟

○ كم مرة حدث الكسوف في العالم! هذا لا علاقة له بالظهور، وقد قلنا أكثر من مرة، إن غيبة الإمام من غيب الله، وظهوره هو من غيب الله، ولا نعرف علامة حاسمة معروفة في صعيد الواقع المحسوس، بحيث نستطيع من خلالها أن نتيقن القضية بكل وضوح، فلنترك الأمر لله سبحانه وتعالى في ما احتفظ به من غيبه، ولنقم بمسؤولياتنا في ما يريدنا الله تعالى أن نقوم به، في الدعوة إلى الإسلام، وإلى العدل، وإلى القيام بكل ما يتوجب علينا عامة وخاصة.

المسائل التاريخية والعقيدية:

□ يحاول البعض أن يربط المسائل التاريخية بالعقيدة، بحيث إذا أنكر بعضها فإن ذلك يستلزم إنكار أقوال الأئمة عليهم السلام، فما هو رأيكم في ذلك؟

○ لا علاقة للمسائل التاريخية بالعقيدة؛ لأن المسائل التاريخية تبحث الحادثة، هل حصلت في التاريخ أو لم تحصل، سواء كان البحث عن سندها، أو عن مضمونها، وقد يكون ذلك بالمقارنة بين هذه المسائل وبين

ما يثبت عن الله تعالى وعن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، ثبوتاً يقينياً وقطعياً. وقد يكون لبعض المسائل التاريخية علاقة بالجانب العقائدي، وقد لا يكون، ولا يجري الربط بين المسائل التاريخية والعقائدية كيفما اتفق، وإنما على أساس الحجة والعلم. نعم، عندنا أن إنكار الضروري، وهو البديهي، قد يوجب الكفر، هذا إذا كان الإنسان ملتفتاً إلى الملازمة بين إنكار ما ثبت بديهياً، وبين تكذيب النبي ﷺ، أما أنه لم يثبت عند شخص قضية تاريخية، فلا يوجب بمجرده الكفر ما لم يرجع إلى إنكار ضروري.

الأرواح الروحانية:

□ ما هي الأرواح الروحانية؟ هل هي الملائكة؟

○ لا يوجد عندنا مثل هذا المصطلح، والملائكة حدثنا الله عنهم في القرآن الكريم، وأنه سبحانه وتعالى وظفهم في كثير مما يتصل في مواقع الكون، وهم طبيعة الحال أرواح، والروح من أمر الله، وقيل: خلق عظيم من الملائكة.

التوحيد والشرك:

□ هل يُعتبر الشرك عقبة في وجه التكامل الإنساني؟

○ إنَّ توحيد الله تعالى وطاعته وعبادته والسير فيما خطه للبشر من صراط مستقيم، يُوصل إلى السعادة والكمال، وهو الأساس في تحقيق هدف الإنسان في تكامله ورقته وسعاده، لأنَّ التوحيد يمثل انفتاح الإنسان على الكون كله والإنسان كله، من خلال قاعدة الوحدة التي تنطلق من خلال وحدانية الله في الواقعين التكويني والتشريعي، بينما الشرك يمثل انحطاط الإنسان الفكري في عالم التصور والممارسة، من خلال استغراقه في الاندماج في الشريك من الحجر والبشر، ما يُبعده عن حقيقة الجوهر في الواقع.

علامات الظهور:

□ هل هناك مصدر شرعي لما يُسمى علامات الظهور؟

○ لا نجد هناك أي مصدر موثق يدلُّنا بشكل واضح على علامات الظهور، وإلّا ما هو أمرٌ من غيب الله، فالغَيْبَةُ والظهور هما من غيب الله، ونحن نقول: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(٢).

عزل الدين:

□ يرى البعض أن أوروبا الحديثة لم تصل إلى ما وصلت إليه من هذا المستوى المتطوّر إلا بعد أن وضعت الدين جانباً وعزلته في الكنيسة، وأنّ العالم الإسلامي لن يتطوّر إذا لم يحذو أوروبا ويعزل الدين في المسجد، فما رأيكم بهذه المقولة؟

○ إنّ العالم الإسلامي لم يتخلف لأنّه أخذ بالدين، بل على العكس، فإنّه تخلف عندما ترك الدين، ونحن نعرف أنّ الإسلام صنع الحضارة عندما كان الغرب غارقاً في التخلف والجهل، ونحن نقرأ لـ (نهر) في كتابه (لمحات من تاريخ العالم) قوله: إنّ الحضارة الإسلاميّة هي أم الحضارات الحديثة. وما قوله هذا إلا لأنّ الإسلام نقل الحضارة إلى الغرب من خلال انتشار الإسلام في إسبانيا، وانتقاله من هناك إلى أوروبا. ولذلك، فإنّ هؤلاء الذين يتحدثون بهذه اللغة هم كالبيغاء، حيث سمعوا أنّ الدين ضدّ العلم وضدّ الحياة، لأنّ التجربة الكنسيّة لم تملك عناصر الحضارة في عهودها السابقة، أمّا الإسلام، فإنّه يملك العناصر الحضاريّة المنفتحة على العقل الذي ينتج العلم، وعلى التجربة الإنسانية في حقوق الإنسان والاعتراف بالآخر وما إلى ذلك. بعض الناس لا يقرأون جيّداً، ولكنهم يردّدون الكلام الذي يسمعون به بطريقة ببغائيّة.

شروط استجابة الدعاء:

□ في رأيكم، ما هي الأدعية التي يُعرف عنها علو مقامها، بحيث يترتب عليها الاستجابة السريعة؟

○ من شروط استجابة الدعاء، التوجّه إلى الله بإخلاص وإلحاح واستغفار من الذنوب، وهناك الكثير من الأدعية العالية المقام، كدعاء كميل، ودعاء التوبة، وأدعية الصحيفة السجادية بشكل عام، ودعاء أبي حمزة الثمالي وما إلى ذلك...

الموقف من بعض العقائد:

□ بعض المسائل العقائدية، ليس للاعتقاد بها أو عدم الاعتقاد بها أي ثمرة عملية في حياة المكلف، فهل يجب على المكلف والحال هذه، أن لا يحدّد موقفه من تلك المسائل إثباتاً أو نفياً؟

○ ما يجب على الإنسان أن يعتقدّه إنّما هو في القضايا المتصلة بأساس العقيدة، كما التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة والنبیین، وأن القرآن منزل من الله، أما القضايا الأخرى التي يُتحدّث عنها في علم الكلام أو في غيره من الأمور النظرية، فلا يجب الاعتقاد بها، لكن إذا بحث فيها، واعتقد أنها حقيقة، فعليه أن يعتقدّها من باب الإيمان بالحقيقة، لا من جهة أنها دخيلة في أصل إسلام الإنسان أو إيمانه. ومع الأسف، فإن الكثير من الناس يضلّلون بعض الناس، لأنهم أنكروا بعض الأمور التي هي محل خلاف نظري؛ إذ ربّما يستدل عليها أحدّ بدليل، وشخص يستدل بها بشيء آخر، بما لا ينافي التوحيد، ولا ينافي النبوة، ولا ينافي القرآن وما إلى ذلك.

حدود الكفر:

□ روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "لو أن الناس إذا جهلوا توقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا". ما هو المقصود من هذه الرواية؟

○ الإمام الصادق عليه السلام يقول إن الكفر هو الجحود، ولذلك فإن الشخص الذي عنده شك وبحث في موضع الشك ولم يصل إلى نتيجة، فهو ليس كافراً، إنما هو شاك. ويروى أيضاً كما في الكافي، أن شخصاً سأله قال: رجل شك في الله، قال عليه السلام: كافر، قال: شك في رسول الله، قال عليه السلام: كافر، ثم عقّب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: إنما يكفر إذا جحد. يعني أنه إذا بقي في حالة الشك، وقد دعاه الشك إلى البحث، فهو ليس كافراً، بل هو رجل باحث عن الحقيقة، أما إذا جحد وهو شاك، فيكفر عند ذلك.

عقوبة المسخ:

□ هل رفعت عقوبة المسخ بعد بعث النبي صلى الله عليه وآله؟ وإذا رفعت هذه العقوبة، فهل إن رفعها عن المسلمين خاصة أم عن البشر عامة؟ وهل إن الممسوخين من اليهود هم أصل القردة والخنازير، أم أنهم مسخوا على شاكلة هذه الحيوانات ثم ماتوا؟

○ الظاهر أن مسألة مسخ الإنسان قرداً أو خنزيراً كانت في مرحلة معينة، ولم تكن عقاباً شاملاً متحركاً في كل المراحل، ولذلك فقد رفعت في مراحل أخرى وانتهى الأمر، وليست مختصة بالمسلمين أو ما إلى ذلك، وقد كان هناك قردة وخنازير، وقد حصل المسخ على شاكلتهم، في الوقت الذي استمرّ القردة والخنازير يتناسلون ويتابعون وجودهم بشكل طبيعي. ويقال إن الذين مسخوا ماتوا ولم يبقَ منهم أحد. كما أن هناك روايات تتحدّث عن أن المسوخ لا تتناسل.

تحديد ضروريات الدين:

□ ما هو المعيار والميزان لضروريات الدين التي يجب الاعتراف بها، وإلا خرج غير المؤمن بها من الإسلام، مع العلم أن العلماء يختلفون فيها؟

○ كلمة ضروري الدين يراد بها ما كان ثبوته في الدين على نحو البداهة، بحيث يكون تصوّره كافياً في الإيمان به من دون حاجة إلى إثارة الجدل حوله، ولم يكن من الأمور النظرية التي يمكن أن تقع موضع خلاف، مثل وجوب الصلاة مثلاً، فنحن نعرف أن وجوب الصلاة هو من ضروريات الدين، فمن أنكر وجوب الصلاة فإن إنكاره يؤدي إلى تكذيب القرآن وتكذيب الرسول، لأن الرسول أكد ذلك، ولكن العلماء يقولون إنما يكون إنكار الضروري من الدين موجباً للكفر إذا كان المنكر ملتفتاً إلى الملازمة بين إنكاره وبين تكذيبه للرسول، أما إذا كان غافلاً عن ذلك، فلا يكون إنكاره للضروري موجباً للحكم بكفره.

الفرح بالدنيا:

□ ما معنى قول أمير المؤمنين (ع): ((إن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه)).

○ إن الإمام (ع) يتحدث عن أن كل شيء في الدنيا يعرض للإنسان، سواء كان من الأمور الإيجابية أو من الأمور السلبية، سوف يحصل، لأن أسبابه وجدت، فمثلاً الشخص يفرح إذا رزق بولد، فإذا تحققت أسباب أن يأتيه الولد فسيأتيه، فهو يفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، لأن سببه تحقق، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه؛ إذ يحزن على وفاة أحد أقربائه أو أصدقائه، فبطبيعة الحال أن هذا الإنسان الذي يموت مات بأجله، ولذلك فهو عندما يحزن يحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه، باعتبار أنه لم يكن هناك شخص يتاح له البقاء إلى الأبد في الحياة.

علم الكلام:

□ طرحتم مجموعة من الأفكار فيما يتعلق بتحديد علم الكلام، فما هي أهم معالم ما طرحتموه؟

○ هذا يحتاج إلى محاضرة في علم الكلام، ويمكن متابعة هذه المعالم في مفردات مبثوثة في محاضراتي، وبعض كتاباتي، خاصة ما تحدثت به في أحد المؤتمرات الذي عقد في إيران عن الشيخ المفيد.

السب والبراءة:

□ في قول الإمام علي عليه السلام: ((أما السب فسبوني فإنه لكم نجاة ولي زكاة، وأما البراءة فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة))، هل هناك فرق بين هذين الاتجاهين؟

○ أرادني أن يبين لهم أن الذين يطلبون منكم البراءة مني، فإن هؤلاء يطلبون البراءة من الإسلام، لأنني ولدت على الفطرة، وقد بادرت إلى الالتزام بالإسلام، كما بادرت إلى الهجرة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهؤلاء الذين يدعون الإسلام ويطلبون منكم البراءة مني، إنما يطلبون البراءة من الإسلام، لا البراءة من شخصي في هذا المجال.

القرب من الله

□ ما تفسيركم للحديث القدسي: "ما زال عبيد يتقرب إلي بالنوافل، حتى أصبحت سمعه الذي يسمع به، ويده التي يبسط بها"، والبعض يعتبر ذلك من باب الغلو، فما رأيكم في ذلك؟

○ ربّما كان معناه أن الله يعينه، وأن الله سبحانه وتعالى يساعده، وليس معناه أن يجعله يداً لله، وسمعاً له، لأن هذه الكلمة واردة على نحو الكناية، وليست واردة على نحو المعنى الحرفي.

دين النبي محمد ﷺ قبل البعثة:

□ قرأت في الكتاب أن النبي ﷺ كان قبل البعثة على دين إبراهيم عليه السلام، لماذا لم

يكن النبي ﷺ على دين عيسى ﷺ، باعتبار أن زمان عيسى ﷺ أقرب إلى زمان النبي ﷺ؟

○ دين إبراهيم هو الدين الذي يشمل كل الأديان من بعده «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»^(٣)، يعني إسلام العقل والقلب واليد واللسان لله، ولذا كان موسى ﷺ مسلماً، وكان عيسى ﷺ مسلماً، وكان محمد ﷺ مسلماً، وقال تعالى عن إبراهيم ﷺ: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ»^(٤)، وقال سبحانه: «قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»^(٥)، ثم إن الله تعالى يقول: «مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ»^(٦)، فكلمة الإسلام هي الإسلام لله، وهي كلمة تشمل كل الأديان.

معرفة إمام العصر:

□ ((من لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)). إمام زماننا الغائب هو المهدي (عج)، فمن هو إمام زماننا الظاهر؟

○ إن الله بحكمته استقلَّ بغيبته، وليس هناك إمام ظاهر غيره.

الحوار مع الكتابيين:

□ كيف يمكن الحوار مع المسيحية المعاصرة، وهي لا تعترف أصلاً برسولنا محمد ﷺ، بل رأيهم أن السيد المسيح ﷺ هو الأول والآخر؟

○ الحوار لا يعني أن تعترف بكل ما عند الآخر أو يعترف الآخر بكل ما عندك، بل الحوار هو أن تطرح وجهة نظرك ويطرح هو وجهة نظره، وتتحدوران

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) البقرة: ١٣١-١٣٢.

(٥) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٦) الحج: ٧٨.

على ما هو الحق في هذا أو في ذلك، فإمّا أن تتفاهما، أو يقنع أحكما الآخر.

التبرك بقبور الصالحين:

□ هل يعتبر التبرك بقبور الأنمة وأهل البيت ﷺ والصالحين من تقبيل

ومسح جانز شرعاً؟

○ ليس محرماً في ذاته إذا لم يصل إلى مستوى الاستغراق التعبدية، ولكن حقيقة الزيارة هي أن يتفكر الإنسان في سيرة أهل البيت الذين يزورهم، ويستذكر تعاليمهم، وما إلى ذلك، ليزداد إيماناً بهم وبما دعوا إليه، والشاعر يقول على لسان مجنون ليلي:

أمرُّ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
وهذا نظير ما إذا كان الشخص يقبل القرآن، لأن جلد القرآن ليس هو القرآن، فهذه المسألة تتصل بالمشاعر ولا تتصل بالعقيدة.

جغرافية التقية:

□ هل توافقتي بما يسمى بجغرافية التقية، أي أن التقية تضبط درجاتها

بحسب المكان والسلطة الأمرة في هذا المكان أو ذاك؟

○ طبعاً التقية حكم يتحرك في الدائرة التي يخشى الإنسان فيها على نفسه أو على الخط الأصل الذي يؤمن به إذا عبّر عما يؤمن به وما إلى ذلك، ولكن كما قال الإمام الصادق (من غير فساد في الدين).

معنى تقرير النبي ﷺ:

□ يقال إن السنة هي قول النبي وفعله وتقريره، فما معنى التقرير؟

○ التقرير هو أن يكون النبي قد شاهد شيئاً يفعله بعض الناس ولم يعترض عليه وأقرّه، ما يدل على أنه يرى كونه مشروعاً.

الألم واللذة كصفات لله تعالى:

□ ما معنى الحب والبغض والألم واللذة بالنسبة إلى الله تبارك وتعالى؟

○ المراد منها آثار الحب، بمعنى الثواب من الله والقرب منه، فإن الله يحب المحسنين، بمعنى أنه يقربهم إليه ويثيبهم على إحسانهم، وكذلك فإن الله يبغض الكافرين، بمعنى يبعدهم عنه، لأن الحب والبغض هما حالتان شعوريتان من شؤون الجسم، والله في عقيدتنا ليس جسماً، وهكذا بالنسبة إلى الألم واللذة في هذا المجال، فالمراد من هذه الأمور آثارها، وليس المراد منها طبيعتها بحسب ما يوحي به اللفظ من الحالة الشعورية التي تكون لدى الإنسان.

جنة الدنيا والآخرة:

□ هل هناك فرق بين جنة الدنيا أو عالم البرزخ، والجنة الحقيقية؟ ومن أي جنة هبط آدم؟ ولماذا سميت جنة الدنيا؟ وأين تكون أرواح الموتى فيها؟ وهل كل ما ذكر من ملائكة وأرواح ونعيم وأنهار... الخ هو في جنة الدنيا أم في غيرها؟

○ هذا علم لم يعطنا الله تفاصيله ولم يكلفنا به، فهل جنة آدم هي في السماء أم في الأرض؟ ما هو عالم البرزخ؟ وما إلى ذلك، المهم أن نستعدّ لنكون من أهل الجنة، والله تعالى يقول: «سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْإِتْسَافِينَ»^(٧). المهم أن نكون من المتقين الذين يستحقون الجنة، وعندما نصل إلى هناك نعرف جغرافية الجنة. وعلينا أن تكون أسئلتنا فيما يتعلق بمسؤوليتنا المعرفية في مجال العقيدة، أو مسؤوليتنا العملية في مجالات الشريعة.

خلق المشوهين والمجانين:

□ لماذا خلق الله المشوهين خلقياً والمجانين والذين لديهم نقص في عقولهم؟ ألا يلزم ذلك العبث؟

○ يعتبر السائل أن الله سبحانه وتعالى مثلما خلق آدم، خلق المشوّه وخلق المجنون بشكل مباشر!! ولكن القضية ليست كذلك. الله عندما خلق الكون، خلقه على أساس القوانين التي أودعها في الكون، تلك القوانين التي أودعها في خلق الإنسان، وذلك أن الجنين يتأثر بالواقع الصحي لأمه، ويتأثر بالواقع الوراثي لأبيه، ويتأثر بالواقع المناخي الذي يحيط به، وليس الأمر أن الله قال له كن مجنوناً بشكل مباشر، أو قال له كن مشوّهاً بشكل مباشر، بل إن الله خلقه على أساس القانون الذي أودعه في تكوين الآباء والأمهات. وهذا السؤال مثل السؤال القائل: لماذا خلق الله شخصاً طويلاً؟ لماذا خلق الله شخصاً قصيراً؟ لماذا خلق الله شخصاً أسود؟ ولماذا خلق الله هذا ذكياً وخلق ذاك غيباً؟ وما إلى ذلك. هذه أمور تنطلق من خلال قوانين الخلق في التكوين الإنساني، بل هي قوانين الخلق في النظام الكوني في تنوّعاته ومفاعيله وأثاره. قد يقول قائل: لماذا لا يضع الله سبحانه وتعالى قانوناً لا يشوّه فيه أحد، ولا يجنّ فيه أحد، ويكون فيه كل الناس طوالاً، وجميلين، وكل الناس أذكىء؟ والجواب، أن ذلك ممّا تقتضيه طبيعة المادة ومحدوديتها؛ إذ إنّ طبيعتها تقتضي أنه إن أريد تتميم النقص في جانب، وقع النقص في جانب آخر...

إنّ عالمنا هو عالم المحدود، فلا يربح الإنسان شيئاً إلا ويخسر في المقابل شيئاً آخر، ثم لماذا نعتبر هؤلاء المشوّهين في وضع سلبيّ مطلق؟! فإنه قد يكون المشوّه أو من عنده إعاقة معينة أكثر نجاحاً من غيره.

والخلاصة، أن الله سبحانه وتعالى ركز الحياة كلها على أساس المحدود، فليس هناك شيء سلبيّ مئة بالمئة، وليس هناك شيء إيجابي مئة بالمئة، بل حتى السلبي قد يختزن بعض الإيجاب، والإيجابي قد يختزن بعض السلب... افهموا طريقة خلق الخالق وطبيعة المحدودية، أمّا حكاية أن هذا عبث، فمن قال إنه عبث؟

فقد يكون هناك حكمة بالنسبة إلى الجنون أو التشويه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٨)، وهو الذي له الحكمة في كل شيء.

التاريخ وفلسفته:

□ ما الفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ؟ وكيف أقرأ التاريخ؟

○ التاريخ هو عبارة عن الحوادث التي تحدث في الزمان الماضي على الأمم وعلى الواقع، أما فلسفة التاريخ، فهي عبارة عن دراسة الخلفيات التي أنتجت هذا التاريخ، والنتائج التي تنتج عن حركة التاريخ، وعلى الإنسان أن يقرأ التاريخ ليدرس الحادثة ويدرس أسبابها وخلفياتها ونتائجها وامتداداتها.

عالم آل محمد ﷺ:

□ ما هو سبب تسمية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عالم أهل البيت؟

○ هذه الكلمة وردت عن الإمام الكاظم عليه السلام، عندما كان يخاطب أبناءه: ((هذا أخوكم علي بن موسى الرضا، عالم آل محمد ﷺ، فاسمعوا له واحفظوا منه)).

التقليد في الأصول:

□ من المعلوم أنه لا تقليد في الأصول، فإذا قطع المكلف بالاعتقاد بدليل عقلي ووجداني أيضاً، فهل يجب عليه أن يعرض اعتقاده على أولى الخبرة في هذا المجال، أم على مرجعه الذي يرجع إليه في تقليده؟

○ إن قضية العقيدة هي قضية فكرية وثقافية، فإذا وصل الإنسان إلى نتيجة، فعليه أن يرجع إلى أهل الخبرة المختصين بشؤون العقيدة من الناحية العلمية، وليس مكلفاً في أن يرجع إلى مقلده، لأن الرجوع إلى المقلد إنما هو في الأمور الشرعية لا في الأمور الاعتقادية.

عقوبة إيذاء الآخرين:

□ هل هناك عقاب في الدنيا والآخرة للذين يؤذون الغير، بالكلام السييء أو ما أشبهه؟

○ من الطبيعي أن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات، فإن الله تعالى سيعاقبهم، لأن إيذاء المؤمنين والمؤمنات أمر محرم شرعاً^(٩).

اسم الله والشفاء به:

□ ما المعنى المقصود من الكلام المذكور في الدعاء: ((يا من اسمه دواء، وذكره شفاء، وطاعته غنى))؟

○ المقصود من فقرات الدعاء، هو التوجه إلى الله بأن نذكره ونستعين به، فالله سبحانه وتعالى برحمته قد يجعل من ذكره دواءً، فيشفينا بإرادته وقدرته، والإنسان عندما يطيع الله، فإن الله يرضى عنه ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا معنى ((وطاعته غنى)).

الغلو والشرك:

□ ما الفرق بين الغلو والشرك؟

○ الشرك هو اعتقاد وجود شريك لله تعالى، وهو عنوان مناقض للإسلام؛ دين الوحدانية الخالصة، بل ويناقض ديانات أهل الكتاب الذين يؤمنون بالوحدانية المشوبة بشيء من عقائد الوثنية. أما الغلو، فهو فهم خاطئ لبعض العقائد الإسلامية، وقد يورط قائله بالشرك. فالغلو إذا إفراط في الرأي ينطلق من فهم خاطئ للعقيدة الإسلامية، فيما الشرك عقيدة تامة مناقضة للإسلام ومغايرة له تماماً، وقد يتجلى إفراط الغالي في نسبة بعض أفكار الشرك إلى الإسلام خطأ وتوهماً.

(٩) في الحديث القدسي: ((من أهان لي ولما فقد أُرصد لمحاربتي)). وفي الحديث أيضاً: ((حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة)). (المعذ)

عودة المسيح والمهدي ﷺ:

□ هل سيعود المسيح ﷺ مع الإمام المهدي ﷺ في آخر الزمان؟ وما هو الدليل على ذلك؟

○ يذكر ذلك عدد من الأحاديث الشريفة المعروفة والمذكورة في كتب الحديث المعنية بذلك.

رؤية الرسول ﷺ في المنام:

□ يروى في أحاديث كثيرة عند كل المسلمين، أنه من رأى الرسول في الحلم أو المنام، فإنه رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل فيه، فما رأي سماحتكم؟

○ لم تثبت صحة هذا الحديث، غير أنه لا ريب في أن رؤية المعصوم ﷺ في المنام فيها راحة للنفس.

دور الأئمة ﷺ:

□ عند الإمامية الإثنى عشرية، هناك اثنا عشر إماماً، كان لكل إمام دور في زمانه، أما الإمام الثاني عشر، فيقول البعض إن دوره معطل حتى الظهور، فما حقيقة ذلك؟

○ كان دور الأئمة الأحد عشر دور تأصيل الرسالة وامتدادها وإيضاحها وتفسيرها، ومنع كل محاولة عبث بها بكل قوة، وكان دورهم هو دور حماية الرسالة من الانحراف. وقد استكمل الأئمة من أهل البيت ﷺ بيان ذلك كله، حتى لم تعد هناك أي حاجة إلى شيء آخر، يعني لم تكن هناك أي حاجة لأي دور تعليمي في هذا المجال. ولذلك ورد عن الإمام الحجة ﷺ في توقيع مروي عنه: ((وأما الحوادث الواقعة - يعني ما يقع من الحوادث - فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتى عليكم وأنا حجة الله))، يعني إذا اعترضتكم بعض المسائل، فهناك الأحاديث الواردة عن

أئمة أهل البيت التي يمكن أن تحل لكم كل المشاكل، وتبين لكم كل الوقائع وما إلى ذلك. كانت أدوار الأئمة أدواراً تتحرك في هذا النطاق. ودور الأئمة، وإن لم يكن دوراً تغييرياً على مستوى حركة الواقع، إلا أنه كان دور حماية الرسالة من الانحراف ودور تفصيل الرسالة. أما دوره، فهو إصلاح العالم ونشر العدل فيه، ((يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))، ولذلك فدوره ليس دوراً هامشياً، بل هو من أعظم الأدوار، لأنه الدور الذي يكمل فيه حركة الرسالة، وينشر فيه العدل الشامل على أساس الإسلام في الحياة كلها.

أجداد الأنبياء:

□ لقد ورد عن النبي ﷺ، أنهم ما زالوا ينتقلون من أصلاب طاهرة وأرحام مطهرة. فماذا في آباء أم الإمام السجاد عليه السلام والإمام الحجة عليه السلام مثلاً؟ وما المراد من الطاهرة هنا؟

○ المراد من (الطاهرة) - كما ورد في حديث الإمام الباقر عليه السلام - أنهم من نكاح دون سفاح، أي أنه زواج شرعي. وليس المراد أن يكونوا مؤمنين أو يكونوا مسلمين. ولذا نحن نقول إنه ليس لدينا دليل على أن آباء الأنبياء لابد من أن يكونوا مؤمنين.

حقيقة الطواف:

□ يطرح بعض المسلمين أن الطواف في الحج حول الكعبة هو تعبير عن التفاف الناس حول الإمام علي عليه السلام. ما رأيكم في ذلك؟

○ الطواف حول الكعبة كان قبل وجود الإمام عليه السلام، لذلك فإن هذا الكلام لا معنى له، والاعتقاد به شرك؛ لأن الطواف حول الكعبة هو طواف لبيت الله، وهو طواف رمزي، يعني أن يعيش الإنسان كل حياته متواجداً في ساحات الله سبحانه وتعالى التي تمثل طاعة الله في كل شيء.

الدليل العقلي على وجود الإمام المهدي عليه السلام:

□ ما هو الدليل العقلي على وجود الإمام الثاني عشر؟

○ هناك دليل شرعي، من خلال ما ورد من أحاديث النبي ﷺ: ((إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، فإنّ تقرير الحديث، أنّ الكتاب والعترّة لا يفترقان، يعني أنّه في كلّ وقتٍ يوجد فيه القرآن، فهناك واحدٌ من أهل البيت عليه السلام. وهناك أحاديث كثيرة تدلّ على ذلك بالتفصيل، ولاسيما أنّ الله أراد للعدل أن ينتشر بين الناس بشكل مطلق، وبشكل شامل، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود قيادة فاعلة مفتوحة تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١٠).

رعاية الإمام المهدي للحركة الإيمانية:

□ الشيعة الإمامية تعتقد أن الإمام الثاني عشر حيّ يرزق، وهو امتداد للنبي ﷺ، والسؤال هو: لماذا لا يتدخل الإمام لتصحيح الفتاوى المنحرفة، سواء كانت تلك الفتوى صادرة من السنة أو من الشيعة، ولاسيما أنّ رسالة الإمام عالمية، وليست مختصة بالشيعة فقط؟ أليس عدم تدخله هذا ينافي تكليفه من حيث إنه مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

○ لقد بيّنا فيما سبق، أن دور الإمام هو الدور التغييري للعالم كله في المرحلة النهائية للعالم، وأن دور التوعية ودور التبليغ وتأكيد المفاهيم وتصحيحها، كان منوطاً بالأئمة السابقين الذين انطلقوا من خلال خط الرسالة وخط النبوة. وهناك قواعد كثيرة تركوها لتصحيح ما فسد، ولتصحيح ما أخطأ الناس فيه. لذلك، ليست هناك أية فراغات في هذا المجال، ولكن إذا لم يأخذ الناس بها، فإن الناس هم المسؤولون عن ذلك.

ترك الذنوب حياءً:

□ ما رأيكم في رجل يترك الذنوب حياءً؟ وهل يعتبر هذا شركاً؟

○ المهم أن يترك الإنسان الذنوب، سواء كان تركه من جهة امتثال النواهي التي أصدرها الله، أو من خلال الحياء، أو من خلال المزاج النفسي، ولا يعتبر هذا شركاً بالله سبحانه وتعالى. نعم، هذا يفقده الثواب، لأن الإنسان إنما يثيبه الله على ترك المعاصي امتثالاً لأمر الله.

الفطرة الإنسانية:

□ ما معنى الحديث: ((كل مولود يولد على فطرة الإسلام))؟

○ يعني أن الإنسان لو ترك لنفسه ولفكره، فإن الفطرة تقوده إلى التوحيد، والإسلام يرتكز على التوحيد، ولذا ورد الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه...))، وقد ورد في القرآن الكريم: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(١١).

رحمة الاختلاف:

□ ما معنى الحديث: ((اختلاف أمتي رحمة))؟

○ قد يناقش البعض في هذا الحديث على مستوى السند، لجهة أنه ليس حديثاً موثقاً. وبعضهم يتحدث عن تفسيره، كما روي في بعض الروايات، أنه بمعنى ((اختلافهم إلى طلب العلم))، يعني ذهابهم إلى طلب العلم، وبعضهم يقول إن ذلك يعني اختلافهم في توجهاتهم وفي أعمالهم التي تختلف فيها الخطوط والحركات بما لا ينافي الخط الإسلامي المستقيم، وربما يقول بعضهم إنه إشارة إلى قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ»^(١٢)، ولكن هذا كله يؤكد

(١١) الروم: ٣٠.

(١٢) هود: ١١٨-١١٩.

أن الاختلاف في ذاته ليس رحمة، ولكن الله قد يرحم الناس عندما يختلفون بأن يهديهم إلى الصراط المستقيم.

الخوف من الموت:

□ الخوف من الموت تحوّل عندي إلى حالة مرضية، حتى إنني لا أستطيع أن أرى ميتاً، هل من نصيحة؟

○ إن الموت هو سُنّة الله، فهو «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»^(١٣)، إن الله خلق الموت والحياة، وجعل ذلك سُنّة وقانوناً بالنسبة إلى الناس، وأراد لهم أن يفكروا، وأن يفهموا أن الحياة ليست حياة خلود، وأن دورها هو دور المسؤولية التي لا بد للإنسان من أن يتحمّلها، ليوافق نتائج المسؤولية غداً في الدار الآخرة، وأن الموت ليس موتاً مطلقاً، بل إنه يمثل الجسر بين حياة وحياة أخرى. فالإنسان ينطلق من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، وقد عبّر عن ذلك أبو العلاء المعري:

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهاهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما لى إلى دار شقوة أو رشاد

معنى الإحالة الإلهية:

□ هل الإحالة من الله بين المرء وقلبه جبرية أم من باب اللطف؟

○ ليس معنى أن الله يحول بين المرء وقلبه، أنه يغيّر فكره بشكل مباشر، ولكن معنى ذلك، أن الله قادر على أن يغيّر للإنسان فكره وشعوره وأحاسيسه، لا بمعنى أن يجبر الإنسان على ما لا يريد.

عبارات توحى بالشرك:

□ يأخذ علينا البعض بأننا نردّد دائماً عبارات (يا علي، يا حسين) ويتهموننا بالشرك بسبب ذلك، ما رأيكم بذلك؟

○ ليس مقصود الشيعة بهذه العبارات، أنهم يدعون الأئمة ﷺ دون الله، بل للاستشفاع بهم إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما الشرك أن يعبد الإنسان مع الله أحداً أو أن يدعو مع الله أحداً... ونحن لا نشجّع على ذلك، لما يترتب عليه من إساءة إلى المذهب الشيعي الإمامي، باعتبار أنه يوم غير ما يقصده أصحابه، وربما يتطور ذلك ويتحول ليصبح عقيدة.

نفي العصمة عن الأنبياء:

□ ماذا تقولون في الشبهة التي تقول أن لا معصوم إلا الباري، وحيث إن الجماعة تقول بعصمة النبي ﷺ فقط، وإن كانوا يشككون في عصمته ﷺ في عدد من الموارد، ولذلك قالوا بالشبهة بالنسبة إلى الأئمة ﷺ، ودليلهم على ذلك الدعاء الذي علمه الإمام علي ﷺ لكميل بن زياد، وفيه طلب للمغفرة؟

○ أولاً، الحديث عن أنه لا عصمة إلا لله فيه تفصيل؛ لأن علينا أن ندرس أدلة العصمة، سواء عصمة الأنبياء أو عصمة الأئمة ﷺ، فإذا ثبتت هذه الأدلة، فلا بد من أن نقول إن الله عصم أنبياءه وعصم أوليائه وهم الأئمة الطاهرون. ولذلك حاولنا أن نستدل على العصمة بقول الله سبحانه وتعالى، وهو يتحدث عن دور الأنبياء، وأنهم يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، فلا بد من أن يكون الإنسان الذي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور نوراً كله؛ لأن (فاقد الشيء لا يعطيه). لا بد من أن يكون نوراً في عقله، فلا يخطئ عقله الحقيقة، ولا بد من أن يكون نوراً في قلبه، فينبض قلبه بالحق وبالمحبة، ولا بد من أن يكون كذلك في حركته في الحياة في قوله وفعله. فلذلك نقول، إن ما دلّ على أن دور النبي أنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، يصلح لأن يكون موحياً بالعصمة.

وأما بالنسبة إلى الأئمة^(ع)، فنقول أولاً: الإمامة هي امتداد عملي للنبوّة، ودور الإمام هو أن يصحح ما أخطأ به الناس وما انحرّفوا فيه. وثانياً: الآية الكريمة «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(١٤) تدلُّ على عصمتهم.

وعلى ضوء هذا، فإن هناك أكثر من دليل على عصمة الأنبياء والأئمة^(ع). أما قضية الدعاء، فهي ليست مختصة بالإمام علي^(ع)، فحتى النبي^(ص) يستغفر ربه. يقول تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»^(١٥)، وقوله تعالى: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا»^(١٦).

وقد وردت الكثير من الآيات التي تؤكد مسألة الاستغفار، وهنا يقول المفسرون: إن الاستغفار لا يعني أنه يستغفر بصفته محمداً بن عبد الله، أو بصفته علياً بن أبي طالب، أو بصفته زين العابدين، بل بصفته الإنسانية، أي أنا الإنسان اغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها، وكأنه يستغفر الله سبحانه وتعالى لمعنى الإنسان فيه، لا لمعنى الإمامة أو النبوّة. هذا إضافة إلى أن الاستغفار يمثل حالة الخضوع وحالة التواضع، فاستغفار الأنبياء واستغفار الأئمة، إنما هو نوع من أنواع التواضع لله، وإظهار العبودية له سبحانه وتعالى في ذلك كله.

الولاية التكوينية والدعاء:

□ قيل إن النبي أو الإمام إذا دعا الله في أي شيء، فإن الله سوف يستجيب دعاءه، وهذا هو معنى الولاية التكوينية، ما رأيكم في هذا الكلام؟

○ هذا الكلام ليس دقيقاً، إذ إن الولاية التكوينية يقصد بها البعض أن الله

(١٤) الأحزاب: ٣٣.

(١٥) النصر: ٣-١.

(١٦) نوح: ٢٨.

جعل السلطة للنبي وللأئمة في إدارة الكون، يعني أن النبي أو الإمام هو الذي يرزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، وهو الذي ينصر، هو الذي يحرك المطر، وهو الذي يتصرف بالشمس والقمر بما يقرب من التفويض، وقد رددنا عليهم: أولاً، أن الولاية إنما تكون لسد نقص، لأننا نجعل الأب ولياً على الأطفال، لأنهم لا يحسنون أن يديروا أنفسهم، وكذلك نجعل الحاكم الشرعي ولياً على الأمة، وفقاً لنظرية ولاية الفقيه، لأن الأمة لا تقدر أن تُدير نفسها وحدها، فيكملها، ونحن نتساءل: هل هناك نقصان في ولاية الله على الكون؟ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١٧).

ثم إنَّ هناك آيات قرآنية صريحة في عدم ثبوت الولاية التكوينية لهم، قال تعالى عن لسان النبي: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١٨)، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾^(١٩)... هل هذا كلام من جعل له الله الولاية على الكون كله؟ ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(٢٠). ثم ذكر القرآن الكريم، أنه عندما طلب المشركون من النبي - كشاهد على صدقه - أن يفعل الخوارق لهم، أجابهم بأنه يتمتع بصفتين فقط، وهما البشرية والرسولية، والأولى تفترض عدم وجود تلك القدرة على ما يطلبونه، والثانية تجعل الميزة على البشر في الوحي، كما أشارت إليه الآية السابقة. لذلك، نحن نقول إن الله أكرم أنبياءه وأوليائه، وجعلهم الشفعاء للمذنبين الذين يريد الله أن يغفر لهم، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٢١). أما استجابة الدعاء من الله، فهو إن كان على نحو معجز، فذلك لا يعني الولاية التكوينية، بل ذلك يندرج في المعجزة.

(١٧) القمر: ٤٩.

(١٨) الأحقاف: ٩.

(١٩) الأعراف: ١٨٨.

(٢٠) الأنعام: ٥٠.

(٢١) الأنبياء: ٢٨.

معنى الفطرة:

□ يقول النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة))، فهل إن الجنة هي فقط للمسلمين أو أنها لكل الناس الذين ولدوا أو لم يولدوا بعد؟

○ في عالم الاستحقاق، لا يدخل الجنة إلا من التزم الحق وقامت عليه الحجة بالحق؛ لكنَّ عالم الاستحقاق شيء، وعالم التنفيذ شيء آخر، فهو في يد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢٢)، وقد ورد أن لله رحمة يوم القيامة تتناول لها عنق إبليس، بحيث إن إبليس يرفع رأسه بشوق لتدركه الرحمة الإلهية، لكثرة ما يراه من رحمته سبحانه للناس، ما يؤدي به إلى تخيل وصول الرحمة إليه.

تحريم النار على أولاد فاطمةؑ:

□ هل من العدل الإلهي تحريم دخول أولاد فاطمة الزهراءؑ النار، كما في بعض الروايات؟ وهل تلك الروايات صحيحة؟

○ أما إن كل أولاد فاطمةؑ لا يدخلون النار، فإن منهم الملحدين، ومنهم أصحاب الكبائر، ومنهم الظالمين وما إلى ذلك!! فإذا صح الحديث، فيكون المقصود به أولادهاؑ المباشرين، ولا قيمة للنسب بمعزل عن العمل، والشاعر يقول:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

وقال تعالى في ذلك: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٢٣).

(٢٢) النساء: ٤٨.

(٢٣) هود: ٤٥-٤٦.

خلق نور النبي ﷺ:

□ عن جابر الأنصاري قال: ((قال رسول الله: أول ما خلقه الله نوري، ومن نوري خلق كل الأشياء)). فما معنى هذا الحديث؟

○ إذا صح هذا الحديث، فهو فضيلة للنبي ﷺ؛ ولكن لا نعرف ما معنى خلق النور، وما امتداد المسألة في هذا المجال. وعندما نقرأ القرآن، لا نجد لذلك أثراً فيه، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون عظمة النبي وفضيلته فوق ذلك.

صفات النبي ﷺ وكماله

□ كيف يمكن أن يكون النبي أمياً، وهو الذي يجب أن يتَّصف بكل صفات الكمال، من خلال القراءة والكتابة والعلم؟

○ لعل أعظم صفة للكمال في النبي ﷺ أنه كان أمياً؛ لأنَّ هذا من دلائل صدقه؛ فلقد عاش أربعين سنة ولم يعرف منه قومه أية كتابة أو أية قراءة، ومع ذلك، جاء بما أعجز الكتاب والقارئ في ذلك كله. ولذلك فإن قضية عدم القراءة والكتابة، إنما تكون نقصاً إذا كانت موجبة للجهل، أما عندما تنطلق من داخلها قضية العلم والمعرفة، فإنها تصبح عنصر كمال لا عنصر نقص.

شقاء الإنسان في بطن أمه:

□ قال المعصوم: ((الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه)). ما المقصود من هذا الحديث؟

○ تفسير هذا الحديث، هو أن الله يعلم أن هذا الإنسان سوف ينتهي أمره إلى أن يكون شقياً، أو إلى أن يكون سعيداً؛ لأن الله هو الذي خلقه. وقد ورد: ((إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، كل ما ألقى فيها قبلته))، و﴿فطرة الله التي فطر الناس

عليها^(٢٤)، وقد ورد: ((كل مولود يولد على الفطرة، إلا أن أبويه يهودانه وينصرانه))، ولكن الله يعلم الخلاق قبل أن يخلقها. فالإنسان فيه قابلية الخير وقابلية الشر، والله يقول: «وهديناه النجدين»^(٢٥)، «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»^(٢٦)، وما جاء في الحديث ليس معناه أن الله يخلقه شقياً، أو أن الله يخلقه سعيداً، ولكن بمعنى أن الله يعلم ما سيؤول إليه أمره، لأن الله يعلم بالمستقبل كما يعلم بالحاضر والماضي. فليس فيه دلالة على الجبر؛ لأن الله خلق الإنسان حراً، وبيّن له الصراط المستقيم، وبعد ذلك أوجب عليه التكاليف كالصلاة والصوم، ولو كان الأمر جبراً، فلماذا أوجب عليه التكاليف؟

مظاهر عدل الله:

□ إذا كان الله عادلاً - ونحن نعتقد بعدله - فكيف يخلق أولاداً مشلولين أو مشوّهين؟

○ أولاً: إن الله نظم الكون ونظم الخلق حسب قوانين ثابتة، لا كما هي الفكرة الموجودة عند الناس، من أن الله يخلق بشكل مباشر، يعني هو يضع هذا الطفل في رحم أمه مثلاً، وهو يجعل السرطان في معدة ذاك الشخص، أو في رأسه، وهو الذي إذا وقع فلان، فانكسرت رجله، فإنه هو يكسر رجله، أو ما أشبه ذلك، إن الله خلق الكون على أساس السببية، وجعل لكل ظاهرة سبباً. وكما أن الظواهر الكونية تخضع لأسباب معينة في الكون، فكذلك الظواهر الإنسانية والحيوانية، هي أيضاً تخضع لنظام. فالله سبحانه وتعالى عندما خلق النظام الذي على أساسه يتوالد الناس ويتناسلون، قدر أن الجنين يتأثر بالوراثة، وربما يأخذ صفات الجد السابع. وهذا فيه جانب سلبي وجانب إيجابي؛ إذ يمكن أن يأخذ صفات طيبة، كذلك يتأثر الجنين

(٢٤) الروم: ٣٠.

(٢٥) البلد: ١٠.

(٢٦) الإنسان: ٣.

بغذاء أمه مثلاً، وقد يتأثر ببعض الصدمات التي تصيب الأم، فيتشوّه الجنين بصفات معينة. وهنا يمكن أن يقول البعض لماذا لم يخلق كل الناس أصحاء؟

والجواب: إن الله قادر على كل شيء، ولكن عالمنا هو عالم المحدود، وليس هناك شيء مطلق في هذا العالم، بحيث لا يُمكن أن يكون هناك نظام للتناسل، ولا يكون هناك تأثير من خلال الغذاء أو الوراثة أو الانفعالات المتنوعة للأم أو الجنين، فليس هناك إيجابيات من دون سلبيات. وأنا أضرب لكم مثلاً على أن عالمنا عالم المحدود، والمطلق هو الله، فنحن الآن جالسون في هذه القاعة، وقبل أن تُبنى هذه القاعة كان يصل إليها نور الشمس، بشكل أكثر مما عليه الآن، ولكن الأمن كان أقل مثلاً، وعندما بنيناها، صار النور أقل والأمن أكثر. أمّا أننا نريد أن يبقى نور الشمس كما هو في القاعة أو في السرداب أو في الغرفة، وفي الوقت نفسه، أن يكون هناك أمن كامل، فإنه لا يمكن. وهذا من شأن الحياة، فلا يمكن أن تكسب قدراً كبيراً من الراحة وتكسب أكبر قدر من المال، أو أن تنجح في الامتحانات مع راحة مطلقة، لأنك لا تربح شيئاً إلا بعد أن تخسر شيئاً.

بقدر الجِد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

أتى شخصٌ إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: هل يستطيع ربك أن يجعل الدنيا في بيضة، فلا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ أراد الإمام عليه السلام أن يقرّب له الفكرة، قال له: ((انظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى؟ فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً... فقال له الإمام عليه السلام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها، قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة، لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة))، ولكن هذا لا يكون، لأن البيضة ليس لها قابلية أن تستوعب الدنيا، لا لأن الله ليس قادراً، والدنيا ليس لها قابلية أن تدخل في البيضة. ولو فرضنا عندنا مهندس من أفضل مهندسي العالم، وجاء من يتحده، ويقول له إنك مهندس عظيم، ونريد أن تبني لنا ناطحة سحاب في سنتمتر واحداً؟ فالتحدي غير صحيح، لأن المكان ليس فيه قابلية

لاستيعاب ناطحة السحاب، لا لأن المهندس لا يمتلك قدرة هندسية، وإنما التحدي يكون في المكان القابل لاستيعاب مثل ذلك.

لذلك، فאלله عادل، ولا حق لأحد عليه، والله يلاحظ النظام الكوني والنظام الإنساني فيما يصلح الناس من الناحية النوعية؛ وليس عندنا شيء إيجابي بالمطلق أو سلبي بالمطلق، بل كل شيء إيجابي يكون فيه شيء سلبي، وكل شيء سلبي يكون فيه شيء إيجابي.

حديث الثقلين:

□ في حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر)). ما هو الثقل الأكبر؛ القرآن، أم عترة النبي؟

○ الظاهر أن كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وأهل البيت هم الذين يبلغون القرآن ويحافظون عليه؛ وربما كان ذلك باعتبار أن القرآن يمثل بعث الرسالة ووحى الله، لذلك، فإن تأثيره كبير، وخصوصاً أن النبي ﷺ حمل القرآن، وأهل البيت كذلك حملوا القرآن.

مصير زوجتي نوم ولوط:

□ ما السبب الذي يجعل زوجتي النبيين نوح ولوط تدخلان النار، بينما تدخل زوجة فرعون الجنة؟

○ قال الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾^(٢٧). قضية أن تكون المرأة زوجة للنبي، لا يمثل قيمة إسلامية أو قيمة روحية، أو يجعلها في موقع الفضيلة وموقع النجاة، بل إن الله

تعالى يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢٨).
أما امرأة فرعون، فإنها تدخل الجنة لأنها عملت لذلك، «قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عُنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَوَعْمَلِهِ»^(٢٩)، فهي قد تمردت على فرعون وعلى
كفره، ورفضت كل ملكه انطلاقاً من إيمانها بالله.

عصمة الأنبياء ﷺ

□ تدل بعض الآيات، ومن خلال ظهورها، أن لدى الأنبياء والمعصومين
قابلية لارتكاب الأخطاء والمعاصي، لأن في بعض الآيات شبه تهديد من الله
وتحذيراً لهم على ارتكاب المعاصي. كيف تفسرون ذلك؟

○ الله لم يتحدث أنهم ارتكبوا المعصية. فهم معصومون، والعصمة
ليس معناها عدم الاختيار، بل هي أن لا يرتكب الإنسان الخطأ الذي
يبيغضه الله ويسخطه، وفي بعض الأوقات، يكون أسلوب التوجيه الإلهي
للنبي في حركته الواقعية مع الناس على قيامه بعمل يمكن اعتباره خلاف
الأولى، بمعنى أن الذي عملته جيد، ولكن لو اخترت غيره وعملته كان
أفضل، وهذا لا ينافي العصمة.

مميزات الإنسان:

□ هل الإنسان الكائن الوحيد المخير، أم هنالك كائنات أخرى مخيرة مثل
الملائكة؟ وكيف نفسّر خروج الملاك إبليس عن طاعة الله؟

○ الإنسان والجن هما المخلوقان المخيران، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣٠)، والشيطان كان من الجن لا من الملائكة، كما جاء في
القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّا لَنَلْمِزُكَ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

(٢٨) الزلزلة: ٧-٨.

(٢٩) التحريم: ١١.

(٣٠) الذاريات: ٥٦.

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا^(٣١).

ذكر النبي ﷺ في الصلاة والتشهد:

□ ذكر الله سبحانه وتعالى عدة آيات في القرآن الكريم تؤكد عدم التمييز بين أنبياء الله ورسله، فلماذا نذكر الرسول محمداً ﷺ فقط في الصلاة وفي التشهد؟

○ ليس هناك تفريق فيما بين الأنبياء، بمعنى أن الرسل كلهم من عند الله، ولا يصح أن يعتبر كل فريق أن له أنبياء خاصين به، فلا يؤمن أو يعترف بغيرهم. وعلى كل حال، فالإسلام يعتبر كل ما سلف من الأنبياء للأمم السابقة هم أنبياء الله وعلى الإنسان المسلم أن يؤمن بهم، إلا أن النبي محمداً ﷺ هو أفضل الرسل ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣٢)، وهو خاتمهم، ورسالته خاتمة الرسالات، وشريعته خاتمة الشرائع، فخصص ذكره في الصلاة لأجل ذلك.

الشفاعة اصطلاحاً وشرعاً:

□ ما معنى الشفاعة اصطلاحاً وشرعاً؟

○ الشفاعة هي أن يعطي الله لبعض أنبيائه وأوليائه الكرامة، فيشفّعهم في المذنبين ممن يمكن أن تشملهم رحمة الله ومغفرته، على هدى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣٣)، وهم لا يشفعون إلا ضمن منهج الشفاعة، ولمن يستحقها، ولا يشفعون للمتمردين على الله والمعاندين له.

(٣١) الكهف: ٥٠.

(٣٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣٣) الأنبياء: ٢٨.

اختيار الأئمة وهم صغار:

□ كيف يصلي الإمام الحجة ﷺ بالمسلمين وهو ابن خمس سنوات بعد استشهاد أبيه، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل النبي ﷺ إلا بعد أن تجاوز سن الأربعين؟

○ ماذا تقولون في النبي يحيى ﷺ؟! الاصطفاء في يد الله تعالى، لأنه قد يرسل نبياً في عمر الأربعين سنة، وقد يرسل نبياً في عمر العشرين سنة، وقد اختار يحيى ﷺ وهو صبي، «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»^(٣٤)، فالله أعطى ليحيى النبوة وهو صبي، فلماذا لا يعطي الإمام ﷺ الحكمة والقدرة؟!

ولادة عيسى ﷺ:

□ هل ولادة عيسى ﷺ من غير أب ومن أم عزراء، كان باختيار أمه مريم أم بغير اختيارها؟

○ باختيار الله، وقد قال تعالى: «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»^(٣٥). لذلك، واجهت مريم هذا الموقف بالتسليم لأمر الله، وقد قال تعالى: «قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا»^(٣٦) لأنه اختيار الله سبحانه وتعالى، وهو فوق اختيار عيسى وفوق اختيار أمه. وهل نحن خلقنا باختيارنا؟! لا أحد خلق باختياره. الخلق فيه جبر، والله هو الذي يحدد المصلحة في ذلك، إذ إن الله خلق السموات والأرض والإنسان والحيوان، والجبر قبيح إذا كان الله يجبر الإنسان على فعل ثم يعاقبه عليه، أما في غير تلك الموارد فليس هناك قبح.

(٣٤) مريم: ١٢.

(٣٥) الأنبياء: ٢٣.

(٣٦) مريم: ٢١.

حق الزهراء عليها السلام في فدك:

□ أرجو أن تعطوا فكرة مختصرة عن أرض فدك؟

○ أرض فدك هي أرض صالح عليها النبي ﷺ اليهود، وأعطوه إياها نحلة، فنحلها إلى الزهراء، وهناك كلام بأن النبي ﷺ ملكها وورثتها الزهراء عليها السلام.

الفصل الثالث

المسائل الفكرية

الخوف على الإسلام:

□ تقولون إنكم خائفون على الإسلام، ما مصدر هذا الخوف؟

○ هناك مصدران لهذا الخوف، الأول هو التخلف الذي ينتشر في أوساط المسلمين، من خلال ما يطرحه وما يسوق له الذين يحملون ثقافة الخرافة والتخلف والغلو، وهذا ما نلمسه في كثير من الدعوات التي يتحرك بها البعض في كثير من أوطاننا، والتي تعطي الصورة المشوهة عن الإسلام، إضافة إلى قيام كثير من المواقع التي تدعي حمايتها للإسلام، بمحاربة ومحاصرة الذين يحملون الوعي الإسلامي والانفتاح الرسالي والاعتدال المنطلق من سماحة الإسلام...

وأما المصدر الثاني للخوف، فهو في هذا التمزق في الواقع الإسلامي بين الشيعة والسنة، وبين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم، مع ما يرافق ذلك من حرب عالمية معلنة ضد الإسلام والمسلمين في جميع قضاياهم، في الوقت الذي نجد المسلمين يواجهون الموقف بالكثير من النزاع حول الهوامش والتجريد، ما لا يؤدي إلى أية نتيجة في حسابات صنع القوة.

المصالحة مع الذات:

□ دائماً ندعو إلى تقبل الآخر وتفهمه، هل نستطيع ذلك قبل أن نتقبل

أنفسنا؟

○ الإنسان جزء من المجتمع، وعليه أن يفهم نفسه ويعرفها، وفي الحديث: ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))، وعليه أن يعرف المجتمع من حوله، لأنه مسؤول عن هذا المجتمع الذي يعيش فيه، وهو يتأثر بهذا المجتمع كما يتأثر المجتمع به.

القداصة والتعظيم:

□ تأخذ عملية تقديس الأشخاص أو احترامها أبعاداً خطيرة، وخصوصاً في هذه المراحل، حيث ينظر الناس إلى علماء الدين أو المراجع كأشخاص فوق النقد، بينما يتطلع فريق آخر من الناس إلى القيادات كرموز غير قابلة للنقد أو المناقشة أو ما إلى ذلك. ما هي نظرة الإسلام إلى مسألة التعظيم أو تضخيم الشخصيات الدينية وغيرها؟

○ لم يقف الإسلام موقفاً سلبياً من طموحات الإنسان وسعيه ليكون في موقع الواجهة أو السلطة، أو لاحتلال مكاناً في المجتمع، بل اعتبر أن هذه الطموحات مشروعة، كونها طموحات طبيعية، ولا تبتعد عن الجانب الفطري والذاتي في ما هي مكونات الشخصية الإنسانية.

لكن الإسلام وضع برنامجاً متكاملاً لحركة هذه الطموحات، كي لا تصبح خطراً على الشخصية نفسها وعلى المجتمع من حولها، فركز على صياغة الشخصية صياغة متوازنة، وعلى بنائها الفكري والاجتماعي، لتمتلي الشخصية فكراً وحيوية وعطاءً، ولا تكون مجرد ذات تتضخم وتتورم دون محتوى، وقد قال الشاعر:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

لقد وضع الإسلام منهاجاً متكاملاً في تذويب الشخصية في خط الرسالة، لتكون الرسالة قبل الذات، على طريقة ما روي عن السيدة الزهراء (ع) في تأكيدها لابنها: ((يا بني الجار قبل الدار)). وقد أكد الإسلام أن قيمة أي شخصية هي في ما تحمله من معاني القيمة والفضيلة والتقى، وما تقدمه للبشرية من خدمات علمية أو تكنولوجية أو غيرها.

ثم إن هذا التعامل النقدي مع الحاكم، ينسحب على كل الشرائح التي تملك موقعاً مميزاً في وجدان الأمة وضمير الناس، كما هو حال العلماء الذين يمثلون

أهل اختصاص في الفكر والفقه الإسلامي، وهو ما يجعل قيمتهم مستمدة بمقدار ما يملكونه من علم، وما يحركونه في حياة الناس من قيم، وما يجسّدونه من التزام بأفاق هذا العلم ومعطيات هذه القيم. وخارج ذلك، فإنهم لا يملكون قداسة ذاتية تمنع من توجيه النقد إليهم ومحاسبتهم على أخطائهم، وإذا كان علي عليه السلام، وهو المعصوم، يدعو الأمة إلى ممارسة حقها في النقد حياله، فنحن لا نعتقد بأن هناك من هو خارج نطاق هذا النقد، مهما ارتفع موقعه بين العلماء، وسمت مكانته بين الأسماء.

الإحباط واليأس:

□ مشكلتي أنني أعيش حالة من الإحباط واليأس، كيف لي أن أحول إيماني بالله إلى قوة فاعلة في حركة الواقع بعيداً عن هذه الحالة؟

○ إننا من خلال الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ننطلق على أساس الأنياس من روح الله. إنك عندما تقول لله: «إنك على كل شيء قدير»^(١)، وعندما تؤمن ببطاقتك الإنسانية التي يمنحها الله القوة، والتي هي حالة تعيش في داخل إنسانيتك، وتعيش في تطلعاتك الإيمانية فيما تستقبله من أوضاع، وفيما يمنحك الله من أمل وعزيمة، عندها يجب عليك أن لا تيأس، لتصبح بالتالي قادراً على أن تفكر، لأنك إذا ينست، فلا مجال لأي تفكير عندك، وعندما يكون الأمل دائم الاضرار في عقلك وقلبك، فإنك تستطيع أن تفهم كل مرحلة بحجمها، لتكتشف فيها ثغرة تنفذ منها إلى هذا الأفق، أو إلى ذاك الأفق.

اليأس ظلام، والأمل نور، ومخطئون هم الذين يقولون إن الإيمان بالله شيء مخدر وأداة للهروب من الواقع، أبداً، لأن الإيمان بالله هو الذي يربطك بالواقع أكثر، لأنه يقول لك: إنك كإنسان إذا نفذت منك قوتك، فلا تسقط نفسك أمام ما ينفذ من القوة، لأن هناك قوة تستطيع أن تعيشها إحياء في العقل من خلال الإيمان، لتتحول إلى حركة في حياتك من خلال الواقع، ومن خلال ذلك، لا يعود الإيمان

بالله، إذا وعيناه وعياً إنسانياً واقعياً، حالة تخدير وهروب من الواقع، ولكنه يزيدك ارتباطاً به، حتى لو أراد هذا الواقع أن يخرجك من كلّ مواقعه: «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا»^(٢)، ويقول سبحانه: «يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوَسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^(٣)، وقوله سبحانه أيضاً: «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٤).

خف الله وحده، فخوفك من الله لا يضعفك، لأنك مرتبط به ارتباط الموجود بمبدع الوجود. أما خوفك من الإنسان ومن كل شياطين الإنس والجن، فهو الذي يُلغي إنسانيتك. حرّر نفسك من عقدة الخوف من الإنسان، وابقَ خائفاً من الله، لأنّ خوفك من الله، هو الذي يعطيك الأمن الروحي الذي تستطيع أن تتحرك فيه على أساس القوة في الحياة.

على هذا الأساس، نستطيع أن نحرك الإيمان ليمنحنا القوة ويمنحنا الثبات في مواجهة حركة الواقع، فلا نسقط، وهذه هي نتائج الإيمان بالله والأخذ بسننه. إن بعض الناس يفكرون بشكل خاطئ في موضوع الإيمان بالله، كأن يكون على طريقة: اللهم ارزقنا وأنزل علينا مائدة من السماء، اللهم انصرنا وأرسل جنوداً إلينا ليحاربوا بالنيابة عنا، اللهم خلّصنا من الفوضى وابعث لنا ملائكة ينظمون لنا الواقع!! في حين يدعو الإيمان الحقيقي إلى أن يكون دعاؤنا لله أن يرزقنا، مترافقاً مع التحرك للأخذ بمواقع الرزق التي هيأها لنا، وعندما ندعو الله أن ينصرنا، فإنّ علينا أن نعيش إرادة النصر وروحية النصر عندما نتحرك في خط المواجهة. فالإيمان أو الدعاء ليس شيئاً يجعلك تفكر في أنّ الله يقوم بالنيابة عنك بالأمور الطبيعية، وإلا لماذا خلق الله الكون؟ الكون كله خاضع لسنن الله، وسنن الله هي ما يسمّى بالقوانين الطبيعية أو الكونية.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) يوسف: ٨٧.

(٤) آل عمران: ١٧٥.

على هذا الأساس، نستطيع أن نجعل من الإيمان بالله شيئاً يغني واقعنا في كل ما يحتاجه الواقع، حتى نستطيع أن نفكر دائماً في أمور حياتنا وواقعنا. والذي يعيش الأمل، يستطيع أن يملك عقله، أما الذي يعيش اليأس، فهو لا يستطيع أن يملك وجوده، ولذلك لا معنى لأن يعقل وأن يفكر.

العمل بعد الزواج:

□ أنا فتاة مخطوبة، تخرجت من الجامعة حديثاً، وسأتزوج قريباً، إنني في حيرة حول مستقبلي المهني، ففي الوقت الذي يشجّعني كل من حولي من أقارب وصديقات وحتى خطيبي، على العمل بعد الزواج، أشعر بأنني أريد أن أتفرغ لتربية أبنائي مستقبلاً، فماذا أفعل؛ هل أعمل، أم أتفرغ لتربية أبنائي؟

○ إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعمل بهذا العلم وخدمة الناس من خلاله أمر شجّع عليه الإسلام، وخصوصاً بالنسبة إلى الفتيات المؤمنات، وفي الاختصاصات التي تمثل حاجة لمجتمع النساء كالطب مثلاً...

أما بشأن عمل الفتاة المتزوجة، ومدى تأثير ذلك على تربية الأطفال، فعليك أن تبحثيه مع خطيبك، من خلال تنظيم الوقت الذي يعطي القسم الأكبر منه للأطفال الذين يمثلون الأساس من هم الأم.

وفي إطار تنظيم العمل والتوازن بين التربية والعمل، يمكنك اكتساب التجربة المفيدة من طبيعة عمل الأخوات المتخصصات، ومدى التوفيق بين المهنة والأطفال. المهم هو دراسة ظروفك الاجتماعية والمهنية، ومدى ملاءمتها لوضعك الزوجي والأمومي، وكذلك ترتيب الأمر مع خطيبك الذي عليه أن يساعدك في ذلك.

الإعلام الإسلامي:

□ لماذا نرى كل هذا التقصير في عالمنا الإسلامي تجاه مسألة الإعلام،

وعلى كافة المستويات، سواء منها الاجتماعية أو السياسية أو حتى الدينية؟

○ نحن نعتقد أن الإعلام هو الطاقة أو القوة التي يمكن لها أن تمنح المعرفة وتمنح القوة للمسلمين، ولكن مع الأسف، لا يعطي المسلمون، بشكل عام، اهتماماً للإعلام. فمثلاً، لو فرضنا أنه جئنا إلى بعض المؤمنين الأثرياء، وطلبنا منه بناء حسينية أو مسجد، فإنه يبادر إلى ذلك على الفور، ولكن إذا أردنا منه أن ينشئ قناة فضائية فلا يتشجع، ولنا تجربة في ذلك، حتى إنه كنا نتحدث مع بعض المؤمنين الطيبين بخصوص فتح مدارس إسلامية في الغرب، لأن أولادنا يضيعون فيه، ويتحولون إلى غير الإسلام، لأنهم يدخلون المدارس الأجنبية، ومع ذلك لا يتشجعون. فنحن نحتاج إلى حالة توعية للمؤمنين في هذا الموضوع.

الجو الأخلاقي في الجامعة:

□ في الجامعة عادة ما نشاهد جواً من التسبب الزائد في العلاقات ما بين الجنسين، وهي حالة مستوردة من البلدان المريضة أخلاقياً، ماذا ننصحونني كشاب جامعي؛ هل أدخل في هذا الجو محاولاً الإصلاح، أم أتجنبه حذراً من الضياع والسقوط فيه؟

○ عليك أن تدخل مع إخوانك من المؤمنين الواعين من أجل دراسة الظاهرة المنحرفة، ومحاولة الإصلاح بالوسائل الممكنة هنا وهناك، إضافة إلى استحضار الوعي الأخلاقي في نفسك، ومراقبة الله في علاقاتك بالآخرين لئلا يضلوك، فيزيّنوا لك القبيح ويقبحوا لك الحسن، وتقوية إرادتك في الثبات على الاستقامة.

حدود الدين:

□ ما رأيكم في مقولة: الدين لله والوطن للجميع؟

○ الدين لله والإنسان لله والوطن لله والأرض كلها لله، وهذا الكلام انطلق من خلال مقولة غربية تريد الفصل بين الدين والحياة. نحن نقول: إن كل شيء لله؛ من

وطن وقومية وأرض، وقد قال تعالى: ﴿والأرض وضعها للأنام﴾^(٥)، لا هذه المنطقة ولا تلك المنطقة.

تجزئة العاطفة:

□ نحن نعلم أن العاطفة لا تتجزأ، فكيف يصح أن نقول بأن هناك بكاءً واعياً وهادفاً ومسؤولاً وموجّهاً؟

○ تارةً يبكي الإنسان بسبب انفتاحه على مشاعر ساذجة، وتارةً يبكي بسبب انفتاحه على العمق الروحي للحزن، والعاطفة لا تتجزأ، بل تتنوّع، ولكن قد تكون لدينا عاطفة ناشئة من وعي وعمق، وقد تكون ناشئة من حالة ساذجة.

تداول السلطة:

□ ما هي الأطروحة الإسلامية لتناقل السلطة بين حاكم وآخر؟ هل وضع الإسلام حداً لحكم الحاكم غير الموت، حيث إننا لا نرى طريقة انتقلت فيها السلطة غير موت الحاكم على مدى السنين؟

○ نستطيع أن نقول في الدائرة الإسلامية بإمكانية تداول السلطة، وتوجد في بعض الحالات، مثل نظرية ولاية الفقيه، تقول إنه يبقى حتى يخون أو حتى يعزل، وطبعاً لا أحد يقول له أنت خنت أو ما شابه ذلك، فيبقى إلى الموت، أما إذا قلنا بالشورى أو ما إلى ذلك بطريقة معينة، فيمكن تداول السلطة، مثلاً ينتخب شخص ويبقى في الحكم سنين محددة، وحتى في إيران، انطلقت بعض الأطروحات من قبل بعض العلماء المجتهدين أيضاً، بأنه ينبغي أن تكون ولاية الفقيه محدودة بمدة معينة، ولا تكون إلى حين الموت، ولذلك هناك نظريات في هذا الموضوع.

دور المرجعيات السياسي:

□ لماذا نلاحظ البرود السياسي لدى جُلّ المرجعيات الدينية، في حين أن الإسلام كدين ركّز على الجانب السياسي والقيادي في المجتمع إلى درجة فوق العادة؟

○ ربما لا ترى كثير من المرجعيات أنّ من واجبها أن تندفع إلى الساحة العالمية أو الإقليمية بالطريقة التي تواجه فيها كل التحديات وكل الأوضاع، لأن الفكرة الغالبة على كثير من المرجعيات، أن دور المرجع هو الفقه والأصول وإعطاء الفتاوى للناس وأخذ الحقوق وتوزيعها، أما الأمور الأخرى، فالفكرة السائدة هي أنهم لا يتدخلون في السياسة، حتى إذا تدخلوا في السياسة، فإنهم يتدخلون فيها دون أن يدخلوا المعركة بشكل قوي، وهذا اجتهادٌ منهم. ولكننا نعتقد أن دور المرجعيات هو دور الإمام ودور النبي في أن يواجه العالم كله بالإسلام، في التحديات كلها، وفي كل القضايا، وفي كل الأوضاع التي تتصل بحياة الناس وبحياة المسلمين.

أهل البدع:

□ ورد في دعاء مكارم الأخلاق: ((ورفض أهل البدع ومستعملي الرأي المخترع))، فما معنى ذلك؟

○ المقصود بأهل البدع من أبدعوا في الإسلام، وأدخلوا فيه غيره، وبالرأي المخترع، الرأي الذي يكون على خلاف ما جاء عن الله وعن رسوله.

حضور الداعية الإسلامي:

□ كيف يكون الداعية الإسلامي صاحب حضور قوي؟

○ عليه أولاً أن يخلص للإسلام في نفسه، وأن يعتبر أنّ مسؤوليته هي أن يدعو كل الناس إلى الإسلام، وأن يتبع الأساليب الإسلامية في توضيح المفاهيم

الإسلامية بالطريقة التي تفتح عقولهم وقلوبهم على الإسلام، وأن يواجه القضايا الإسلامية في حياة المسلمين، ليدفع بهم إلى الوقوف صفاً واحداً أمام التحديات، وأن يتقي الله في نفسه وفي المسلمين، ويتحلى بالشجاعة حيث لا تأخذه في الله لومة لائم.

حقوق الرجل والمرأة:

□ لماذا يعطي الإسلام حقوقاً للرجل على حساب المرأة؟ وبعض هذه الحقوق يصل إلى حدّ الضرب الجسدي؟ ألا ترون أن التفاهم أو الطلاق هما الحلّ لكل ما يحصل بين الزوج وزوجته، وأن الضرب والهجر (تحت أي ظرف)، هي أساليب همجية لحل النزاعات الزوجية؟

○ لم يعط الله الرجل بعض الحقوق اعتباراً أو تسليطاً له على المرأة، وإنما كان ذلك من باب التنظيم للمجتمع الصغير الذي هو الأسرة، وبما أن الله خلق الذكر والأنثى، وهو أعلم بما يحمله كل منهما من خصائص وميزات، كان للرجل بعض الأمور، كقيادة الأسرة، والولاية على الأولاد، وما ساكلها من الأمور التي لا تعدو كونها من باب تنظيم الأسرة، وكان عليه قبّال ذلك وجوب الإنفاق عليها وتحمل المسؤولية الكاملة عن كل مستلزمات الأسرة.

وأما بالنسبة إلى الضرب، فالأمر مسموح به في حال انحراف المرأة عن الطريق الصحيح، ولا يكون ذلك مباشرة ومن أول الأمر، بل بعد الموعظة والهجر، على أن لا يكون الضرب ضرباً مبرحاً، بل تأديبياً، وهذا كأي عقوبة تستعملها الدولة لحفظ نظام المجتمع، وأما ما نراه من استعمال الضرب فليس من الإسلام في شيء، وكذلك كثير من المعاملات التي يعامل الرجل بها المرأة في مجتمعاتنا، فهي ليست من الإسلام في شيء، بل ناتجة عن أعراف وتقاليد اجتماعية حاربها الإسلام.

وخلاصة الفكرة، أنه لا يجوز للرجل ضرب المرأة تحت أي

ظرف، ولكن عندما يحصل النشوز، وهو مخالف لالتزام المرأة بحقوق الزوج في الاستجابة الجنسية، في حال عدم وجود أي عذر لها من ناحية جسدية أو نفسية صعبة، فما هو الحل بعد رفضها الوعظ في تذكيرها بالحق بكل أسلوب إنساني؟ هل بقاء الزوج معطلاً من هذه الناحية هو الحل، أو الطلاق، أو الرجوع إلى المحكمة في أمر لا يملك القضاء حله؟ إذا لم ينفع معها شيء، فلا يبقى إلا استخدام العنف التربوي من باب العقوبة. وينبغي التنبيه إلى أن المسألة مختصة بعلاقة الزوج وزوجته في حقه، ولا تشمل أي علاقة أخرى، مع ملاحظة أن الإسلام يعتمد الحل الواقعي لا المثالي.

الانضمام إلى تنظيمات سياسية علمانية:

□ هل يجوزُ للمسلم الانضمام إلى تنظيماتٍ سياسية تتبّع مبادئ علمانية أو شيوعية، مع الاحتفاظ بالإسلام كنظام عقائدي؟

○ لا يجوز الانضمام إلى مثل هذه التنظيمات، وخصوصاً تلك التي تحمل أفكاراً مخالفة للأصول والأسس الإسلامية، كالشيوعية التي لا تؤمن بالله، وهذا لا يمنع من أن يقوم بعض الأفراد بأعمال وطنية صادقة، وقد وجهنا المسلمين في الغرب إلى جواز انضمامهم إلى الأحزاب العلمانية هناك، إذا كانت هناك مصلحة إسلامية. لذلك، وبكلمة واحدة، إن الانتماء إلى أي حزب يعني الالتزام الفكري بقاعدته الثقافية إذا كان صادقاً في انتمائه له، فإذا كانت قاعدته مخالفة للإسلام، فكيف يمكن الجمع بين التزامه بالإسلام والتزامه به؟! أما الانتماء إلى هذا الحزب في بعض الأمور دون بعض آخر، كما في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فهذا ليس التزاماً بالإسلام ولا بذلك الحزب، وهذا مما لا يقبله الإنسان الذي يحترم التزامه.

سلطة الجن على الإنسان:

□ نرى العديد من الحالات التي يقال فيها إن الإنسان مصاب بمس من الجن. هل هذا يعني أن الإنسان ضعيف خلقاً أمام هذا الجن الذي يلبس الإنسان؟ وكيف يقي الإنسان نفسه؟

○ لم تثبت واقعية ذلك، والله تعالى لم يسلط الجن على الإنسان بهذا المعنى، بل غاية ما أعطاه، أن أنظره إلى يوم يبعثون، مع قدرة الوسوسة للإنسان سعياً لإغوائه، ولكن الله تعالى حذر الإنسان من الشيطان وحبائله ومكره وخداعه ووسوسته، وحصّنه من خلال الفطرة والعقل والدين والرسالات.

نظام الإسلام الاقتصادي:

□ لم يتبلور للإسلام نظام اقتصادي واضح المعالم كما هو موجود في النظام الرأسمالي أو الاشتراكي، وظلت الحركة الاقتصادية محظورة في فتاوى الفقهاء، لماذا؟

○ لقد جرت بعض المحاولات لتجميع الأحكام الشرعية الاقتصادية بهدف اكتشاف نظرية اقتصادية للنظام الاقتصادي، وهذا ما قام به المرحوم السيد الشهيد (محمد باقر الصدر)، وقام به أيضاً بعض الباحثين هنا وهناك، ولا بدّ من قيام الباحثين الإسلاميين ذوي الاختصاص بأبحاث ناقدة ومتطورة؛ لأنّ إنتاج الفكر لا يتوقف عند حدّ أو مرحلة.

الحزن لتكريس المفهوم:

□ دائماً تردّدون: "يجب أن نعطي الحسين شيئاً من أنفسنا"، فماذا نعطيه؟

○ إنّ الحسين عليه السلام عندما انطلق، أراد من الناس أن يعطوه، لا عطاءً لنفسه، لأنّه لم يتحرّك لنفسه، ولكن عطاءً لرسالته، ولقضيته في الإصلاح في أمة جدّه ﷺ،

وللمعروف الذي يُراد إقامته، والمنكر الذي يُراد هدمه.

قد نقول: لقد أعطيناه دموعنا، أو أعطيناه - كما يقول من يضرب رأسه بالسيف - دماءنا، وأعطيناه آلام ظهورنا وصدورنا، عندما لطمنا وضربنا ظهرنا بالسلاسل. هل هذا ما يطلبه الحسين عليه السلام منا؟ هل ثار الحسين عليه السلام من أجل أن نبكي عليه؟ البكاء هو نتيجة المأساة، وليس هدف المأساة. نحن نقول إنّ البكاء عاطفة إنسانية، وهو دليل رقة القلب والمحبة، ولكنها - أي عاطفة الحزن - تنطلق من خلال الإحساس بفظاعة المأساة، وليست هدفاً للقضية ولا الأساس فيها.

حتى إن أهل البيت عليه السلام، عندما أرادوا لنا أن نركز الحزن في مجالسنا في عاشوراء، لم يريدوا ذلك باعتبار البكاء والحزن هدفاً، ولكن باعتبار أنّ البكاء يفتح قلبك على المأساة، وإذا انفتح قلبك عليها، انفتح عقلك على القضية، لتعرف أنّ القضية الكبرى هي التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يدخل في قلب المأساة، ويُضحّي تلك التضحية.

هذا العطاء (الحزن والبكاء) الذي نعطيه للإمام الحسين عليه السلام، ليس له علاقة بالهدف الذي استهدفه الإمام الحسين عليه السلام، إلا من خلال أنه يزيدنا ارتباطاً به، لكنه لا يريدنا أن نرتبط بشخصه، بل يريدنا أن نرتبط برسالته، ونحن عندما نفتح على الحسين الشخص، فلأنه يجسد الرسالة، فهو المعصوم الذي أذهب الله عنه الرجز وطهره تطهيراً، فكان القرآن الناطق، وكان رسالة تتجسد.

زينب عليه السلام عنوان التقوى والعنفوان:

□ كيف تنظرون إلى دور السيدة زينب عليه السلام في مواجهتها للذين أرادوا حرف المسيرة الإسلامية عن خطها؟

○ إن زينب عليه السلام كانت تمثل رمز المرأة التي تملك عقلاً قيادياً، وروحاً قيادية، وصبراً وتحدياً قياديين، وكان لديها القدرة على احتواء الواقع كله،

لتعرف كيف تخطط له، فلم تتحدث مع ابن زياد حديثاً انفعالياً، بل كان مدروساً، حتى في قولها له: ((ثكلتك أمك يابن مرجانة))، لقد أرادت أن تسقط عنفوانه في مجتمعه، وكذلك عندما وقفت تخاطب يزيد: "كد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فلن تميت وحيناً، ولن تمحو ذكرنا". لقد كانت تفكر بكل كلمة من كلماتها. كانت إنسانة تعيش التخطيط لكلماتها كما كانت تعيش التخطيط لحركاتها، تماماً كماها الزهراءؑ في حركتها من أجل الحق في موقع عليؑ، وكجذتها خديجةؑ في أسلوبها العملي في دعم واقع الدعوة الإسلامية.

فلا يقل أحدٌ إنها قضية خاصة؛ إنها قضية تنطلق من عمق المسؤولية الإسلامية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في قضايا الدعوة والحركة والجهاد في سبيل الله، سواء كان المعروف سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو أمنياً، تماماً كما هي مسؤولية الرجل، وعلى المرأة أن تتكامل مع الرجل في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على خط التغيير للواقع.

كلفة التقوى:

□ قلتم في حديث لكم إن التقوى تكلف الإنسان كثيراً، فماذا تكلفه؟

○ علينا أن نعرف أن التقوى تكلفنا شيئاً من مزاجنا ومالنا وجهدنا ومصالحنا، قد تضطررنا التقوى إلى أن نترك المال الحرام ونحن أحوج الناس إليه، وقد تفرض علينا التقوى أن نرفض الجاه الحرام وهو بين أيدينا، والشهوة الحرام وأنفسنا تهوى إليها، أو نترك أرضاً ونحن بحاجة للعيش فيها... هناك آلام في هذا الطريق يجب أن نتحملها، لأن الإصرار على حق الإيمان يلزمنا بذلك.

وهذا ما توضّحه بعض الآيات المباركة: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَيْكَ مِنَ الْقِبْلَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(٦).

ويقول سبحانه: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ»^(٧). وهنا تشعر، أيها الإنسان، أن التقوى تكلفك كثيراً، لأنك تتحرك بعكس تيار المجتمع الذي تعيش فيه، وضد الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تواجهه، ولذلك، فإن موقف التقوى يحاصرك بكثير من الآلام، ويحرمك الكثير من اللذات، ويفوت عليك الكثير من الحاجات... وهنا، ماذا تصنع؟

وما جزاء الصبر؟ «إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٨)، والذي يقرر ذلك، هو ربك الذي خلقك وأنعم عليك، وورعك في نومك ويقظتك، في طفولتك وشبابك وكهولتك، ربك يقول لك: لقد وعدتك بالأجر العظيم، وها أنت تجد ربك أصدق من وعد، وقد وعدك أنك إذا صبرت، سيعطيك أجرك بغير حساب «نَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ»^(٩)، اضبط أعصابك، انتصر على غرائزك، ثبت نفسك في حالات الاهتزاز، ثم تمنى على الله كل ما تريد، واطلب منه ما تشاء، لأنك صبرت «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»^(١٠).

البراءة من أعداء آل محمد ﷺ:

□ ما هو الأفضل في رأيكم: الصلاة على محمد وآل محمد، أم لعن أعداء

آل محمد؟

○ الصلاة على محمد وآل محمد تُثقل الميزان وواجبة في الصلاة

(٦) آل عمران: ١٨٦.

(٧) محمد: ٣١.

(٨) الزمر: ١٠.

(٩) فصلت: ٣١.

(١٠) الرعد: ٢٤.

باعتبارها جزءاً من التشهد، وفائدتها ربط المؤمن بالرسالة من خلال الارتباط برموزها الأساسيين... ولعن أعداء آل محمدؑ، بمعنى التبرؤ من أعدائهم، واجب ومطلوب، لأن أعداءهم هم أعداء الإسلام، أما بمعنى التلظز به، فهو غير راجح، بل قد يسيء إلى المصلحة الإسلامية، ولا ينبغي الأخذ بهذا الأسلوب، كما علمنا أمير المؤمنينؑ في نهيه لنا عن السب: ((إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين)).

مسؤولية المسلمين تجاه الإسلام

□ هل ترون أن المسلمين في الخارج هم المسؤولون عما هو دائر حالياً من إساءة إلى النبيؐ، لأنهم لم يتمسكوا بالتعاليم الإسلامية هناك؟

○ ليس من الضروري أن يكون المسلمون هم الذين يتحملون المسؤولية، إلا من خلال أنهم لا يعملون على أساس إيصال حقائق الإسلام وبيان عظمة النبيؐ ومكارم أخلاقه وصفاته الإنسانية العالية. قد يكونون مقصّرين في نشر التعاليم الإسلامية المتعلقة بالنبيؐ أو بالإسلام كله، ولكن هناك أناساً آخرين حاقدون على الإسلام، إما من وجهة نظر سياسية، أو من وجهة نظر ثقافية. ولا يبعد أن يكون لليهود الذين يسيطرون على كثير من مواقع الدراسات ومواقع الإعلام في العالم، الدور الكبير في إيجاد هذه التوترات بين المسلمين وبين العالم الغربي.

التعريف بالإسلام:

□ أعيش في الغرب، والناس هنا لا يعرفون ما هو الإسلام وماذا يعني، فما هي مسؤوليتي؟

○ نحن قلنا إن مسؤولية المسلمين الذين يملكون بعضاً من الثقافة الإسلامية، أن يوصلوها إلى أكبر عدد من الناس بمقدار ما يستطيعون. ونحن نعرف أن الذين نقلوا الإسلام إلى كثير من البلدان التي لم يدخلها الفتح الإسلامي، هم العمال

المسلمون والتجار المسلمون؛ لأنهم كانوا يتحسسون المسؤولية في أن ينقلوا ما لديهم من المعلومات إلى البلدان التي يهاجرون إليها ويعتربون بها.

الانتماء الحسيني إلى النبي ﷺ:

□ ما معنى قول رسول الله ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين)؟ كيف يكون رسول الله من حسين؟

○ ليس المراد الجانب النسبي في هذا المجال؛ إذ ليس المقصود أن حسيناً مني نسباً وأنا من حسين نسباً، بل المقصود - والله العالم - أن الحسين ﷺ قد اندمج بالنبي ﷺ في رسالته، فكأنه كان جزءاً من رسول الله ﷺ، بمعنى رسول الله الرسالة، لا رسول الله الجسد والإنسان، وإن كان النبي يمثل تجسيد الرسالة. فكان الكلمة توحى بالترابط الرسالي كما لو كان ترابطاً عضوياً لكل منهما، حتى كان كلّ واحد منهما منتمياً إلى الآخر بلحاظ وحدة الرسالة المندمجة في شخصيتهما.

دفن الحسين ﷺ:

□ دفن المسلم واجب على جميع المسلمين، سواء كان امرأة أو رجلاً، فلماذا لم تدفن جسد الإمام الحسين ﷺ نساء أهل بيته؟

○ ورد أن الإمام زين العابدين ﷺ هو الذي دفن الحسين ﷺ، وهناك قول بأن بني أسد هم الذين دفنوا الأجساد. وهذا هو ما نستقر به في رأينا من الناحية التاريخية، ولم تثبت عندنا المقولة القائلة إن الإمام لا بد من أن يدفنه إمام مثله.

معنى الظلم:

□ قال الحسين (عليه السلام): ((إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)). ما معنى قوله (عليه السلام) لم أخرج (ظالماً)؟

○ يعني ما كنت لأخرج على أساس أن أظلم أحداً، بل إني أريد العدل، وأريد الإصلاح في أمة جدي في مواجهة الذين أفسدوا الواقع ((وهم الذين اتخذوا عباد الله خوفاً))، كما عبر الإمام علي (عليه السلام) ((ومال الله دولا))، يتداولونه فيما بينهم، وقد عبر (عليه السلام) عن خطوط الإصلاح في قوله: ((أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))، وهو التخطيط لجعل الناس تأخذ بالمعروف الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، وتبتعد عن المنكر على أساس النظرية والتطبيق. ونحن نقرأ في خطبة الإمام الحسين (عليه السلام): ((أيها الناس، إن رسول الله قال من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد، مخالفاً لسنة رسول الله، فلم يغير عليه - أو لم يغير ما عليه - بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا إن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، واستأثروا بالفيء، وعطلوا الحدود، وأنا أحق من غير)). فالإمام يركز على واقع الفساد من خلال انحراف الحاكم عن الخط المستقيم، وخضوع الناس له في ذلك، وقد خرج من أجل أن يأمر الناس بالمعروف، وهو الخط المستقيم، وينهاهم عن المنكر، وهو الخط المنحرف.

النظرية والتطبيق:

□ ما الفرق بين الشخصيات والنظريات؟ هل يجب أن نحترم الشخصيات، أو نعتقد بالنظريات؟

○ نحن نحترم الشخص الذي يملك العقل السليم، ويملك العدل في علاقته

بربه وبنفسه وبالناس وبالحياة، ويملك التقوى، ويملك الإصلاح في نفسه وفي الواقع، ويؤمن بالنظرية التي تركز على الحقيقة. ونحن أيضاً نحترم النظريات التي تتناسب مع الحق وتبتعد عن الباطل.

أزمة القيادة:

□ ألا ترون أننا كمجتمع إسلامي نعيش أزمة في مستوى القيادة؟ وما الحل الفعلي لحل هذه الأزمة؟

○ الحل الفعلي هو أن تعرف الناس مواصفات القائد العادل، فلا تؤيد القيادات التي لا تملك الخط المستقيم، ولا تملك خط العدالة بين الناس. وقد ورد في بعض الأحاديث، أن بني أمية إنما استطاعوا أن يغصبوا أهل البيت ﷺ حقهم، باعتبار أن الناس انسأقت مع مخططاتهم، وأيدتهم ودعمتهم وحاربت من أجلهم، فإن الظالم شخص، وقد يتفرع عن ويتوحش بتأييد الناس وطاعته لهم، ولذلك ليس الظالم هو الذي يظلم الناس فحسب، بل الناس يظلمون بعضهم بعضاً عندما يؤيدون الظالم.

كنية الحسين ﷺ:

□ لماذا يكتنّى الإمام الحسين ﷺ والإمام جعفر الصادق ﷺ بأبي عبد الله، مع أنه لا وجود لاسم عبد الله في أولادهما؟

○ ليس من الضروري أن تكون الكنية متصلة بالولد، فربما يكتنّى الشخص بكنية ما ويحمل ابنه اسماً آخر، وخاصة أن الكنية توضع للإنسان عند ولادته، بحيث كان هذا متعارفاً عند العرب، ولذلك ليس من الضروري أن تكون كنية الإمام الحسين (أبو علي)، والأمر كذلك بالنسبة إلى الإمام الصادق ﷺ.

الاعتداء على المقدسات الإسلامية:

□ ألا ترون أن هناك ارتباطاً وعلاقة بين الإساءة إلى النبي ﷺ وبين

الاعتداء على مرآة الأئمة؟

عندما تحدثنا عن الجريمة النكراء في الإساءة إلى مقام الإمامين العظميين الإمام الهادي والإمام العسكري (عليهما السلام)، كان تصوّرنا للمسألة ما يلي: لقد توحّد المسلمون لأول مرة من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه في الموقف الإنكاري والاحتجاجي والرافض للإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في الصور المهينة المسيئة له، وغاز ذلك المستكبرين، سواء كان الاستكبار أوروبياً أو أمريكياً؛ لأنهم شعروا بأن المسلمين الذين كانوا يفرقونهم، توحّدوا ووقفوا مع إسلامهم ومع نبينهم الذي كان الغرب المستكبر يخطط من أجل إسقاط قداسته في نفوس المسلمين، تمهيداً لإسقاط الإسلام في نفوسهم قبل إسقاطه في نفوس غيرهم.

لذلك، أريد للمسلمين أن ينشغلوا بقضية تقترب من مشاعرهم وأحاسيسهم، وتخلق في الواقع الإسلامي فتنة تمتد إلى أكثر من بلد، وهي الفتنة بين السنة والشيعة، وهذا ما حصل عندما حدث هذا الاعتداء على مقام الإمامين (عليهما السلام). ونحن نعرف أن سامراً، هي - بحسب المصطلح - بلدة سنية، ولم يحدث في كل التاريخ أن أساء إلى المقامين فيها، ولم يحدث أن أساء حتى إلى (السرّادب)، والذي هو بيت الإمامين (عليهما السلام) في هذا المقام، لأنهم كانوا يحترمونهما ويتنفعون من ذلك من خلال الزوار وما إلى ذلك. إذا ما المناسبة التي حصلت في هذا الظرف بالذات؟! ليس لذلك تفسير إلا أن أعداء الله وأعداء الإسلام من التكفيريين ومن قوى الاحتلال ومن بقايا النظام الطاغوي، أوجدوا مثل هذا العمل، وقاموا بمثل هذه الجريمة، حتى تتطلق الأحاسيس والمشاعر بحيث يفقد الناس توازنهم في ذلك.

وقد قلت في حديث إعلامي: إن طبيعة الارتباط العاطفي والولائي بالأئمة (عليهم السلام)، قد يدفع المسلمين هناك جرّاء الاعتداءات، إلى حالة تشبه حالة الجنون، وقد كان يمكن أن يحصل ما لا تُحمد عقباه، لولا أن هناك في العراق مرجعيات دينية واعية ومسؤولة، وهناك أيضاً من وقف من أهل السنة واستنكر وتظاهر وما إلى ذلك،

وكذلك الأمر على امتداد العالمين الإسلامي والعربي، وحتى في العالم غير الإسلامي، بحيث وصلت القضية إلى مستوى من التوازن الذي حصلت معه بعض ردود الفعل التي نرجو أن يسيطر العقلاء عليها.

مغزى الحج والعمرة:

□ ما مغزى مناسك العمرة أو الحج، مثل الطواف كحركة دائرية حول الكعبة المشرفة، والملاحظ أن الكثير من المسلمين يحجّون من دون فهم لهذا المغزى؟

○ الطواف فيه إحياء، أولاً: هذا البيت هو بيت الله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١١)، فالله تعبّدنا بالطواف بالبيت، ومعناه الرمزي أن عليك أن تطوف في كل حياتك، في المواقع التي تمثل مواقع أمر الله ونهيه، لأن الذي يطوف في الكعبة لا يطوف ببيوت الظالمين، ولا يطوف ببيوت المستكبرين، ولا يطوف ببيوت الفاسقين، بل يطوف بالبيوت التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(١٢).

وأما السعي فكذلك... أنت تسعى، لأن الله سبحانه وتعالى أمرك بذلك: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^(١٣)، أنت تبدأ السعي فتقول: أسعى بين الصفا والمروة قربة إلى الله، وامتنالاً لأمره، وهو يعطيك إحياءً بأن كل سعيك في الحياة عندما ترجع إلى بلدك، لا بد من أن يكون في مواقع رضا الله، ولا بد من أن يكون من خلال امتثال أمر الله، فلا تسعى مع الظالمين، ولا تسعى في قضية ظلم أو معصية أو ما إلى ذلك. أما أن المسلمين يقومون في حجّهم من دون فهم، فهذا صحيح، وعلى الذين يقومون

(١١) آل عمران: ٩٦.

(١٢) النور: ٣٦.

(١٣) البقرة: ١٥٨.

بالتوجيه الإسلامي ممن يرافقون الحملات، أن يعرفوهم أسرار الحج، وكيف يمكن أن يحجوا كما يريد الله لهم أن يحجوا. وقد ورد في بعض الأحاديث: ((لا يعبا بمن يومَ هذا البيت)) - بمن قصد هذا البيت - ((إلا أن يكون فيه خصال ثلاث: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وحلم)) - سعة صدر - ((يردُّ به جهل الجاهل، وخلق يداري به الناس)).

الدعوة إلى التشيع:

□ نازعني شخص يكره التشيع، حتى أصبح لا يسلم عليّ، وإذا سلّمت عليه، فإنه لا يجيب، ومنذ عدة أشهر، أحاول أن أتواصل معه ولكنه لا يقبل، فما رأيكم؟

○ عليك أن لا تكون مثله، ولعله يمكن أن يهتدي ليكون إنساناً يفتح عليك ليعرف ما هو التشيع؛ لأن التشيع هو الإسلام الأصيل في خط أهل البيتؑ، ولا يمثل كفراً ولا انحرافاً ولا شركاً وما إلى ذلك.

العروبة والإسلام

□ ما زالت التيارات الفكرية مختلفة حول موضوع العروبة والإسلام، فما العلاقة - في رأيكم - بين العروبة والإسلام؟

○ هي كمثال العلاقة بين أن تكون مسلماً وبين أن تكون ابن فلان، أو تكون مسلماً وتكون من القرية الفلانية، أو تكون مسلماً وتكون من الوطن الفلاني، فنحن - مثلاً - عرب، باعتبار انتمائنا العربي، ونحن مسلمون أيضاً، ولذلك لم يجد العرب، عندما نزل عليهم الإسلام، مشكلة بين انتمائهم إلى عروبتهم وانتمائهم إلى الإسلام، وإنما بدأت المشكلة عندما وفدت إلينا التيارات القومية، وأعطت العروبة أيديولوجية معينة، ولذلك أدخلت الماركسية في العروبة، وأدخلت الاشتراكية في العروبة، وأدخلت الوجودية في العروبة، فبرزت المشكلة بين ما تحتضنه العروبة

من فكر مناقض للإسلام هنا وهناك. فليس هناك مشكلة بين العروبة والإسلام، بل المشكلة في ما أدخلوه من الأيديولوجيات في الإسلام.

العدل والمساواة:

□ نسمع كثيراً في هذه الأيام الحديث عن المساواة، ولكننا نرى أن الدين يخالف هذه القاعدة، كما في ميراث الذكر والأنثى، وهذا ما يشكل القاعدة الأساس في انتقاد الآخرين للإسلام، باعتبار أنه لا يساوي بين الرجل والمرأة. فما هو الرد على ذلك؟

○ بعض الناس يمكن أن يخاطب كما قال الشاعر:

فقل لمن يدعي في العلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

أنا أسأل: لو فرضنا أنني أعطيتك عشرة دنانير، وحملتك مسؤولية عشرين ديناراً، وأعطيت شخصاً آخر خمسة دنانير ولم أحمله أية مسؤولية، من الذي يكون أكثر ربحاً؟ نحن نقول إن على الرجال أن يطالبوا بالمساواة مع النساء في الإرث، فإنه لو فرضنا أن شخصاً توفي وعنده ثلاثة آلاف دينار، فأخذت ابنته ألف دينار وأخذ ابنه ألفي دينار، فإذا أراد الابن أن يتزوج، فالمطلوب منه أن يدفع مهراً للمرأة، والمطلوب منه أن ينفق عليها في كل حاجاتها، وإذا رزقا بأولاد، فإن المرأة غير مكلفة بهم، بل الرجل هو المكلف بهم وبالنفقة عليهم، وإذا كان هناك دية خطأ، فالرجل يشارك مع (العاقلة) أي الأقرباء، في الدية، أما المرأة فلا تشارك، فمن هو الرابع؟! فهل هذا خلاف العدل، إن العدل هو التوازن، وإعطاء كل ذي حق حقه، وليس بالضرورة أن يعني المساواة.

دلالات ذكرى أربعين الحسين ﷺ:

□ ما هي النصيحة التي تقدمونها إلينا في ذكرى أربعين الإمام الحسين ﷺ؟

○ أن نعيش الحسين ﷺ في موقع إمامته، وأن نعيشه في موقع رسالته، وأن

نعيشه في موقع القيم الروحية التي انطلق بها من خلال هذه النهضة العظيمة لإصلاح أمة جده، ومن أجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر... أن ننطلق مع الحسين (ع) في ذكرى أربعينه لنحمل رسالته، لنطلب الإصلاح كما طالب به، ولنأمر بالمعروف كما أمر به، ولننهي عن المنكر كما نهى عنه، ولنقف في موقف العزة أمام المستكبرين وأمام الظالمين، وأن لا نعطي بأيدينا إعطاء الذليل ولا نقر إقرار العبيد. إن الذين يلتزمون الحسين (ع)، لا يمكن أن يلتزموا الاحتلال؛ لأن الاحتلال يمثل يزيد وكل هذه الفئة الظالمة. إن الذين يلتزمون الحسين (ع)، لا يمكن أن يبرروا للاحتلال احتلاله لأي بلد إسلامي، سواء كان في العراق أو في فلسطين أو في أفغانستان. إن الحسين (ع) رفض كل ما عرض عليه، وقال: ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد))، وقال: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منها الذلة)). هذه هي قيم الإمام الحسين (ع).

وقضية الاحتفال بذكرى الحسين (ع)، ليس في أن نوجه السيوف التي كانت موجهة إلى الأعداء إلى رؤوسنا، وأن نوجه السلاسل إلى ظهورنا، إن هذه ليست مواساة للإمام الحسين... أن نواسي الحسين هو أن نستشهد حيث استشهد، أن نُجرح حيث جرح... أن نواسي زينب (ع) بأن نتحرك حيث تحركت، وأن نقف حيث وقفت، عندما خاطبت يزيد بذلك الخطاب القوي ((إنك لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا)). هذه هي القيم التي يمكن أن نستفيد منها في ذكرى الإمام الحسين (ع)... أن نحيا أمرهم، وإحياء أمرهم يكون، كما قال الإمام الرضا (ع)، بأن نتعلم علومهم ونعلمها للناس. إن علينا أن ننشر علوم أهل البيت، وننشر قيمهم، حتى يعرف الناس قيمتهم (ع).

نهوض الأمة:

□ ما هو السبيل، في رأيكم، إلى النهوض بهذه الأمة وتخليصها من نقاط

الضعف؟

○ أن تنطلق الأمة حيث أراد الله لها أن تنطلق: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١٤)، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٥)، وأن تأخذ بأسباب الحرية: ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً))، وأن تأخذ بأسباب العلم لتكون الأمة التي تتميز في العالم بما تملك من العلوم التي تبني لها مستقبلها وتقوي لها مواقعها... أن تأخذ بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١٦).

وصف الدعي:

□ قال الإمام الحسين عليه السلام: ((إلا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين؛ بين السلة والذلة، وهيئات من الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون)). ما المراد بالدعي ابن الدعي؟ وما المقصود بالسلة؟

○ باعتبار أن عبيد الله بن زياد ادّعاه أبوه زياد كما ادّعاه أبو سفيان. أما السلة، فهي السيف، وهي كناية عن القتل، يعني أنه يخبرني بين القتل وبين أن أعطي بيدي إعطاء الذليل وأقر إقرار العبيد.

الاستواء على العرش:

□ ما معنى الاستواء على العرش؟

○ يعني السيطرة على العرش؛ أي على الكون كله، فانه ليس جسداً حتى يجلس على العرش ويستولي عليه.

(١٤) الأنفال: ٦٠.

(١٥) المنافقون: ٨.

(١٦) طه: ١١٤.

دور العلم:

□ قال الإمام الحسن (عليه السلام): ((قطع العلم عُذر المتعلمين))، فما معناه؟

○ يعني أنّ العلم عندما يكشف الحقيقة، وعندما يحل المشكلة، وعندما يعطي الوعي، فإنه بذلك يبعث النور في عقول المتعلمين، فلا تبقى لديهم أية شبهة وأية مشكلة، ولا يبقى لهم أي عذر للدخول في مداخل الجاهلين.

الفصل الرابع

المسائل التربوية

العراقيون في المهجر:

□ هناك حالة من الإحباط يعاني منها بعض المهاجرين العراقيين في الخارج بسبب طول مدة تغربهم عن بلادهم وعدم عودتهم إلى العراق، حتى بعد سقوط نظام صدام حسين، نتيجة انعدام الأمن فيه، فكيف يمكن للمهاجر العراقي استيعاب هذه الحالة وتجاوزها ليتسنى له ممارسة دوره الإنساني بالشكل المطلوب؟

○ المهاجر العراقي هو إنسان مسلم ينتمي إلى الأمة الإسلامية، سواء كان مقيماً في العراق أو خارجه. وإذا تحدثنا عن الجانب القومي، فإنه ينتمي إلى الأمة العربية التي تلتقي مع العراق ومع غير العراق من الشعوب العربية. وعلى ضوء هذا، فإن عليه أن يتحمل مسؤوليته الإسلامية أو مسؤوليته العربية في المغتربات التي يعيش فيها، وذلك بأن يعمل على إيجاد الخطوط الإصلاحية والتوجيهية والإنسانية بالنسبة إلى الناس الذين يعيش معهم ويتحمل مسؤوليتهم، كما أن عليه - من خلال انتمائه إلى العراق - أن يدافع عن قضايا العراق ضد الاحتلال الذي يفرض سيطرته عليه، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج سلبية على العراقيين في الداخل، وكذلك أن يواجه التكفيريين الذي يستحلون دماء المسلمين، ويحركون الفتاوى في جواز قتل المسلمين الشيعة التابعين لأهل البيت عليه السلام، والذين يقتلون المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ بلا حساب، ويربكون الواقع العربي كله. إن عليه في مغتربه أن يعرف الناس بواقع هؤلاء، لينكر الناس عليهم ذلك، ولئلا يخلطوا بين المقاومين وأولئك الذين يدعون أنهم مقاومون، ولكنهم يعملون على قتل العراقيين لا إنقاذهم من المحتل ومن سلطته. وعلى العراقيين المسلمين أن يكونوا دعاة للإسلام في الخارج، ولا سيما في الغرب، ليعرفوا الناس الإسلام وقيمه الإنسانية وكل محاسنه في أخلاقه وفي خطوطه الاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك، وأن يعملوا على

مواجهة كل الذين يشوهون صورة الإسلام ويتهمونهم بالإرهاب وبالعنف وما إلى ذلك. إن الإنسان مسؤول في أي بلدٍ يحلُّ فيه، سواء كان بلد آبائه أو أجداده، أو البلد الذي فرضت عليه الظروف أو فرضت عليه اختياراته أن يسكن فيه.

كما أننا ندعو العراقيين إلى أن يستفيدوا من وجودهم في البلاد التي تملك الكثير من خطوط العلم والجامعات التي يمكن للإنسان أن يدرس فيها مختلف العلوم، ليرجع إلى بلده ليلبي حاجاته في كل مواقع العلم هنا وهناك. إنَّ على العراقيين في المغتربات - وغير العراقيين أيضاً - أن لا يصابوا باليأس والإحباط، لأنهم قادرون على أن يؤكدوا إنسانيتهم ويؤكدوا مسؤوليتهم في البلد الذي يقيمون فيه تجاه الناس كافة؛ لأنَّ على الإنسان أن يعيش الأفق الواسع، وألا يحصر نفسه في دائرة ضيقة في هذا المجال أو ذاك. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((ليس بلد أولى بك من بلد، خير البلاد ما حملك)).

مداراة الناس:

□ قال رسول الله ﷺ: ((أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض)). أين هذا المعنى من سورة الفرقان؟

○ مداراة الناس هنا لا يعني النفاق، بل يعني أنك عندما تعيش مع الناس، تدرس طباعهم ومزاجهم، فلا تحاول في علاقاتك الاجتماعية أن تتحرك بالطريقة التي تثير فيها المشاكل والفتنة وما إلى ذلك.

ترويض النفس على الطاعة:

□ ما هو تفسيركم لقول الإمام علي عليه السلام: ((إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض))؟ وهل إنَّ حركة النفس ذاتية أم عرضية؟

○ حركة النفس عرضية وليست ذاتية، لأنَّ الله أوجد الإنسان وزوّده بالفطرة

التي تدعوه إلى الخير: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(١)، ولكن هذه العوارض التي تحصل هي من تعب النفس، ومن الأمور التي قد تسيطر عليها وقد تحجب عنها إشراقة الإيمان؛ فإن أقبلت النفس وكانت مرتاحة ومقبلة على الله ومنفتحة على الإيمان، فعلى الإنسان أن يستزيد من عبادة الله وذلك بالنوافل، أما إذا أدبرت، فعلى الإنسان أن يقتصر على الفرائض؛ لأن العبادة لا بد من أن ينطلق فيها الإنسان بإقبال الروح والعقل والقلب.

حقيقة الزهد:

□ هل الزهد هو في ارتداء الملابس البسيطة، أم بالإقلال من الطعام والشراب والضغط على النفس بالشهوات، أو ما إلى ذلك؟

○ يقول الإمام علي عليه السلام: ((جمع الله الزهد في كلمتين: لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم))، أن يواجه الإنسان الحياة، بحيث لا يتعلق قلبه بها تعلقاً يترك معه مسؤوليته لحسابات الدنيا. الزهد أن تكون للإنسان الروحية، بمعنى إذا جاءت الدنيا، فإنه يتقبلها كشئ طبيعي من خلال ما قدره الله سبحانه وتعالى في عالم الأسباب والمسببات، وإذا لم تأت، فلا يجزع ولا يسقط، وإنما يتقبلها على أساس أن أسبابها لم تحصل في هذا المجال. وقد ورد: ((ليس الزهد أن لا تملك الدنيا، بل أن لا تملكك الدنيا))، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: - وقد سأله بعض أصحابه: إننا لنطلب الدنيا ونحب أن نوتأها -: ((قال: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال أعود بها على نفسي وعبالي، وأصل منها، فأتصدق وأحج وأعتمر، فقال: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة))، وقد سأل أحدهم أحد الأنمة: ما الزهد في الدنيا؟ قال: ((ويحك، حرامها فتكبه))، أي حاول أن تجتنب الحرام وتقبل على الحلال، فتكون زاهداً في الدنيا. ومن الطبيعي أن

تحصيل الزهد يحتاج إلى حالة من الوعي التي يفهم فيها الإنسان نفسه، وأن تكون له الإرادة التي يستطيع من خلالها أن يردع نفسه عن كل نقاط الضعف التي تسقطه أمام شهواته ورغباته.

اللباس الخاص بالعالم الديني:

□ رجل الدين يمثل المدافع عن حمى هذا الدين. فما رأيكم في من يلبس لباس رجل الدين، دون أن يكون قادراً على القيام بلوازمه؟

○ الإنسان الذي يريد أن يتمثل شخصية العالم الديني الرسالي، عليه أن يكون رسالياً أولاً، وأن تكون لديه الثقافة التي يستطيع من خلالها أن يقدم الدين بصورته المشرقة التي تجعل الناس يفتحون عليه بالمعرفة والإيمان وما إلى ذلك، وأن يكون قدوة للناس في التزاماته وما إلى ذلك. لذلك، على الإنسان الذي يريد أن يتمثل بهذا الخط، أن يكون في مستواه، فإذا لم يكن في مستواه، فعليه أن يوفر عن هذا الخط جهله أو انحرافه.

اكتساب الأخلاق:

□ ما هو أثر المحيط الاجتماعي في اكتساب الأخلاق؟

○ الأخلاق هي الميزة التي يتميز بها الإنسان عن غيره في مجتمعه، وللمحيط الاجتماعي أثر في اكتساب الأخلاق، باعتبار ما يهيئه من عوامل مؤثرة في سلوك الإنسان. ولكن هذا لا يجعل الإنسان أسيراً لمجتمعه، بل يمكن أن يختار ما هو حسن فيلتزم به، وما هو ليس كذلك فيتركه.

التوبة من الكذب:

□ شخص كان كثير الكذب ويريد أن يتوب عن هذا الفعل القبيح المحرم، فماذا يجب عليه أن يفعل للتكفير عن هذا الذنب؟ هل يجب عليه إخبار من كذب عليهم؟

○ يجب عليه التوبة والاستغفار، ولا يجب عليه إخبارهم بذلك.

التخلص من حبّ الظهور:

□ كيف يمكن أن يتجنب المرء المراعاة وحب الظهور إذا كان أفضل من أصدقائه، وأصدقائه ليسوا أفضل منه؟

○ على الإنسان أن يتواضع في نفسه، ويعيش معنى الشكر لله فيما يملكه من فضائل وميزات على غيره، ويتمثل قول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه: ((اللهم لا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت ذلة باطنة عند نفسي بقدرها)). وقد ورد: ((من تواضع لله رفعه الله)).

تعليم الأولاد وتربيتهم:

□ في أي سن يجب على الأب والأم تعليم أولادهما الأحكام الشرعية والعبادات؟

○ يجب تعليم الولد الأحكام التي يبتلى بها قبل سن البلوغ، بحيث يكون عند بلوغه ملماً بالأحكام التي يمكن أن يبتلى بها.

اختيار المدرسة الصالحة:

□ هل ترجحون للعوائل أن تخرج أبنائها أو بناتها من المدارس الحكومية إلى المدارس الخاصة الإسلامية أو غيرها (إذا كانت محافظة)، أو أن الأفضل هو تدريسهم في البيت، خصوصاً مع ملاحظة أن الخطورة الحقيقية تبدأ في المرحلة المتوسطة. في رأيكم، ما هو السبيل إلى حل هذه المشكلة؟

○ على الأهل اختيار المدرسة الأفضل لأبنائهم، والتي يمكنهم من خلالها الحفاظ على دينهم وأخلاقهم، ولا نرجح إخراجهم من المدرسة لتدريسهم في البيت.

الفصل الخامس

المسائل الفقهية

ثانياً: النجاسات والطهارات

رابعاً: الصيام والكفارات

سادساً: الحج والعمرة

ثامناً: أموال وبنوك

تاسعاً: السلوك والمعاملات

أولاً: المرجعية والتقليد

ثالثاً: الوضوء والصلاة

خامساً: الخمس والزكاة

سابعاً: الزواج والطلاق

أولاً: المرجعية والتقليد

شرح كيفية التقليد:

□ لديّ ابنة في الثانية عشرة من عمرها، وإلى الآن، لم أتمكن من شرح التقليد وضرورته لها، علماً بأنها قد بلغت حديثاً، ما يستدعي الحاجة إلى ضرورة معرفتها بهذه الأمور. الرجاء إرشادي إلى كيفية التصرف؟

○ لا بدّ من تعليمها ما يكون محلاً لابتلائها من المسائل الشرعية، كأحكام الطهارة والصلاة، استناداً إلى من يصحّ الرجوع إليه، وعندئذٍ يُمكن أن يقال لها إن عملها بالنحو المذكور هو أمر ضروري، لتعرف كيف تكون صلاتها وطهارتها ونحو ذلك من أعمال صحيحة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالكثير من الأعمال وطلب منا فعلها، ونهانا عن الكثير من ذلك وأمرنا بتركها، ولا بدّ لمعرفة ذلك من الرجوع إلى أهل الخبرة، وهم المجتهدون، تماماً كما يرجع المريض إلى الطبيب الذي يشخص له الداء ويصف له الدواء المناسب، ولو من خلال تكرار ذلك مرة بعد أخرى، وبعده أساليب ومناسبات.

قيمة الدليل العقلي:

□ الدليل العقلي قد يورث القطع بمدلوله عند شخص، ويورث الظن عند شخص آخر. ما هي الضابطة التي يمكننا عن طريقها أن نحدد ما إذا كان الدليل العقلي قطعياً أو ظنياً؟

○ الدليل العقلي الحاسم هو الذي يوجب القطع لدى كل الناس، أما أن يقطع شخص بالدليل ويظنّ آخر به، فهذا ليس دليلاً عقلياً قطعياً؛ قد يكون عقلياً، ولكنه يختلف حسب اختلاف الأشخاص الذي يفتحون عليه.

منطقة الفراغ التشريعي:

□ هل يوجد في الفقه الإسلامي ما يُسمّى بمنطقة الفراغ التشريعي؟

○ الفراغ التشريعي، إنّما هو التفاصيل التي ربما تحدث بفعل تطوّر الأوضاع وتطوّر الحياة، وهذه تُسمّى منطقة الفراغ، لأنّه لم يرد فيها تشريع محدّد، ولكنّ الفقهاء يستوحيون من القواعد العامة ما يكتشفون به الحكم في هذه التفاصيل.

التقية والأحكام الخمسة:

□ هل تتصف التّقية بالأحكام الخمسة؟

○ نعم، قد تتصف بأيّ من هذه الأحكام حسب اختلاف المواقع.

شرط الأعلمية في التقليد:

□ هل الأعلمية شرط من شروط التقليد؟

○ نحن ننسأل: هل إنّ الأعلمية ملحوظة في الحقول المعرفية الأخرى؟! إذ إنّ الظاهر أنها ليست شرطاً في علماء الكيمياء والفيزياء والطب؛ فليس هناك شخص يكون هو الأعلّم بالقول المطلق، بل إنّ لكل ورد رائحة. ثم إنّ هؤلاء الذين يقولون إنّ فلاناً أعلّم ليسوا دقيقين بالشهادة، وذلك لأنهم لم يطلعوا على كل أبحاث المجتهدين، بل هذا يدرس عند هذا وذاك يدرس عند ذاك، ولذا فإنّ الشهادة بالأعلمية فيها غش غالباً. ثم لو كان الناس يأخذون فقط بالأعلّم، لأغلق الأطباء عياداتهم، لأنّ الناس تذهب إلى كل صاحب خبرة فتراجعه.

اشتراط إمكانية الرؤية:

□ بعد اعتبار الحسابات الفلكية وسيلة تفيد العلم بولادة الهلال ودخول

الشهر، ما الداعي لاشتراط إمكانية الرؤية في هذا المجال؟

○ ربما يستفاد، وكما يقول السيد الخوئي، من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١)، أن يكون الهلال مما يمكن رؤيته، وهذه قضية اجتهادية.

معرفة الاجتهاد المبتدع:

□ كيف نميز بين الرأي الاجتهادي الجديد الذي يعتمد على القرآن والسنة الشريفة، وبين الرأي المخترع خاصة؟

○ الرأي المخترع هو ما كان لا يعتمد على قاعدة من كتاب أو من سنة.

التعارض بين الروايات:

□ من خلال دراستنا الحوزوية، نجد أن هناك الكثير من المسائل الفقهية التي وردت فيها روايات متناقضة بشكل فوق العادة، فما هو السبب في ذلك؟

○ اختلاف بعض الروايات قد يكون لأنها موضوعة على الأنمة ﷺ، أو على النبي ﷺ، إذ كثرت الكذابة عليهم، وبعضها قد يكون ناشئاً من حالة التقية التي كان يبتلى بها الأنمة من أهل البيت ﷺ وغير ذلك. ودور المجتهدين هو ملاحظة التعارض بين هذه الروايات، وتمييز الصحيح من غير الصحيح، وتمييز ما ورد لبيان الحكم الواقعي مما ورد من أجل التقية.

الرجوع إلى المجتهد في السياسة:

□ هل يجب الرجوع إلى المرجع في التصدي للأمور السياسية؟

○ إذا كانت المسألة تتصل ببعض القضايا التي يرجع فيها إلى الحاكم، مثل قضايا القتال وما إلى ذلك، فإنه يجب، أما في الأمور الأخرى فلا يجب.

الحكم الإلهي المطلق:

□ ما الفرق بين نظرية ولاية الفقيه ونظرية الحكم الإلهي المطلق؟

○ الفقيه عندما يحكم، يحكم بالتشريع، ولا يجوز له أن يحكم من منطلقاته الذاتية، ولذلك، فإن نظرية ولاية الفقيه لا تعني الحكم المطلق، بل إن الفقيه مقيد بالشرع، فلا يجوز له أن ينحرف عن خط الشرع، ولا يجوز له أن يحكم بذاته وبمزاجه، بل لا بد من أن يرجع فيما لا خبرة له فيه إلى أهل الخبرة، ولو فعل ذلك، بحيث حكم بمزاجه وبذاته، فإنه يسقط عن الولاية.

شؤون الدين:

□ طرح أحد رجال الدين أنه لا يحق لأحد غير معمم وغير متخصص أن يتحدث باسم الدين أو أن يحاضر فيه، فهل هذا حكر على رجال الدين المعممين بحجة الاختصاص، علماً أن عدداً هائلاً من الدعاة السنة أساتذة جامعات وأطباء؟

○ الدين ليس حكراً على أحد، لأنّ العمامة لا تصنع العلم، وإنما هو تقليد من التقاليد التي عاشها الناس، ولذلك، فإن المسألة هي أن الإنسان إذا كان يملك الثقافة الدينية، فإن له أن يتحدث عن الدين، وأن يكون له نظرية وفتوى في ذلك كله إذا كان في مستوى ذلك.

موقع الإجماع في أصول الفقه

□ من أين انبثق للأصوليين القول بالإجماع، فجعلوه حجة ودليلاً مستقلاً عن الحكم الشرعي في مقابل الكتاب والسنة؟ وهل المعتبر عند من يقول بالإجماع، اتفاق جميع الأمة، أو اتفاق جميع العلماء في عصر من العصور؟

○ الإجماع - أساساً - ليس دليلاً مستقلاً عن السنة، وإنما هو في نظر العلماء الكاشف الذي يمكن استكشاف قول المعصوم أو فعله أو تقريره منه، فالإجماع

يكشف عن السنة، وليس دليلاً مستقلاً. وقد اختلف العلماء فيه: هل إن الإجماع هو إجماع الأمة، أم إجماع فرقة معينة؟ والآن الرأي الغالب عند العلماء، أن قيمة الإجماع هو بمقدار ما يكون كاشفاً عن قول المعصوم أو فعله أو تقريره، بقطع النظر عن العدد والنوعية.

مرجعية الأمة:

□ في غياب الإمام المعصوم ﷺ، هل تكون المرجعية للأمة في اختيار قيادتها وقراراتها، أم ماذا؟

○ في غيبة الإمام، ليس هناك إمام بالمعنى المصطلح الذي يعتقد بخلافته عن رسول الله ﷺ وبمعصمته وما إلى ذلك. ولكن لا يبعد أن يقال إن الأمة هي التي تختار المرجع في زمن غيبة الإمام ﷺ، فالأمة عادة تنتخب مرجعاً، فإنهم يلتزمون بفتواه، فالمرجعية عادة تنطلق باختيار طوعي. نحن نقول: في زمن الغيبة، يمكن اختيار السياسة من قبل الأمة في هذا المجال. وعلى الرغم من أن إيران تقول بولاية الفقيه، إلا أن الفقيه ينتخب من خلال الأمة، وذلك من خلال الذين انتخبتهم الأمة. وهكذا بالنسبة إلى رئاسة الجمهورية وما إلى ذلك. وبعبارة أخرى: لا مانع من الاعتماد على الشورى في انتخاب القيادة السياسية أو انتخاب المرجعية أو ما إلى ذلك.

الأساس في حرمة الغناء:

□ هل الأصل في حرمة الغناء الكلام أو اللحن؟

○ الكلام، باعتبار أنه يمثل الباطل، واللحن إذا كان مثيراً للغرائز.

حكم انتهاك حرمة المراجع:

□ هناك من تصل به الجرأة إلى انتهاك حرمة بعض المراجع والشخصيات الدينية وإنقاص مكانتهم. ما هو الدواء لهذا الشخص؟

○ ندعو الله له بالهداية، وأن يأخذ بأسباب التقوى؛ لأنه لا يجوز للإنسان أن يغتاب مؤمناً فضلاً عن اغتياب المرجع، ولا يجوز أن يسب مؤمناً، أو يشتمه، أو ينتقص منه، لأنه بهذه الطريقة يستحق غضب الله سبحانه وتعالى. ونحن نعرف أن الغيبة، ولا سيما للأشخاص الذين يمثلون موقعاً إسلامياً كبيراً، من (إدام كلاب أهل النار) و(الغيبة أشد من الزنا)؛ لأن الله قد يغفر الزنا إذا تاب منه صاحبه، ولكن الغيبة لا يغفرها الله حتى يغفرها صاحبها.

ثانياً: النجاسات والطهارات

نجاسة الميت:

- ما حكم لمس الدجاج غير المذبوح على الطريقة الإسلامية؟
- هو ميتة ينجس ما يلاقيه مع الرطوبة المسرية.

الدم بعد البأس:

- أنا امرأة في الخمسين من العمر، انقطعت عني العادة الشهرية منذ سنتين، ولكن بعد ذلك رأيت الدم، فهل يعتبر حيضاً أم استحاضة؟
- يُعتبر ذلك من الاستحاضة.

أثر النجاسة:

- إذا بقي أثرٌ على الثوب بعد تطهيره من الغائط، هل يبقى الثوب نجساً؟
- إن كان ذلك مجرد لون من دون وجود أجزاء للنجاسة، فإنه تحصل الطهارة.

حكم النجاسة بعد الانتهاء من الصلاة:

- بعد انتهائي من الصلاة بحوالي نصف ساعة، اكتشفت أن هناك نجاسة على إحدى القطع من ملابسي، فهل يجب أن أعيد الصلاة؟
- لا تجب إعادة الصلاة في هذه الحالة، أي مع الجهل بوجود النجاسة.

إرضاع الطفل على جنابة:

- فيما لو اضطرت المرأة أن ترضع طفلها وهي على جنابة، فهل يجوز

ذلك؟

○ يجوز ذلك.

التحليل الكيميائي في الطهارة:

- إذا أمكن كيميائياً فصل المادة النجسة عن الماء القليل المتنجس بها، فهل يطهر ذلك الماء القليل بذلك الفصل؟
- لا، لأن الماء القليل يتنجس حتى لو زالت النجاسة، بأن تبخرت مثلاً، وهو لا يطهر إلا إذا اتصل بالماء الكثير.

الأكل عند الكافر:

- هل يجوز الأكل والشرب من يد الكافر؟
- نحن رأينا طهارة كل إنسان، سواء كان كافراً أو مسلماً. ولذلك فما في يد الكافر إذا لم نعلم نجاسته بالذات، فيجوز الأكل منه في هذا المجال.

الاستحالة وأثرها في الطهارة:

- هل يطهر البول بالاستحالة؟
- إذا تحققت الاستحالة طهرت المادة التي استحالت إلى مادة أخرى أو إلى أمر آخر؛ لأنها تنتقل من موضوع نجس إلى موضوع طاهر.

تطهير الميت:

- إذا خرج من الميت بول أو غائط بعد الغسل والتكفين، فما هي وظيفتنا؟
- التطهير فقط ولا يجب إعادة الغسل.

مسّ الميت بعد التيمم:

- هل يجب على الإنسان غسل مسّ الميت، إذا لمس الميت بعد برده، وكذا بعد التيمم؟

○ بعض العلماء يقولون يجب، ولكن نحن نرى أنه لا يجب.

الصلاة بالثوب النجس:

□ هل يجوز للمرأة أن تصلي بثوب متنجس إذا لم يكن لديها غيره؟

○ إذا لم يكن هناك ساتر إلا هذا الثوب، فيجوز.

حكم الرطوبات:

□ يخرج بعد التبول سائل له قوام السائل المنوي، فهل يجب فيه الغسل؟

○ إذا كنت تعتقد أنه سائل منوي فيجب عليك الغسل، وإذا شككت فيه، وأنه يمكن أن يكون ودياً، فإنه لا يجب عليك الغسل.

كفاية الأغسال عن الوضوء:

□ فهمت من الرسالة العملية أن جميع الأغسال تغني عن الوضوء، فهل

هذا صحيح؟

○ الأغسال المستحبة التي ثبت استحبابها شرعاً إضافة إلى الأغسال الواجبة، تغني عن الوضوء.

حيوانات تتغذى على الحرام:

□ الحيوانات الأهلية المأكولة اللحم، كالدجاج والأغنام والأبقار، إذا شربت

الخمير، فهل يجوز أكلها؟

○ يجوز أكلها في هذا المقام، ولكن الأفضل التحفظ ريثما تستبرئ.

التذكية في مسالخ للخنازير:

□ هل يجوز ذبح اللحوم في مسلخ تذبح فيه الخنازير وبالسكين ذاته؟

○ مع كون الذبح وفق التذكية الشرعية، فيحل ما ذبح مع لزوم التطهير من ملاقة موضع السكين المتنجس.

حكم السوائل المشتبهة:

□ ما هو حكم السوائل التي تخرج من فرج المرأة من شهوة أو بالدفق في أيام الحمل؟

○ لا مني للمرأة أبداً، فالمرأة ليس لديها غدة تفرز المنى، حسب إجماع الأطباء في جميع الحالات، وأن الماء الذي يخرج منها في حال المداعبة أو في حال الشهوة، إنما هو لترطيب المحل وتسهيل العملية الجنسية، ولذلك، فإذا خرج منها الماء، فيكون من قبيل المذي الذي يخرج من الرجل، ولا يوجب الغسل، وهو طاهر ولا شيء فيه.

نجاسة الكحول:

□ ما تعليلكم لنجاسة البيرة الخالية من الكحول؟

○ البيرة ليست نجسة، ونحن لا نحكم بنجاسة البيرة التي تشتمل على الكحول أو الخمر، فنحن نفتي وفاقاً للمحقق الأردبيلي رحمته الله، ومع السيد صاحب المدارك، بأن الخمر يحرم شربه، ولكنه ليس نجساً.

حكم المصفقات:

□ هل الجل الذي يوضع على الشعر نجس؟

○ ليس نجساً إذا لم يشتمل على بعض النجاسات، كدهن الخنزير أو الميتة، لكنه إذا كان من المواد اللاصقة المانعة من مماسة الشعر، تجب إزالته حين يُمسح الرأس للوضوء، وإن كان من المواد الزيتية التي يمتصها الشعر، فلا يضر بالوضوء، حتى لو بقيت دسومته على الشعر.

موجبات الغسل:

□ يحتلم الإنسان في المنام في بعض الأحيان، وعندما يستيقظ، يجد أن

الذي يخرج منه ماءً وليس منياً، فهل يجب عليه الغسل أم لا؟

○ إذا لم يكن ما يخرج منه منياً، فلا يجب عليه الغسل.

الاستغناء بالغسل عن الوضوء:

□ اغتسلت في ليالي رجب وشعبان، معتقداً أن الغسل يغني عن الوضوء، وقد فهمت ذلك خطأ من الرسالة العملية، فهل يجب عليّ إعادة الصلاة؟

○ نعم، لأنه لا صلاة إلا بطهور؛ والغسل العادي إذا لم يكن مستحباً أو واجباً لا يغني عن الوضوء، فكأنه صلى من دون وضوء.

مسمى الغسل:

□ في حال احتلم الإنسان وهو نائم، ثم استيقظ ووجد أن الماء بارد ولا يستطيع تسخينه لسبب أو لآخر، فهل يستطيع مسح الجسم بالماء ثم بالصابون بشكل سريع؟ لكي لا يتعرض للبرد ثم التنشيف مع الالتزام بأحكام الغسل؟

○ الفرض غير صحيح، فكيف لا يستطيع أن يغتسل وهو يستعمل الصابون الذي يحتاج إلى ماء كثير، وعلى كل حال، فإذا فرضنا أنه كان غير قادر على الاغتسال من جهة خوف الضرر، فعليه أن يتيمم للصلاة إذا كان الوقت ضيقاً.

طهارة الخل:

□ هل الخل المصنوع من العنب طاهر أم نجس؟

○ الخل طاهر.

السائل المشتبه به:

□ إذا خرج بعد البول سائل له نفس صفات المنى، ولكن من دون شهوة،

هل يترتب عليه الغسل؟

○ إذا كان يعلم بأنه مني، فإنه يترتب عليه من الغسل ما يترتب على خروج المنى. أما إذا شك في ذلك، فلا يجب عليه الغسل، ولكن يجب عليه الوضوء للصلاة إذا لم يكن قد استبرأ من البول، واشتبه بينه وبين البول.

غسل المرأة من الجنابة!

□ هل يتوجب على المرأة إذا أجنبت أن تغتسل؟

○ نحن نرى أن المرأة لا مني لها، كما يجمع عليه الأطباء. وهذا الماء الذي يخرج من المرأة ليس منياً، وإنما هو لتسهيل العملية الجنسية. ولذلك، فإن الجنابة للمرأة تكون بالجماع، ولا تكون ببلوغها الشهوة وخروج الماء.

العلم بالدم بعد الصلاة:

□ ما الحكم إذا صليت ثم وجدت بقعة دم على ملابسك؟

○ إذا كان الإنسان جاهلاً بالنجاسة، ولم يعرف بها إلا بعد الصلاة، فصلاته صحيحة إن شاء الله.

ثالثاً: الوضوء والصلاة

شعر القطة وتأثيره على الصلاة:

- ما هو الحكم الشرعي عند سقوط شعر القطة على لباس المصلي؟
- لا يجوز للإنسان أن يصلي في أجزاء ما يحرم أكل لحمه، ومنه القط، هذا مع العلم أن شعر القط ليس نجساً، ولكن القط يحرم أكل لحمه، وإذا لم يكن الإنسان ملتفتاً فصلّى ثم انتبه بعد ذلك، فليس عليه شيء، ولكن لا يجوز له أن يصلي في الثوب الذي يعلق عليه شعر القط إذا كان عالماً.

إمامة العاجز:

- ماذا نقولون في إمامة القادر على القيام، ولكنه غير قادر على السجود على الأرض، ويسجد على الكرسي، هل تصح إمامته؟
- لا تصح إمامته لغير العاجز.

الإخفات في الصلاة:

- هل الإخفات في الظهرين يقتصر على السورتين أم أنه يطال كل الصلاة؟
- الإخفات يختص بقراءة سورة الفاتحة والسورة التي تُقرأ بعدها ما عدا البسملة فيهما، وفي التسبيحات في الثالثة والرابعة، أمّا في باقي الأذكار والأقوال، فالمكلف مخير بين الجهر والإخفات.

قضاء الصلوات الفائتة:

- امرأة عمرها ٥٧ سنة، فاتها الكثير من صلوات الآيات الواجبة، وتريد أن تقضي الآن هذه الصلوات، فكيف تحسب ما فاتها؟

○ تقضي عن كل سنة ثلاث مرّات أو أربع مرّات.

الترتيب في القضاء:

□ عليّ قضاء صلاة عدّة سنوات، هل يجب قضاء صلاة الظهر قبل العصر؟

○ لا بدّ من مراعاة الترتيب، بأن يأتي بالظهر أولاً، ثم العصر، وهكذا، المغرب ثم العشاء.

صلاة الجمعة:

□ أقيم في منطقة لا تُقام فيها صلاة الجمعة، فأين أصليها؟

○ إذا أقيمت صلاة الجمعة في المنطقة القريبة من منطقتك، وكانت جامعة لشروطها، فيمكن للإنسان أن يصليها، بل قد يجب.

تبديل نيّة الصلاة:

□ بدأت بالصلاة قبل وصول إمام الجماعة، ثم وصل الإمام قبل فراغي من الصلاة، فهل أنا مأثوم؟

○ لست مأثوماً في ذلك، ولكن إذا وصلت إلى الركعة الثانية تستطيع أن تحول صلاتك إلى صلاة مستحبة لتلتحق بالجماعة، وعندئذ يجوز قطعها في أي ركعة، وإن كان الأفضل إتمام ركعتين.

بطلان الصلاة بالشك:

□ متى يكون الشك في الصلاة مبطلاً للصلاة؟

○ الشك بين الركعتين الأولى والثانية يُبطل الصلاة، والشك في عدد الركعات في صلاة المغرب مبطل للصلاة أيضاً، وأمّا الشك في عدد الركعات بين الثالثة والرابعة، فلها أحكام يمكن أن يُرجع إليها في أحكام الصلاة.

حكم الثياب الشفافة:

□ ما حكم ثياب الصلاة إذا كانت شفافة أو كانت تتخايل من الثياب ملامح

الشعر؟

○ لا بدّ للمرأة من أن تراعي في صلاتها شروط اللباس، بأن لا يكون شفافاً يكشف البشرة واللحم أو الشعر.

الصلاة في العمل:

□ توجد معامل في الغرب، ولا تعطي فرصة للعامل للصلاة في وقت

الظهر، وعند نهاية الدوام ينتهي وقت الصلاة، وتصبح صلاته قضاءً، فهل يبقى المكلف على هذه الطريقة أو يترك العمل؟

○ لا يجوز للإنسان أن يبقى في مثل هذه المعامل، بل لابد من أن يبحث عن عمل لا يضطر فيه إلى ترك الصلاة، لأن الصلاة لا تسقط بحال.

التشهد في الركعة الثالثة:

□ تلفظت بالتشهد في الركعة الثالثة في الظهر، فهل تبطل صلاتي؟

○ صلاتك صحيحة، ولكن عليك أن تأتي بسجدة السهو بعد الصلاة.

صلاة من في جيبه متنجس:

□ إذا صلى شخص وفي جيبه شيء متنجس، فهل تكون صلاته صحيحة؟

○ صلاته صحيحة.

كثرة السفر:

□ ما حكم صلاة وصوم السائق الذي يعمل عند الدولة، والذي لا يعلم متى

تأتيه الأوامر للخروج إلى القرى والنواحي المجاورة لوطنه، والتي يكون في

بعضها قطع المسافة الشرعية، علماً أن هذا عملي على مدار العام؟

○ لا بد من أن تدرس طبيعة عملك، فإذا كان ذلك بصورة استثنائية، فعليك أن تصلي قصراً وأن تفطر، وإن كان ذلك على نحو متكرر وكثير، بحيث كنت دائم السفر في حالتك العامة، فالصلاة تامة.

استحباب الشهادة الثالثة:

□ هل توجد روايات في كتب الحديث تثبت استحباب الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة؟

○ ولاية علي عليه السلام حقيقة إيمانية، وهي جزء من العقيدة الإيمانية، ولكن لا توجد روايات تدل على استحباب التشهد بالولاية له في الأذان والإقامة، وهي زيادة لم يشرعها الله، ونحن ننقل عن أحد علمائنا الكبار جداً، وهو الشيخ الصدوق، قوله إن هذه - يعني قضية الشهادة لعلي بالولاية في الأذان والإقامة - من صنع الغلاة والمفوضة، والشهيد الثاني صاحب (الروضة البهية في شرح اللمعة)، والتي يدرسها طلاب العلم، يقول إن الشهادة لعلي بالولاية من حقائق الإيمان، وليست من فصول الأذان.

التقية في هيئة الصلاة:

□ هل ورد عن أهل البيت عليه السلام أنه لا تقية في الإسبال؟

○ لا لم يرد ذلك، وورد أنه ((لا تقية في المسح على الخفين)).

السجود على ما لا يصح السجود عليه:

□ هل تصح الصلاة مع السجود على ما لا يصح السجود عليه، من باب ما يسمى بـ (تقية المداراة).

○ نحن نتحفظ على ذلك، وإنما نجيزه من خلال تقية الخوف، إلا إذا كان ترك المداراة يسبب الحرج الشديد للمؤمن.

السفر لغرض الدراسة:

□ أنا طالب أسافر إلى الشام لمدة أسبوع أو ثمانية أيام بقصد الدراسة، وذلك لمدة شهرين من كل فصل، وليس لدي سكن خاص، بل أقيم لدى بعض الأصدقاء، فهل يجب علينا القصر في الصلاة؟

○ إذا كان السفر يتكرر منه في كل شهر أربع مرّات فيتمّ، وإلا فيقصر.

وضع الأنف في السجود:

□ عند السجود، هل يشترط وضع الأنف مع الجبهة على ما يصح السجود عليه؟

○ السجود هو وضع الجبهة على الأرض، ويستحب أن يرغم الإنسان أنفه، لأنّ الأنف يمثل العنفوان، فعندما يرغم الإنسان أنفه ويضعه على التراب، فكأنه بذلك يتواضع لله أكثر.

التثاقل عن قضاء الصلاة:

□ لدي صيام وصلاة كثيرة لم أصلّها، وعندما أقوم لأقضي، أتثاقل كثيرا ولا أدري ماذا أفعل؟

○ عليك أن تقسّم وقتك، فمن جهة لا ترهق نفسك بشكل كبير، وفي الوقت نفسه لا تضيع الواجب، والله الموفق.

الصلاة الوسطى:

□ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(١)، ما هي الصلاة الوسطى؟

○ هناك خلاف بين الفقهاء، إذ قال بعضهم إنها صلاة الصبح، وبعضهم قال

صلاة الظهر، وبعضهم قال صلاة المغرب، وبعضهم قال إن الله أخفاها كما أخفى ليلة القدر حتى يهتم الناس بكل الصلوات، وبعضهم قال إنها صلاة الجمعة.

الصلاة في وطن الآباء:

□ شخص خرج من مسقط رأسه وهو في الثامنة من العمر، ولم يذهب إليه إلا مرات قليلة ولفترات قصيرة، وهو لا يعلم إن كان سيعود للإقامة فيه من جديد أم لا، فما هو حكم صلاته وصيامه في حال ذهب لزيارة أقربائه هناك؟

○ إذا كان قد أعرض عن وطنه الأصلي، بمعنى أنه بنى على أن لا يسكن في وطنه سكنى الاستيطان، بل يذهب إليه للزيارة فقط ليرى أقرباءه وأهله، إذ هو قد استوطن في مكان آخر، فهنا يصلي قصراً، لأنه أعرض عنه وخرج عن كونه وطنه، أما إذا لم يعرض عنه، وفكر في أنه يمكن أن يرجع إليه، فيصلّي تماماً.

وظيفة كثير السفر إلى غير عمله:

□ من كان عمله السفر، فما حكم صلاته وصومه لو سافر في غير عمله، كما لو زار بعض أقاربه؟

○ المسألة محل خلاف، فإن السيد الخوئي رحمته الله كان يرى أن من كان عمله السفر أو عمله في السفر، يتم صلاته ويصوم، أما لو أنه سافر سافراً ليس من عمله فعليه أن يقصر، ورأينا أنه من كان كثير السفر، سواء كان السفر من عمله أو لم يكن من عمله، فإنه يتم في صلاته.

موضع سجدة السهو:

□ هل يؤتى بسجدة السهو بين التشهد والتسليم، أو بعد التسليم؟ وهل تحتاج إلى تكبيرة؟

○ يؤتى بسجدة السهو بعد التسليم، ولا تحتاج إلى تكبيرة.

التكبيرات بعد التسليم:

□ ما حكم التكبيرات الثلاث بعد التسليم؟ وهل تركها يفسد الصلاة أم لا؟

○ هي مستحبة وليست واجبة.

القنوت في ركعتين:

□ ما حكم من قرأ القنوت في الركعة الأولى والثانية؟

○ ليس عليه شيء.

الإسراع في الصلاة:

□ أعمل كل شيء بدقة، ولكن عندما أقف للصلاة، أصليها بسرعة وبدون

خشوع، فماذا أفعل؟

○ الصلاة بدقة هي أن تهيب نفسك للوقوف بين يدي الله عز وجل، ثم تفهم

كل كلمة تقولها، من التكبير إلى القراءة إلى الركوع ومن ثم السجود، وعليك أن

تصلي في سكون ووقار، وتأمل واطمئنان، وأن تتفهم كل ما تقول وكل ما تفعل.

صلاة الفجر مع عدم معرفة الوقت:

□ ما حكم صلاة الصبح في بعض الأيام عندما تكون في السماء غيوم

وتكون الشمس غائبة، هل تؤدى قضاءً أم واجبة؟

○ إذا لم يحرز خروج الوقت، فيصليها الإنسان بحسب الأمر المتوجه إليه.

وضع الصور في البيوت:

□ هل صحيح أن بعض المذاهب تُحرّم الصور في البيت، حيث تقام الصلاة؟

○ لا يحرم تعليق الصور في البيوت، ولكن ينبغي للإنسان أن يغطيها إذا كانت أمامه.

الترتيب في الصلوات الفائتة:

□ ما حكم قضاء فرض العصر قبل الظهر، والمغرب بعد العشاء؟ وهل تصح الصلوات الفائتة التي تم قضاؤها بهذا الترتيب؟

○ لا بدّ من أن يقضي الإنسان ما فاتته كما فاتته، يعني لا يجوز قضاء العصر قبل الظهر، ولا قضاء العشاء قبل المغرب، بل لا بدّ من الترتيب، وإذا كان في قضاائه خلل بالترتيب، فعليه الإعادة ومراعاة الترتيب.

الشك في الركوع قبل السجود:

□ إذا هوى المصلّي للسجود، وقبل أن يسجد شكّ هل ركع أم لا؟
○ عليه أن يعود إلى الركوع.

وضع اليدين في الركوع:

□ هل يجب وضع اليدين على الركبتين أثناء الركوع؟
○ يجب أن يضع يديه بنحو يصدق معه موضوع الركوع.

ملامسة الأرض في السجود:

□ هل يجب عند السجود أن يكون جميع باطن اليد ملامساً للأرض؟
○ ليس من الضروري ذلك.

الصلاة بجلد غير مذكى:

- إذا نسي المصلي الساعة التي فيها جلد غير مذكى، فما حكم صلاته؟
- إذا قطع بأنه غير مذكى، فمعناه نجس، وإذا كان نجساً، فالصلاة بالنجس باطلة.

صلاة شارب الخمر:

- هل الخمر لها علاقة بمبطلات الصلاة؟
- كيف يجتمع الأمران، فشارب الخمر عاص لله، وجالب لنفسه الضرر، وأثم، والمصلي يريد التقرب إلى الله وامتنال أو امره ونواهيه، والتي منها الابتعاد عن شرب الخمر. إن مثل هذه الصلاة، والتي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، قد لا يكون لها قيمة معنوية، بحيث توجب للإنسان التقرب من الله، وإن كانت مسقطة للتكليف. إذا أتى بها كاملة من حيث الشروط والأجزاء المادية، فهذه صورة الصلاة، وليست حقيقة الصلاة التي هي معراج المؤمن؛ والله العالم.

قضاء صلاة الآيات للحائض:

- هل يجب على المرأة الحائض أثناء حلول الكسوف أو الخسوف إعادة الصلاة؟
- لا يجب عليها قضاء ما فاتها من الصلاة أثناء حيضها مطلقاً، سواء كان من الصلوات اليومية، أو من الآيات أو غير ذلك.

تأثير الكحل في الصلاة:

- هل يبطل الكحل الطبيعي الوضوء؟
- لا يُعدُّ الكحل حاجباً، خصوصاً مع تخفيفه، بل هو أشبه بلون.

الصلاة في أرض مغصوبة:

- موظف يعمل في دائرة مغصوبة، هل يجوز له الصلاة فيها؟
- لا يجوز الصلاة في الأرض المغصوبة.

الصلاة بجلد مشكوك التذكية:

- هل تجوز الصلاة بحزام جلدي مصنوع في دول غربية؟ وما هو حكم لبس الأحذية الجلدية المصنعة أيضاً هناك؟
- يُبنى على طهارة تلك الجلود المصنوعة في دول غربية، لعدم العلم بكونها مأخوذة من غير المُذكى، واحتمال كونها من المُذكى احتمالاً عقلائياً، وكذا يجوز لبسها في حال الصلاة.

الالتزام بصلاة الجماعة:

- لا يوجد اهتمام بصلاة الجماعة في وسطنا، فما هي توجهاتكم في هذا المجال؟
- عندنا حديث يقول : ((إذا زادت صلاة الجماعة عن العشرة، لا يحصي ثوابها إلا الله))، ولكن الناس لا يهتمون بثواب الله بقدر ما يهتمون بالبورصة المالية، ولو قدر أن يعطى كل مصل مبلغاً من المال، لما خليت مساجدنا من المصلين جماعة! وقد تحدث النبي ﷺ عن الذين يتركون صلاة الجماعة: ((أوشكت أن أبعث إليهم ناراً تحرقهم في بيوتهم)).

الواجبات والفرائض:

- ما الفرق بين الواجبات والفرائض؟ وأين تنطوي صلاة الجمعة هنا؟
- الواجبات أعم من الفرائض، هناك واجبات للإنسان في تعامله وفي أعماله. والفرائض هي عبارة عن العبادات، وصلاة الجمعة من الفرائض، لأنها

من العبادات التي يذهب الفقهاء إلى وجوبها، إما وجوباً عينياً أو تخييرياً.

قراءة السورة الثانية:

□ هل تبطل الصلاة إذا لم تُقرأ السورة الثانية كاملة؟

○ في رأينا أنه يكفي قراءة بعض السورة، وإن كان الأفضل والأحوط قراءة كل السورة. وقد ورد عندنا أن الإمام الصادق عليه السلام قرأ بعض السورة في صلاته، معللاً ذلك بأنه يريد أن يعلم أصحابه.

الصلاة على غير التراب:

□ في حال غياب التقيّة، هل تبطل الصلاة إذا لم توضع التربة؟

○ إذا لم تكن الحال تقيّة، فلا بد من أن يسجد على ما يصح السجود عليه، من الأرض أو ممّا تنبته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يُلبس، وليس من الواجب الالتزام بالسجود على التربة المتعارفة في كلّ حال، وإن كان أقرب إلى التخصّص بين يدي الله.

قراءة سورة في أكثر من ركعة:

□ هل يجوز قراءة سورة من القرآن في أكثر من ركعة في صلاة

الفريضة؟

○ إذا كان المقصود توزيع سورة واحدة على أكثر من ركعة، فيجوز في رأينا، وإن كان المقصود قراءة نفس السورة في الركعة الأولى والثانية، فهو جائز أيضاً.

انكشاف الستر في الصلاة:

□ امرأة زال عنها بعض حجابها أثناء الصلاة لسبب قاهر دون أن تتمكن

من إكمال الصلاة مع مراعاة الحجاب، فما هو حكم صلاتها؟

○ إذا كانت عاجزة ومضطرة لأن تكمل صلاتها من دون حجاب فصلاتها صحيحة.

تعدد الشكوك في الصلاة:

□ كيف العمل إذا تعددت الشكوك في عدد الركعات وغيرها؟

○ لا بد من أن يتعلم المكلف أحكام الشك الذي يُبتلى به.

السجود على المفروشات:

□ ما الضرر الذي يترتب على مسألة السجود على السجاد؟

○ ليس بالضرورة أن يكون هناك ضرر، فهذا تشريع الله، والله أعلم بالحكمة، وقد ورد في الحديث: ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً))، والمفروشات ليست أرضاً، فالله أراد للإنسان كما يتيمم بالتراب، أراد له أن يسجد على التراب، وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، أن على الإنسان أن يسجد على الأرض وما أنبت مما لا يستخدم للأكل ولا للبس، وهذا أمرٌ تعبدي تعبّدنا الله به.

العدالة في الصلاة:

□ اختلف علمائنا في تعريف العدالة المشترطة في إمامة الصلاة، فما

هي؟

○ العدالة هي الاستقامة على الطريق المستقيم، وبمعنى آخر، الاستقامة على جادة الشرع، بحيث يلتزم الإنسان بالأحكام الشرعية التي فرضها الله عليه، ولا يتجرأ على المعصية.

السهو والنسيان:

□ ما الفرق بين السهو والنسيان؟

○ السهو قد لا يكون مسبوقاً بشيء، فقد يسهو الإنسان، فيتترك مثلاً فرضاً

من الصلاة أو ما أشبه ذلك من أفعال الصلاة، أما النسيان، فهو أن يكون عالماً بشيء في ذهنه، ثم يغيب عن ذهنه.

نيابة الإمام عن المأموم:

□ لماذا لا ينوب الإمام عن المأموم في الركعتين الثالثة والرابعة من الصلاة؟

○ لأنه يتحمل من المأموم القراءة في الركعتين الأوليين، أما الركعتان الأخريان ففيهما الذكر، وعلى المأموم أن يأتي بهما، ومناط هذا هو التعبد الإسلامي في ذلك كله.

قراءة سورة العزائم في الصلاة:

□ ما حكم من قرأ سورة (فصلت) في الصلاة المستحبة، هل يسجد أم لا؟

○ يسجد بالإيماء في هذه الحالة.

خشوع المصلي:

□ إذا لم يخشع المصلي أثناء الصلاة، فهل يجوز له أن يعيدها؟

○ لا بد للإنسان من أن يعمل على تحصيل الخشوع، ويُمكن له أن يعيدها جماعة لو صلى فرادى.

تفويت صلاة الفجر:

□ هل يأتّم من تفوته صلاة الفجر وهو نائم؟ وماذا لو كان ذلك يحدث كل يوم؟

○ (ما غلب الله عليه فهو أولى بالعذر)، وما دام أن الله سبحانه وتعالى ألقى عليه النوم، فلا يعتبر مسؤولاً عن تفويت الصلاة، ولا يعتبر أثماً.

زيت الشعر:

□ هل الزيت الذي يُوضع على شعر الرأس يشكّل طبقة تحجب ماء الوضوء؟

○ لا يشكل الزيت حاجباً بالوصف المذكور.

التوضؤ خطأً عن جهل:

□ شخص صلى عشرين سنة، وهو يتوضأ بغسل وجهه ثلاث مرات ويده ثلاث مرات جهلاً، ثم اكتشف خطأ ما كان يفعله، فما حكم صلاته؟

○ مع الجهل ليس عليه الإعادة.

أثر دهون البشرة على الوضوء:

□ أعاني من إفرازات دهنية من بشرتي وشعر رأسي، فهل يعتبر هذا مانعاً من وصول الماء في الوضوء؟

○ لا يعتبر حاجباً.

غسل الجمعة والوضوء:

□ هل غسل يوم الجمعة يغني عن الوضوء حتى لصلاة المغرب؟

○ إذا بقي الإنسان على غسله ولم يحدث بعد ذلك ما يفسد الوضوء، فيجوز ذلك.

الزيت والحاجب في الوضوء:

□ هل يعتبر الزيت حاجباً للوضوء؟

○ ليس حاجباً.

رابعاً: الصيام والكفارات

الصيام في المرض:

□ في ذمتي صوم عشرة أيام، صمت خمسة منها، هذا مع العلم أنني مريضة؟

○ إذا جاء شهر رمضان وكانت الأخت مريضة طيلة أيام السنة ما بين الرمضانين، فلا يجب عليها إلا الفدية، أما إذا كانت قادرة ولم تصم، فعليها أن تصوم بعد ذلك وتدفع الفدية.

الدم وتأثيره على الصوم:

□ لثنتي هشة، وهي دائمة النزيف، فما هو حكم الدم الذي ينزل إلى جوفي أثناء الصوم؟

○ إذا لم تكن متعمداً ابتلاع الدم، فليس عليك شيء.

تكليف المرأة الحامل:

□ ما هو تكليف المرأة الحامل بالنسبة إلى صيام شهر رمضان؟

○ إن كان الصيام يضرُّ بها أو بحملها، بحيث تخاف عليه، فلها أن تفطر، ثم تقضي ذلك في وقت آخر.

مضغ العلكة في الصوم:

□ هل يجوز مضغ العلكة أثناء الصوم؟

○ لا يجوز ذلك بالنسبة إلى العلكة التي تتفتت أجزاء منها وتدخل إلى

الجوف، أما العلكة التي لا تكون كذلك، فلا تحرم كمفطر، لكن قد تشكل هتكاً وإساءةً لحرمة شهر رمضان، فتحرم من هذه الجهة.

مشاكل صحية تمنع من الصوم:

- أعاني من مشكلة صحية منذ سنتين تمنعني من الصيام، فهل أعمالي العبادية في شهر رمضان أحصل فيها على أجر الصائم؟
- ورد في الحديث: "نية المؤمن خير من عمله"، فلك بحسب نيّتك ورغبتك بالطاعة والعبادة الأجر إن شاء الله تعالى.

إفطار مريض:

- إبنتي في العشرين من عمرها، تدرس طب الأسنان، وهي تحسُّ بالآلام شديدة في معدتها، بحيث لا تستطيع من شدة الألم التركيز في الدراسة، سواء كانت صائمة أو مفطرة، ولا تستطيع أن تُبقي معدتها فارغة، فهل لها أن تفطر؟
- يجوز لها الإفطار بالفرض المذكور.

صوم المستحاضة:

- امرأة في فترة الاستحاضة، هل لها أن تصوم؟
- يجب عليها أن تصوم مع القيام بأعمال الاستحاضة.

صيام مريض السكري:

- والدتي أصيبت بمرض السكري، وقد صامت كلّ السنوات الماضية، ولكنّ المرض اشتدَّ عليها هذا العام، فماذا تفعل؟
- لا يجب عليها الصيام، وهي معذورة شرعاً، وإن لم تتمكن من القضاء إلى رمضان الثاني، كفاها دفع الفدية، وهي عن كلّ يوم ثلاثة أرباع الكيلو من الطعام.

صيام حامل:

- زوجتي حامل في الشهر الثالث، وهي لا تتحمل الجوع طوال النهار لضعف بنيتها وخوفها على جنينها، فهل يحق لها الإفطار؟
- في الفرض المذكور، يجوز لها الإفطار، وعليها القضاء بعد ذلك.

صيام مصابة بنزيف:

- صديقتي تعاني من نزيف في لثتها بشكل دائم منذ ١١ سنة، فهل خروج الدم من اللثة يبطل الصوم؟
- لا يبطل ذلك صيامها، مع عدم تعمد بلع الدم.

القضاء عن الأم:

- هل يمكن أن أقضي عن أمي المتوفاة ما فاتها من صلاة وصوم؟
- لا يجوز الصوم عن الغير ولا التطوع إذا كانت ذمتك مشغولة بالصوم عن نفسك، وأمّا الصلاة، فليس من مشكلة في القضاء عنها مطلقاً.

هلال شوال:

- ما هو سبب تعيين سماحتكم العيد يوم الخميس، مع العلم بأن جميع مراجع الشيعة قالوا الجمعة؟

○ أولاً، المراجع لا يملكون في قضية الهلال علماً خاصاً، وإنما يأخذون الخبرة من الشهود الذين يأتون إليهم، فإذا اطمأنوا بالشهود حكموا برؤية الهلال. ثم إن رأيي هو رأي السيد الخوئي، وإن كان أكثر الناس لم يقرأوا للسيد الخوئي حتى من تلامذته. دعونا نقرأ القرآن حيث يقول: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١)، فالله سبحانه نظم الشهور قبل

أن يولد الإنسان، وقبل أن تخلق العين، فما الذي يجعل الاختلاف بين الأشهر؟ فليس هناك حواجز مادية مثل الحواجز بين بلد وبلد آخر، إنما هو ظهور الجانب المضيء من القمر، وظهور الجانب المظلم منه، فعند دخول القمر في المحاق (الجانب المظلم)، ينتهي الشهر السابق، وعندما تبدأ المنطقة المضيئة، والتي تسمى بالولادة، عند ذلك يبدأ الشهر الآخر، فالحواجز بين شهر وشهر هو دخول القمر في المحاق وخروج القمر من المحاق، وهذا من الأمور التي يعرفها أهل الفلك الذين تحولت حساباتهم الفلكية إلى واحد زائد واحد يساوي اثنين، وقد أصبحت المعلومات على غاية من الدقة، بحيث لا تعثر على خطأ واحد بالمليون.

وكذلك نحن أضفنا إلى الولادة ما أضافه أيضاً السيد الخوئي، وهو إمكانية الرؤية، بأن يصل القمر في المنطقة المضيئة منه إلى حد يصبح فيه نور، فإذا ثبتت إمكانية الرؤية في بلد نلتقي فيه بجزء من الليل، ثبت أول الشهر. وعلى هذا الأساس، ثبت عندنا في أمريكا الجنوبية وفي جنوب أفريقيا وفي بلدان أخرى، أنه يمكن رؤية الهلال، ونحن نلتقي معهم بجزء من الليل، فعلى هذا الأساس أعلننا العيد قبل يومه بأسبوع. ثم إن هناك أمراً ينبه عليه الخبراء، إذ يقولون إن الرؤية في هذه الأيام لا تمثل الحقيقة، لأن الفضاء صار ملوثاً بأشياء لامعة، بحيث إن الناس ترى عشرين هلالاً، لكنها في الحقيقة ليست هلالاً.

ثواب الصوم:

□ في الحديث القدسي: ((الصوم لي وأنا أجزي عنه))، ولكننا نرى في واقعنا أناساً يلومون فلاناً على أنه صام في اليوم الأخير من شهر رمضان، والبعض الآخر يلومون فلاناً لأنه اعتبره عيداً وأفطر. فكيف نتلافى ذلك؟

○ الصوم لله، لأن الصوم ليس له مظهر خارجي مثل الصلاة، فالله يطلع على نفس الصائم وعلى روحيته، أما الخلافات في ثبوت الهلال أو عدم ثبوته، فهو خلاف بين المسلمين، لأنهم يعتمدون على الرؤية، ومسألة الرؤية يختلف الناس في تقويم الذين يشهدون بها، وهذا لا ينتهي منه حتى تكون الحسابات الفلكية هي الأساس، والمهم أن الفكرة التي أطلقناها أصبحت قيد التداول، من خلال اعتماد بعض العلماء، في تحديد رؤية الهلال، على أقوال الفلكيين، من جهة أنه إذا قال الفلكيون أنه لا يرى وشهد الشهود، فلا نأخذ بشهادة الشهود، فإذا وصلوا إلى نصف الطريق، فإنهم إن شاء الله سيصلون إلى آخر الطريق في الاعتماد على الفلك، والقول بكفايته في إثبات الشهور.

الاعتماد على خبرة الفلكيين:

□ في تحديد ولادة الهلال، هل تعتمدون على خبراء فلكيين مسلمين أو غير مسلمين؟

○ نعتد على هؤلاء وهؤلاء بما يوجب الاطمئنان وبما يوجب القطع في بعض الحالات.

الإفطار للضعيف:

□ بقيت من سن التاسعة حتى الرابعة عشرة من عمري ضعيفة البنية، فلم أصل ولم أصم، وإضافة إلى هذا، كنت عندما أصوم تجبرني أُمي على الطعام، فهل علي أن أقضي جميع هذه الأشهر أو أكفر عنها؟

○ إذا فرضنا أن الإفطار كان مع خوف الضرر والإجبار من قبل الأم، فعليك القضاء فقط - كما هو مقتضى الاحتياط الوجوبي فيما دون الحيض - وليس عليك الكفارة على كل حال في مفروض السؤال.

صوم وصدقة أحد الزوجين:

□ هل يجوز للمرأة والرجل التصدق والصوم دون موافقة كل منهما؟

○ أما الصدقة، فحيث إن كلا منهما سيتصدق من ماله الخاص، فهذا لا يحتاج إلى إذن أحد ما دام المتصدق بالغاً رشيداً. وأما صوم الرجل، فلا يحتاج إلى إذن من أحد، وكذا صوم المرأة ما لم تكن زوجة، فإن كانت زوجة، وكان صومها منافياً لحق استمتاع الرجل بها، لم يجز لها أن تصوم استحباباً إلا بإذنه.

عدم القدرة على قضاء العبادات:

□ يتوجب على قضاء خمسة أشهر من رمضان للسنوات السابقة، ولكن صحتي لا تساعدني الآن، وبالكاد أكمل شهر رمضان سنوياً، فماذا أفعل؟

○ عليك أن تنتظر حتى تستطيع القضاء، إذ ليس من الضروري للإنسان أن يستعجل به.

مقدار إطعام المسكين:

□ كم يساوي بالليرة مقدار إطعام ستين مسكيناً عند سماحتكم؟

○ المهم هو إطعام المسكين ثلاثة أرباع الكيلو من الطحين أو الخبز أو من غيرهما، وهذا يختلف حسب اختلاف الشيء الذي يدفعه، وقيمته تكون وفقاً لما هو متعارف عليه في البلدان والأزمان.

خامساً: الخمس والزكاة

جبر مبلغ الخمس:

- متى يجبر مبلغ الخمس، ومتى لا يجبر؟
○ يجبر في أثناء السنة، ولا يجبر في السنة الثانية.

تخميس المال المدخر:

- عملت رأس سنة خمسية لي في كل خامس عشر من شعبان، وجاء الموعد للتخميس، وأملك مبلغاً أخرته من (سلفة) لكي أشتري منزلاً، وقد جمعته من راتبي ولم يمر عليه سنة كاملة من موعد الخمس، فهل يجب تخميسه؟
○ يجب دفع الخمس عند مجيء رأس السنة مع وجود المال عندك.

خمس المنحة الدراسية:

- لم أخرج الخمس طوال ٨ سنوات، وأنا الآن أدرس في الجامعة، ولقد حصلت على منحة دراسية، هل يجب إخراج خمس المنحة؟ وماذا عن السنوات التي لم أخرج الخمس فيها؟
○ إذا لم تكن قد أخرت مالاً فيما مضى من السنين من سنة إلى سنة، فليس عليك خمس، وهذه المنحة لا يجب تخميسها الآن، وعليك أن تجعل يوماً معيناً تعتبره رأس سنة لخمسك، فإذا حلَّ رأس السنة، لزمك تخميس ما عندك من نقد ومؤنة مهما كان قليلاً.

العقيدة:

- ما هي العقيدة؟

○ العقيقة هي الذبيحة التي تُذبح إذا وُلد طفلٌ، ويُقال إنَّها تمثل زكاةً عن الطفل، وتُدفع إلى الفقراء.

تخميس أرض البناء:

□ اشتريت قطعة أرض بثلاثة ملايين دينار، ومرّت سنة ولم أبْنِ عليها، فإذا ارتفع سعر الأرض أو قلّ، فهل عليّ خمسها؟

○ ما دمتَ اشتريتها للبناء، فلا خمس عليك إذا بقيت على قرارك بالبناء فيها مستقبلاً.

الفطرة لغير اليتيم والأرملة:

□ هل يجوز الفطرة لغير الأرملة واليتيم؟

○ تجوز للفقير الذي لا يملك مؤونة سنته، يعني الشخص الذي لا يملك مالاً أو عملاً يكفي مصاريفه السنوية، بل يضطر إلى الاستدانة، فإنه يجوز له أن يأخذ الفطرة ويأخذ الخمس ويأخذ الزكاة وما إلى ذلك.

الخمس في الشقة:

□ لقد أقدمت على شراء شقة، على الرغم من أن الأموال غير مخمسة، لأنني أدفع رسومها شهرياً، هل عند إكمال ثمن الشقة أخمس المبلغ، علماً أن زوجي يخمس كل سنة، وهو شريك معي في الدفع؟

○ إذا كان الدفع بالتقسيط وبالتدريج، ومن نفس الأموال التي تحصلين عليها من السنة، وليست من الأموال المجمّدة التي مرّت عليها سنة، فلا خمس في ذلك.

استثناء الدين من الخمس:

□ إذا انقسم الخمس إلى أكثر من تاريخ معلوم في سنة هجرية، مثاله بضاعة لم تبع وفيها أموال مخمسة وغير مخمسة، وأنا مدين بمال؟

○ المَخْمَسُ يتركه، وغير المَخْمَسِ عليه أن يَحْمَسَه، وإذا كان مديناً، فإنه تارةً مدين بمال من نفس السنة، فإنه يستثنيه في آخر السنة، وتارةً في سنين سابقة، فإنه لا يستثنيه.

تأجيل دفع الخمس:

□ جاء موعد الخمس، لكن أمواله كلها مدفوعة للعمل التجاري، وتعود لي في السنة القادمة مع الأرباح، علماً بأنني لا أملك غيرها، فماذا عليّ في ذلك.

○ عليك أن تسجل المال، وأن تدفع ما يترتب عليه من خمس في السنة القادمة.

الخمس في مال لشراء منزل:

□ إذا كان الشخص يَدخِر المال بهدف شراء منزل، فهل يجب تخميس هذا المال؟

○ نعم، إذا فرضنا أنه مرّت على هذا المال سنة، أو جاء رأس السنة، فيجب تخميسه، أما إذا اشترى مثلاً شقة أو أرضاً بالتقسيط، ودفع المال في أثناء السنة، فليس عليه شيء، حتى لو تأخر بناء البيت أو دفع الأقساط سنين متعددة.

التخميس للحج:

□ إن رأس السنة المالية لي هي بداية شهر محرم، فإذا نويت الحج، هل يجب التخميس قبل الحج أم يبقى التخميس في وقته؟

○ يبقى التخميس في وقته.

خمس الأرباح:

□ ماذا يُخَمَس في رأس السنة الخمسية؟

○ يُخَمَس ما فضل من الأرباح عن مؤونة السنة، والأعيان التي لم تكن مورد استعمال واستفادة، أو ما يبقى منها بالنسبة إلى الأعيان التي تُتلف بالاستهلاك، كالزيت والحبوب ونحوها.

المسكين والفقير:

□ ما هو تعريف المسكين وتعريف الفقير ؟

○ ورد عندنا أن الفقير هو الذي لا يملك مؤونة سنته، والمسكين أشد حالاً منه. وقد ذكر بأن الفقير هو المحتاج الذي لا يسأل، والمسكين هو الذي قد تدعوه حاجته إلى السؤال.

الزكاة في الأنعام:

□ نقرأ في المسائل الشرعية، أنه تجب الزكاة في الأنعام الثلاثة، ولكن الآن لا تستعمل هذه الأشياء إلا قليلاً، فهل الزكاة محصورة فيها، أم يمكن التعدي إلى غير ذلك مثل السيارة؟

○ رأينا أن الزكاة لا تختص بهذه المذكورات وبالنقدين، بل إنها تشمل المواقع الأخرى، فيجب الزكاة فيها على الأحوط وجوباً إلى جانب الخمس أيضاً.

صرف الخمس في الهيئات:

□ لدينا في الغرب هيئات حسينية، فهل يجوز صرف الخمس في هذه الأمور؟ وإذا جاز ذلك، فهل يشترط أخذ الإذن من المرجع الذي يرجع إليه المتبرع؟

○ إذا كانت هذه الحسينيات والهيئات تخدم الإسلام وتخدم المؤمنين في

إيمانهم، ولا تتحول إلى حالات عصبية حزبية وما إلى ذلك، فلا مشكلة في صرف الخمس في شؤونها، ولكن المراجع الآخرين قد يشترطون أن يأخذوا الإذن من المرجع.

الخمس على طالب العلم الشرعي:

- هل يجب على طالب الحوزة أن يخمس المال الذي يُدّخر من المساعدات التي تقدّم له من المكاتب؟
- يجب عليه الخمس في ذلك.

دفع الخمس على أقساط:

- إذا كان على شخص خمس، فهل يستطيع أن يدفعه تقسيطاً، لأنه مضطر للقيام بمشروع لكي يكسب منه رزقاً يعول به نفسه وعياله؟
- يُمكنه، بعد أن يأخذ رخصة من الحاكم الشرعي في ذلك.

ادّخار المال للزواج:

- هل يجب الخمس على من يجمع مالاً لعدة سنوات لغرض بناء دار أو زواج ولده، علماً بأنّ هذا المبلغ لا يجمع في سنة أو سنتين؟
- إن كل مالٍ يصرفه الإنسان في سنته، حتى على أمور يحتاجها في مستقبله، ولا يستطيع أن يحققها في حينه، فليس عليه شيء، كما لو فرضنا أنه جمع مالاً واشترى به قطعة أرض، ثم اشترى إسمنتاً، واشترى كذا، كل سنة، بحيث إنه يصرف مالاً ويحصل على ما يحتاجه، فإنه لا خمس فيه. لكنه إذا جمع مالاً ولم يصرفه، فهذا يجب أن يُخمس على كل حال.

صعوبة حساب الأرباح

- ابن عمي يعمل مخبرياً في مجال الأسنان، وهو يعجز عن حساب أرباحه بشكل دقيق، وذلك لتعقد العمليات المالية لديه، أضف إلى ذلك المبالغ المالية

الكبيرة له في ذمة الأطباء. فكيف له دفع زكاة ماله؟

○ عليه أن يحسبها ولو بالنحو الذي يطمئن معه أنه يدفع ما عليه، وإذا لم يستطع، فإنه يتصلح مع الحاكم الشرعي في ما يخرج من الخمس أو ما يستحق عليه.

سادساً: الحج والعمرة:

دفع الرشوة لأجل الحج:

□ هل يجوز لمن يريد أن يذهب إلى بيت الله الحرام لأول مرة، ولم يعط إذنًا بالموافقة، لأن عمره غير مناسب، أن يعطي رشوة كي يذهب إلى الحج لأنه واجب شرعي؟

○ يمكن أن يعطي مالاً لشخص بعنوان آخر، بحيث يكون هذا المال تحت عنوان أجره سعيه، وهذا لا مانع منه، بشرط أن لا يكون مخالفاً للنظام العام.

النيابة عن متعددين:

□ هل يستطيع الحاج في موسم الحج أن يقوم بأكثر من نيابة واحدة؟

○ إذا أراد الشخص أن يحج نيابة، فلا بد من أن ينوب عن شخص واحد، هذا في النيابة عن الواجب. أما إذا كان يريد أن ينوب استحباباً، فيمكن أن يحج عن عشرة من باب الاستحباب، وكذلك في العمرة.

الإسراف في الأضاحي:

□ لقد نهانا الله ورسوله عن الإسراف، وفي هذه الأيام، نجد أن الأضحية في الحج تعتبر شكلاً من أكبر أشكال الإسراف؟

○ هناك شركات تأخذ مالاً وتذبح وتوزع على الفقراء في العالم، كذلك يأخذ بعض الناس هذه الأضاحي ويتصدقون بها على الفقراء في المناطق القريبة.

الحج بمال مقترض:

□ هل يجوز أن أذهب إلى الحج بأموال قرض؟ وإذا كان ذلك جائزاً، فهل

يجب عليّ تخميس مبلغ الحجة؟

○ يجوز لك ذلك إذا كنت قادراً على الوفاء. ولا يجب تخميس المبلغ.

الحج مع مخالفة أنظمة الحج:

□ هل يجوز مخالفة النظام والذهاب إلى الحج من دون موافقة قانونية من الدولة، بحيث لو قبض عليه جهاز الأمن، فإنه معرض للمساءلة والاحتجاز، وما إلى ذلك؟

○ لا تجوز مخالفة النظام، ولا ينبغي له ذلك، خصوصاً في حال احتمال الضرر، ولو أن شخصاً خالف وحج يُقبل حجه، وتسقط عنه حجة الإسلام.

كفارة التظليل:

□ لقد أتممت مراسم الحج لهذا العام، وبعد الحج، عملت العمرة المفردة، وقد أحرمت من مسجد التنعيم، وقد كان جهلاً مني أن أصعد في حوض السيارة الخلفي، علماً بأن الوقت كان نهراً؟ هل واجب عليّ ذبح شاة؟

○ إذا كنت جاهلاً بذلك - ولا سيما أن مسجد التنعيم دخل في نطاق مكة - فليس عليك شيء، وإن كان الأحوط استحباباً أن تذبح شاة.

دفن الحاج المتوفى:

□ ما حكم الشخص الذي مات في عرفات أو خلال رمي الجمرات، هل ندفنه في البقيع؟

○ يدفن في أي مكان، وليس من الضروري أن يدفن في البقيع.

وظيفة الحاج في رمي الجمرات:

□ مع الأعداد الكبيرة في الحج، قد لا يستطيع الإنسان أن يرمي الجمرات، لأنه قد لا يتمكن من الوصول إلى الجمرة، فكيف نرمي الجمرات؟

○ رأينا هو أنه لا ضرورة أن يصيب نفس الجمرة، يعني نفس العمود، بل يكفي أن يرمي الجمرة لتقع في محل تجمع الحصى، وهذا أمر ممكن، حتى مع وجود هذا الازدحام.

جمع الأموال للزواج:

□ هل أعتبر مستطيعاً للحج من مال كنت أجمعه لأجل الزواج؟

○ إذا كان تأخير الزواج بصرف المال في الحج يعتبر حرجاً له وضرراً عليه، فإنه يقدم الزواج، أما إذا كان لا يستطيع أن يتزوج ويستطيع أن يحج ولا يؤثر عليه تأخير الزواج، فيجب عليه أن يحج.

سابعاً: الزواج والطلاق

زواج المسلمة من غير المسلم:

□ إذا تزوجت المسلمة من غير المسلم، هل تعتبر مرتدة؟

○ إذا بقيت على الإسلام، فإنها لا تُعتبر مرتدة، ولكنها تُعتبر عاصية لله، وعلاقتها بهذا الرجل علاقة غير شرعية، لأنَّ زواج المسلمة من غير المسلم باطل عند جميع المسلمين.

علاقة المخطوبة بخطيبها:

□ ما رأيكم في المخطوبة التي عُقد قرانها على شاب تمتنع عن إعطائه حقَّ المعاشرة الجنسية بحجة أنَّهما لم ينتقلا بعد إلى البيت الزوجي؟

○ الأجدر بالخاطبين الاقتصار على علاقتهما العاطفية على ما هو المتعارف في مجتمعهما، وعليهما أن يحرصا على التوافق والتفاهم في مثل هذه الأمور، وبخاصة أنَّ الفتاة تبقى قلقة على نفسها من أن يحدث معها شيء يُفقدُها بكراتها، وعلى خطيبها أن يقدر ذلك، وأن لا يزيدَها قلقاً وإرباكاً، وأن يعمل على كسب ثقتها ومودتها، وأن لا يظهر أمامها بمظهر الأناني الذي لا يهتم إلا نفسه وشهواته.

طلبات فوق العادة:

□ امرأة لا تسمح لزوجها بالعلاقة إلا إذا وفر لها ما تطلبه، وما تطلبه أحياناً هو فوق طاقتها، فهل يجوز لها ذلك؟

○ عليه أن يعالج علاقته العامة بزوجته من خلال ما يعانيه من مشاكل، فإذا

عجز عن ذلك فيما بينه وبينها، فليشكها إلى مَنْ يؤثر عليها، كالعالم الديني، لينصحها ويوجهها نحو الطريق الصحيح... وفي كلِّ حال، فإنه لا يجوز لزوجته فعل ذلك مع توفير مقدار نفقتها الواجبة.

الكذب على الزوجة:

□ هل يجوز الكذب على الزوجة بقصد الحفاظ على عدم تفكك الأسرة؟

○ لا يجوز الكذب على أحد، ما لم يكن للنجاة من الظالم أو لإصلاح ذات البين، ومنع تفكك الأسرة لا يكون بالكذب، بل بعلاج كلِّ مشكلة وفق ما أمر الله تعالى به.

إنفاق الزوج على الزوجة:

□ ما حكم الزوج الذي لا يُنفق على زوجته، طلبت منه ذلك ولكنه رفض، فتمنعت عن إعطائه حق الفراش ولم ينفع ذلك، طلبت الطلاق ولكنه رفض أيضاً، تدخل أهل الخير ولكن من دون فائدة، وأخيراً عمدت إلى الخروج من المنزل إلى منزل أهلها، فهل ما أقدمت عليه صحيح؟

○ كان الأجدر ألا تخرج من بيتها، وكان عليها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي، فيخيره الحاكم بين الإنفاق أو الطلاق، ولذا، لا بدَّ لها من العودة إلى الحاكم الشرعي ورفع الأمر إليه حتى لا تبقى معلقة.

معارضة الأم لخطوبة ابنتها:

□ أنا فتاة أبلغ من العمر ٢٢ سنة، وصرت على أبواب التخرّج من الجامعة، ومشكلتي مع أمي أنها تعارض كلَّ من يتقدّم لخطوبتي، حتى ولو كان ذا أخلاق عالية وحسن السيرة، فماذا أفعل؟

○ لا بدَّ لك من دخول في حوار مع والدتك بالنّتي هي أحسن، وإقناعها بأنّ الأمر يتصل بك وبمستقبلك أنتِ من دون الآخرين، فما دام اختيارك ناتجاً عن

وعى ورُشد، فلا بدُّ لها عندئذٍ من القبول بذلك، لأنَّ موافقتها ليست شرعية عندئذٍ، وإنما هي أخلاقية. ويكفي موافقة الأب، ولا حرج عليك في القبول مع تحقق كون الزواج لمصلحتك، وكون اعتراض الأم غير منطلق من أساس مقبول.

العقد أثناء العادة الشهرية:

- هل عقد الزواج أثناء العادة الشهرية يسبب إشكالاً شرعياً؟
- الزواج صحيح، فلا يشترط كون المرأة في حالة الطهر أثناء عقد الزواج.

ختان المرأة:

- ما هو حكم ختان المرأة؟
- هو جائز مع عدم الضرر على المرأة من ذلك، ولكنه إذا أدى إلى الإضرار بها من خلال تأثيره على إضعاف الجانب الجنسي بما يسيء إلى علاقتها الزوجية أو غير ذلك من السلبيات المضرة، كان حراماً.

الزواج ثنائية من دون علم المرأة:

- أنا مستاءة من طريقة الزواج التي يعمد إليها الرجال في سفرهم إلى الخارج، حيث يتزوجون ثنائية من دون علم الزوجة الأولى، وعندما تعلم الزوجة بذلك وتطالبهم، يجيبون بأنَّ هذا من حقهم، ولقد أدى ذلك إلى تدمير الكثير من البيوت، وأشعر كامرأة بأنني تعرّضت للخيانة، ولم يعد بوسعي أن أثق بالرجال، فأين حقوق المرأة في الإسلام؟

○ نحن نعتقد أنه في الوقت الذي أجاز الإسلام للرجل تعدّد الزوجات مع المحافظة على حقوقهنّ، إلا أنَّ على الرجل أن يتصرّف أخلاقياً بعدم الإساءة إلى زوجته وعائلته، وعدم إحداث المشاكل التي قد تنتج عن زواجه الثاني. ونحبُّ أن نشير هنا، إلى أن الحياة الاجتماعية عموماً، والأسرية العائلية خصوصاً، لا ينبغي أن تُدار على أساس ما لي من حقٍّ وما لك من حقٍّ؛ بل أن تُدار، كما عبّر القرآن

الكريم، على أساس المودة والرحمة؛ فإن المواد القانونية، في ما يعنيه نظام الحقوق، يلجأ إليه لحل النزاعات، وليس لإدارة الحياة في ظروفها الطبيعية.

الابن غير الشرعي:

□ الزنا في نظر الإسلام ظاهرة اجتماعية منحرفة، فكيف نتعامل مع المتولد من الزنا؟

○ قال تعالى: «ولا تزرُ وازرةٌ وزراً أخرى»، وعلى هذا، علينا أن نتعامل مع الابن غير الشرعي كأبي فرد طبيعي في المجتمع، وأن نحوطه بالرعاية والتربية والإرشاد والإعالة، بما يصلح شأنه، ويبعده عن جو الانحراف أو التأثير بما اقترف أبواه.

تركيب اللولب:

□ بعد دراستنا لوسائل منع الحمل أنا وزوجي، استقر رأينا على تركيب اللولب، ولكن قيل لي إنه حرام، فهل هذا صحيح؟

○ لا يحرم ذلك، ولا يجوز أن يكون الطبيب رجلاً، إلا أنه يجوز أن يباشر ذلك الرجل في حال عدم وجود المرأة، إذا كان في عدم استخدام اللولب حرج شديد لا يُحمّل عادةً، مع فرض عدم إمكان استخدام وسائل أخرى.

زوجات الجد:

□ جدي متزوج أكثر من واحدة، فهل تكون خالة أبي من محارمي، وهل هي من الأرحام الذين تجب صلتهم؟

○ زوجة الجد هي محرم، لكنها ليست من الأرحام الذين يتصل بهم الإنسان بالقرابة النسبية إذا لم تكن من أرحامه ومن أقربائه، ولذا ليس هناك صلة رحم بينك وبينها، ولكن لأنها زوجة جدك، فلا بأس في أن تحسن إليها.

أقرب الأجلين:

- هل إنَّ أقرب الأجلين الذي يُذكر في عقد الزواج يشمل كلا الزوجين؟
- أقرب الأجلين، الطلاق أو الموت، هو بالنسبة إلى الزوجة.

الطلاق غيابياً:

- هل يجوز للرجل أن يطلق زوجته غيابياً مع توفر الشروط الشرعية؟
- يجوز ذلك، لكننا لا ننصح به.

طفل الأنبوب:

- ما رأيكم في مسألة طفل الأنبوب؟
- لا يوجد مشكلة في ذلك إذا كانت النطفة من الزوج، والبويضة من الزوجة.

مفهوم الطاعة بين الزوجين

- ما هو مفهوم الطاعة بين الزوجين؟
- أن يطيع كل واحد منهما الآخر في ما جعله الله تعالى من حق، وليس الطاعة المطلقة.

زواج غير الرشيدة:

- هل زواج البنت غير الرشيدة من دون إذن وليها يبطل عقد الزواج؟
- نعم، لأن البنت إذا لم تكن رشيدة فتبقى ولاية أبيها عليها، فلا يجوز الزواج بها إلا بإذن أبيها أو جدها لأبيها.

إعلام الزوج بالخطبة السابقة:

- إذا كانت البنت مخطوبة بعقد شرعي، لكن من دون دخول، ثم جاء

خطيب آخر لها، فهل يجب على أهلها أن يبيّنوا خطبتها السابقة؟

○ الأفضل ذلك، باعتبار أن بعض الأشخاص ليس مستعداً لأن يتزوج بفتاة كان معقوداً عليها لشخص آخر، فربما تحدث هناك مشاكل في المستقبل إذا لم يبينوا له ذلك. وعلى كلّ حال، ينبغي إدارة المسألة بحسب الظروف الموضوعية المتوفرة في تلك الحالة بما لا يحقق مشاكل في المستقبل.

زواج الرشيدة:

□ هل يجب على المرأة الرشيدة إذن أبيها في عقد الزواج المؤقت؟

○ في رأينا أن البالغة الرشيدة كالبالغ الرشيد، يجوز لها أن تتزوج من دون إذن أبيها، ولكن هناك من العلماء من لا يجيز ذلك.

توكيل تحت الضغط:

□ شخص كان بينه وبين زوجته خلاف، فأقامت عليه دعوى ليدفع لها المؤخر، وعندما لم يلتزم الزوج بدفع المبلغ المترتب عليه، حكم عليه غيابياً بالسجن لمدة شهرين ودفع المؤخر، وعندما وضع في السجن، اضطر إلى أن يعطيها الوكالة بالطلاق كي تسقط حقها الشخصي عنه لقاء رفع السجن عنه ودفع المبلغ كاملاً، فما هو حكم هذا الطلاق؟

○ عليه أن يدفع المؤخر، ودفعه للمؤخر ولو كان تحت الضغط هو شرعي، أما قضية الطلاق فهي بيده، فلا بد من أن ندرس ظروف الطلاق ما هي، ولا يمكن إعطاء حكم للمسألة بناءً على فرضية.

طبيعة الزواج المؤقت:

□ أنا أرفض مسألة الزواج المؤقت، ولا أقتنع به بكل الحالات، ولا أعتقد

أن الناس في مجتمعنا يفهمونه بشكل واضح؟

○ الزواج المؤقت هو وسيلة من وسائل حل المشكلة الجنسية إلى جانب

الزواج الدائم؛ فإننا نلاحظ في كل التاريخ، أنه كان هناك إلى جانب الزواج الدائم، علاقات غير مشروعة، فما دام الزواج موجوداً عند كل الشعوب، فلماذا تكون هناك علاقة غير شرعية؟ على اعتبار أن الزواج الدائم لا يحل المشكلة الجنسية مئة في المئة، فقد تأتي بعض الحالات التي قد يحتاج فيها الإنسان إلى حل المشكلة الجنسية في الوقت الذي لا يستطيع الزواج. والزواج المؤقت يستجمع جميع الشروط الشرعية، من عقد ومهر وعدة، والولد شرعي مائة في المائة، فلو فرضنا أنه حصل ولد، فإنه ينتسب إلى الأب والأم، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لولا ما نهى عنه عمر من أمر المتعة، ما زنى إلا شقي))، أي ما زنى إلا قليل من الناس، لأنه لا توجد حاجة إلى الزنى إذا مارس الناس الزواج المؤقت.

أوقات الزواج:

□ ما هو الإشكال الشرعي للزواج أو كتب الكتاب كما يقال بين عيدي

الفطر والأضحى؟

○ ليس هناك إشكال في الزواج في كل أيام السنة، حتى في شهر محرّم، سواء كان كتب كتاب أو زواجاً؛ لأن الزواج طاعة لله. نعم، قضية الفرح والاحتفال لا تتناسب مع بعض المناسبات، أما أن شخصاً يكتب كتابه، فهو كمثّل شخص يشتري غداءً. وهذا الأمر الذي تعارف عليه الناس لم يأتنا لا من النبي صلى الله عليه وآله ولا من الأنمة عليه السلام، بل يجوز للإنسان أن يتزوَّج في أي وقت، ليس هناك وقت يحرم فيه الزواج أو يشكل أو يكره فيه.

الكذب على الزوجة

□ هل يجوز القسم كذباً على زوجتي لكي تظمنن من أني لم أتزوج بامرأة

ثانية، لأنها إذا علمت بزواجي أقطع بأنها تتركني؟

○ لا تتزوج ولا تكذب، ولا يجوز أن تقسم لزوجتك، لأنك إذا أقسمت لها

وعرفت بعد ذلك أنك تزوجت، فيتولد عندها أمران سلبيان تجاهك: الأول، أنك خالفت القسم وأنت تكذب، والثاني أنك خائن لها في عرفها وتصورها.

الزواج بمتدين:

□ لو تقدم رجل متدين لخطبة فتاة، لكنها لم تقبل به، لأنها لم تجد مشاعر الحب والود التي تمكنها من إكمال حياتها معه، فهل هي مخطنة؟

○ نحن نقول هي حرة في اختيار من تريد الارتباط به في الحياة، وفي الحديث الشريف: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه"، ومعنى ذلك أن يكون متديناً وصاحب أخلاق، وعنده احترام للمرأة وللحياة الزوجية... ولكن نلاحظ أن الكثيرين ممن يصلون صلاة الليل، قد يفتقدون معنى احترام الحياة الزوجية، فقد نراهم قساة في تعاملهم مع زوجاتهم... وكما أن الشاب عندما يريد أن يتزوج يطلب صفات معينة في الزوجة، كالجمال والثقافة، فمن حق الفتاة أيضاً أن تختار لنفسها، ولكن لا بد من أن يكون الدين عنصراً مرجحاً إلى جانب بقية العناصر الأخرى.

الزواج ورفض العائلة:

□ شاب يريد الزواج بفتاة صالحة، وأهله لا يوافقون، فماذا يفعل؟ هل يستطيع الزواج من دون موافقة أهله؟

○ لا يُشترط في زواج الشاب من الناحية الشرعية في صحة العقد رضی الأهل، لكن بما أن مسألة الزواج تتصل بالواقع الاجتماعي والعائلي للشاب، عليه أن يدرس المسألة دراسة واقعية، ويحاول أن يخطط بطريقة وبأخرى لتسهيل الأمور من حوله.

معيار قبول الزوج:

□ أنا فتاة طلب يدي اثنان من الرجال؛ واحد غني والثاني أكثر غنى منه،

وكلاهما يصلي، فأيا منهما أختار؟

○ واحد منهما غني والآخر أكثر غنى، لكن من هو أكثر إيماناً، من الذي عقله أرجح، ومن الذي أخلاقه أفضل؟! هذه المسائل التي يجب أن تسألني عنها، لأن المرأة لا تتزوج مال الرجل، بل تتزوجه هو، والإنسان عقل وأخلاق وإرادة وما إلى ذلك، فقضية المال قضية نسبية في هذا المجال.

تحديد النفقة الزوجية:

□ ما المقصود بالنفقة الزوجية؟ وهل لها مقدار محدد؟

○ يجب على الزوج أن ينفق على زوجته بمقدار حاجاتها الخاصة.

حكم النطق بالطلاق مرة:

□ ما حكم من ينطق بكلمة طالق مرة واحدة لزوجته، فهل تطلق شرعاً؟

○ في المذهب الشيعي الإسلامي، للطلاق شروط، منها أن تكون المرأة في طهر لم يواقعها فيه زوجها، وأن يكون هناك شاهدان عادلان، بحيث يمكن الصلاة خلفهما جماعة... أما لو كانت المرأة في البيت، وقال لها زوجها ألف مرة أنت طالق، فلا تطلق، لعدم وجود الشروط.

معنى التطليقات الثلاث:

□ ما المقصود بالتطليقات الثلاث؟

○ التطليقات الثلاث هي أن يطلق أحدهم زوجته ثم يتزوجها، ثم يعود ويطلقها مرة ثانية، ثم بعد ذلك أيضاً يتزوجها، ثم يطلقها مرة ثالثة، فهنا لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، أي أنها في التطليقة الثالثة تبين ولا يحق له الرجوع إليها إلا بعد الزواج من آخر.

واجبات عدة المتوفى زوجها:

□ لدي قريبة فقدت زوجها في حادث وهي لا تعرف الأمور التي من المفترض أن تتبعها من بداية العدة حتى نهايتها، فهل صحيح أنها لا تستطيع الخروج من منزلها أو أن تحدث رجلاً طيلة أربعين يوماً؟

○ لا يجوز لها التزوج حتى تنتهي عدة الوفاة، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، وعليها الحداد في العدة بترك التزين في البدن واللباس، أما الخروج من بيتها، فليس محرماً، ولكن الأفضل اجتنابه لغير ضرورة.

زواج المريض نفسياً:

□ هل يكره للرجل المصاب بانفصام الشخصية من النوع البسيط والدائم أن يتزوج؟

○ رجحان تزويجه وعدم رجحانه يعتمد على مدى قدرته على النهوض بمسؤولية الزواج وتبعات الأسرة، وأهله أعرف بذلك، وكذا الطبيب المختص، غير أنه وفي جميع الحالات، لا بد من ذكر حاله للمرأة التي يراد تزويجه منها، كي لا تفاجأ بحاله وتُخدع به.

حكم زواج الأقرباء:

□ يقال إن الزواج بين القرابة القريبة قد يكون منشأ لبعض الأخطار بالنسبة إلى الولد في اعتقاد الأطباء، فهل يحكم بحرمة مثل هذا الزواج حينئذٍ؟

○ ليس هذا الزواج محرماً، ولكن على الإنسان أن يتدبر أمره بحسب الأوضاع الصحية بينه وبين زوجته، وقد ورد في بعض الأحاديث: ((تباعداً كي لا تضوا))، يعني تباعدوا في الزواج حتى لا تضعفوا في هذا المجال، ولكن هذه ليست شاملة، لأن الشخص لو تزوج ابنة عمه وكانت أمها من عائلة وأمه هو من عائلة أخرى، فهم قرابة بشكل مباشر، لكنهم ليسوا قرابة بامتداد النسب هنا وهناك.

ولذلك، فهذا ليس من قبيل الزواج بين الأقرباء، والمقصود من الأقرباء، الذين يكونون من عائلة واحدة، بحيث لا يتزوج أفرادها من غيرها على امتداد الزمن، فمثل هذا الزواج يمكن أن يترك بعض التأثير.

قوامة الرجل:

□ إذا كانت الميزة التي تخص الرجل (الزوج)، دون المرأة (الزوجة)، هي ورقة الطلاق لا أكثر، فأين نذهب بأرتال الأحاديث الشريفة التي تكاد تصل إلى درجة التواتر المعنوي، والتي تأمر الزوجة بطاعة زوجها وعدم الخروج عن أمره، وإلا كانت محلّ غضب الله عز وجل، خصوصاً أن الكثير من الزوجات بدأن بالتحلل من الكثير من الواجبات تحت هذه الحجة؟

○ نحن نقول إن على الزوجة أن تطيع الزوج في حقوقه التي فرضها الله، كما أن على الزوج أن يتعامل مع الزوجة في حقوقها، أما الطاعة المطلقة فلا؛ لأن الزوجة حرة خارج التزامات العقد، والزوج حرّ خارج التزامات العقد، ونحن نرى أن خروج الزوجة من بيت زوجها بغير إذنه، إذا لم يكن خروجاً تمردياً أو منافياً لحق الاستمتاع، فهو جائز وليس محرماً.

هل تجري المرأة عقد الزواج؟

□ هل يجوز للمرأة إقامة عقد زواج بين طرفين؟

○ نعم، يمكن ذلك، فالرجل والمرأة لهما أن يقيما عقد زواج بينهما، ويمكن للمرأة أن تعقد لهما، كما يمكن للرجل أن يعقد لهما، وليس في ذلك مشكلة.

الزواج من هندوسية:

□ صديقتي في الجامعة تريدني أن أتزوجها، ولكن المشكلة هي أنها

هندوسية، فماذا أفعل؟

○ في الفقه الإسلامي، لا يجوز للمسلم أن يتزوج إلا مسلمة أو كتابية، أما الهندوسية، فحاول أن تقنعها بالإسلام، ليصحّ الزواج منها حينئذٍ.

حدود معاشرة الزوجة:

□ سمعت أنه لا يجب على الرجل أن يجامع زوجته إلا مرة كل أربعة أشهر، ولا يجب عليها أكثر من ذلك، وفي فتوى فقهية، أنه يجوز للرجل أن يسافر ويبتعد عن زوجته عشرين سنة ... وما إلى ذلك، فما رأيكم في ذلك؟

○ هذه فتاوى لا نوافق عليها.

زوج يرفض الطلاق:

□ امرأة في الأربعين من عمرها، تزوجت من رجل سعودي، سافر إلى السعودية، وبقي هناك لمدة أربع سنين وخمسة أشهر، وهو إلى الآن لم يعد، ويرفض طلاق هذه المرأة، مع العلم بأنه لا ينفق عليها، ويطالبها بما لا قدرة لها عليه، فهل تطلق منه؟

○ عليها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي ليدرس الموضوع، فإذا كان زوجها لا ينفق عليها ولا يؤدي حقوقها، فيجوز للحاكم الشرعي أن يطلقها بعد أن يخيره بين الطلاق وبين القيام بحقوقها الشرعية.

الزواج بالبوذية:

□ هل يجوز الزواج بالبوذية زواجا دائما أو منقطعاً؟

○ لا بد للإنسان المسلم من أن يتزوج إما من المسلمة أو من الكتابية. أما من كانت على دين آخر غير دين أهل الكتاب، فلا يجوز الزواج منها دائماً أو منقطعاً.

ثامناً: أموال وبنوك

الاستدانة بفائدة:

□ أعيش في أستراليا، ويصعب عليّ شراء سيارة أو منزل من دون الاستدانة مع فائدة، فهل يحرم ذلك؟

○ القرض الربويّ محرّم أصلاً، إلا أنّه مع أخذ القرض، لا بنية دفع الفائدة، وإن كان المقرض مُلزماً بها من ناحية القانون، فيجوز له ذلك، والأحوط استحباباً الاقتصار على موارد الحاجات المعيشية كما هو مفروض السؤال.

الشك في موقوفية أرض:

□ أنوي شراء قطعة أرض في قرينتنا، وهناك من يدّعي أن حولها مقبرة، ولكن لا يوجد ما يؤيدّ هذا الادّعاء، سوى وجود قبر مرّ عليه مئات السنين ولم يثبت وجود غيره، فهل يجوز الشراء؟

○ مع عدم العلم بكون الأرض وقفاً أو وجود ما يفيد ذلك اطمئناناً، فلا مانع من الشراء.

بيع نصوص بأسعار تشجيعية:

□ تقوم وزارة الزراعة ببيع نصوص أشجار بأسعار تشجيعية بهدف تشجير الأراضي، فيقوم أصحاب المشاتل بشراء هذه النصوص وزراعتها بآنية كبيرة وتربيتها لفترة معينة، ثم يبيعونها للناس، فهل يجوز ذلك؟

○ إذا كان البيع بالشرط المذكور، فلا يجوز للمزارعين إعادة بيعها.

الوصية للأولاد:

□ والدي مطلق لوالدتي، ومتزوج من امرأة أخرى، وقد أنجب منها ثلاثة ذكور، ونحن أيضاً ثلاثة ذكور. عند ذهابه إلى حج بيت الله الحرام، أوصى لأولاده من زوجته الجديدة حصة كبيرة لكل واحد منهم، وأوصى لنا بحصص صغيرة جداً، هل يجوز له ذلك؟

○ نحن نقول لهذا الأب إنَّ عليه أن يعدل بين أولاده عدلاً أخلاقياً، صحيح أنَّ الإنسان مسلط على ماله، وله أن يعطي أيَّ ولد من أولاده ما يحب، ولكن على الإنسان ألاَّ يعقد أولاده بعضهم من بعض. وقد ورد في الروايات، أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ومعه ولدان، فقَبَلَ الرجل واحداً وترك الآخر، ولكن النبي أمره بتقبيل أخيه كي لا يتعقد منه.

وللأسف، فإنَّ كثيرين من الآباء يعملون على زرع المشاكل بين الأبناء في حياتهم ومماتهم، وذلك عندما يفضلون ولداً على ولد، لا من جهة أنَّ هذا الولد أتقى وأصلح وأفضل، ولكن لأنَّ أمّه مميّزة عنده عن أم الأولاد الآخرين، وهذا أمر لا يفعله إنسان واع ومنفتح ويعيش أخلاقية الإسلام. ونقول للأولاد، إنَّ عليهم ألاَّ يتعقدوا من والدهم، وأن يغفروا له ذلك، لأنَّه منطلق من نقطة ضعف نفسية سيطرت عليه.

شراء محل:

□ إذا اشترى شخص محلاً من شخص آخر، ودفع له مبلغاً معيناً كعربون، ولكن جاء شخص آخر واشترى المحل، فهل هذا البيع صحيح؟

○ البيع الثاني ليس صحيحاً، لأنَّه بمجرد أن يشتري الإنسان المحل ويدفع العربون يصبح المحل ملكه، وعندما يكون ملكه، فلا يجوز للذي باعه أن يبيعه مرة ثانية.

الاستفسار عن الفائدة:

- ما سبب تحريم الاستفسار عن قيمة الفائدة قبل وضع المال في البنك؟
- لأن معنى ذلك أن الإنسان يضع المال في المصرف بداعي أخذ الفائدة، وهذا ربا.

أخذ المال دون علم الزوج:

- إذا كان الزوج يملك المال ولا ينفق على أولاده، فهل يجوز للزوجة أن تأخذ المال من دون علمه لإطعام أولادها؟
- من الممكن ذلك، ولكن عليها أن تستأذن الحاكم الشرعي لينظم لها هذه المسألة بالطريقة التي لا تخرج فيها عن الخطوط الشرعية.

حكم بيع العروض المجانية:

- إذا قام أصحاب المحلات ببيع العروض المجانية التي تمنحها الشركات مع الأغراض، فما حكم ذلك؟
- تارة تعطي هذه الشركات الأغراض للتجار على أن يشجعوهم على ترويج بضائع الشركة، بحيث يكون العطاء لنفس التاجر، فهنا يجوز له بيعها، وتارة تشترط الشركات على التجار إعطاء الأغراض للمستهلكين، فلا يجوز لهم بيعها أو الاحتفاظ بها.

التصرف بالأموال الشرعية:

- هل يجوز التصرف بالأموال الشرعية من دون إجازة المجتهد حينما يعرف موارد تصرفها؟

○ الأحوط مراجعة الحاكم الشرعي حتى يحدد له الخطوط العامة لذلك، وحتى يعرفه موارد ذلك.

التصرف بأموال الغير:

□ منذ عشر سنوات، أعطتني والدتي ٧٠٠ ل.س لأسدّد ديناً متوجّباً عليها لتاجر، فذهبت ولكّني لم أجد التاجر، لأنه انتقل إلى مكان آخر، ولم أعرف عنوانه، فصرفت المال على نفسي، ولم أعلمها بذلك، فهل أتصدق بـ ٧٠٠ ل.س على نيّة ذلك الرجل وتبراً ذمتي؟

○ عليك أولاً أن ترجع المال إلى أمك، وأن تسأل عن الرجل، وإذا لم تصل إليه، فلا بد لأمك من أن تتصدق به عليه لا أنت.

مسؤولية الخسارة:

□ وضعت مالاً مع تاجر للمضاربة على أن تكون الأرباح مناصفة، ولما حدثت انتفاضة الخامس عشر من شعبان في العراق، تعرّض التاجر للملاحقة من قبل النظام، فخرج من العراق وهرب، فتعرضت التجارة للنهب والسرقة، فماذا أستحق عليه؟

○ لا تستحق عليه شيئاً إذا كانت هذه الخسارة ليست متعمدة منه، وإنما جاءت بفعل ظلم الظالمين. وأحكام المضاربة تنصّ على أن العامل إذا خسر فلا يتحمّل الخسارة، بل يتحملها رأس المال.

اختلاف قيمة العملات النقدية:

□ أقرضت شخصاً مبلغاً من المال في سنة ١٩٩١، وغاب المقترض حيث كان مطلوباً من قبل النظام العراقي آنذاك، ولما سقط النظام حضر، فكيف يدفع لي المبلغ؟

○ بحسب العملة العالمية آنذاك، فمثلاً إذا كان الدينار آنذاك يعادل ثلاثة دولارات، يدفع بحسب القيمة الشرائية للدينار في ذلك الوقت.

القرض بالفائدة لشراء منزل:

□ هل يجوز أخذ مبلغ من المال من البنك العقاري لمدة خمس سنوات بفائدة ٥%، علماً أن هذا المبلغ لأجل شراء مسكن؟

○ القرض مع الفائدة لا يجوز؛ لأنه ربا، لكن لو أن الإنسان عندما يتعاقد مع البنك يقصد دفع المبلغ فقط، ولا يقصد دفع الفائدة، ويضمّر في نفسه أنه إنما يدفع الفائدة نتيجة الضغط القانوني لا نتيجة الالتزام العقدي، فإنه يجوز أخذ القرض، ولكن إذا صار هذا الشيء في نفسه، فلا مشكلة.

مسؤولية الوارث تجاه الدائن:

□ جاءني رجل يطلب ديناً له على والدي المتوفى منذ أربع عشرة سنة، علماً أن والدي لم يذكر لي عن ذلك الدين شيئاً، وليس لهذا المدعي أي شاهد على إعطائه هذا المال، فما تكليفي؟

○ عندما لا تكون له بينة أنه أقرض والدك مالا، وأن له ديناً، فلا قيمة لدعواه، ولا يجب عليك شيء من ذلك.

تبرئة الذمة:

□ بعد بلوغي، أقدمت على سرقة بعض الأموال القليلة من جبراني، واليوم أنا نادم على ما فعلت، فهل يجوز لي أن أتصدق بهذا المبلغ عنهم؟

○ إذا استطعت أن ترجعها إليهم من دون حرج فيها، وإلا فتصدّق عنهم.

بيع مؤخر الصداق:

□ هل تستطيع الزوجة بيع مؤخر الصداق وزوجها حي؟

○ هو ملكها، مثل شخص له دين على شخص آخر ويحاول أن يتصرف بهذا الدين بطريقة وبأخرى. مؤخر الصداق هو دين، لكن هي لا تستحقه إلا في أقرب الأجلين الموت أو الطلاق، أما إذا كان إلى وقت معين، فلها الحق في أن تتصرف به عند حلول الوقت.

فوائد البنوك:

□ شخص وضع مبلغاً في البنك خوفاً من السرقة، وبعد فترة ترتبت فوائد على ذلك المبلغ، فهل أخذه لتلك الفائدة حلال أم حرام؟

○ جاء في بعض النصوص: ((جاء الربا من قبل الشرط، وإنما تفسده (الشروط))، فما دام لم يشترط على البنك الفائدة، بل كان من أجل الخوف من السرقة وحفظ المال، فلا مانع من أن يأخذه.

موظف في بنك ربوي:

□ أعمل موظفاً في أحد البنوك، فهل يعتبر راتبني من أموال الربا، لأن البنك غير إسلامي؟

○ إذا كان عملك في غير معاملات الربا، فالراتب حلال.

عقد العمل:

□ اتفقنا مع شخص أن يقوم بعمل، وأعطيناه جزءاً من المبلغ مقدماً، وعندما بدأ العمل، تبين أن عمله سييء جداً، فأوقفناه عن العمل، وبعد أيام أرسل شخصاً ليأخذ عدة العمل، فلم نعطيها له إلى أن يعيد المبلغ، علماً أن قيمة العدة لا تساوي المبلغ، بل أقل منه، وانقطع عنا فترة أكثر من ستة أشهر، فهل نستطيع أخذ العدة مقابل المبلغ؟

○ إذا كان الاتفاق قائماً على إعطائه أجره ما يعمل من دون النظر إلى تقييم عمله، فهو يستحق أجره ما عمله حتى لو كان سيئاً.

شراء برامج الكمبيوتر:

□ أعمل في مجال الكمبيوتر، وأشتري برامج بسعر بخس، والسبب أنها نسخ غير قانونية، وسعرها الحقيقي يساوي أضعاف السعر الذي تُباع به النسخ المذكورة، فهل يُعتبر شراء هذه البرامج غير شرعي؟

○ لا يجوز التجارة بما يكون موجباً للاعتداء على حقوق الآخرين، ولا سيما إذا وصل ذلك إلى حد الإضرار.

حقوق الشركات:

□ اشتركت في خط إنترنت مع شركة، وقمت بتوزيع الخط على جيراني، ولا يوجد بند في العقد يمنع ذلك، والشركة تعلم بذلك التوزيع، هل يوجد إشكال في ذلك؟

○ مع رضا الشركة بذلك يجوز، ومجرد سكوتها لا يدل على رضاها، فلا بد من إحراز رضاها بالإذن الصريح ونحوه.

فائدة الدين:

□ استدنت مبلغاً من المال ووضعت في البنك، هل الربح الحاصل منه مشترك بيني وبين من استدنت منه؟

○ لا يجوز للإنسان أن يضع ديناً في البنك بقصد الفائدة؛ لأنه ربا، والربا محرم. لكن لو وضع المال بطريقة محللة، فالربح له لا لصاحب الدين.

العثور على جهاز خليوي:

□ عثرت على جهاز خليوي في الطريق، ولا أعرف صاحبه، فما هو واجبي في ذلك؟

○ تعلن في المكان الذي وجدته فيه، فتصبر سنة، فإذا لم يأت أحد يسأل عنه،

تستطيع حينها أن تملكه أو أن تتصدق به عنه.

التصرف في الأوقاف:

□ مسجد وقف، ومعه ملحق للسكن، هل يجوز لخطيب المسجد وخادمه أن يسكن فيه؟

○ إذا كان الملحوظ في هذا السكن هو سكنى الخادم أو الخطيب فيجوز؛ لأن الوقوف هو على حسب ما يوقفها أهلها.

سرقة الكهرباء:

□ لنفرض أن الدولة اغتصبت أحد الأشخاص، هل يجوز لهذا الشخص أن يسترجع ماله بطريقة أخذ الكهرباء من الدولة بطريقة غير شرعية؟ وما حكم سرقة الدولة لأموال الآخرين؟

○ هذه قضية لا نقدر أن نعطي فيها فتوى، لأن كثيراً من الناس يأخذون حريتهم، كما الآن فيمن يعلقون على خطوط الكهرباء، وهم لا يسيئون إلى الدولة، بل يسيئون إلى الناس الذين يشاركونهم فيها. ونحن نقول: لا يجوز سرقة الكهرباء ولا سرقة الماء.

نسخ الأقراص المدمجة:

□ هل يجوز نسخ الأقراص المدمجة التي كتب عليها حقوق النشر محفوظة؟

○ كل ما كان حق النشر فيه محفوظاً بحسب العُرف العام، فلا يجوز الاعتداء عليه، لأنه كبقية الأملاك الأخرى.

القرض من البنوك:

□ نريد شراء المنزل الذي نعيش فيه، لأن نصف المنزل لرجل آخر، ولا

سبيل لدفع ثمن المنزل إلا بالحصول على قرض من البنك، فهل يجوز لنا الحصول على هذا القرض مع ترتب الفوائد علينا؟

○ إن هناك طريقة واحدة في هذا المجال، وقد تسمى بالحيلة الشرعية، وهي أن الإنسان عندما يوقع على القرض بقصد الالتزام العقدي، يقصد القرض نفسه ولا يلتزم عقدياً بالفائدة، وإن كان يعلم أن الفائدة سوف تفرض عليه، وعندئذٍ، إذا تحقق هذا المعنى في نفسه بشكل جدي، يمكن أن يصح ذلك.

الادّخار في بنوك ربوية:

□ ما حكم وضع المال في بنوك الغرب؟ وهل الفائدة تعتبر رباً أم لا؟

○ الإنسان إذا وضع المال في البنك قاصداً حفظه ولم يكن قاصداً استثماره، فلا يكون ربا، أما إذا قصد الاستثمار فيكون ربا، سواء في بنوك الغرب أو في البنوك الإسلامية.

التعامل مع البنوك:

□ ما هو حكم وضع المال في البنوك الحالية والأرباح الناتجة عن ذلك؟

○ إذا كان الإنسان يضع المال في البنك بداعي حفظ المال، وهو يعلم أنهم يعطونه فائدة، لكن لم يشترط عليهم ذلك، جاز له الإيداع، لأنه ((جاء الربا من قبل الشرط وإنما تفسده الشروط)).

تحديد الربح:

□ تاجر يسأل عن المعيار الشرعي الإسلامي لتحديد الربح الحلال.

○ لم يحدد الشارع مقدارا معينا للربح، ولكن يستحب للإنسان أن لا يربح كثيرا.

التصرف بوكالة أو بدونها:

□ طلب زيد من خالد أن يشتري له بيتاً، واشترى خالد البيت بمليون دولار، ثم باع خالد البيت لزيد بمليون دولار ونصف المليون، فهل يجوز له ذلك؟
○ إذا كان وكيلًا عنه في الشراء، فإنه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما دفعه، ولكن إذا لم يكن وكيلًا له ولا مفوضاً عنه، فيمكن أن يشتري لنفسه ويبيعه لزيد بأي سعر كان.

دفع الرشوة للجائر:

□ هل من الرشوة دفع المال للحاكم الجائر مقابل إحقاق حق لا يستطيع صاحبه تحصيله إلا بدفع المال لهذا الحاكم، أم أن حكم الرشوة لا يشمل هذا المال؟

○ إذا فرضنا توقف إحقاق الحق عند شخص ظالم على ذلك فيجوز، لكن لا يجوز لذاك الشخص أن يأخذ المال. نعم، يجوز لصاحب الحق أن يدفع المال للحصول على حقه، ولكن الأخذ لا يستحقه.

الحجر على مدمن مخدرات:

□ لو ثبت للحاكم الشرعي إدمان شخص على المخدرات منذ سنوات، وأنه يصرف أمواله على شراء المخدرات لتعاطيها، فهل يكون ذلك سبباً للحجر عليه، حفاظاً على أمواله وحقوق أولاده وزوجته؟

○ من ناحية شرعية، مع ثبوت السفه، يُحجر عليه من قبل الحاكم الشرعي.

التسويق لأعمال غير إسلامية:

□ أعمل في شركة لخدمات الاستثمار، وقد يتطلب مني العمل في بعض الأحيان التسويق لاستثمارات في شركات تعمل في مجالات غير إسلامية، كالبنوك.

مثلاً، فما هو حكم ذلك؟ وهل يجوز لي إدارة أموال المستثمرين، كالبيع والشراء في مثل هذه الشركات؟

○ يجوز ذلك في غير المحرّم من المعاملات.

انتهاء عقد الإيجار:

□ هل يجوز لصاحب المحل أن يخرج المستأجر من محله بعد انتهاء العقد وعدم تجديده له، مع أن المستأجر لا يريد أن يخلي المحل لأنه يكسب منه الرزق؟

○ بانتهاء مدة عقد الإيجار، للمالك الحق في الإخلاء، ولا يجوز للمستأجر الرفض والبقاء فيه، إلا إذا كان هناك شرط مذكور في العقد، أو بشكل ضمني بينهما، وعلى المؤجر أن لا يخرج المستأجر إلا برضاه ما دام ملتزماً بدفع الإيجار، كما هو متعارف في بعض البلدان بفعل الالتزام بالقانون المتضمن لذلك.

تفويت المنافع على الغير:

□ ما هو رأي سماحة السيد في: (منع الآخرين من منفعة مباحة وقانونية)، هل هو موجب لضمان المنافع أم لا؟ مثلاً إذا منع شخص سائقاً من عمله، وبذلك فقد منفعة، أو إذا امتنع مثلاً عن الوفاء بعهده في تسليم بضاعة، وبذلك لم يتمكن التاجر من بيع البضاعة وفقد بذلك منفعة مسلّمة عبر هذا البيع؟

○ المشهور عدم الضمان، واقتصار المسألة على الإثم، ولكننا لا نستبعد الضمان، باعتبار أنه قد يكون ملحقاً بالتلف المالي الموجب للضمان.

شراء أسهم في شركات فندقية:

□ ما حكم شراء أسهم شركات الفنادق التي تمتلك كازينوهات وتبيع الخمر؟

○ باعتبار أن الخدمات التي تقدمها الفنادق تتوزّع بين ما هو حلال وما هو

حرام، فلا مانع من شراء أسهم فيها رغم اشتغالها على ما هو حرام.

الاقتراض من البنوك الأوروبية:

□ هل يجوز الاقتراض من البنوك في الدول الأوروبية لشراء بيت سكن،

علماً بوجود فوائد؟

○ لا فرق بين البنوك الأوروبية والبنوك الإسلامية في حرمة الربا. نعم، هناك طريقة شرعية، وذلك أن الإنسان عندما يريد أن يوقع على عقد المعاملة، فلا يقصد بالتزامه العقدي الفائدة، بل يقصد نفس المبلغ، وإن كان يعرف أن الفائدة سوف تفرض عليه بعد ذلك.

حكمة تشريع الحقوق المالية:

□ حسب فهمي، شرع الخمس والزكاة من أجل إعانة المحتاجين وبناء المشاريع الخيرية والإنسانية والعلمية، وبما أن الإنسان المسلم المتغرب في الدول الأجنبية، والتي يعمل فيها، يدفع قسماً من راتبه للضريبة، ومن هذه الأموال التي تدفع للدولة، يتم مساعدة المحتاجين وإقامة المشاريع في تلك الدولة، فهل يجب على هذا الشخص إخراج الخمس؟

○ يجب إخراج الخمس؛ لأنك تعطي الضرائب للدولة في مقابل ما تعطيك الدولة من خدمات، من الضمان الاجتماعي والصحي وما إلى ذلك، فأنت تأخذ ما تدفع، أما الخمس أو الزكاة، فهي تعطى للفقراء والمساكين والمحتاجين والغارمين وما إلى ذلك.

اشتراط الأجرة في المجالس الحسينية:

□ خدمة الحسين - الروايد مثلاً - الذين لا يملكون عملاً غير هذا المجال،

هل لهم الاشتراط على أجر ما يقرأونه في عاشوراء مثلاً؟ وهل في ذلك إشكال؟

○ لا يوجد إشكال في مثل هذا الاشتراط وتعيين الأجرة وأخذها، لأن هذه مهنة؛ وذلك بأن يقدموا جهدهم وصوتهم وخبرتهم في مقابل الأجرة، لذلك يجوز لهم أن يشارطوا وأن يأخذوا الأجرة المحددة.

تاسعاً: السلوك والمعاملات

النظر إلى صورة الزوجة المتوفاة:

□ شخص كان متزوجاً وماتت زوجته، وعنده صور لها، فهل يجوز له أن يرى هذه الصور؟

○ نعم، يجوز ذلك.

تربية الأولاد:

□ طفلة عمرها سنتان ونصف، كثيرة الحركة وعنيدة، يناديها والدها بألفاظ قذرة، علماً بأنه متدين ومتعلم؟

○ كيف يكون هذا الأب متعلماً ومتديناً وهو يلقي بوجه طفله ألفاظ الفحش والبذاءة والقذارة ليربيها على ذلك... إنَّ علينا أن نربي أولادنا على الكلمات الطيبة التي تزرع في أحاسيسهم ومشاعرهم القيم الروحية والإنسانية، لأنَّ الطفل يخترن في داخله ووجدانه كلَّ ما يُلقي إليه من كلمات... إنَّ فعل هذا الأب هو ضدَّ هذه المفاهيم السامية، وبالتالي هو ضدَّ التدين وضدَّ التعلم.

خروج الفتاة من المنزل:

□ أنا فتاة في التاسعة عشرة من عمري، وأبي لا يسمح لي بالخروج من المنزل وحدي بحجة الخوف عليّ، هل يجوز له ذلك؟

○ نحن نقدّر خوف الآباء على البنات، ولا سيما في بعض الأوضاع التي يتحرّك فيها الأشرار، ولكن على هذه الفتاة أن توحى لأبيها بالثقة بها، وأن تحتاط لنفسها حتى ترفع هذا الخوف عن أبيها عليها.

المعاملة بين الوالد والولد:

□ أبي رجلٌ عصبِيّ، وعندما يخطيء أَدخُل وأشير إلى خطأه، فيبادر إلى معافَتي بحرمانِي من المصروف، هل يجوز له ذلك؟

○ لا يجوز له ذلك، ولكن إذا كان لا يتحمّل النصيحة ولا تؤثر فيه، ويعتبر أنّ ذلك يمثل جرأةً عليه، فعليك أن تتفاداه في ذلك.

دخول السينما:

□ هل الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم خال من المشاهد المحرّمة جائز؟

○ الذهاب إلى السينما ليس حراماً، لكن ربما تكون أجواء السينما أجواءً غير أخلاقية.

خيّاط للنساء:

□ عملي في الخياطة، هل يجوز لي تصليح الألبسة النسائية وأخذ القياسات للخياطة؟

○ أخذ القياسات فيه بعض الإشكال، لما قد يترتب عليه من الريبة وما إلى ذلك.

المشاركة في الغش:

□ أعمل في شركة تقوم بغش نوع الصابون وغيره، وتبذل أسماءها كي تظهر أنّها صناعة أوروبية؛ ما حكم عملي في هذه الشركة؟

○ إذا كنت تشاركهم في الغش فعملك محرّم، ففي الحديث: ((ليس منّا من غشنا)).

حكم الإجهاض:

- إنني حاملٌ في الشهر الثاني وعندي أربعة أطفال، وأجد أنني ساعاني من صعوبة فيما لو استمرّ الحمل، فهل يجوز لي التخلص منه؟
- لا يجوز ذلك أبداً، واللازم هو العمل على منع الحمل قبل حدوثه وحصوله.

لعبة البلياردو:

- هل لعبة البلياردو محرّمة؟
- إذا لم تكن عن غلبة ومن دون رهان، ولم يكن فيها خاسرٌ ورابح، فهي جائزة، خصوصاً إذا كانت اللعبة لمجرّد التسلية.

التعامل مع مشاكل الإنترنت:

- بات الإنترنت يشكّل مصدراً أساسياً لحالات الانحراف، وذلك بفعل تزايد المواقع الإباحية التي يقصدها الكثير من الشباب، كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة؟

○ إن مشكلة الإنترنت هي في أنه يمثل سلاحاً ذا حدين، إذ يمكن أن يكون وسيلة ثقافية يحصل الإنسان من خلالها على الثقافة العلمية والدينية، وقد يتحوّل إلى وسيلة غير أخلاقية ومدمرة من خلال ما يعرض فيه من الأفلام الإباحية، أو بعض البرامج التي تثير الفتن بين الناس، وتؤكد التخلف لدى الأمة.

لذلك، لا بد من ملاحقة كل المواقع وكل المقاهي التي تفسح في المجال للشباب المراهقين لحضور الأفلام الإباحية وغير الأخلاقية، ولعل من أضعف الإيمان، هو عدم تردد الأخوة والأخوات إلى هذه الأماكن، ولا بد من الامتناع عن التعامل مع أي جهاز إنترنت في مقهى يستعمل الإنترنت للأفلام الإباحية، والعمل

على تشجيع الأشخاص الذين يخافون الله ويتحملون مسؤولية الأمة ومستقبل شبابها: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه..."، والمقاطعة هي إحدى وسائل إنكار المنكر.

قراءة القرآن عند القبور:

□ ما حكم قراءة القرآن عند القبور؟ وما دليل انتفاع الميت بثواب القراءة؟

○ ورد الحديث باستحباب زيارة القبور، وأن الميت يأنس بمن يزوره، وأنه يُستحب فعل الطاعات وإهداء ثوابها إلى الميت، وأنها تُكتب له في ميزان أعماله وتؤنسه في قبره، ومن ذلك، الدعاء وقراءة القرآن والصلاة وغيرها. وفي ذلك أحاديث كثيرة يمكن الرجوع إليها في مجاميع الحديث.

العمل في مصنع للمشروبات الكحولية:

□ أعمل في أحد المصانع الأجنبية التي تصنع المشروبات الكحولية والمشروبات الغازية، ولم يتوفر لي في المدينة التي أسكن فيها أي عمل آخر، فهل يجوز بقائي في هذا المصنع؟

○ لا يجوز ذلك إذا كان عملك ضمن تصنيع الخمر، وعليك في هذه الحالة أن تبحث عن عمل آخر، ومع اضطرارك للبقاء في العمل لحين توفر فرصة عملٍ آخر، فيجوز.

التجسس في الإسلام:

□ كيف تحكمون من زاوية رأيكم الشرعية على مسألة التجسس في الإسلام؟

○ حرص الإسلام على سلامة المجتمع واستقراره الداخلي، وجريان

العلاقات الداخلية فيه مجرى التقارب والتراحم، وكان من شدة هذا الحرص، أن حرّم التجسس والاطلاع على خصوصيات الناس، والسّعي إلى اكتشاف معائبهم أو فضح أسرارهم.

ولما كان الظنّ السيئ بالناس هو أحد المداخل التي تجعل الناس يسلكون مسالك التجسس بعضهم على بعض، فإنّ القرآن الكريم شدّد على المؤمنين أن يجتنبوا الكثير من هذا الظن الذي سيقودهم في حال الاستمرار فيه إلى التجسس والوقوع في المعصية وصولاً إلى الغيبة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا»^(٤).

وهكذا تشدّد الإسلام في مسألة احترام الحياة الخاصة للناس في بيوتهم أو في علاقاتهم أو في مصالحهم. فلا يجوز للإنسان أن يمد عينيه إلى بيت جاره، أو أن يحاول اكتشاف بعض أسرارهم، سواء من خلال استخدام بعض الوسائل الحديثة المقربة للمشاهد البعيد، أو من خلال استراق السمع، ونحن نعرف أنّ التكنولوجيا الحديثة سهّلت الأمر في هذا المجال، وباتت وسائل الاستماع للأحاديث سهلة من مسافات بعيدة نسبياً.

ولقد نهى الإسلام عن ذلك كله، وقال الرسول الأكرم ﷺ: ((لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإن من تتبّع عثرات أخيه، تتبّع الله عثراته، ومن تتبّع الله عثراته، يفضحه ولو في جوف بيته))... ولذلك كنا نقول دائماً، إنّ حرمة التجسس تشمل التجسس الذي قد يحمل عنواناً تجارياً في بعض الحالات، كالتاجر الذي يحاول الاطلاع على بعض المعلومات المسجلة في دفاتر أو مكاتب غيره من دون رضاهم، وكذلك التجسس الذي قد يحمل عنواناً اجتماعياً، أو تجسس المرأة على زوجها في حركته وعلاقاته، وتجسس الرجل على زوجته، حتى إنّ الرجل والمرأة لا يجوز لهما الاطلاع على المذكرات أو الرسائل الخاصة التي قد يكتبها أولادهم

إذا كانت تمثل خصوصية لا يريد الأبناء إطلاع الآباء عليها، إلا في الحالات غير العادية التي يخشى الآباء فيها خشية حقيقية من انحراف أبنائهم، فيضطلعون على بعض الخصوصيات لحماية الأبناء وحفظهم ومنعهم من سلوك طرق الانحراف.

ففي الإسلام، حياة الإنسان الخاصة هي ملك له، وأسراره وقضاياها الشخصية هي حصن داخلي لا يجوز انتهاكه، ولا ينبغي لأحد أن يهتك هذا الستر، فلا يجوز للإنسان أن يتجسس حتى على أقرب الناس إليه. وحيث إن الإسلام منع الاقتراب من الحصون الداخلية للأشخاص، أراد للناس في المقابل أن تحمل أمور بعضها البعض على الأحسن، وألا تنقب على الأسرار والخفايا، وقد قال الرسول الأكرم ﷺ: ((إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم)).

رعاية اليتيم:

□ اليتيم حالة خاصة تفرضها الظروف، فما هو البديل للتربية الأسرية، لكي يكون اليتيم عنصراً صالحاً في المجتمع؟

○ البديل هو تكافل المجتمع في سبيل إنشاء مؤسسات خيرية تُعنى باليتيم بهدف حفظ هذه الأمانة التي حملنا إياها الإسلام، مع تأمين كافة المتطلبات والظروف لجعل الأيتام عناصر خير وصلاح في المجتمع، ويحتاج ذلك إلى تكافل المسلمين واهتمامهم بهذه الفئة، من خلال ما فرضه الله من حقوق شرعية وصدقات، ومن خلال التبرعات، لتستطيع هذه المبرات والمؤسسات أن تؤدي دورها في تربية اليتيم وتنشئته.

وهب أحد الأولاد:

□ هل يحق لي أن أهب أحد أولادي لشقيقتي التي لم ترزق بأولاد كي تربيته من دون موافقة زوجتي على ذلك؟

○ لك ذلك من الناحية القانونية الشرعية، ولكن للزوجة حق في أولادها.

ومن هنا، لا بدّ لكما من أن تتفاهما على هذه المسألة، حتى لا تحدث سلبيات على المستوى العائلي، ولاسيّما على أمّه التي هي أولى عاطفياً بولدها. وينبغي الالتفات هنا، إلى أنّه لا معنى للهبة في هذا المورد. نعم، تعطيه لأختك حتى تربيّه، ولكن يبقى تحت نظركم.

بيع أشرطة الأغاني والأفلام:

□ هل يجوز بيع أشرطة الأغاني والأفلام؟

○ إذا كانت الأغاني محرّمة فلا يجوز بيعها، لأن رأينا أن بعض الأغاني محرّم وبعضها محلّل، والأغاني المحلّلة هي التي تشتمل على كلمات حق وكلمات إنسانية وما إلى ذلك، من دون أن يرافقها محرّم آخر، أما الغناء المثير للغرائز، والذي يتضمّن كلمات الباطل، فهو محرّم، ولا يجوز بيع الأشرطة المحرّمة. كما أن الأفلام على أقسام، فهناك أفلام إباحية، وأفلام مضلّة، وأفلام ليس فيها شيء من ذلك، فيختلف الحكم حسب اختلاف طبيعة الفيلم.

صلة الرحم وقطعها:

□ بعض أقربائي يعارضون الدين، فهل يجب عليّ قطع صلة الرحم معهم؟

○ لك أن تواصلهم بأقل قدر ممكن من هذا الجانب، وإذا كانت مقاطعتهم تؤدي إلى هدايتهم، فقد تجب المقاطعة.

مسؤولية السائق في الحوادث:

□ سائق قطار قتل أشخاصاً أثناء قيامه بعمله بقيادة القطار. ما حكمه إذا

لم يكن مقصراً في أداء واجبه، مع العلم أن القطار يحتاج مسافة طويلة حتى يقف إذا رأى شخصاً، وماذا عليه إن كان مقصراً، مثل أن يكون نعسان أو نائماً؟

○ طبعاً إذا فرضنا أن هذا الإنسان مقصّر، فيتحمل مسؤولية القتل. وأما إذا كان من دون تعمد، فيعمل على مقتضى القتل الخطأ أو ما أشبه ذلك.

ضرر المريض:

□ شابٌ بحاجة إلى عملية زرع كلية، وقد دفعت له مبلغاً من المال لإجراء هذه العملية، فلو أصابه مكروه من جراء هذه العملية، فهل من مسؤولية شرعية عليّ؟

○ لا، أنت تتحمل ثواب ذلك، لأنك أعنته، أما حدوث نتائج سلبية من جراء العملية، فلا علاقة لك به.

لباس الفتاة:

□ فيما يختص بلباس الفتاة، هل يجب عليها ارتداء زيّ معين؟

○ لا بدّ من أن تتستر بالستر الشرعي، وهو كلّ الجسد ما عدا الوجه والكفين والقدمين، وأن يكون بالنحو الذي يجعلها تخرج بشكل محتشم من دون إثارة.

واجبات الشراكة:

□ ما هي الالتزامات المتوجبة على الفرد في حال شراكته مع الآخر؟

○ عندما يكون الإنسان شريكاً لإنسان آخر، عليه أن يكون أميناً في شراكته، وعليه أن يقوم بكلّ الالتزامات المتفق عليها مع شريكه.

النحت:

□ ما الذي يجوز نحته من الإنسان والحيوان؟

○ المشهور عندنا أنه لا يجوز نحت الإنسان أو الحيوان، ونحن نحتاط في الإفتاء بالجواز، ولكن إذا نُحت الوجه فقط، أو الجسد ناقصاً في طبيعته، فلا مشكلة في ذلك.

كفارة نقض العهد:

□ عاهدت الله ألا أفعل شيئاً معيناً، وكنت في كل مرة أنقض العهد مع الله، فما كفارة ذلك؟ وإذا كنت لا أذكر عدد المرات التي عاهدت الله فيها، فما هو الحكم؟

○ كفارة ذلك إطعام ٦٠ مسكيناً. وفي حال عدم التذكر لعدد المرات، عليك أن تبني على الأقل.

مصافحة النساء:

□ هل يجوز للزوج مصافحة أخت زوجته، أو مصافحة البنت زوج أختها؟
○ لا يجوز ذلك، إذ ليسا من المحارم، ولذا لو فرضنا أن الزوج طلق أختها، فيجوز له أن يتزوجها.

أصل المسبحة:

□ ما هو أصل العادة الجارية بين الطبقة المتدينة المتمثلة بـ (المسبحة)؟
وما هو أصل استخدام هذه الأداة في الأمور العبادية؟
○ هي لأجل حساب التسبيحات من تكبير وتحميد وتسبيح واستغفار، وليس لها دخل في العبادة، ولذا بعضهم يحسب بالأصابع.

مصافحة غير المحارم:

□ هل تجوز مصافحة غير المحارم من النساء إذا كان عدم المصافحة يحدث إثارة تعرقل العمل التبليغي؟
○ على الإنسان أن لا يرتكب المحرم وهو يريد أن يبلغ حكم الله.

العدسات الملونة:

□ هل وضع العدسات الملونة حرام؟

○ ليس محرماً لا للرجل ولا للمرأة.

مسؤوليات المريض النفسي:

□ أنا مريضة نفسياً، وتتملكني بعض الأوقات حالة العصبية، فلا أسيطر

على نفسي، وأتعدى على أي شخص أمامي حتى على والدتي، فهل هذا يعتبر من عقوق الوالدين؟

○ إذا كان يصدر ذلك منك من دون اختيار، وبفعل الحالة العصبية الصعبة،

فليس عليك شيء، وعليك أن تعالجي نفسك علاجاً طبياً بطريقة وبأخرى.

شرعية الانتقام:

□ هل الانتقام وأخذ الثأر حرام، حتى لو شعر الشخص بهذا الدافع لمروره

بظروف صعبة؟

○ عليه أن يقف عند حدود الله سبحانه وتعالى في مسألة الانتقام أو الثأر،

وإذا ينطلق من العقدة النفسية.

هدايا الفساق:

□ هل يجوز أخذ الهدايا من الفساق؟

○ لا مانع من ذلك.

الصور وإثبات الوقائع:

□ هل يجوز للحاكم الشرعي أن يقيم حد السرقة أو الزنى عن طريق

شريط الفيديو المصور؟

○ لا بد له من أن يعتمد في ذلك على الوسائل الشرعية المعتبرة شرعاً. ونحن نعرف أن الصورة قد تدبج والشريط كذلك، ولذلك عليه أن يعتمد على الوسائل الشرعية.

وقف النفس:

□ هل يجوز للإنسان أن يوقف نفسه أو نفس الآخر كما فعلت أم مريم؟
○ نذر أم مريم كان في ذلك الوقت على حسب شريعتهم، أما في شريعتنا فلا أثر له.

صناعة الرموز غير الإسلامية:

□ ما هو حكم صناعة الرموز غير الإسلامية أو رموز الديانات الأخرى، كالصليب ونجمة داود، من قبل صانع مسلم؟
○ لا يجوز له ذلك؛ لا يجوز له صنعها، ولا يجوز له بيعها.

شراء الخمر للغير:

□ رجل يعمل حارساً في المزرعة، وأحياناً يأتي صاحب المزرعة ويرسله إلى الدكان ليشتري له خمرأ، وهو يخاف إذا لم يشتري له أن يفصله من العمل، فهل يجوز له أن يشتري الخمر رغم أنه لا يحب ذلك؟
○ إذا كان مضطراً، بحيث إنه يخاف أن يفقد عمله ولا يجد عملاً آخر، فإنه يجوز له ذلك «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»^(٥).

خاتم فضة فيه ذهب:

□ ما رأيكم في خاتم فضة، ولكن فيه بعض الذهب، أي فيه رسم مسجد ذهب، ولكن لا يصدق أن يقال عنه إنه خاتم ذهب؟

○ إذا لم يصدق عليه عنوان خاتم ذهب، فلا مانع من ذلك.

الدليل على حرمة حلق اللحية:

□ هل هناك آية في القرآن أو الحديث تدلّ على حرمة حلق اللحية؟

○ ليس هناك آية في القرآن، وليس هناك دليل تام في السنة، ولذلك نفتي بحلية حلق اللحية، ولكن الأفضل إبقاؤها.

الرياء بقصد الهداية:

□ هل يجوز الرياء بقصد الهداية؟

○ الإنسان الذي يقصد الهداية، إذا احتاج إلى بعض الوسائل، فهي لا تكون رياءً، بل تكون حركة من أجل الدعوة أو حركة من أجل الهداية.

تناول أدوية الاكتئاب:

□ هل تناول أدوية الاكتئاب محرّم شرعاً؟

○ ليست محرمة شرعاً، لكن على الإنسان معالجة نفسه من الاكتئاب بدراسة أسباب وحالات الاكتئاب.

غرور الدنيا:

□ أنا فتاة ملتزمة دينياً وأخلاقياً، ولكن لدي مشكلة في ارتداء الحجاب، وذلك بسبب غرور الدنيا وعدم التزام أحد في العائلة، أريد وسيلة للتغلب على هذا الأمر؟

○ أنت عندما تكونين ملتزمة دينياً وأخلاقياً، معناه أنك تخافين الله وتحبينه. لذلك، عليك أن تأخذي من محبتك لله وخوفك منه قوة الإرادة التي تستطيعين من خلالها التمرد على غرور الدنيا وعلى المجتمع، ولا سيما أن الدنيا فانية والآخرة

باقية، وعليك الالتفات إلى الآخرة، لأن الإنسان لا بد له من العمل على ضمان مصيره في الآخرة.

الاختلاط في المدارس:

□ ما رأيكم في الاختلاط في المدارس في المرحلة الثانوية للطلاب؟

○ الأصل هو عدم الاختلاط، لأنه ربما يؤدي، كما نرى، إلى نتائج سلبية، ولكن مع الاضطرار، فعلى الطالب، أو الطالبة، أن يتحفظ من السقوط في الأوضاع غير الإسلامية.

مقاطعة الإخوان:

□ أريد أن أعرف رأي الشرع في العلاقة بين الأخوة في المنزل، أي إذا كان أخوان لا يتكلمان مع بعضهما البعض نهائياً في المنزل، لا عن عداوة، ولكن يعتبران أن الحديث بينهما ليس ضرورياً، فهل يُعتبر هذا التصرف من قبيل قطع صلة الرحم؟ وهل هما مأثومان؟

○ إن الأخوة تفرض انفتاح الأخوة بعضهم على بعض، ولو من جهة سؤال الآخر عن صحته أو عن أوضاعه وما إلى ذلك. ولذلك، فإن المقاطعة بحيث لا يكلم أحدهم الآخر كلياً، لا بد من أن تكون حسب العرف الاجتماعي، على الأقل، نوعاً من عدم صلة الرحم.

تعدد القسم وتعدد الكفارة:

□ إذا تكرر القسم في جمل متعددة لموضوع واحد، هل الكفارة واجبة لأكثر من مرة؟

○ إذا كان القسم في وقت واحد وكرره أكثر من مرة، فلا تتكرر الكفارة. نعم، إذا كان القسم على عدة أيام، وفي كل مرة يحنث فيه، فالكفارة تتكرر.

حكم الإعدام في الشريعة:

□ ما هو موقف سماحتكم في ما خص موضوع الإعدام؟ وما هي الآيات الكريمة التي لها علاقة بهذا الموضوع؟

○ قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^(٦)، فقد أقرَّ الله بهذه الآية القصاص بالقتل للقاتل، وهناك أحكام أخرى يمكن أن يكون قصاصها القتل يرجع إليها في محالها لمن أراد مزيد الاطلاع.

شراء اللحم من المسلم:

□ هل يجوز أكل اللحوم من يد المسلم، مع علمنا بعدم حليّة المصدر؟

○ لا يجوز ذلك، مع العلم بعدم التذكية.

التخدير قبل التذكية:

□ هل يجوز تخدير الحيوان قبل ذبحه؟

○ مع بقائه حياً يصح.

ذبيحة الكتابي:

□ هل يجوز أكل اللحوم المذبوحة على الطريقة اليهودية؟ أو المذبوحة بيد غير المسلم مع التكبير عليها؟

○ مع توفر كل الشروط المعتبرة في التذكية، من التسمية والتوجه إلى القبلة، وقطع الأوداج، فيحل ما ذبحه غير المسلم من أهل الكتاب، والأحوط استحباباً اجتنابه.

سماع الأغاني في الأعراس:

□ ما رأي سماحتكم في سماع الأغاني في الأعراس؟ وما المقصود بالتغني بالباطل؟

○ يجوز سماع الأغاني في الأعراس، شرط أن لا يكون التغني بالباطل، وأن لا يدخل الرجال على النساء. والمقصود بالباطل، هو أن يكون الغناء مشتملاً على ألفاظ فيها ما يوحي بإثارة الغرائز، أو فيه من الكلام الكذب أو التشجيع على الانحراف العقيدي أو الأخلاقي. أما إذا كان ذا مضامين شعبية مثلاً، ولم تكن الموسيقى مما ينسجم مع أهل الفسق والفجور، فهو جائز.

المزاح مع الرجال:

□ هل يجوز للمرأة الضحك والتبسم والمزح مع الرجال؟

○ لا يجوز ذلك بما يخلق جواً من الإثارة الجنسية، أو بما يهتئء لذلك، وعلى المرأة أن تتعامل مع الآخرين بعيداً عن الأنوثة والخضوع بالقول، حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض.

سرقة عن طريق الإنترنت:

□ هل يطبق حكم قطع اليد على السارق لأموال الناس عن طريق الإنترنت، مع توفر جميع الشروط الشرعية التي تدين السرقة؟

○ لا بد في تحقق عنوان السرقة من أخذ المال من موضعه المحرز فيه، كأن يكون في الدرج أو الخزانة أو نحو ذلك، وما عدا ذلك، يعتبر غصباً لا سرقة، ولا تقطع يد الغاصب دائماً إلا أن يكون (سارقاً) بالمعنى المتقدم.

مشاهدة الأفلام الأمريكية:

□ هل يجوز مشاهدة الأفلام الأمريكية؟

○ إذا كانت الأفلام الأمريكية أو غير الأمريكية تشجع على العنف وتربّي عليه، أو تضرّ بالمناعة الأخلاقية والروحية والإيمانية للإنسان المؤمن، فلا يجوز مشاهدتها.

الذباحة بالآلات الحديثة:

□ هل يجوز الذبح بالآلات الحديثة؟ وكيف يكون حال الاستقبال والتسمية حينئذٍ؟

○ لا بدّ من التسمية، ونحن نرى أنّه لو وضعنا آلة تسجيل تتضمن التسمية، وبقيت تسمّي عند كل ذبيحة، فإنه لا يبعد صحة الذبح. أما في الاستقبال، فهو شرط عند الشيعة الإمامية، أما عند غير الشيعة الإمامية، فليس شرطاً، ومع ذلك، فإن ذبائحهم صحيحة حتى لو لم يستقبلوا، لأنه شرط علمي وليس شرطاً واقعياً.

سماع الأغاني الوطنية:

□ هل يحرم سماع الأغاني الوطنية؟

○ لا يحرم سماعها إذا كان مضمونها حقاً.

طرق التخلص من القراطيس:

□ هل يجوز إحراق الورق الذي كتب فيه آية قرآنية، وإلا كيف نزيلها؟

○ لا يجوز ذلك، ويمكن التخلص منه عن طريق (التلافة)، أو بتغيير هيئة الآية، بحيث إنّه ينقص حروفها على نحو تزول الآية تماماً.

الشعائر الحسينية:

□ ما هو مبناكم الفقهي في حرمة التطبير؟

○ التطبير محرّم من جهتين: الأولى، لكونه مظهراً مشيناً لمذهب آل البيت (عليه السلام)، يُبعد الناس عن هذا المذهب الحقّ، ويُعطي صورة مشوّهة عن الارتباط

بالأنمة، وهو ليس من شعائر إقامة العزاء، لأنّ الشعائر توقيفية، ولا دليل على كون التطبير منها، وما قد يستدلّ به البعض من ضرب زينب ﷺ لرأسها بمقدّم المحمل، لا أساس له من الصّحة، وهو خلاف وصيّة الإمام الحسين ﷺ لها.

والوجه الثاني: جهة الإضرار المحرّم شرعاً ارتكابه بحقّ النفس أو الغير التي يشتمل عليها فعل التطبير، خصوصاً فيما يتعلّق بالأطفال وجرحهم وإدمانهم، والذي تظهره وسائل الإعلام العالمية أمام العالم كله.

القسم بالقرآن:

□ ما هي كفارة القسم بالقرآن؟

○ لا كفارة في ذلك، وينبغي ترك الحلف بالقرآن الكريم وغيره من المقدّسات مع عدم نيّة الوفاء.

تعاطي المنشطات:

□ ما هو حكم تعاطي مشروبات الطاقة المنشّطة؟

○ لا إشكال في ذلك بحدّ ذاته.

حكم نقل الأعضاء:

□ ما رأي سماحتكم في مسألة نقل الأعضاء؟

○ يجوز التبرّع بالأعضاء بعد الموت، ولاسيّما إذا كان يتوقّف على ذلك حياة إنسان أو شفاؤه وإرجاع الحيويّة إلى جسده، بل يجوز أخذ العضو من الميّت ولو من دون وصيّة منه، إذا توقّف على ذلك حفظ حياة إنسان آخر.

حدود العلاقة بين الجنسين:

□ أنا فتاة في عمر المراهقة، أحبّ ابن خالي، هل الاتصال به محرّم؟

○ يجوز لك أن ترغبى وتفكرى فيه، لكنّ محادثته على الهاتف أو ملاقاته مواجهة في هذا الجو الحميم من الحب غير جائز، لأنه سيقتراف مع النظر والاستماع إلى حديثه بتلذذ وشهوة... وإن كان لا بدّ من اللقاء، فيجب أن يكون محتشماً ومقتصراً على الأمور الضرورية... وعليك أن تعرفى أنك في عمر لا تثبت فيه مشاعر الإنسان، ولاسيما الفتاة، لأنه عمر المراهقة، ولاسيما في قضايا الحب الذي هو حالة سطحية في شعورك، ولا عمق فيها، ولا بدّ لك من أن تفكرى في دراستك ومستقبلك.

حكم الإجهاض:

□ أنا حامل وعمر الجنين ١٨ يوماً، سمعت بأنّه يجوز إجهاضه قبل بلوغه الأربعين يوماً، لا أعاني من مرض عضال، إلا أن حملي يسبّب لي آلام الوحام في الشهور الأربعة الأولى، ما يسبّب إهمالي لبيتي، فهل يجوز الإجهاض؟

○ لا يجوز لك الإجهاض في مثل حالتك المذكورة في سؤالك، رغم عدم بلوغ الجنين الأربعين يوماً.

متابعة برامج غنائية:

□ هناك برامج تعرضها الفضائيات، تشجّع الفتيات والشباب على الاشتراك في الغناء، ولا تخلو هذه البرامج من ميوعة، فهل يجوز مشاهدة هذه البرامج؟

○ لا يجوز مشاهدة البرامج التي تتضمن مشاهد تدعو إلى الفساد أو تتضمن غناء محرماً، ولاسيما إذا كانت مختلطة بين الجنسين، وبنحو يكون مثيراً، بل لا يجوز أيضاً المشاركة في مثل هذه البرامج... ولا بدّ لشبابنا المسلم من أن يكون مسؤولاً في تصرفاته والتزامه، ويتحرّك من أجل نصرة قضاياهم بدلاً من التلهي بمثل هذه البرامج، والتي قد يكون من أهدافها صرف انتباه شبابنا عن قضاياهم ومستقبلهم.

حكم الوشم:

□ بعض الناس يرسمون على أبدانهم بعض الكلمات أو أشياء أخرى، بحيث تثبت هذه الرسوم مدة طويلة، فما رأيكم في ذلك؟

○ لا نشجع على ذلك، كما في رسم بعضهم لسيف ذي الفقار، وآخرين لصورة الإمام... لأن المهم أن تكون هذه المعاني حاضرة في العقل والقلب، إذ إن حضورها على الجسد لا يعبر عن الحضور الحقيقي؛ بل إن هذا التعبير هو نوع من التخلف الذي تحول إلى عادة. ولذلك، لا أقول إنه حرام، لكن أرى أنه شيء لا معنى له.

القراءة عن الأم:

□ إذا كانت الأم أمية ولا تجيد القراءة مُطلقاً، فهل يجوز للابن أن يقرأ القرآن نيابة عنها ويهدي ثوابه إليها؟

○ نعم، لكن أن يجعلها تقرأ متابعة له أو لشريط مسجل لأحد قراء القرآن مثلاً.

التسبب في وفاة شخص:

□ من دون قصد، سكبت ماءً حاراً على شخص وتوفي، وأحس بذنب شديد، فماذا أفعل لأكفر عن ذنبي؟

○ عليك الدية، لأنك قتلت هذا الشخص خطأ.

مصاحبة الفاسقين:

□ هل يجوز مرافقة الفاسقين؟

○ في عالم المعاملات، يجوز للمؤمن أن يتعامل مع الفاسقين، أما مصاحبتهم ومرافقتهم، فهو منهي عنه شرعاً إذا كان ذلك يؤدي إلى نتائج سلبية على دينه وعلى التزاماته.

كفارة عدم الإيفاء بالوعد:

- يقال إن وعد المؤمن دين عليه. كيف يمكنني التعامل مع أخوة مؤمنين يقسمون بالله ولكنهم لا يوفون بوعودهم، هل يتوجب عليهم صيام ثلاثة أيام؟
- الإنسان إذا وعد بشيء، بحيث إنه أقسم إنه سيفعل كذا، فإن عليه أن لا يحنث في يمينه، وعلى المؤمن أن يأمرهم بالمعروف.

مصرف النذر:

- هل يجوز وضع النذر مع الطعام المعد لعاشوراء؟
- النذر لا بد من أن يصرف على الفقراء، والطعام المعد لعاشوراء يصرف للفقراء وغيرهم، فلا يكفي ذلك.

الوصاية على المسجد:

- تبرع أحد المؤمنين ببناء مسجد، وفوض رجل دين لمتابعته، هل يحق لرجل الدين هذا أن يستأثر بأمور المسجد واختيار نشاطاته الدينية والثقافية والاجتماعية بحجة الوصاية الشرعية، علماً بأن مؤمنين آخرين شاركوا في العمل؟

- الولي في المسجد عليه أن يراعي مصلحة المسجد في ذلك، وليس لرجل الدين أن يقوم برعاية المسجد بمزاجه، بل لا بد من أن يلاحظ مصلحة المسجد في أموره كلها.

حرمة التعامل مع الشركات الإسرائيلية:

- قرأت في نشرة بينات، أنكم لا تجوزون التعامل مع أي شركة تدعم إسرائيل بالمال، لأن ذلك يعطيها قوة اقتصادية تحاربنا بها من خلاله، فهل هذه الفتوى تشمل كل الشيعة في العالم، أم أنها تخص جماعة معينة؟

○ علينا أن نحترم أمتنا وإسلامنا وأوطاننا أكثر مما نحترم معدتنا أو أجسادنا، نحن نجد أن إسرائيل دمرت الشعب الفلسطيني، وهي تعمل لتدمير الشعب العربي والإسلامي، ونجد أن أمريكا تعمل بكل ما عندها من طاقة في سبيل تدمير واقعنا السياسي والاقتصادي والأمني. ولذلك، نحن عندما أصدرنا فتوى التحريم، أصدرناها لكي ندفع الإنسان إلى أن يحترم نفسه. وأنا أعطيكُم مثلاً على ذلك، ففي لوس أنجلوس، في وقت من الأوقات، كتبت صحيفة مقالة تعاطف مع الفلسطينيين، وإذ بألف مشترك من اليهود يقاطعون الصحيفة لمجرد كتابتها هذا المقال، وهم يقاطعون القنوات الإخبارية لمجرد أنها تعرض صوراً للفلسطينيين. بل لو فرضنا أن أي جهة من الجهات تحدثت ولو بشكل حيادي بين إسرائيل وبيننا، فإننا نجد أنهم يقاطعون هذه الشركات.

أذكر أنّ أحد الصحفيين العرب قال لبعض الصحفيين الأوروبيين: عندما تحدث مشكلة بين إسرائيل وبين العرب، ألا تخافون من أن يقطع العرب علاقاتهم مع أمريكا أو مع أوروبا؟ قال له: لا، لأنكم عندما تحدث مشكلة، تقاطعوننا في العلاقات الدبلوماسية، بينما شركاتنا تستمر في العمل عندكم، أما اليهود، فإذا حدثت مشكلة بيننا وبينهم، فإنهم يقاطعون صحافتنا ويقاطعون كل أوضاعنا وشركاتنا، وهذا الفرق بيننا وبينكم. فيجب أن نحترم أنفسنا حتى يحترمنا العالم، ولكن إذا لم نحترم أنفسنا، فإن العالم لن يحترمنا.

السباب مزاحاً:

□ هل يجوز السباب واللعن مزاحاً؟

○ على الإنسان أن يهذب لسانه عن السباب واللعن، سواء في حالة المزاح أو الجد.

أفضل أعمال البر بالوالدين:

□ ما هو أفضل عمل للبر بالوالدين المتوفين؟

○ عليه أن يدعو لهما ويتصدق عنهما، وإذا كان عليهما قضاء عبادة يقضيها عنهما، ويقرأ لهما القرآن.

الدفن في غياب القانون:

□ هل يجوز دفن الميت في أرض وادي السلام بالنجف، في أرض غير مخصصة رسمياً من قِبَل الدولة، وذلك لغيابها هذه السنوات، والقيام بحالات الدفن بالاتفاق بين الدفانة فيما بينهم، وذلك بتوزيع الأرض من قبلهم مباشرة؟

○ يجوز الدفن بهذه الطريقة في غياب القانون، ولكن مع إمكان الالتزام بأدنى حالات الالتزامات المعروفة.

التجارة بلحم الخنزير:

□ يقوم بعض المسلمين ببيع لحم الخنزير، ويقولون إنه لا يوجد إشكال شرعي في حالة البيع، أي أنهم يقولون إن البيع غير محرّم، والمحرّم فقط هو الأكل، ما صحة كلامهم؟

○ لا نجيز شراء لحم الخنزير لبيعه والأجار به، وإنما رخصنا ذلك للعمال، بمعنى إذا كان العمال في مطعم، فيمكنهم أن يبيعوه لمن يستحلّه، أما التجارة به فلا.

نقل الموتى:

□ أيهما أكثر أجراً وثواباً للمسلم العربي المتوفى في أوروبا وأمريكا؛ أن يدفن هناك في مقابر خاصة بالمسلمين، أو ينقل إلى النجف وسوريا بعد إجراء عمليات من قبيل تجميد الدم أو رفع الأحشاء أو التحنيط؟

○ نحن نعتبر أن ما يفعل بالجسد من إزالة الأحشاء وقضية التجميل وما إلى ذلك محل إشكال ما دام هناك مقابر للمسلمين في تلك الأماكن. وعلى كلّ حال، الأمر يدور بين الإشكال، وهو ما ينتج عن إرادة نقله، وبين غير المحرم، وهو دفنه في المنطقة التي يموت فيها.

التعامل مع الأهل

□ لي أقرباء وأصدقاء يتعاملون معي باحترام، ولكنهم لا يتعاملون مع أخي الأكبر بهذا الشكل، بل يعاملونه باحترام أقل، ولذلك يطلب مني أن أتعامل معهم بجفاء، فهل لي أن أتعامل معهم هكذا، أم يجب أن أتعامل معهم كما يتعاملون معي؟

○ ليس لك أن تتعامل معهم بجفاء؛ لأن هذا على خلاف صلة الرحم واحترام المؤمنين، ومجرد أن أخاك يطلب منك ذلك، فهذا لا يكفي، وعليك أن لا تطيع أخاك فيما قد يصل إلى معصية الله سبحانه وتعالى.

صباغة الشعر للرجل:

□ ما حكم صباغة الشعر (شعر الرأس) بالنسبة إلى الرجل؟

○ لا بأس بذلك إذا لم يكن موجِباً لهتك حرمة الرجل، أو كان من قبيل تشبه الرجال بالنساء... ولذلك، لا مانع من أن يخفي الرجل شيب رأسه.

الخروج من المدرسة من دون إذن:

□ أنا طالب في المرحلة الثانوية، عمري ١٦ سنة، عندما يحين موعد الفسحة وقت تناول وجبة الإفطار، لا أشتري إفطاري من دكان المدرسة، بل أقفز من السور وأشتري وجبة إفطاري من مطعم قريب من المدرسة، ثم أعود إلى المدرسة مرة أخرى لأكل طعامي. فهل يجوز لي ذلك؟ علماً بأن المدرسة ترفض أن أشتري طعامي من غير الدكان التابع لها خلال الفسحة، وذلك بدعوى القانون الذي تفرضه المدرسة، وأنا لا أحب أن أكل طعام الدكان، فما العمل؟

○ ينبغي التقيد بقانون المدرسة، وعليك إحضار فطورك معك من البيت إذا

كنت لا ترغب بالشراء منها.

الغش في الامتحان:

□ هل يجوز الغش في الامتحانات؟

○ لا يجوز ذلك.

بيع المصاحف:

□ ما هو حكم بيع المصحف الشريف في السوق شأنه شأن الكتب الأخرى؟

○ يجوز بيعه، لكن غاية الأمر أن يكون البيع بنوع من التأدب، فيعبر عن

الشراء بقوله: ما مقدار هديته؟ مثلاً، وإلا فيجوز بيعه وشرائه، وإن كان البعض

يقول كيف يمكن بيع كلام الله؟ ولكن هذا البيع والشراء ليس لكلام الله، بل

للمصحف الذي هو ورق وحبر...

الفهرس

[المقدمة]

- هموم المغتربين وتطلعاتهم ٥
أولاً: المخاطر التي تتهدد المهاجرين ٨
ثانياً: التعايش مع غير المسلمين ٩
ثالثاً: دور التبليغ في المغتربات ١٣
رابعاً: واجبات المغتربين ومسؤولياتهم ١٦
إحالات ١٨
ملاحظة جدية بالنسبة!! ٢٠
جدول إحصائي بمسائل الندوة ٢١

[باب المحاضرات]

المحاضرة الأولى

- الإيمان: تعميقه... درجاته... أفضله ٢٥
تعميق الإيمان ٢٧
درجات الإيمان ٣١
أفضل الإيمان ٣٢
المحاضرة الثانية
الإيمان: انطلاقته... حركته...
دعائه ٣٥
انطلاقة الإيمان ٣٧
الإيمان العملي ٣٩
دعائم الإيمان ٤١
الولاية لله ٤٤

المحاضرة الثالثة

- الإيمان: أنواعه... حقائقه... تجسيده...
مظاهره ٤٧
أنواع الإيمان ٤٩
حقائق الإيمان ٥١
تجسيد الإيمان ٥٣
مظاهر الإيمان ٥٥

المحاضرة الرابعة

- الإيمان: صـدقـه... مواصفاته...
أساسه ٥٧
الصدق شعار المؤمن ٦١
خصال المؤمن ٦٢
أساس الإيمان ٦٤
المحاضرة الخامسة
مخرجات الإنسان من الإيمان ٦٩

- ما يخرج الإنسان من الإيمان ٧١
التعاليم الشرعية والإرشادية للمؤمنين ٧٤
المحاضرة السادسة
حركة المؤمنين في الواقع المعاصر ٨٣
تشخيص الأعداء ٨٥
الارتباط بالأصالة والقيادة ٨٧
الاعتصام بالله موقف ٨٨
الدعاء بحسن العاقبة ٨٩
الاعتصام بحبل الله سبيل الوحدة ٩٠
ما المراد بحبل الله؟ ٩٢
مقارنة بين مرحلتين ٩٣
الاعتصام بالله القاعدة الصلبة ٩٤
المحاضرة السابعة
ضبط المسيرة الذاتية للمجتمع الإسلامي ٩٧
الدعوة إلى الخير ٩٩
الأمة في القرآن ١٠٠
ضرورة مواجهة المنكر ١٠٢
عدم التفرق سبيل الفلاح ١٠٣
نتائج أعمال الفلاح والمنكر في الآخرة ١٠٥
مسؤولية الإنسان في اختيار مصيره ١٠٧
المحاضرة الثامنة
صياغة الشخصية الإسلامية على أساس
العدل ١٠٩
صياغة الشخصية الإسلامية على أساس
العدل ١١١
الشهادة بالقسط ١١٣
الحض على المال الحلال ١١٥
الإقرار بالملكية الفردية ١١٧
المحاضرة التاسعة
كيف يتعامل المؤمنون مع أهل
الكتاب؟ ١٢١
حركة العقيدة ١٢٣
تحصين الداخل ١٢٦
المحاضرة العاشرة
علاقة المؤمنين بالآخرين... محدّداتها...
ضوابطها ١٣١
حدود النفاق ١٣٣
العلاقة الإيمانية ١٣٥

المحاضرة الحادية عشرة

المؤمنون وموقف التقية	١٤١
الظروف القاهرة	١٤٣
منطق القوة	١٤٥
التقية وحدود الله تعالى	١٤٧
حفظ الموقف وحمايته	١٤٨
المحاضرة الثانية عشرة	
الإيمان والولاية المرفوضة	١٥١
حذار من ولاية اليهود والنصارى	١٥٣
المناخ الإيجابي في العلاقات	١٥٥
الحوار الإنساني	١٥٦
مساحة للحرر	١٥٨
إدانة السلوك لا الدين	١٦٠
الحرر الدائم	١٦١

المحاضرة الثالثة عشرة

مخاطبة المؤمنين من خلال إيمانهم	١٦٣
الحروب النفسية	١٦٥
قيم الجاهلية	١٦٨
كيف نفهم أبعاد هذا النداء للمؤمنين؟	١٧٢
مواقف القوة	١٧٣

المحاضرة الرابعة عشرة

العلاقة الإيمانية أعلى من العلاقة النسبية	
سمو الإيمان	١٧٧
قصة الآية	١٧٩
من السياسة التربوية القرآنية	١٨١
ابراهيم عليه السلام نموذجاً	١٨٥
	١٨٨

المحاضرة الخامسة عشرة

تجارة المؤمنين مع الله تعالى	١٩١
تجارة المؤمنين	١٩٣
ذهنية الله	١٩٥
الانتماء إلى الله	١٩٩

المحاضرة السادسة عشرة

مناهضة المؤمنين للخائنين	٢٠٥
فتنة الأهل	٢٠٧
الخيانة العظمى	٢٠٩
تحذيرات الهيبة	٢١٠
الحكم بين الناس بالحق	٢١٠
تحكيم السماء	٢١٢
تحصين الذات	٢١٣
إدانة الخيانة	٢١٤
فضح الخيانة	٢١٥

المحاضرة السابعة عشرة

من أمانة المؤمنين	
عدم تخوين الآخرين	٢١٧
الجدال عن غير أهل الحق	٢١٩
المسؤولية الشخصية	٢٢٠
العدالة المطلقة	٢٢١
الخيانة وتدمير الذات	٢٢٢
ملامح الخيانة والخائن	٢٢٤
المحاضرة الثامنة عشرة	
الإيمان العميق والشامل	٢٢٩
الدعوة إلى الحياة	٢٣١
التوحيد بين العبودية والحرية	٢٣٢
نور الحضارة	٢٣٤
التضحية من أجل الإسلام	٢٣٥

المحاضرة التاسعة عشرة

الأمن الاجتماعي	٢٣٧
الحياة الربانية	٢٣٩
التربط الاجتماعي للأحداث	٢٤٠
طوارئ الأمن الاجتماعي	٢٤٢
المحاضرة العشرون	
المسؤولية الإيمانية	٢٤٥
المسؤولية الشخصية	٢٤٧
مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٤٨
الاعتصام الاجتماعي	٢٤٩
حدود المسؤولية	٢٥١

المحاضرة الحادية والعشرون

المنهج الإسلامي في خط العدل	٢٥٥
الدعوة إلى العدل	٢٥٧
الضعف البشري والانحراف عن الحق	٢٥٩
التخطيط للعدل	٢٦٠
الضمانة الدينية	٢٦١
المحاضرة الثانية والعشرون	
سياسة العدل	٢٦٣
تعميم العدل	٢٦٥
النوبة في رحاب الحياة	٢٦٦
عقلانية الإيمان	٢٦٨
حكومة العدل	٢٧٠
قيمة العدل	٢٧١
المحاضرة الثالثة والعشرون	
العدل الشامل	٢٧٥
العدل الشامل	٢٧٧
العدل هو الاستقامة	٢٧٩
مرجعية العدل والحق	٢٨٢

[باب المسائل]

٣٦٧	الفصل الأول: المسائل القرآنية
٣٦٩	آية المباهلة
٣٧٠	الاتقاء والحذر
٣٧٠	الجمع للتعظيم
٣٧٠	توسع الكون
٣٧١	التنوع البشري
٣٧١	الشك من دون حجة
٣٧٢	شمولية الإحسان
٣٧٢	دعوة الناس إلى الإيمان
٣٧٣	ما معنى استقم كما أمرت؟
٣٧٣	التفكير والتدبر في القرآن
٣٧٤	النفس مطمئنة
٣٧٥	الخلق النبوي
٣٧٥	معنى النسيان
٣٧٦	تعليم آدم الأسماء
٣٧٦	الحياة الدنيا
٣٧٧	الليالي العشر
٣٧٧	الكذب عند المخلوقات
٣٧٧	معنى استغفار النبي ﷺ
٣٧٨	الله نور السموات والأرض
٣٧٨	الروح والنفس في القرآن
٣٧٩	الوحي في حياة النبي ﷺ
٣٧٩	البراءة من الظالمين
٣٨٠	القصاص القرآني
٣٨٠	مقاتلة الكفار
٣٨١	القرآن في حياتنا
٣٨١	وجه الله تعالى
٣٨٢	جمع القرآن
٣٨٢	وسائل التوبة
٣٨٣	تعذيب المنافقين
٣٨٣	العذاب الواقع
٣٨٣	أخلاق السوء
٣٨٤	خلافة الإنسان
٣٨٥	التوبة النصوح
٣٨٥	تفسير الأمانة
٣٨٦	تفسير النصرة
٣٨٦	الذبح العظيم
٣٨٦	تفسير القرآن التطبيقي
٣٨٧	معنى الأميين
٣٨٨	قربى النبي ﷺ
٣٨٨	تفسير الورود
٣٨٩	تفسير وفاة عيسى ﷺ

المحاضرة الرابعة والعشرون

٢٨٥	مذهب العدالة
٢٨٧	مذهب العدالة
٢٨٨	الوفاء بالعهد
٢٩٠	مرجعية للمغتربين
٢٩٢	العدل في المعاشرة
٢٩٧	المحاضرة الخامسة والعشرون
٢٩٧	إشاعة العدالة
٢٩٩	إشاعة العدل
٣٠١	التربية القرآنية للإنسان
٣٠٣	طبيعة الاستغفار
٣٠٤	مواجهة الخونة
٣٠٦	تحكيم قيم الإسلام
٣٠٩	تشويه الحق
٣١٣	المحاضرة السادسة والعشرون
٣١٣	الإيمان... مراقبة دائمة للنفس
٣١٥	محاسبة النفس
٣١٧	المحاسبة منهج العاقل
٣٢٠	الذكر الحقيقي
٣٢٣	المحاضرة السابعة والعشرون
٣٢٣	الإيمان... ذكر الله الدائم
٣٢٥	ذكر الله
٣٢٧	الذكر تفاعل بين الإنسان والخالق
٣٢٩	الذكر الكاذب
٣٣٠	الذكر في الأحاديث
٣٣٣	المحاضرة الثامنة والعشرون
٣٣٣	إدارة المال في الشريعة الإسلامية
٣٣٥	تنظيم المال
٣٣٧	منهج الحق
٣٣٩	تطبيقات معاصرة للآية
٣٤٥	المحاضرة التاسعة والعشرون
٣٤٥	السياسة المالية في الإسلام
٣٤٥	طريقة التعاطي
٣٤٧	الخلافة في المال
٣٤٨	السياسة المالية في الإسلام
٣٥١	تنقية مصادر المال
٣٥٣	المحاضرة الثلاثون
٣٥٣	التجارة وقتل النفس
٣٥٥	تنظيم التجارات
٣٥٧	التجارة عبادة
٣٥٨	حماية الحياة
٣٦٠	مشروعية العمليات الاستشهادية

٤١٤	خلق السموات والأرض
٤١٥	الأرض الواحدة
٤١٥	خلق الجنة والنار
٤١٥	اختيار الأنبياء
٤١٦	حقيقة المجاز في القرآن
٤١٦	موارد التلقظ بالبسملة
٤١٦	معنى حمل العرش
٤١٦	الوقت في الجنة
٤١٧	حشر الوحوش
٤١٧	الأمثال في القرآن
٤١٨	نسيان آدم عليه السلام
٤١٩	تخصيص ابن نوح بالنداء
٤٢١	الفصل الثاني: المسائل العقائدية
٤٢٣	اختلاف الأمة الإسلامية
٤٢٣	معرفة الله
٤٢٣	ثبات الإيمان
٤٢٤	نزول عيسى عليه السلام
٤٢٤	الكسوف وعلامات الظهور
٤٢٤	المسائل التاريخية والعقيدية
٤٢٥	الأرواح الروحانية
٤٢٥	التوحيد والشرك
٤٢٦	علامات الظهور
٤٢٦	عزل الدين
٤٢٧	شروط استجابة الدعاء
٤٢٧	الموقف من بعض العقائد
٤٢٧	حدود الكفر
٤٢٨	عقوبة المسخ
٤٢٨	تحديد ضروريات الدين
٤٢٩	الفرح بالدنيا
٤٢٩	علم الكلام
٤٣٠	السب والبراءة
٤٣٠	القرب من الله
٤٣٠	دين النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
٤٣١	معرفة إمام العصر
٤٣١	الحوار مع الكتابيين
٤٣٢	التبرك بقبور الصالحين
٤٣٢	جغرافية التقية
٤٣٣	معنى تقرير النبي صلى الله عليه وسلم
٤٣٢	الآلم واللذة كصفات لله تعالى
٤٣٣	جنة الدنيا والآخرة
٤٣٣	خلق المشوهين والمجانين
٤٣٥	التاريخ وفلسفته
٤٣٥	عالم آل محمد صلى الله عليه وسلم
٤٣٥	التقليد في الأصول

٣٨٩	معنى المسيح
٣٨٩	المؤمنون والذين آمنوا
٣٩٠	نحن والنصارى
٣٩٠	تفسير الضلال
٣٩١	نذر أم مريم
٣٩١	حدود حفظ القرآن
٣٩٢	نسيان موسى
٣٩٢	الاستواء على العرش
٣٩٢	بين اللعن والسب
٣٩٥	دلالة القرآن وسنده
٣٩٥	النفخة والروح
٣٩٦	عرش الله
٣٩٦	طعام أهل الكتاب
٣٩٧	نسيان النبي صلى الله عليه وسلم
٣٩٧	تدوين القرآن
٣٩٧	الزواج في القرآن
٣٩٨	السابقون من المسلمين
٣٩٨	الإنسان الكنود
٣٩٨	العبوس والخلق النبوي
٤٠٠	الكذب والظلم
٤٠٠	معجزة النبي صلى الله عليه وسلم
٤٠٢	وضوح القرآن
٤٠٣	الفرق بين الإكمال والإتمام
٤٠٣	معنى التطهير
٤٠٣	الشهب في القرآن
٤٠٤	مكر الله
٤٠٤	من هم الصادقون؟
٤٠٥	القوة وأسلوبها
٤٠٥	معنى ذل المؤمنين
٤٠٦	الاستماع إلى القرآن
٤٠٧	غفران ذنوب النبي صلى الله عليه وسلم
٤٠٧	جمع القرآن وترتيبه
٤٠٧	تفسير آية
٤٠٨	أسماء القيامة
٤٠٨	إحضار عرش بلقيس
٤٠٨	من هم المطهرون؟
٤٠٩	تفسير الروح
٤٠٩	من هم أولو الأمر؟
٤١٠	علم الأنبياء
٤١١	العصمة في القرآن
٤١٢	الأمة الخيرة
٤١٣	تأثير الخطاب الديني
٤١٤	تسمية لوط
٤١٤	تفسير معنى الأخدان

٤٦٤	دور المرجعيات السياسي
٤٦٤	أهل البدع
٤٦٤	حضور الداعية الإسلامي
٤٦٥	حقوق الرجل والمرأة
٤٦٦	الانضمام إلى تنظيمات سياسية علمانية
٤٦٧	سلطة الجن على الإنسان
٤٦٧	نظام الإسلام الاقتصادي
٤٦٧	الحزن لتكريس المفهوم
٤٦٨	زينب ع عنوان التقوى والعنفوان
٤٦٩	كلفة التقوى
٤٧٠	البراءة من أعداء آل محمد
٤٧١	مسؤولية المسلمين تجاه الإسلام
٤٧١	التعريف بالإسلام
٤٧٢	الانتماء الحسيني إلى النبي
٤٧٢	دفن الحسين
٤٧٣	معنى الظلم
٤٧٣	النظرية والتطبيق
٤٧٤	أزمة القيادة
٤٧٤	كنية الحسين
٤٧٤	الاعتداء على المقدسات الإسلامية
٤٧٦	مغزى الحج والعمرة
٤٧٧	الدعوة إلى التشيع
٤٧٧	العروبة والإسلام
٤٧٨	العدل والمساواة
٤٧٨	دلالات ذكرى أربعين الحسين
٤٧٩	نهوض الأمة
٤٨٠	وصف الدعي
٤٨٠	الاستواء على العرش
٤٨١	دور العلم
٤٨٣	الفصل الرابع: المسائل التربوية
٤٨٥	العراقيون في المهجر
٤٨٦	مدارة الناس
٤٨٦	ترويض النفس على الطاعة
٤٨٧	حقيقة الزهد
٤٨٨	اللباس الخاص بالعالم الديني
٤٨٨	اكتساب الأخلاق
٤٨٨	التوبة من الكذب
٤٨٩	التخلص من حبّ الظهور
٤٨٩	تعليم الأولاد وتربيتهم
٤٨٩	اختيار المدرسة الصالحة
٤٩١	الفصل الخامس: المسائل الفقهية
٤٩٣	أولاً: المرجعية والتقليد
٤٩٣	شرح كيفية التقليد
٤٩٣	قيمة الدليل العقلي

٤٣٦	عقوبة إيذاء الآخرين
٤٣٦	اسم الله والشفاء به
٤٣٦	الغلو والشرك
٤٣٧	عودة المسيح والمهدي
٤٣٧	رؤية الرسول في المنام
٤٣٧	دور الأنمة
٤٣٨	أجداد الأنبياء
٤٣٨	حقيقة الطواف
٤٣٩	الدليل العقلي على وجود الإمام المهدي
٤٣٩	رعاية الإمام المهدي للحركة الإيمانية
٤٤٠	ترك الذنوب حياة
٤٤٠	الفطرة الإنسانية
٤٤٠	رحمة الاختلاف
٤٤١	الخوف من الموت
٤٤١	معنى الإحالة الإلهية
٤٤٢	عبارات توحى بالشرك
٤٤٢	نفي العصمة عن الأنبياء
٤٤٣	الولاية التكوينية والدعاء
٤٤٥	معنى الفطرة
٤٤٥	تحريم النار على أولاد فاطمة
٤٤٦	خلق نور النبي
٤٤٦	صفات النبي وكماله
٤٤٦	شقاء الإنسان في بطن أمه
٤٤٧	مظاهر عدل الله
٤٤٩	حديث الثقلين
٤٤٩	مصير زوجتي نوح ولوط
٤٥٠	عصمة الأنبياء
٤٥٠	مميزات الإنسان
٤٥١	ذكر النبي في الصلاة والتشهد
٤٥١	الشفاعة اصطلاحاً وشرعاً
٤٥٢	اختيار الأنمة وهم صغار
٤٥٢	ولادة عيسى
٤٥٣	حق الزهراء في فلك
٤٥٥	الفصل الثالث: المسائل الفكرية
٤٥٧	الخوف على الإسلام
٤٥٧	المصالحة مع الذات
٤٥٨	القداسة والتعظيم
٤٥٩	الإحباط واليأس
٤٦١	العمل بعد الزواج
٤٦١	الإعلام الإسلامي
٤٦٢	الجو الأخلاقي في الجامعة
٤٦٢	حدود الدين
٤٦٣	تجزيّة العاطفة
٤٦٣	تداول السلطة

٥٠٦	الترتيب في القضاء	٤٩٤	منطقة الفراغ التشريعي
٥٠٦	صلاة الجمعة	٤٩٤	التقية والأحكام الخمسة
٥٠٦	تبديل نية الصلاة	٤٩٤	شرط الأعلمية في التقليد
٥٠٦	بطلان الصلاة بالشك	٤٩٤	اشتراط إمكانية الرؤية
٥٠٧	حكم الثياب الشفافة	٤٩٥	معرفة الاجتهاد المبتدع
٥٠٧	الصلاة في العمل	٤٩٥	التعارض بين الروايات
٥٠٧	التشهد في الركعة الثالثة	٤٩٥	الرجوع إلى المجتهد في السياسة
٥٠٧	صلاة مَنْ في جيبه متجسّس	٤٩٦	الحكم الإلهي المطلق
٥٠٧	كثرة السفر	٤٩٦	شؤون الدين
٥٠٨	استحباب الشهادة الثالثة	٤٩٦	موقع الإجماع في أصول الفقه
٥٠٨	التقية في هيئة الصلاة	٤٩٧	مرجعية الأمة
٥٠٨	السجود على ما لا يصح السجود عليه	٤٩٧	الأساس في حرمة الغناء
٥٠٩	السفر لغرض الدراسة	٤٩٨	حكم انتهاك حرمة المراجع
٥٠٩	وضع الأنف في السجود	٤٩٩	ثانياً: النجاسات والطهارات
٥٠٩	التناقل عن قضاء الصلاة	٤٩٩	نجاسة الميت
٥٠٩	الصلاة الوسطى	٤٩٩	الدم بعد اللباس
٥١٠	الصلاة في وطن الآباء	٤٩٩	أثر النجاسة
٥١٠	وظيفة كثير السفر إلى غير عمله	٤٩٩	حكم النجاسة بعد الانتهاء من الصلاة
٥١٠	موضع سجدتي السهو	٤٩٩	إرضاع الطفل على جنابة
٥١١	التكبيرات بعد التسليم	٥٠٠	التحليل الكيميائي في الطهارة
٥١١	القنوت في ركعتين	٥٠٠	الأكل عند الكافر
٥١١	الإسراع في الصلاة	٥٠٠	الاستحالة وأثرها في الطهارة
٥١١	صلاة الفجر مع عدم معرفة الوقت	٥٠٠	تطهير الميت
٥١٢	وضع الصور في البيوت	٥٠٠	مس الميت بعد التيمم
٥١٢	الترتيب في الصلوات الفائتة	٥٠١	الصلاة بالثوب النجس
٥١٢	الشك في الركوع قبل السجود	٥٠١	حكم الرطوبات
٥١٢	وضع اليدين في الركوع	٥٠١	كفاية الاغتسال عن الوضوء
٥١٢	ملامسة الأرض في السجود	٥٠١	حيوانات تتغذى على الحرام
٥١٣	الصلاة بجلد غير مذكى	٥٠١	التذكية في مسالخ للخنازير
٥١٣	صلاة شارب الخمر	٥٠٢	حكم السوائل المشتبّهة
٥١٣	قضاء صلاة الآيات للحائض	٥٠٢	نجاسة الكحول
٥١٣	تأثير الكحل في الصلاة	٥٠٢	حكم المصفقات
٥١٤	الصلاة في أرض مغصوبة	٥٠٢	موجبات الغسل
٥١٤	الصلاة بجلد مشكوك التذكية	٥٠٣	الاستعانة بالخلل عن الوضوء
٥١٤	الالتزام بصلاة الجماعة	٥٠٣	مسمى الغسل
٥١٤	الواجبات والفرائض	٥٠٣	طهارة الخل
٥١٥	قراءة السورة الثانية	٥٠٣	السائل المشتبه به
٥١٥	الصلاة على غير التراب	٥٠٤	غسل المرأة من الجنابة!
٥١٥	قراءة سورة في أكثر من ركعة	٥٠٤	العلم بالدم بعد الصلاة
٥١٥	انكشاف السر في الصلاة	٥٠٥	ثالثاً: الوضوء والصلاة
٥١٦	تعدد الشكوك في الصلاة	٥٠٥	شعر القطة وتأثيره على الصلاة
٥١٦	السجود على المفروشات	٥٠٥	إمامة العاجز
٥١٦	العدالة في الصلاة	٥٠٥	الإخفات في الصلاة
٥١٦	السهو والنسيان	٥٠٥	قضاء الصلوات الفائتة

٥٢٩	الخمس على طالب العلم الشرعي
٥٢٩	دفع الخمس على أفساط
٥٢٩	أنحار المال للزواج
٥٢٩	صعوبة حساب الأرباح
٥٣١	سادساً: الحج والعمرة
٥٣١	دفع الرثوة لأجل الحج
٥٣١	النيابة عن متعددين
٥٣١	الإسراف في الأضاحي
٥٣١	الحج بمال مقترض
٥٣٢	الحج مع مخالفة أنظمة الحج
٥٣٢	كفارة التظليل
٥٣٢	دفن الحاج المتوفى
٥٣٢	وظيفة الحاج في رمي الجمرات
٥٣٣	جمع الأموال للزواج
٥٣٤	سابعاً: الزواج والطلاق
٥٣٤	زواج المسلمة من غير المسلم
٥٣٤	علاقة المخطوبة بخطيبها
٥٣٤	طلبات فوق العادة
٥٣٥	الكذب على الزوجة
٥٣٥	إنفاق الزوج على الزوجة
٥٣٥	معارضة الأم لخطوبة ابنتها
٥٣٦	العقد أثناء العادة الشهرية
٥٣٦	ختان المرأة
٥٣٦	الزواج ثانية من دون علم المرأة
٥٣٧	الابن غير الشرعي
٥٣٧	تركيب اللولب
٥٣٧	زوجات الجد
٥٣٨	أقرب الأجلين
٥٣٨	الطلاق غيباً
٥٣٨	طفل الأنبوب
٥٣٨	مفهوم الطاعة بين الزوجين
٥٣٨	زواج غير الرشيدة
٥٣٨	إعلام الزوج بالخطبة السابقة
٥٣٩	زواج الرشيدة
٥٣٩	توكيل تحت الضغط
٥٣٩	طبيعة الزواج المؤقت
٥٤٠	أوقات الزواج
٥٤٠	الكذب على الزوجة
٥٤١	الزواج بمتدين
٥٤١	الزواج ورفض العائلة
٥٤١	معيار قبول الزوج
٥٤٢	تحديد النفقة الزوجية
٥٤٢	حكم النطق بالطلاق مرة
٥٤٢	معنى التطليقات الثلاث

٥١٧	نيابة الإمام عن المأموم
٥١٧	قراءة سورة العزائم في الصلاة
٥١٧	خشوع المصلي
٥١٧	تقويت صلاة الفجر
٥١٨	زيت الشعر
٥١٨	التوضؤ خطأ عن جهل
٥١٨	أثر دهون البشرة على الوضوء
٥١٨	غسل الجمعة والوضوء
٥١٨	الزيت والحاجب في الوضوء
٥١٩	رابعاً: الصيام والكفارات
٥١٩	الصيام في المرض
٥١٩	الدم وتأثيره على الصوم
٥١٩	تكليف المرأة الحامل
٥١٩	مضغ العلكة في الصوم
٥٢٠	مشاكل صحية تمنع من الصوم
٥٢٠	إفطار مريض
٥٢٠	صوم المستحاضة
٥٢٠	صيام مريض السكري
٥٢١	صيام حامل
٥٢١	صيام مصابة بنزيف
٥٢١	القضاء عن الأم
٥٢١	هلال شوال
٥٢٢	ثواب الصوم
٥٢٣	الاعتماد على خبرة الفلكيين
٥٢٣	الإفطار للضعيف
٥٢٤	صوم وصديقة أحد الزوجين
٥٢٤	عدم القدرة على قضاء العبادات
٥٢٤	مقدار إطعام المسكين
٥٢٥	خامساً: الخمس والزكاة
٥٢٥	جبر مبلغ الخمس
٥٢٥	تخميس المال المدخر
٥٢٥	خمس المنحة الدراسية
٥٢٥	العقبة
٥٢٦	تخميس أرض البناء
٥٢٦	الفطرة لغير اليتيم والأرملة
٥٢٦	الخمس في الشقة
٥٢٦	استثناء الدين من الخمس
٥٢٧	تأجيل دفع الخمس
٥٢٧	الخمس في مال لشراء منزل
٥٢٧	التخميس للحج
٥٢٨	خمس الأرباح
٥٢٨	المسكين والفقير
٥٢٨	الزكاة في الأنعام
٥٢٨	صرف الخمس في الهيئات

- ٥٤٣ واجبات عدة المتوفى زوجها
- ٥٤٣ زواج المريض نفسياً
- ٥٤٣ حكم زواج الأقرباء
- ٥٤٤ قوامة الرجل
- ٥٤٤ هل تجري المرأة عقد الزواج؟
- ٥٤٤ الزواج من هندوسية
- ٥٤٥ حدود معاشررة الزوجة
- ٥٤٥ زوج يرفض الطلاق
- ٥٤٥ الزواج بالبوذية
- ٥٤٦ ثامناً: أموال وبنوك
- ٥٤٦ الاستدانة بفائدة
- ٥٤٦ الشك في موقوفة أرض
- ٥٤٦ بيع نصوب بأسعار تشجيعية
- ٥٤٧ الوصية للأولاد
- ٥٤٧ شراء محل
- ٥٤٨ الاستفسار عن الفائدة
- ٥٤٨ أخذ المال دون علم الزوج
- ٥٤٨ حكم بيع العروض المجانية
- ٥٤٨ التصرف بالأموال الشرعية
- ٥٤٩ التصرف بأموال الغير
- ٥٤٩ مسؤولية الخسارة
- ٥٤٩ اختلاف قيمة العملات النقدية
- ٥٥٠ القرض بالفائدة لشراء منزل
- ٥٥٠ مسؤولية الوارث تجاه الدائن
- ٥٥٠ تبرئة الذمة
- ٥٥٠ بيع مؤخر الصداق
- ٥٥١ فوائد البنوك
- ٥٥١ موظف في بنك ربوي
- ٥٥١ عقد العمل
- ٥٥٢ شراء برامج الكمبيوتر
- ٥٥٢ حقوق الشركات
- ٥٥٢ فائدة الدين
- ٥٥٢ العثور على جهاز خليوي
- ٥٥٣ التصرف في الأوقاف
- ٥٥٣ سرقة الكهرباء
- ٥٥٣ نسخ الأقراص المدمجة
- ٥٥٣ القرض من البنوك
- ٥٥٤ الإخار في بنوك ربوية
- ٥٥٤ التعامل مع البنوك
- ٥٥٤ تحديد الربح
- ٥٥٥ التصرف بوكالة أو بدونها
- ٥٥٥ دفع الرشوة للجائر
- ٥٥٥ الحجر على مدمن مخدرات
- ٥٥٥ التيسويق لأعمال غير إسلامية
- ٥٥٦ انتهاء عقد الإيجار
- ٥٥٦ تفويت المنافع على الغير
- ٥٥٦ شراء أسهم في شركات فندقية
- ٥٥٧ الاقتراض من البنوك الأوروبية
- ٥٥٧ حكمة تشريع الحقوق المالية
- ٥٥٨ اشتراط الأجرة في المجالس الحسينية
- ٥٥٩ تأسعا: السلوك والمعاملات
- ٥٥٩ النظر إلى صورة الزوجة المتوفاة
- ٥٥٩ تربية الأولاد
- ٥٥٩ خروج الفتاة من المنزل
- ٥٦٠ المعاملة بين الوالد والولد
- ٥٦٠ دخول السينما
- ٥٦٠ خياط للنساء
- ٥٦٠ المشاركة في الغش
- ٤٦١ حكم الإجهاض
- ٥٦١ لعبة البلياردو
- ٥٦١ التعامل مع مشاكل الإنترنت
- ٥٦٢ قراءة القرآن عند القبور
- ٥٦٢ العمل في مصنع للمشروبات الكحولية
- ٥٦٢ التجسس في الإسلام
- ٥٦٤ رعاية اليتيم
- ٥٦٤ وهب أحد الأولاد
- ٥٦٥ بيع أشرطة الأغاني والأفلام
- ٥٦٥ صلة الرحم وقطعها
- ٥٦٥ مسؤولية السائق في الحوادث
- ٥٦٦ ضرر المريض
- ٥٦٦ لباس الفتاة
- ٥٦٦ واجبات الشراكة
- ٥٦٦ النحت
- ٥٦٧ كفارة نقض العهد
- ٥٦٧ مصافحة النساء
- ٥٦٧ أصل المسبحة
- ٥٦٧ مصافحة غير المحارم
- ٥٦٨ العدسات الملونة
- ٥٦٨ مسؤوليات المريض النفسي
- ٥٦٨ شرعية الانتقام
- ٥٦٨ هدايا الفساق
- ٥٦٨ الصور وإثبات الوقائع
- ٥٦٩ وقف النفس
- ٥٦٩ صناعة الرموز غير الإسلامية
- ٥٦٩ شراء الخمر للغير
- ٥٦٩ خاتم فضة فيه ذهب
- ٥٧٠ الدليل على حرمة حلق اللحية
- ٥٧٠ الرياء بقصد الهداية

- ٥٧٦ حكم الإجهاض
٥٧٦ متابعة برامج غنائية
٥٧٧ حكم الوشم
٥٧٧ القراءة عن الأم
٥٧٧ التسبب في وفاة شخص
٥٧٨ مصاحبة الفاسقين
٥٧٨ كفارة عدم الإيفاء بالوعد
٥٧٨ مصرف النذر
٥٧٨ الوصاية على المسجد
٥٧٨ حرمة التعامل مع الشركات الإسرائيلية
٥٧٩ السباب مزاحاً
٥٧٩ أفضل أعمال البر بالوالدين
٥٨٠ الدفن في غياب القانون
٥٨٠ التجارة بلحم الخنزير
٥٨٠ نقل الموتى
٥٨١ التعامل مع الأهل
٥٨١ صبغة الشعر للرجل
٥٨١ الخروج من المدرسة من دون إذن
٥٨٢ الغش في الامتحان
٥٨٢ بيع المصاحف
٥٨٣ الفهرس
- ٥٧٠ تناول أدوية الاكتئاب
٥٧٠ غرور الدنيا
٥٧١ الاختلاط في المدارس
٥٧١ مقاطعة الإخوان
٥٧١ تعدد القسم وتعدد الكفارة
٥٧٢ حكم الإعدام في الشريعة
٥٧٢ شراء اللحم من المسلم
٥٧٢ التخدير قبل التذكية
٥٧٢ ذبيحة الكتابي
٥٧٣ سماع الأغاني في الأعراس
٥٧٣ المزاح مع الرجال
٥٧٣ سرقة عن طريق الإنترنت
٥٧٣ مشاهدة الأفلام الأمريكية
٥٧٤ الذبابة بالآلات الحديثة
٥٧٤ سماع الأغاني الوطنية
٥٧٤ طرق التخلص من القراطيس
٥٧٤ الشعائر الحسينية
٥٧٥ القسم بالقرآن
٥٧٥ تعاطي المنشطات
٥٧٥ حكم نقل الأعضاء
٥٧٥ حدود العلاقة بين الجنسين

